الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة
مركز تحقيق التراث

النجوم الزاهرة فى حُلَى حَضْرة القاهرة

القسم الخاص بالقاهرة من كتاب

المُغْرِبْ فى حُلَى المَغْرِبْ

تحقيق
الدكتور حسين نصار
أستاذ الأدب المصرى فى العهد الإسلامى

مطبعة دار الكتب
١٩٧٠

النجوم الزّاهرة فى حُلَى حَضْرة القاهرة

الذى صنفه بالموارثة فى مائة وخمس عشرة سنة
ستة من أهل الأندلس

عبدالله بن ابراهيم الحجاري	أحمد بن عبد الملك
موسى بن محمد	عبد الملك بن سعيد
محمد بن عبد الملك	على بن موسى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

هذا الكتاب — الذى أضعه اليوم بين يدى القارئ — تنازعتنى فى إخراجه — وتنازعت كثيرين قبلى — عوامل شتى ، يدعو بعضها إلى إصداره ، بل الإسراع فى ذلك ما وجدنا إلى السرعة سبيلا ، وبعضها الآخر إلى النكوص عنه أو التمهل ما وسعنا التمهل .

فلا يزال الكتاب ناقصا ، لم يؤد البحث الدائب من دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية والعلماء الذين عنوا به إلى العثور على بقية أجزائه الضائعة .

حقا ، عثرت إحدى بعثات معهد المخطوطات العربية على جزء منه فى إحدى قرى الصعيد . وحقا ، سد هذا الجزء ثغرة فى « الكتاب » الذى أصدره . ولكنه لم يسد كل الثغرات فيه ، ولا فى بقية « كتبه » . فما زال ما منحه لما سماه « بلاد البربر » ، وما نعرفه نحن اليوم ببلاد المغرب عامة أو ليبيا وتونس والجزائر والمغرب ، وبعض « الكتب » التى أفردها للأندلس ومصر ، وبعض الأجزاء الساقطة ، لا يزال كل ذلك إلى يومنا هذا مفقودا ، يشوه من صورة الكتاب الناصعة .

والمجلدات التى وقعت إلينا منه اضطربت صفحاتها اضطرابا كبيرا تعذر معه أحيانا تصور ترتيبها الأصلى ، وتعسرت إعادته فى كثير من الأحيان، لولا الاستعانة بغيره من الكتب التى كتبت عنه أو أفادت منه . وعلى الرغم من ذلك ، ومن الجهد المضنى ، لم يبرأ محاولو ترتيبه من خطأ لم ينتبهوا إليه إلا متأخرين[1] .

والقسم المصرى من الكتاب أصابه من الضياع والاضطراب ، الكثير وإن كان الحظ الحسن قد أبقى لنا اثنين من أهم أقسامه إن لم يكونا أهمها على الإطلاق ، وهما ما كتب عن الفسطاط ، والقاهرة . ولكن هذا الحظ لم يعدل بين القسمين ، بل آثر الفسطاط بالقسط الأكبر من البقاء والاهتمام . فانفردت بجميع المحاولات السابقة من التحقيق والنشر . ولم تحظ القاهرة بشىء منها أو لم يقدر للمحاولات التى عنيت بها الاستمرار والتمام .

وكانت إحدى هذه المحاولات من الأسباب التى عاقتنى عن الاشتغال بالكتاب مدة . فقد أعلن العلماء الثلاثة الذين إشتركوا فى تحقيق قسم الفسطاط أنهم يعدونه الجزء الأول من الكتاب ، ووعدوا بإخراج قسم القاهرة فى الجزء الثانى . ولكن الزمن تطاول بهم ، وفرق بينهم القدر . ثم أخبرنى أستاذى الدكتور شوقى ضيف أنه عدل عن إخراج هذا القسم منفردا أو مشتركا مع غيره ، وأذن لى مشكورا بالعمل فيه .

تلك كانت المثبطات التى حالت بين الكتاب ومن أراد العمل فيه . ولكن المشجعات التى رافقتها كانت أعظم وأكثر وأشد إلحاحا وحفزا .

(١) القسم الخاص بالأندلس ، مقدمة الطبعة الثانية .

فالمغرب كتاب قيم ، أشاد به كل من اطلع عليه من القدماء والمحدثين . وأسهب الدكتور شوقى ضيف فى إبانة قيمة القسم الأندلسى منه خاصة ، والدكتور زكى محمد حسن فى إبانة قيمة القسم المصرى . وأحب أن أقتصر على قول الأخير[1] : «أما منزلة المغرب فى دراسة الأدب المصرى فمنزلة عظيمة إذ أنه احتفظ بكثير من نصوص الشعر العربى فى مصر .... ومما يزيد فى قيمة النصوص الأدبية المصرية فى المغرب أن على بن سعيد لقى كثيرا من أدباء مصر وشعرائها ، وأفاد من الرواية الشفوية حق الفائدة ، فضلا عن أنه احتفظ بكثير من التراجم التى جاءت فى كتاب «جنان الجنان ورياض الأذهان» للرشيد ابن الزبير المتوفى سنة ٥٦٣ ﻫ ، وهو أهم كتاب ألف عن الشعر المصرى فى العصر الفاطمى .... » .

والأدب المصرى فى تلك العصور فى حاجة شديدة إلى التنقيب عن نصوصه وإخراجها ، لأن ما خلفه لنا المصريون من تواريخ قد ضاعت ، ومن كتب أدبية قد سقطت من يد الزمان ، ومن دواوين قد أصابتها العوادى متعمدة وغير متعمدة .

فإذا وجدنا كتابا كالمغرب ، من عمل جماعة من الأدباء الذين شهد لهم كل من اتصل بهم بالذوق المرهف ، والملكة الفنية ، والاطلاع الدائب ، والجمع المستقصى ، وخاصة عند على بن موسى خاتمتهم ؛ وإذا وجدنا نسخة منه مثل تلك التى تحتفظ بها دار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٣ تاريخ م بخط يد صاحب الكتاب على بن موسى ، ولها تاريخها المحدد بين سنتى ٦٤٥ و ٦٤٧ ، ووقعت فى يد القراء العلماء من أمثال صلاح الدين الصفدى ، وإبراهيم بن

(١) المغرب ١ : ٤٢ م .

دقماق المتوفى فى ٨٠٢ هـ ، وأحمد بن على المقريزى المتوفى فى ٨٠٣ هـ وغيرهم ؛ إذا وجدنا مثل ذلك كان عسيرا ألا نفكر فى تحقيقه وإخراجه .

ولكن هذه النية المترجحة بين الإقدام والإحجام لم تستطع أن تبقى طويلا بين هذه العوامل المتنازعة ، عندما أهلّ عليها عام ١٩٦٩ ، وأخذ أهل القاهرة يحتفلون بعيدها الألفى ، فيبرزون ما استطاعوا من تراث علمى وفنى وأدبى. فاستبدت بى الرغبة فى المشاركة الحقة فى عيد القاهرة ، بإخراج هذا الكتاب ، الذى يعد من أقدم ما عثرنا عليه من كتب تؤرخ لعاصمتنا . ولم يعد لدى شىء من تردد بعدما عرضت الفكرة على السيد الدكتور محمود الشنيطى وكيل وزارة الثقافة لشئون دار الكتب ، فرحب بها أجمل ترحيب ، وقدم لى كل تسهيل ، وتعهدنى بالسؤال بعد السؤال ، شأنه فيما يؤمن به من أعمال .

وكان أول خطوة يجب علىّ أن أقوم بها : التعرف على منهج المؤلف فى القسم المصرى ، لأستطيع أن أعيد ترتيب الأوراق الباقية لدينا ، والبحث عن الثغرات ، ومحاولة ملئها أو تحديدها .

وبعد دراسة الكتاب ، والإشارات المبثوثة فيه ، والاطلاع على المقدمات التى وضعها المحققون السابقون بين يدى نشراتهم ، والدراسات السابقة ، تبين لى أن الكتاب ينقسم إلى ٣ أفلاك :

١ — فلك الزهرة ، ويشتمل على كتاب « الإكليل فى حلى بلاد النيل » .

٢ — فلك عطارد ، ويشتمل على كتاب « نفحات العنبر فى حلى بلاد البربر » .

٣ — فلك . . . ، ويشتمل على كتاب « وشى الطرس فى حلى جزيرة الأندلس » .

وينقسم الفلك الأول – الخاص بمصر – إلى ٣ ممالك :

١ – المملكة العليا ، ويراد بها الصعيد .

٢ – المملكة الوسطى ، ويراد بها منطقة العاصمة .

٣ – المملكة الساحلية ، ويراد بها الوجه البحرى .

وأعطى كل واحد من هذه الممالك عنوانا ، لا نعرف منه غير عنوان «كتاب النشوات الخمرية فى حلى المملكة الوسطى من الممالك المصرية » . كذلك قسم كل واحد منها إلى قسمين : يختص الأول منهما بالكور (الأقاليم) التى إلى شرق النيل ، والثانى بالكور التى إلى غربه . ونطمئن إلى أنه سمى كل واحد من هذه الأقسام كتابا ، ومنحه عنوانا خاصا ، إلا أننا لا نعرف منها غير عنوان الأول من كتب الكور المشرقية ، وهو « لذة اللمس فى حلى كورة عين شمس » .

وبينما نجهل أقسام الكور الأخرى ، نعرف أن « لذة اللمس » اشتمل على خمسة كتب ، وهى :

١ – منية النفس فى حلى مدينة عين شمس .

٢ – الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط .

٣ – النجوم الزاهرة فى حلى مدينة القاهرة .

٤ – رشف القبل فى حلى قلعة الجبل .

٥ – النفحة الحاجرية فى حلى الجزيرة الصالحية .

وقد نشر الأساتذة الدكاترة زكى محمد حسن وشوقى ضيف وسيدة إسماعيل كاشف الثانى منها . وما بين يدى القارئ تحقيق للكتاب الثالث الذى

ضممت إليه الأوراق القليلة الباقية من أول الكتاب الأول ، وأول الكتاب الرابع ، حتى أخرج إلى النور كل ما بقى عندنا من أوراق القسم المصرى :

وتقضى الخطة الموضوعة لكل واحد من هذه الكتب أن يتصور عروسا لها : منصة ، وتاج ، وسلك ، وحلة ، وأهداب .

أما المنصة فتختص بالمعلومات الجغرافية والمعمارية عن المدينة التى يتحدث عنهـــا .

ويختص التاج بالمعلومات التاريخية ، التى تترجم لمن ظهر بالمدينة وسادها من أنبياء وخلفاء وسلاطين وملوك . ولمـــا كانت القاهرة إسلامية المنشأ فقد خلا تاجها من الأنبياء .

ويختص السلك بمن له نظم أو نثر من أهل المدينـــة . فيشتمل سلك القاهرة مثلا على الشرفاء ، والحجاب والوزراء ، والرؤساء والقواد ، وذوى البيوت والكتاب ، وولاة الأعمال (كبار الموظفين) ، والحكام (القضاة)، وذوى الديانة ، والعلماء ، ثم الشعراء .

وتختص الحلة بمن ليس له شعر ولا نثر من الطبقات السابقة فى السلك : وتشتمل حلة القاهرة على الحجاب والوزراء ، والعلماء ، والقضاة .

ويختم بالأهداب لأصحاب الفنون الشعرية الأخرى ، من ناظمى الموشحات والدوبيت والزجل والبليق والكان وكان ؛ وأصحاب النوادر والفكاهات .

وانفرد التاج والسلك والحلة بالانقسام إلى طبقات تجمع المتماثلين ، وتأخذ عنوانا خاصا بها . فيسمى القسم الخاص بالفاطميين — فى كتاب القاهرة — بكتاب « الاصطفاء فى حلى الخلفاء » ، والقسم الخاص بالأيوبيـــين كتاب

« نقش الأساطين فى حلى تراجم السلاطين » . بل أفرد القسم السياسى من هذا الكتاب بحيز خاص ، أعطى عنوانا مستقلا ، هو كتاب « الروض المهضوب فى حلى دولة بنى أيوب » .

ونجد فى السلك أمثـال كتاب « الاصطفاء فى حلى الشرفاء » و كتاب « تلقيح الآراء فى حلى الحجاب والوزراء » وكتاب « مرتع الرواد فى حلى الرؤساء والقواد ». وفى الحلة أمثال هذه الكتب وبالعناوين المماثلة لنظائرها .

ومن حسن الحظ ، أن الزمن لم يعدُ — فى كتاب القاهرة — إلا على أجزاء من المنصة والتاج ، اللذين يتضمنان معلومات موجودة فى كتب التـاريخ الأخرى . وبرئت الأقسام الأخرى من السقط ، وهى ذات الأهمية الكبرى لأنها تترجم لرجال القاهرة من الفئات المختلفة .

ويشترط فى الرجل الذى يترجم له أن يولد بالقاهرة ، ولو رحل عنها ونال الشهرة فى غيرها ، مثل ابن دواس وابن بصاقة والمعلم النظام ؛ أو كان أصله من غيرها كابن السلماسى وابن أبى حصينة . أما من لم يولد بها فلا يترجم له مهما بلغت شهرته ومنزلته فيها ، ماعدا الأنبياء والملوك . قال عن اثنين من وزرائها : « وللجرجرائى واليـازورى نثر حسن ولكنهما مـذكوران فى البلدين اللذين ينسبان إليهما من العراق والشام » أى فى غير كتاب المغرب.

ولم يستثن من ذلك إلا جماعة تعـذر الحكم الفاصل عليهم : أهم من القاهرة أم من الفسطاط . فسير فى الكتاب على قاعدة خاصة بهم . قيـل فى كتاب الفسطاط[1] : « تحقيق الفرق بين من اختص بالفسطاط من القاهرة صعب ، ولكن نأخذ بلفظة تدل على التميز فى ذلك . ونجعل من كان فى دولة

---

(١) ٢٠٢ .

بنى طولون ودولة بنى طُغْج وما قبلها — إذا جهلنا حيث كان سكناه — من أهل الفسطاط ، لأن القاهرة فى ذلك الأوان لم تكن بنيت ؛ ومن كان فى دولة العبيديين الخلفاء — ولم نعلم تحقيق مسكنه — جعلناه من أهل القاهرة ». وقيل فى مقدمة السلك من كتاب القاهرة : « قد نورد من تراجم الفسطاط هنا من لانتحقق سكناه بها أو من غفلنا عن إيراده هناك . والمدينتان فى حكم واحدة . وأكثر المحترمين والرؤساء لهم منازل فى القاهرة ومنازل فى الفسطاط » .

وتحدث الدكتور شوقى ضيف عن المصادر التى اعتمد عليها مؤلفو المغرب فيما أوردوا من معلومات حديثا مستفيضا ، قال فيه (١) : « مصادره تتنوع تنوعا شديدا ، ومع ذلك فيمكن أن نردها إلى ثلاثة أنواع ، هى : المشاهدة ، والرواية الشفوية ، والمصنفات ... والمشاهدة أساسية فى المعلومات الجغرافية .. وقد أتيح للنص من الرواية الشفوية مالم يتح لأى كتاب أندلسى ، إذ تداول عليه ستة مؤلفين فى مئة وخمس عشرة سنة متصلة ، يترجمون فيها لأشخاص عاصروهم فى القرنين السادس والسابع للهجرة . فكانوا يلتقون بهم ، ويروون عنهم مشافهة ... وأما المصدر الثالث ، وهو المصنفات التى استمد منها المؤلفون ، فكثير كثرة غامرة . ولهم فى ذلك طريقة لايزايلونها ، وهى ذكر المصدر ثم كتابة ماينقلونه عنه .. وهذه دقة بعيدة فى التصنيف .. » .

وتتبع المرحوم الدكتور زكى محمد حسن المصادر التى اعتمد عليها المؤلفون فى القسم المصرى . وبالرغم من أنه كان يستهدف كتاب الفسطاط خاصة ، ينطبق أكثر ماقاله على كتاب القاهرة . ولكننا نضيف إليه أننا نرى المؤلفين اتبعوا طريقين فى الإفاده من المصادر .

الطريق الأول استيعاب المصدر برمته . تم ذلك فى كتاب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » للقاضى بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ ، الذى يترجم

(١) قسم الأندلس ١ : ١٣ .

لصلاح الدين الأيوبى . فقد أورد المؤلفون فى القسم التاريخى القسم الأول منه كله بلفظه أو كادوا ، والقسم الثانى منه كله مختصرا . واختصروا كتاب « الإشارة إلى من نال الوزارة » لابن الصيرفى المتوفى سنة ٥٤٢ . وأوردوا كل ماتعلق بمصر من « الكامل فى التاريخ » لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ . واختصروا فى القسم الأدبى كل ماأورده عماد الدين الأصفهانى المتوفى سنة ٥٩٧ فى « خريدة القصر وجريدة العصر » . ولعلهم فعلوا الأمر نفسه فى كتاب « الجنان » للقاضى الرشيد بن الزبير المتوفى سنة ٥٦٢ ، وكتاب « الشعراء العصرية » لفاضل ابن راجى الله .

الطريق الثانى الاستفادة من المصدر ، سواء ضاق نطاق الاستفادة أو اتسع . يستبين ذلك فى « الكمائم » للبيهقى ، و« تاريخ مصر » للقرطبى المتوفى سنة ٥٦٧ ، اللذين اغترف منهما ، و « بلشكر الأدباء » للروذبارى المتوفى نحو سنة ٤٥٠ الذى اعتمد عليه فى ترجمة الحاكم بأمر الله . وتظهر الاستفادة المتناثرة فى « تاريخ اليمن » لعمارة المتوفى سنة ٥٦٩ ، و« روزنامج المحادثة » للأقساسى المتوفى بعد سنة ٤٤٩ ، و« منائح القرائح » لابن الصيرفى وغيرها .

وكشف المحققون السابقون[1] عن الرجال الستة الذين اشتركوا فى تأليف الكتاب ، والمراحل التى مر بها على أيديهم ، مما يغنى عن كل قول . ويكفينى أن أشير إلى أن المؤلف الأول أبا محمد عبد الله بن إبراهيم الحجارى كان شاعرا واسع المعرفة « بأدباء الأندلس وما لهم من طرائف الشعر والنثر » . وعندما وفد على عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد بالقرب من غرناطة فى سنة ٥٣٠ هـ سأله أن يصنف له كتابا فيهم ، فصنف له « المسهب فى غرائب

(١) قسم الأندلس ١ : ٢ — ٨ . وقسم الفسطاط ١١ — ١٨ .

المغرب » فكان نواة للمغرب . ويخيل إلى أن المسهب كان قاصرا على شعراء الأندلس ، ولم يعرض لشعراء مصر .

وأقبل عبد الملك المتوفى سنة ٥٦٢ على الكتاب « ثم ثار فى خاطره أن يضيف له ما أغفله الحجارى ، ويختصر ما لم يوافق غرضه وفيه تطويل غير مفيد . وخلفه ابناه أبو جعفر [أحمد الوزير الشاعر] ومحمد [الوزير المتوفى سنة ٥٨٩] وأضافا له ما استفاداه » .

ثم استبد بالكتاب موسى بن محمد بن عبد الملك ، المتوفى بالإسكندرية فى سنة ٦٤٠ ، و « اعتنى به أشد اعتناء ، وأضاف إليه ما طالعه فى الكتب والتقطه من الأفواه » حتى كان له فيه « الحظ الأوفر » .

وأسلم موسى — فى حياته — الكتاب إلى ابنه على المتوفى سنة ٦٨٥ ، بل أسلم إليه أيضا أوراقا كان قد شرع فى جمعها لتصنيف كتاب آخر يماثله ويختص بالمشرق . قال على : « ولم أزل بالمجموعين — فى حياته وبعد وفاته — إلى أن بلغت من كمالها مالو وقف عليه لزاد نورا فى بابه ... وقطعت مدة طويلة فى ترتيبه : أنسج وألحم ، وأقدم وأحجم ، إلى أن أصبت الهدف ، وأتبعت — والحمد لله — ما سلف بما خلف ... على أنى معترف بالاتباع غير مدع للابتداع » .

وأميل من هذه الأقوال إلى أن كل مؤلف كان يزيد أشياء إلى الكتاب ، وإلى أن موسى — الذى رحل إلى الشرق وأقام فيه — أول من عنى بالقسم المصرى من الكتاب . أما على فقد تناول الأوراق التى عنده فأضاف إليها ما تجمع لديه من معلومات ، وأعاد النظر فى الترتيب المبدئى الذى سارت عليه فأتمه ، ومنحه صورته النهائية .

وأعتقد أن الدكتور زكى محمد حسن على حق[1] ، حين ذهب إلى أن عليا هو الذى أضاف كتاب «الروض المهضوب فى حلى دولة بنى أيوب» بين ما أضافه إلى المغرب ، اعتمادا على ماجاء فيه : « قال ابن سعيد مكمل هذا الكتاب : رأيت أن أفرد لبنى أيوب — خلد الله دولتهم — كتابا كما أفردت لبنى طولون وبنى طغج .... » .

ومنحنا على بن موسى التاريخ الذى أخذ فيه الكتاب صورته النهائية ، وأصدره للناس ، إذ دون على كل واحد من المجلدات تاريخ نسخه فتبين لنا أنه فعل ذلك بين سنتى ٦٤٥ و ٦٤٧ فى حلب ، وهو فى ضيافة المؤرخ المعروف ابن العديم ، الذى أباح له الانتفاع بمكتبته ، فكافأه المؤلف بهذه النسخة من المغرب .

وتبين للمحققين السابقين أن هذه النسخة أول ما أخرج ابن سعيد ، وأنه أخرج — على الأقل — نسخة أخرى ، بعد أن أجرى على الكتاب بعض التنقيح ، واعتمد عليها المقرى فى تأليفه كتابه نفح الطيب . ورأوا آثار ذلك فى النسخة : « نجد ابن سعيد يصلح فى نسختنا بعض العنوانات ... ونجده أحيانا لا يأتى بالسجعة المطاوبة كما فى شاوبينة ولوشة . وقد يترك لذلك بياضا كأن السجعة المطاوبة استعصت عليه ، فترك موضعها خاليا ليعود إليه فيما بعد فيملؤه .... وبجانب ذلك نجده يخطئ أحيانا بعامل السرعة فى النسخ » . ولكل ذلك أمثلة فى هذا الكتاب الخاص بالقاهرة .

بعد كل هذا وأمثاله ، أجد نفسى فى غنى عن وصف النسخة الوحيدة الباقية لدينا من المغرب ، والتى اعتمد عليها كل من أراد للكتاب أو منه

(١) ٢٩ م .

تحقيقا أو عليه اعتمادا ، والتى تحتفظ بها دارالكتب المصرية . فقد وفى الدارسون النسخة حقها من الوصف ، وابن سعيد حقه من الدراسة ، وأسلافه فى التأليف حقهم من الإيضاح . وأجد نفسى قد بذلت الجهد فى تحقيق الكتاب ، وقول ما وجب علىّ قوله فى هذه المقدمة ، وأن الكلمة الآن ليست لى وإنما للكتاب نفســـه .

حسين نصار

القاهرة فى ١١ رجب ١٣٨٩
٢٣ سبتمبر ١٩٦٩

الصفحة الأولى من المجلد السادس
من الكتاب ، الذى عثر عليه فى بلصفورة
من الصعيد

انه كان فاضلا ووفد على الفاضل البيساني بقصيدة منها

فانبت والامال في وقت معا فكتب له الى السلطان صلاح الدين

تولاه خطابه عذاب ومدح صلاح الدين بقصيدة اولها

كذا فليفعل الرشا الربيب بليث لا تقوم به الحروب

اتتركك مراقبا هواه ضنى حزنه من دمه شروب

وقال العاذلون تسل عنه فقلت نعم اذا فني الوجيب

قضيب كلما وافى يروح نطاط الخور حليه القضيب

عن امثلتنا لما انثنى كذلك يفعل الرشا الربيب

كمل السادس من كتاب المغرب في حلى المغرب
ويتلوه كمل كتاب الاكليل في حلى بلاد النيل الذي
يشتمل عليه فلك الزهرة يتلوه في التاج
الفلك الثاني من الافلاك المصرية وهو
فلك عطارد الذي يشتمل عليه كتاب نفحات العنبر
في حلى بلاد البرين كتبه محمد علي سعيد مكمله
برسم الخزانة الصاحبية العلية الكمالية العقيلية عمرها الله
[illegible] نحو حلت في العشر الاخير من جمادى الاخرة
سنة ست واربعين وستمائة حامدا لله ومصليا على خيرة انبيائه
[illegible] الله وصحبه
[illegible]

الصفحة الأخيرة من القسم المصرى من الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد

أما بعدَ حمد الله ، والصلاة على سيدنا محمد وآ له وصحبه ، فهذا :

كتاب النجوم الزاهرة
فى حُلَى حَضْرة القاهرة

هى عروس ، لها : مِنصَّة ، وتاج ، وسِلك ، وحُلّة ، وأهداب .

المنصَّة

من كتاب « الكمائم » للبَيْهقِىّ[1] : وأما مدينة القاهرة فهى الحالية الباهرة التى تَفنَّن فيها الفاطميون وأبدعوا فى بنائها ، واتخذوها قُطباً[2] لخلافتهم ، ومركزا لأرجائها ، فنُسى الفسطاط وزُهِد فيه بعد الاغتباط ، وكانت القاهرة بستانا لبنى طولون على قُرْبٍ من مدينة مُلْكهم المعروفة بالقَطائع .

قال ابن سعيد : وقصر ابن طولون / فى مدينة القطائع هو الآن ميـــدان تحت قلعة الجبل . أخبرنى بذلك من ســـألته عنه من العارفين بهذا الشـــأن

٨٤ و
٣

(١) أورد المقريزى كلام البيهق رواية عن ابن سعيد فى الخطط ١ : ٣٦٦ .

(٢) الخطط : وطنا .

ولم يبق الآن أثر لمدينة القطائع الطولونية غير جامع ابن طولون، وهو خارج القاهرة ، وحوله المبانى من غير سور يدور عليها .

قال البيهقى : وكان دخول جوهر غلام المعز الفاطمى الفسطاط سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمئة. وفى سنة تسع وخمسين شرع جوهر فى بناء القاهرة ليتخذها المعز الخليفة منزلا له ولولده من بعده. وسُمِّيت القاهرة لأنها تَقْهَر من شَذَّ عنها ورام مخالفة أمرها[1]. وقدّروا أن منها يملكون الأرض ويستولون على قَهْر الأمم . وكانوا يُظْهِرون ذلك ويتحدثون به .

٨٤ ظ / ٣

قال على بن سعيد : وقد جمعتُ مُلْتَقطات من كتاب البيهقى وكتاب القُرْطى[2] وغيرهما من الكتب ، وأضفتها إلى ماعاينتُه وعلمته من / أمر مدينة القاهرة ، لأنى سكنت فيها كثيرا داخلا وخارجا . وأنا ذاكر من أمرها على نَسَق ما لا توجد جُملته فى كتاب .

هذه المدينة اسمها أعظم منها ، وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته ، لأنها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العُبَيدين . وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من أول الديار المصرية إلى البحر المحيط ، وخطب له فى البحرين من جزيرة العرب عند القرامطة وفى مكة وفى المدينة وبلاد اليمن وما جاورها . وعلت كلمته .

---

(١) الخطط : أميرها . وانظر بشأن الاختلاف فى سبب تسمية القاهرة اتعاظ الحنفا ١٥٨ ، وحسن إبراهيم حسن ٥٢٨ ، وتأسيس القاهرة لكزويل (المقتطف — نوفبر وديسمبر ١٩٣٤) .

(٢) أبو عبد الله محمد بن سعد ، من بيت عرف بالعلم فى مصر ، من نسل عمار بن ياسر ، رحل إلى اليمن والهند ، وألف لشاور الذى وزر للعاضد بين سنتى ٥٥٨ و ٥٦٤ كتاب تاريخ مصر ، فكان أحد المراجع الرئيسة للغرب وخاصة عن الدول الطولونية والإخشيدية والفاطمية . (المغرب — الجزء الأول من القسم الخاص بمصر ١٦٧ ، ومقدمة محققيه ٤٦) .

وسارتْ مَسيرَ الشمسِ فى كل بلدةٍ وهبَّت هبوبَ الريحِ فى البر والبحر (١)

لاسيّما وقــد عاين مبانى أبيه المنصور (٢) فى مدينته المنصورية التى إلى جانب القيْروان (٣) ، وكانت من أعظم المــدائن (٤) ، وعاين المَهْــدية (٥) ، مدينــة جدّه عبيد الله المهدى (٦) . لكن الهمة السلطانية / ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة .

٨٥ ر
٣

وهى ناطقة إلى الآن بأَلْسُن الآثار (٧) . ولله القائل :

همُمُ الملوك إذا أرادوا ذِكْرَها من بعــدهم فبألسن البُنيانِ

إن البنــاء إذا تعاظم شأنه أضحى يدل على عظيم الشان

وتَهمَّم (٨) من بعدُ الخلفاءُ المصريون بالزيادة فى تلك القصور . وقد عاينت فيها إيوانا يقولون إنه بُنِى على مقدار (٩) إيوان كسرى الذى بالمدائن (١٠) من أرض العراق ، كان يجلس فيه خلفاؤهم .

---

(١) من الطويل .

(٢) تولى الخلافة بالمغرب من ٣٣٤ إلى ٣٤١ .

(٣) القيروان فى شمال شرق تونس ، عند خط طول ١َ ١٠° شرقا ، وعرض ٤٢َ ٥ ٣° شمالا .

(٤) وكانت من أعظم المدائن : ليست فى الخطط .

(٥) المهدية : مدينة ساحلية فى شرق تونس ، عند خط طــول ٣َ ١١° شرقا ، وعرض ٢٩َ ٣٥° شمالا .

(٦) تولى الخلافة بالمغرب من ٢٩٧ إلى ٣٢٢ .

(٧) من الكامل .

(٨) الخطط : راهتم .

(٩) الخطط : قدر .

(١٠) المدائن : كانت عاصمة الإمبراطورية الفارسية ، وموقعها يعــرف الآن باسم سلمان باك ، لدفن سلمان الفارسى الصحابى فيه ، وهى من ضواحى بغداد .

ولهم على الخليج الذى بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار.
وأبصرت فى قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكِلْس والجِبْس،
ذُكر لى أنهم كانوا يجددون تبييضها فى كل سنة .

والمكان الذى يُعرف فى القاهرة (1) « بين القَصْرين (2) » هو من الترتيب السلطانى،
لأن هناك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين :

٨٥ ظ / ٣

ولو كانت / القاهرة كلها كذلك كانت عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية،
ولكن ذلك أمد قليل ثم يسير (3) منه إلى أمد ضيق ويمر فى مركد حرج (4) بين
الدكاكين ، إذا ازدحمت فيه الخيلُ مع الرّجالة كان فى (5) ذلك ما تضيق منه
الصدور وتسخن منه العيون .

ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه الأمراء وهو فى موكب جليل،
وقد لقى فى طريقه عَجَلة بَقَر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطرق بين الدكاكين (6)
ووقف الوزير وعظم الازدحام ، وكان فى موضع طباخين والدخان فى وجه
الوزير وعلى ثيابه . وقد كاد يهلك المشاة وكدت أهلك فى جملتهم .

وأكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة ، كثيرة التراب والأزبال . والمبانى
عليها من قَصَب وطين ، مرتفعة ، قد ضَيّقت مسلك الهواء والضوء بينها .

٨٦ و / ٣

/ ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوأ حالا منها فى ذلك . ولقد كنت إذا
مشيت فيها يضيق صدري ويدركنى وَحْشة عظيمة حتى أخرج إلى بين القصرين

(١) الخطط : المكان المعروف فى القاهرة .
(٢) الخطط : ببين .
(٣) كذا أى يسير السائر ، وفى الخطط : تسير . . وتمر .
(٤) حرج : ضيق .
(٥) فى : ليست فى الخطط .
(٦) الخطط : بين يدى الدكاكين .

ومن عيوب القاهرة أنها فى أرض النيل الأعظم ، ويموت الإنسان فيهـا عطشا لبعدها عن مجرى النيل ، لئلا يصادرها ويأكل ديارها . وإذا احتاج الإنسان إلى فرجة فى نيلها مشى فى مسافة بعيدة بظاهرها بين المبانى التى خارج سورها[1] إلى موضع يعرف بالمَقْس[2] .

وجوُّها لا يبرح كدرا بما تُثيره الأرجل من التراب الأسود. وقد قلت فيها حين أكثر علىّ رفقائى[3] من الحض على العودة إليها[4] :

يقولون : سافِرْ إلى القـاهرهْ ... ومالى بهـا راحـةٌ ظاهِرهْ[5]

زِحام وضـيق وكَرْب وما ... تُثير بهـا أرجُل السّائرهْ

وعندما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كَدِرا[6] وجوا مغبرا فتنقبض نفسه ويفر أنسه .

أرض الطبالة

٨٦ ظ / ٣

/ وأحسن موضع فى ظواهرها للفرجة أرض الطَّبالة[7] ، لا سيا أيام القُرْط[8] والكتان . وبلغنى أن الفاضل زين الدين الدمشقى الحنفى المشهور بابن السراج

---

(١) الخطط : السور .

(٢) المقس : قرية كانت على النيـل ، وموقعها اليـوم جامع أولاد عنان وشارع الجمهورية وحديقة الأزبكية .

(٣) الخطط : رفاق . (٤) الخطط : العود فيها . (٥) من المتقارب .

(٦) الأصل : أسوارا سـودا . وأثبت رواية الخطط لاتفاقها مع ضبط كلمة (كدرا) فى الأصـل بكسر الدال .

(٧) أرض الطبالة : موقعها اليوم المنطقـة التى تحد من الشمال بشارع الظاهر وما فى امتداده حتى مهمشة ، ومن الشرق بشارع الخليج (صلاح سالم) ومن الغرب بشارع غمـرة إلى ميدان باب الحديد ، ومن الجنوب بشارع الفجالة .

(٨) الخطط : أرض القرط . والقرط : البرسيم .

صنع فى هذه الأرض بيتين جانَس فيهما بين القرط — وهو النبات الذى ترعاه الدواب — وبين قرط الأذن ، ولم أقف عليهما . فقلت ، والفضل للمتقدم :

(١)
سَقَى اللهُ أرضًا كلما زرتُ رَوْضَها كَسَاها وحَلّاها بزينته القُرْطُ
تجلّت عروسًا والمياهُ عقودُها وفى كل قُطرٍ من جَوانبها قُرْط

وفيها خليج لا يزال يَضعُف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرُّصافى (٢) :

مازالت الأمحالُ تأخذه حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نُوّار الكتان على جانبى هذا الخليج (٣) :

انظر إلى النهر ، والكتان يرمُقُه من جانبيه بأجفانٍ لها حَدَقُ
رأته سيفا عليه للصَّبا شُطَب فقابلته بأحداق بها أَرق
وأصبحتْ فى يد الأرواحِ تنسجها حتى غَدتْ حَلَقا من فوقها حلق (٤)
[فقُمْ وزُرْها ووجهُ الأفقِ متَّضِحٌ أو عند صُفْرته إن كنت تَغْتبِق

وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل (٥) ، لأنها دائرة كالبدر ، والمناظر (٦) فوقها كالنجوم . وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ، وتُسرِج (٧) أصحاب المناظر على قدر همتهم وقدرتهم . فيكون بذلك لها منظر عجيب . وفيها أقول (٨) :

(١) من الطويل . وفى الخطط : زرت أرضها .

(٢) من الكامل . (٣) من البسيط .

(٤) سقط ما بعد هذا البيت من الأصل ، وأوردته من الخطط .

(٥) بركة الفيل : شبرا .

(٦) المناظر : جمع منظرة ، وهى دور بناها الخلفاء الفاطميون فى القاهرة والفسطاط والروضة والقرافة خاصة ، للنزهة والإشراف على الاحتفالات وتوديع الحملات الحربية . (الخطط ١ : ٤٦٥ ، حسن إبراهيم حسن ٦٣٤) (٧) أسرج : أشعل السراج .

(٨) من البسيط . والشعر فى الانتصار لابن دقاق ٥ : ٤٥ .

انظرْ إلى بركة النيل التى اكتنفتْ ... بهــا المناظرُ كالأَهْــداب للبَصَر
كأنمــا هى والأبصارُ ترمُقهــا ... كواكبٌ قد أداروها على القمــر
(١)

ونظرتُ إليها ، وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

انظرْ إلى بركة الفيل التى نُحِرتْ ... لها الغَزالةُ نَحْــرا من مَطالِعها (٢)
وخلِّ طرفك مجنــونا ببهجتها ... تَهِم وَجْدا وحبا فى بَدائعهــا (٣)

والفسطاط أكثر أرزاقا وأرخص أسعارا من القاهرة ، لقرب النيل من الفسطاط . فالمراكب التى تصل بالخيرات تحطّ هناك ، ويُباع ما يصل فيهــا بالقرب منها . وليس يَتّفق ذلك فى ساحل القاهرة لأنه بعيد عن المدينة .

والقاهرة هى أكثر عمارة واحتراما وحِشْمة من الفسطاط لأنهــا أجلّ مدارس ، وأضخم خانات ، وأعظم دثارا ، لسكنى الأمراء فيها ، لأنهــا المخصوصة بالسّلطنة ، لقرب قلعة الجبل منها . فأمور السلطنة كلها فيها أيسر وأكثر . وبها الطِّراز وسائر الأشياء التى تتزين بها الرجال والنساء إلا أن فى هذا الوقت لمــا اعتنى السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التى أمام الفسطاط ، وصَيّرها سرير السلطنة ، عظمت عمارة الفسطاط ، وانتقل إليها كثير من الأمراء ، وضخمت أسواقها . وبُنى فيها للسلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قَيْسارية (٤) عظيمة ، تُنقَل إليها من القاهرة سوق الأَجْناد ، التى يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبه ذلك .

---

(١) من البسيط . والشعر فى الانتصار لابن دقاق ٥ : ٤٥ .

(٢) الغزالة : الشمس . وفى الانتصار : بحر ... بحرا ، وهو تحريف .

(٣) الانتصار : يهيم ، وهى رواية جيدة .

(٤) القيسارية : فندق كبير أشــبه بالسوق ، مخصص للتجار الغــرباء ، كانوا يضعون بضائعهم فى أسفله وينامون فى أعلاه ، وجمعه قياسر . وهى كلمة مأخوذة عن اللاتينية ، نسبة إلى قيصر .

ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدراهم المعروفة بالسوداء، كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصري[(١)]. وفي المعاملة بها شدة وخسارة في البيع والشراء ومخاصمة مع الفريقين. وكان بها في التقديم النُّاوس[(٢)]، فقطعها الملك الكامل؛ فبقيت إلى الآن مقطوعة منها.

وهي في الإقليم الثالث. وهواؤها رديء لاسيما إذا ذهب المِريسي[(٣)] من جهة القبْلة. وأيضا رمد العين فيها كثير، والمعايش فيها متعذِّرة نَزْرة لاسيما أصناف الفضلاء. وجَوامِك[(٤)] المدارس قليلة كدرة. وأكثر ما يتعيَّش بها اليهود والنصارى في كتابة الخراج والطب. والنصارى بها يمتازون بالزنّار[(٥)] في أوساطهم، واليهود بعلامة صفراء في عمائمهم، ويركبون البغال، ويلبسون الملابس الجليلة. ومأكل أهل القاهرة الدميس والصِّير[(٦)] والصَّحناة والبَطارخ.

(١) كان ذلك أيام الفاطميين وأبطله الأيوبيون. قال المقريزي في النقود القديمة والإسلامية ١٤: « لما استبد الملك صلاح الدين بعد موت الملك العادل نور الدين أمر في شوال سنة ٥٨٣ بأن تبطل نقود مصر، وضرب الدينار ذهبا مصريا. وأبطل الدرهم الأسود وضرب الدراهم الناصرية، وجعلها من فضة خالصة ومن نحاس نصفين بالسوى. فاستمر ذلك بمصر والشام إلى أن دخل الملك الكامل ... فأبطل الدرهم الناصري، وأمر في ذي القعدة من سنة ٦٢٢ بضرب دراهم مستديرة. وتقدم أنه لا يتعامل الناس بالدراهم المصرية العتق، وهي التي تعرف في مصر والإسكندرية بالزيوف. وجعل الدرهم الكامل ثلاثة أثلاث: ثلثيه من فضة، وثلثه من نحاس ».

(٢) يتضح من التعليقة السابقة أنها: الزيوف.

(٣) المريسي: الريح الجنوبية الآتية من قبل بلاد النوبة وكانت تدعى بهذا الاسم.

(٤) الجوامك: جمع جامكي وجامكية وهي الهبة والراتب، فارسية، ويقال لها الجامقية أيضا.

(٥) الزنار: الحزام.

(٦) الصير: السميكات المملوحة التي تعمل منها الصحناة، ويبدو أن الصير والصحناة أشبه بالملوحة والفسيخ. والبطارخ: بيض السمك. وذهب أحمد زكي (باشا) إلى أن الدميس محرفة عن (الدلينس) وهي أم الخلول.

ولا تصنع النيدة — وهى حلاوة القمح — إلا بها وبغيرها من الديار المصرية . وفيها جوارٍ طباخات ، أصلُ تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين ، لهن فى الطبخ صناعة عجيبة ، ورياسة متقدمة . ومطابخ السكر ، والمطابخ التى يصنع فيها الورق المنصورى مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة . ويُصنع فيها من الأنطاع (١) المستحسنة مايُسفَّر إلى الشام وغيرها . ولها من الشُّروب (٢) الدمياطية وأنواعها ما اختصت به . وفيها صُنّاع للقسيى كثيرون متقدمون . ولكن قسى دمشق بها يُضرَب المثل وإليها النهاية . ويُسفَّر من القاهرة إلى الشام ما يكون من أنواع الكَمَرانات (٣) وخرائط الجلد (٤) والسيور وما أشبه ذلك . وهى الآن عظيمة آهلة يُجبَى إليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال مالا يحيط بجملته وتفصيله إلا خالقُ الكل جل وعلا .

٩٣ ر / ٣

وهى مستحسَنة للفقير] (٥) / الذى لا يخاف على طَلب زكاةٍ ولا تَرسيم (٦) وعذابا عليها ، ولا يُطلَب برفيقٍ له إذا مات فيقال له : ترك عندك مالا ، فربما سُجِن فى شأنه أو ضُرب وعُصر . والفقير المجرَّد فيها مستريح ، من جهة رخص الخبز وكثرته ، ووجود السَّماعات (٧) والفُــرَج فى ظواهرها ودواخلها ، وقلة الاعتراض عليه فى ما ذهب إليه ، له نفسه (٨) يحكم فيها كيف شاء من رقصٍ

(١) الأنطاع : جمع نطع ، وهو البساط من الجلد .

(٢) الشروب : جمع شرب ، وهو نوع عظيم الرقة والنفاسة من النسيج .

(٣) الكمر والكمران : حزام كان يلبسه السلاطين والأمراء والجنود فوق أقبيتهم .

(٤) خرائط الجلد : الحقائب .

(٥) هنا ينتهى الساقط من الأصل .

(٦) الترسيم : أخذ الرسوم .

(٧) أعتقد أنه أراد بالسماعات الغناء .

(٨) الخطط : فيا تذهب إليه نفسه .

فى وسط السوق، أو تجريد[1]، أو سُكْر من حَشيشة[2] أو صحبة المُرْدان[3] وما أشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب .

وسائر الفقراء لا يُعترَضون بالقبض للأسطول إلا المغاربة، فذلك وَقْف عليهم لمعرفتهم بمعاناة البحر . فقد عمَّ ذلك من يعرف معاناة البحر منهم، ومن لا يعرف . وهم فى القدوم عليها بين حالتين[4] : إن كان المغربى غنيا طُولب بالزكاة وضُيِّقت عليه أنفاسه حتى يفر منها ، وإن كان مجردا فقيرا جُعل[5] فى السجن حتى يحين[6] وقت الأسطول .

٩٣ ظ ٣

ولقد تكلمتُ فى مغربى فأطلق / من الأسطول . وخرج على بابها متوجِّها إلى بِلْبِيس[7] فأُخذ وسيق إلى السجن فكتب إلىّ ورقة وهو يقول: « وكيف الإقامة فى بلدة يُحكَم على الإنسان بها فى نفسه ، ويُمسَك فى كل داخلها وخارجها كاللص ، ويسكن السجن دون ذنب؟ لا حول ولا قوة إلا بالله . ﴿ ربَّنا أخرِجْنا منها فإنْ عُدْنا فإنا ظالمون[8] ﴾ » .

وفى القاهرة أزاهير[9] كثيرة غير منقطعة الاتصال . وهذا الشأن فى الديار المصرية ، تَفَضُل به كثيرا من البلاد . وفى اجتماع النرجس والورد فيها أقول[10] :

من فضَّل النرجسَ وهْو الذى يَرْضَى بحكم الورد إذ يَرْأَسُ
أما ترى الورد غدا قاعدا وقام فى خدمته النرجس ؟

(١) تجريد : أى لبعض جسده .
(٢) زادت الخطط هنا : أو غيرها .
(٣) المردان : الغلمان .
(٤) الخطط : حالين .
(٥) الخطط : حمل إلى السجن .
(٦) الخطط : يجىء .
(٧) على خط عرض ٢٥َ ٣٠ْ شمالا ، وطول ٣٤َ ٣١ْ شرقا ، وضبطها المؤلف بفتح الباء الثانية ، وصرح ياقوت أن ذلك خطأ عامى .
(٨) سورة المؤمنون ، الآية ١٠٧ .
(٩) الخطط : أزاهير ، وهى اللغة المعروفة فى جمع أزهار .
(١٠) من السريع .

وأكثر مافيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز والتفاح . وأما الإجّاص[1] فقليل غال ، وكذلك الخوخ . وفيها الورد والنّرجس والنّسرين والنّيلوفر[2] والبنفسج ،[3] والليمون المصبّغ وغير المصبغ كثير وكذلك النارنج والبِطّيخ[3] الأخضر والأصفر . وأما العنب والتين فقليل غال /. ولكثرة ما يعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه إلا القليل . ومع هذا فشرابه[4] عندهم فى غاية الغلاء . وعامّتها يشربون المِزر[5] الأبيض المتّخذ من القمح حتى أن القمح يطلع عندهم سعره بسببه ، فينادى المنادى من قِبَل الوالى بقطعه وكسر أوانيه .

٩٤ ر
٣

ولا ينكر فيها إظهار أوانى الخمر ، ولا آلات الطرب ذوات الأوتار ، ولا تبرّج النساء العواهر ، ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب .

الخليج

وقد دخلت الخليج الذى بين القاهرة والفسطاط ، ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة ، فرأيت فيه من ذلك العجائب . وربما وقع فيه قتلٌ بسبب السكر ، فيُمنَع فيه الشرب ، وذلك فى بعض الأحيان . وهو ضيق ، عليه فى الجهتين مَناظر كثيرة العِمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالفة[6] ، حتى إن المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب . وللسُّرج فى جانبيه بالليل منظر فتان . وكثيرا

---

(١) الإجاص : الكمثرى .
(٢) زادت الخطط : والياسمين .
(٣-٣) العبارة ليست فى الخطط .
(٤) الخطط : فشراؤه .
(٥) المزر : نبيذ الذرة والشعير .
(٦) الخطط : المخالعة ؛ يريد المجون والخلاعة .

ما يتفرّج فيه أهل الستر وفى ذلك أقول مخاطبا[1] أحد الرؤساء ، وقد
/ استدعانى للركوب فيه نهارا[2] :

٩٤ ظ
٣

لا تركبنّ فى خليج مصر إلا إذا يُسْدَل الظلام[3]
فقد علمتَ الذى عليه من عالمٍ كلّهم طَغام
صَفّان للحرب قد أطلّا[4] سلاحُ ما بينهم كلام
يا سيدى لا تسرْ إليه إلا إذا هوّم النيّام
والليلُ ستر على التصابى عليه من فضله لثام
والبدرُ قد بدّدتْ عليه منها دنانيره لا تُرام
وهْو قد امتد ، والمبانى عليه فى خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا هناك أثمارُها الآثام

(١) مابعد هذا إلى الشعر ليس فى الخطط .
(٢) من مخلع البسيط .
(٣) الخطط : أسدل الظلام .
(٤) الخطط : قد أظلا .

التـــاج

من زينة العروس القاهرية

قد تقدم أن الاصطلاح فى التاج ذكر من له ترجمة فى المدينة المذكورة من الأنبياء عليهم السلام والخلفاء والسلاطين والملوك :

والقاهرة إسلامية ليس فيها ترجمة لنبى . وأول من بناها وملكها جوهر غلام المعز لمولاه .

/ من كتاب الاصْطفاء فى حُلى الخلفاء

٩٥ ر
٣

نذكر فى هذا المكان من اتخذ القاهرة قُطْبا من خلفاء العُبَيديين ، الذين خُطِب لهم بإمرة المؤمنين وادعوا إمامة المسلمين ، من لَدُن أول خليفة قَطَن فيها وهو المعز إلى آخر خليفة منهم وهو العاضد الذى زالت خلافته على يد السلطان الأعظم صلاح الدين .

ولنذكر أولا :

مُقـــدّمة

فى هؤلاء الخلفاء ، ويكون ذلك مختصرا ، واستيعابه فى كتاب إفريقية من كتاب الكامل لابن الأثير[1] :

(١) ٦ : ١٢٤ . وبين نص الكامل المطبوع والمغرب خلافات لا تغير المعنى بحذف وزيادة وتغيير ، ولن ألح على ذكرها ، وإنما أقتصر على المهم منها . واعتمد المقريزى فى اتعاظ الحنفا ١ : ٣٥ على نص الكامل أيضا .

مَلَك العبيديون إفريقية سنة ست وتسعين ومائتين ، وهذه دولة اتسعت أكنافها وطالت مدتها ، فإنها ملكت إفريقية فى هذه السنة ، وانقرضت بمصر سنة سبع وستين وخمس مائة . وأولهم عُبيد الله[(1)] بن محمد بن عبد الله بن ميمون ابن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن على بن الحسين بن على ابن أبى طالب .

٩٥ ظ / ٣

قال : واختلف / العلماء فى صحة أنسابهم[(2)] . وزعم العزيز بن شداد[(3)] من ولد تميم بن المعز سلطان إفريقية ، صاحب تاريخ المغرب[(4)] أن نسبهم مُعرِق[(5)] فى اليهودية ونقل فيه عن جماعة من العلماء واستقصى وبالغ . واستيفاء ذلك يأتى فى كتاب إفريقيـــة .

والذى نذكرهنا أن صاحب الدعوة الذى كان الشيعة فى البلاد يدعون له هو الحسين بن محمد بن عبيد الله بن ميمون القَدّاح[(6)] ، الذى كان يزعم أنه من ولد عقيل بن أبى طالب . سار الحسين إلى سَلَمْيَة[(7)] من بلاد الشام ، وكان

(١) كذا فى الأصل والاتعاظ المخطوط . وفى المطبوع من الاتعاظ والكامل : عبيد الله محمد . واستبعد هذا لأن كنيته كانت (أبا محمد) ، وإن لم تكن قاطعة الدلالة .

(٢) انظر أقوال الدكتور جمال الدين الشيال عن مشكلة نسب الفاطميين فى تعليقاته على اتعاظ الحنفا ١ : ٢ ٤ ، وكتاب أصول الإسماعيلية لبرنارد لويس .

(٣) هو الأمير العزيز عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن شداد ، التقى بالقاضى الفاضل ، وروى عنه العماد الأصفهانى فى الفيح والبرق — مفرج الكروب ٢ : ١٩٧ .

(٤) زاد الكامل والاتعاظ هنا : تاريخ إفريقية والمغرب .

(٥) الكامل : معروف .

(٦) اختلف المؤرخون فى هذا الاسم ، فجعله بعضهم محمـدا كما هو هنا ، وجعله بعضهم أحمد ، مثل الاتعاظ ١ : ٢٦ والنجوم المطبوع ٤ : ٧٥ ، وجعله ابن خلكان ١ : ٢٧٢ أحمد بن محمد .

(٧) من أعمال حماة ، وهى على خط عرض ١ َ ٣٥° شمالا ، وطول ٢ َ ٣٧° شرقا .

له بها ودائع وأموال . واتفق أن أجروا حديثا للنساء(١)، فوصفوا له امرأة رجل يهودى حداد، مات عنها زوجها ، وهى غاية فى الحسن فتزوجها ، ولها ولد من الحداد يماثلها فى الجمال . فأحبها وأحب ولدها وأدّبه . فصارت له نفس عظيمة وهمة كبيرة . فقيل : إن الإمام الحسين الذى كان بسلَمْية مات / ولم يكن له ولد، فعهِد إلى ولد اليهودى الحداد — وهو عبيد الله المهدى — وعرّفه أسرار الدعوة، وتقدّم إلى أصحابه بطاعته فقام عبيد الله وانتشرت دعوته، وبذل الأموال وأرسل إليـــه أبو عبد الله الشيعى رجالا من كُتامة يتجهزون به(٢)، وشاع خبره بالشام(٣) أيام المكتفى(٤) فطُلِب فهـــرب هو وولده أبو القاسم القائم إلى المغرب .

٩٦ ر
٣

قال ابن سعيد : والتلخيص الذى يسعه هذا المكان من أمر هذه الدولة أن أبا عبدالله الشيعى كتب من إيكِجان(٥) — وهو الموضع الذى قام فيه بدعوته من بلاد بِجاية(٦) — إلى عبيد الله المهدى ، فخرج من سلمية إلى مصر . وطُلب بمصر ففات الطلب . وله فى ذلك حكاية تُذْكَر فى ترجمته إن شاء الله تعالى. ولم

---

(١) الكامل : حديث النساء ، وهى حسنة .

(٢) الكامل والاتعاظ : ليخبروه بما فتح الله عليه . وأبو عبدالله الشيعى هو الحسين بن أحمد بن محمد ، من أهل صنعاء اليمن ، وكان داهية خبيرا ، دخل إفريقية وحيدا فسعى إلى أن ملكها وسلمها للمهدى .

(٣) الكامل والاتعاظ : عند الناس .

(٤) ولى الخلافة من ٢٨٩ إلى ٢٩٥ .

(٥) الكامل ومعجم البلدان لياقوت : انكجان . وقال الأخير : «وسمعت بعضهم يقول : إيكجان ، بالياء» . وهى التى صححها حسن إبراهيم حسن ٤٨ ، ٤٩ عن البكرى ٦٣ ، ٦٤ ، نظرا إلى أن ايكجان بمعنى حجاج فى البربرية ، وكانت محل اجتماع الحجاج من الأندلس وشمال المغرب الأقصى ، بين طنجة وفاس ، وكان يطلق عليها قديما Tzajjan .

(٦) بجاية Bougie : ميناء على الساحل الغربى من خليج بجاية ، إلى الشمال الغربى من ولاية قسنطينة ، فى شمال شرق الجزائر ، على خط عرض ٤٩ َ ٣٦° شمالا ، وخط طول ٣ َ ٥° شرقا .

يستطع أن يسير على جادّة الطريق إلى إيكجّان، فسار على جهة الصحراء،
والطلب عليه إلى أن / بلغ مدينة سِجِلْماسة[1]، وبها اليَسَع بن مِدْرار ملكها[2] فقبض
عليه اليَسَع وسجنه. فنهض أبو عبد الله الشيعى فى عساكره وحصر سِجِلْماسة حتى
دخلها بالسيف. وأحضر اليَسَع بن مدرار فضرب عنقه بين يدى عبيد الله
المهدى، وبايع المهدى بالخلافة وسلم إليه الأمر. وأركبه إلى الفسطاط الذى
ضُرب له ومشى بين يديه. وصحبه مدبرا لدولته إلى أن حل رَقّادة[3] التى إلى
جانب القيروان. فقال ابن بديل الكاتب[4]:

حـلّ برقادةَ المسـيحُ ... حل بهـا آدمٌ ونـوحُ

حل بهـا اللهُ ذو المعـالى[5] ... وكل شىءٍ سـواه رِيح

وإنما قال هذا لأنهم كانوا يقولون بحلول الإلهية فى أرواح الأئمة[6]، ولهـم
فى ذلك تَخْطِب طويل. ولم تطل المدة حتى قتل المهدى أبا عبدالله الشيعى[7] الذى
قام بدعوته ومكّنه من الدولة. وبنى المَهْدية[8] وسماها باسمه ثم مات[9].

٩٦ ظ / ٣

---

(١) Sijilmâsa واحة فى جنـوب شرقى المغرب، تسمى الآن تافيلالت، قـرب خط طول ١٣° شمالا، وخط عرض ٤° غربا.

(٢) ملكها بين سنتى ٢٧٠ و ٢٩٨ هـ.

(٣) Raccâda، على بعـد ٤ أميال من القيروان، و ٣ من صـبرة. ونزلها المهدى فى العشر الأخير من ربيع الآخر ٢٩٧ هـ.

(٤) جعل ابن الأثير ٧ : ٤٦ الشعر فى مدح المعز لدين الله، ونسبه إلى محمـد بن هانى الأندلسى، قائلا: «ومن ذلك ما ينسب إليـه ولم أجدها فى ديوانه». ويخلو الديوان المطبوع حقا من هذا الشعر.

(٥) الكامل: فكل.

(٦) رأى المرحوم الدكتور محمد كامل حسين أن هـذا القول الشائع خاطئ، وأن القاعدة التى يعتمد عليها هذا الشعر ما سماه «نظرية المثل والممثول»، وقدم عنها بحثا فى مؤتمـر المستشرقين الحادى والعشرين الذى عقد فى باريس فى يوليه ١٩٤٨. وتتلخص هـذه النظرية عند الإسماعيلية فى أن الله خالق المحسوسات لتدل على المعقولات، وأن الله أبدع القلم وجعلوا له الصفات التى وصف بها الفلاسفة العقل الكلى، وأضافوا إليها أسماء الله الحسنى بعـد أن نزهوا الله تعالى عنها فالقلم أو العقل أعلى الحدود الروحانية مرتبة وأقربها إلى الله. ورأوا أن النبى فى عصره مثل العقل، فإذا انتقل إلى العالم الآخر أصبح الأئمة من أهل بيته مثلا للعقل.

(٧) فى ٢٩٨ هـ.

(٨) كان ابتداء بنائها يوم السبت ٥ ذى القعدة ٣٠٣ هـ، وفرغ منها فى ٣٠٨ هـ.

(٩) فى منتصف ربيع الأول ٣٢٢ هـ.

٩٧ ر / ٣

وقام بالأمر بعده / وَصِيُّه وولده القائم بأمر الله . وقد وصل القائم إلى الإسكندرية وملكها[1] وملك الفيوم[2] ، وعاد إلى بلاده ، ومات . وقام بعده بالخلافة ابنه المنصور[3] ثم ولى بعده ابنه المعز بن المنصور ، وهو أول خليفة منهم مَلَك الديار المصرية .

(١) في ٣٠١ هـ ، في خلافة أبيه . والفيوم واحة في مصر الوسطى على خط عرض ١٩َ ٢٩° شمالا ، وطول ٥٠َ ٣٠° شرقا .

(٢) في ٣٣٤ هـ .

(٣) من ٣٣٤ إلى ٣٤١ هـ .

المُعِز لدين الله

أبو تميم مَعَدّ بن المنصور بن القائم بن المهدى
المتقدم الذكر فى النسب

من كتاب سيرة الأئمة لأبى العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين ابن مهذب[1] :

وُلد[2] مولانا المعز للنصف من شهر رمضان سنة سبع عشرة وثلاثمـــائة . وعاش سبعا وأربعين سنة ونصفا[3] . وأقام فى الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وأربعة

---

(١) من أسرة أصلها من القيروان ، توارثت خطة الخزانة للخلفاء الفاطميين . وكان عمه أبو جعفر ابن حسين صاحب بيت المال للمعز ، فيسر له الاطلاع على بعض الوثائق الخاصــة . ومات بعــد عصر الحاكم الذى قتل فى سنة ٤١١ هـ .

(٢) اتفق أكثر المؤرخين على أنه ولد يوم الاثنين ١١ رمضان ٣١٩ هـ . انظر الكامل ٧ : ٦٦ والوفيات ٢ : ١٠٣ ، والاتعاظ ١ : ٩٣ ، والخــطط ١ : ٣٥٣، وابن الوردى ١ : ٢٩٩ ، وأبا الفدا ١ : ١٢٢ ، والنجوم ٤ : ٧٠ .

(٣) اختلف المؤرخون فى عمر المعز . يجعله المقريزى فى الخطط ١ : ٣٥٣ ، وابن الوردى ١ : ٢٩٩ وأبو الفدا ١ : ١٢٢ : خمسا وأربعين سنة وستة أشهر تقريبا ، ويجعله ابن تغرى بردى ٤ : ٧٠ : ستا وأربعين ، والدوادارى ١٧٣ « ثمان وأربعين سنة وخمسة أشهر . وقيل : خمس وأربعين سنة وسبعة أشهر وأياما » .

أشهر ونصفا[١]. ومات بمصر لأربع عشرة خلت من ربيع الأول[٢] سنة خمس وستين وثلاثمائة.

٩٧ ظ / ٣

قال[٣]: وحدثنى من أثق به أن المعز/ بالمنصورية فى يوم شاتٍ بارد الريح أمر صاحب الستر بإحضار عدة من شيوخ كُتامة فحضروا. وأمر بإدخالهم إليه من غير البـــاب الذى جرى الرسم به. وإذا هو فى مجلس مربع كبير مفروش باللُّبود على مَطارح[٤]، وحوله كساء، وعليه جُبّة، وحواليه أبواب مفتَّحة تُفْضى إلى خزائن كتب، وبين يديه مِرْفَع[٥] ودواة، وكتب حواليه: فقال: «يا إخواننا: أصبحتُ اليومَ فى مثل هذا الشتاء والبرد، فقلت لأم الأمراء — وإنها الآن بحيث تسمع كلامى —: أترى إخواننا يظنون أنّا فى مثل

---

(١) قيل فى الكامل ٧: ٧١: «كانت ولايتــه ثلاثا وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام». واتفق معه الاتعاظ ١: ٩٣ والنجوم ٤: ٧٧ فى السنين والشهور، وخالفاه فى الأيام، فجعلها الاتعاظ ١٧، والنجوم ٢٧. وجعــل الدوادارى ١٧٣ خلافته ٢٤ ســنة. وجعلتها الخــطط ١: ٣٥٤ «ثلاثا وعشرين سنة وعشرة أيام». ويبدو أنه سقط منه (وخمسة أشهر).

(٢) اختلف المؤرخون فى تاريخ وفاة المعز. فجعلها المقريزى ١: ٣٥٤ وأبو الفدا ١: ١٢٢ وابن تغرى بردى ٤: ٧٧ فى ١٧ ربيــع الأول، وابن ميسر ٤٧ فى نصف ربيع الآخر، وابن الأثير ٧: ٦٥ فى ١٧ ربيــع الآخر، وابن الوردى ١: ٣٩٩ فى ١٧ جمادى الأولى. وجمع ابن خلكان ٢: ١٠٣ والدوادارى ١٧٣ بين عدة أقوال، فقال أولها: «توفى يوم الجمعة الحادى عشر من شهر ربيع الآخر، وقيل الثالث عشر، وقيل لسبع خلون منه». ولعل سبب هــذا الاختلاف مرض المعز فى ربيع الأول، وبقاؤه عليلا ٣٨ يوما، ووفاته فى ربيع الثانى.

(٣) أورد المقريزى أيضا هذا الخبر، فحافظ على نصه فى الاتعاظ ١: ٩٥، وأجرى فيــه بعض التغيير الطفيف فى الخطط ١: ٣٥٢.

(٤) المطارح: جمع مطرح، وهو الفراش والبساط.

(٥) المرفع: أشبه بدولاب الآنية.

هذا اليوم نأكل ونشرب ، ونتقلب فى المثقل[١] والديباج والحرير والفنك[٢] والسمور[٣] والمسك والخمر والغناء[٤] ، كما يفعل أرباب الدنيا ؟ ثم رأيت أن أنفذ إليكم فأحضركم لتشاهدوا حالى إذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم / ، وأنى لا أفضلكم فى أحوالكم إلا فى ما لا بد لى منه من دنياكم ، وبما[٥] خصنى الله به من إمامتكم ، وأنى مشغول بكتب ترد على من المشرق والمغرب أجيب عنها بخطى ، وأنى لا أشتغل بشيء من ملاذ الدنيا إلا بما صان أرواحكم وعمر بلادكم ، وأذل أعداءكم ، وقمع[٦] أضدادكم ، فافعلوا يا شيوخ فى خلواتكم ما أفعله ، ولا تظهروا التكبر والتجبر. فينزع الله النعمة عنكم وينقلها إلى غيركم . وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل إلى كتحننى عليكم ، ليتصل فى الناس الجميل ، ويكثر الخير ، وينتشر العدل . وأقبلوا بعدها على نسائكم ، والزموا الواحدة التى تكون لكم ، ولا تشرهوا إلى التكثير منهن والرغبة فيهن . فيتنغص عيشكم ، وتعود المضرة عليكم ، وتنهكوا أبدانكم ، وتذهب قوتكم ، وتضعف نحائزكم[٧] . فحسب الرجل / الواحد الواحدة . ونحن محتاجون إلى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم . واعلموا أنكم إذا لزمتم ما آمركم به رجوت أن يقرب الله علينا أمر المشرق كما قرب أمر المغرب بكم . انهضوا رحمكم الله ونصركم » .

٩٨ و / ٣

٩٨ ظ / ٣

---

(١) المثقل : لعله الثقيل ، وهو المنسوج بالذهب من الثياب .

(٢) الفنك : نوع من جراء الثعلب التركى ، فروته من أحسن الفراء .

(٣) السمور : حيوان يشبه النمس ، يعيش فى الاتحاد السوفيتى ، وله فراء غالية الثمن .

(٤) الخطط : القباء .

(٥) الخطط : بما . (٦) الخطط : يصون .. ويعمر .. يذل .. ويقمع .

(٧) النحائز : جمع نحيزة ، وهى الطبيعة .

قال[1] : وحدثني عمي أبو جعفر بن حسين بن مهذب[2] — صاحب بيت المال — قال : استدعاني مولانا المعز يوما بالمغرب ، فوجدته في وسط القصر جالسا على صندوق وبين يديه ألوف صناديق مبدَّدة في صحن القصر. فقال لي : « يا محمد : هذه صناديق مال ، وقد شذ عني ترتيبها فانظرها ورتبها» فدخل وأعملت فكري كيف السبيل ، فلاح لي أن جمعت كلَّ أولٍ فيها ، وكل ثانٍ ، وكل ثالث ، وكذلك ما وجدت من كل عدد . ثم أخذت أجمع أولا إلى ثان يشبهه ويتاوه ، وكذلك الثالث والرابع ، إلى أن / صارت مرتبة ، وبين يديَّ جماعة من خدام بيت المال والصقالبة والفراشين . وأنفذت إليه أعلمه . فقال : « ارفعْها في الخزائن على ترتيبها وأغلق واختم بخاتمك . وقد خرجتْ عن خاتمنا وصارت إليك » . ففعلت. وكان جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار. وذلك في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة . وأنفقها أجمع على العساكر التي أنفذها إلى مصر في سنة ثمان وتسع وخمسين ، وستين وإحدى واثنتين معه[3] . ولقد وصلنا إلى برقة ومعنا خمسون ألف دينار .

وقال لي : لقد أنفق مولانا على رجل وصل إلى مصر بقميص ومنديل وسراويل وكساء وسيف ومنطقة ورمحين من المغرب تسعين دينارا ، ولقد أعطى المائة والمائتين والألف والألوف إلى كثير معونة لهم على سفرهم .

قال[4] : وأنفذ المعز بعد خروج جوهر إلى مصر ، والمعز مُبرِز يريد المسير إلى مصر خفيفا / الشماس الصقلبي صاحب الستر يقول : « يا إخواننا : قد رأينا أن نُنفِذ رجالا من قبلنا إلى بلدان كتامة ، ينزلون في أوساطهم

٩٩ و / ٣

٩٩ ظ / ٣

---

(١) الخبر في الاتعاظ ١ : ٩٦ والخطط ١ : ٣٥٢ .

(٢) الخطط : أبو جعفر حسين . وانظر سيرة الأستاذ جوذر ١١٦ .

(٣) أي مع جوهر الصقلي . (٤) الخبر في الاتعاظ ١ : ٩٧ والخطط ١ : ٣٥٢ .

ويقيمون بينهم ، ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ، ويحفظونها علينا فى بلادهم فإذا احتجنا إليها أنفذنا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله » . فقال محمد ابن على بن سلمان ، وكان شيخ كتامة فى وقته ، لمن كان حاضرا معــــه : « تُقلّدونى الجواب وتشدون منى ، فلو كان شيوخكم الذين بمصر لفعلوا ذلك ؟ » فقلنا : « قل ، فقولنا قولك » . فقال : « قل لمولانا : والله لا فعلْنا هذا أبدا ، كيف تؤدى كتامة الجزية ويصير عليها فى الديوان ضريبة ، وقد أعزها الله قديما بالإسلام ، وحديثا معكم بالإيمان ، وســـيوفنا بطاعتكم فى المشرق والمغرب؟ » فقال له خفيف : « أبلّغ عنك وعن الجماعة هذا ؟ » فقال وقالوا : « نعم » .

١٠٠ ظ ٣ ودخل خفيف وخرج ورفع / الستر فقال : « يدخل جماعتكم » . قال المحدث : فوجدناه راكبا فرسه يضرب بمِقْرعته مَعْرفته يمينا وشمالا . فقال : « ما هذا الجواب الذى صدر عنكم ؟ » فقالوا : « فى ماذا يا مولانا ؟ » قال : « فى ما خرج به رسولنا خفيف إليكم » . قالوا : « نعم هو جواب جماعتنا يا مولانا » قال : « انظروا ما تقولون ؟ » قالوا : « نعم ما كنا بالذى نؤدى جزية تبقى علينا » . فقام فى ركابه وقال : « بارك الله فيكم ، فهكذا أريد أن تكونوا . فإنما أردت أن أجربكم ، فانظروا كيف أنتم بعدى إذا سرنا عنكم إلى مصر هل تقبلون هذا وتفعلونه وتدخلون تحته ممن يرومه منكم ؟ والآن سررتمونى بارك الله فيكم » .

قال : وكان المعز لمــــا تم له بناء المنصورية أمر أن يكون التجار الذين بالقيروان يَغْدون إلى المنصورية فى دكاكينهم وصنائعهم ويروحون بالعشىّ إلى دورهم وأهاليهم .

١٠٠ و
٣

/وكان بالقيروان مجنون يعرف بخلف من أهل العلم والأدب والذكاء والحفظ غلبت عليه السوداء ، وولع الناس بقولهم له : « يا قَرْنان » فهو يوما يمشي إذ ناداه التجار والصناع من دكاكين المنصورية : « يا قرنان » ، فقال وقد بلغ منه ما هو فيه : « كفاكم — يا أهل القيروان — ما نزل بكم » وأومأ بيده إلى القصر « فأنتم حقا يا أهل القيروان القَرانِنة ، لأنه يُحـال بينكم وبين نسائكم بالنهار لا تعرفون ما يفعلن ، ويحال بينكم وبين أموالكم بالليـل لا تدرون ما يُفعل بها » فبلغت المعـز فتقدم إلى أصحاب الأرباع ألا يتعرض أحد لشتمه .

قال[1] : ووجدت فى خزانة الخاصة كتابا من المعز إلى عبده جوهر ، وهو بمصر والشام ، كان فى فصل منه : « وأما ما ذكرت يا جوهر من أن جماعة من بنى حمدان وصلت إليك كتبهم يبذلون الطاعة ، ويعِدون بالمسارعة فى السير إليك ، وأن ذلك / لمـا كثر منهم دعاء المنعوت بسعد الدولة ، إن كتب إليك يبذل الخدمة بين يديك فاسمع لمـا أذكره لك : احذر أن تبتدئ أحدا من آل حمدان بمكاتبة ، ترهيبا له ولا ترغيبا ، ومن كتب إليك منهم[2] فأجبه بالحسن الجميل ، ولا تَستدعِه إليك . ومن ورد إليك منهم فأحسن إليه . ولا تمكِّن أحدا منهم من قيادة جيش ولا مُلْك طَرَف . فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء ، عليها مَدار العالم ، وليس لهم فيها نصيب :

يتظاهرون بالدين ، وليس لهم فيه نصيب .

ويتظاهرون بالكرم ، وليس لواحد منهم كرم فى الله .

ويتظاهرون بالشجاعة ، وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة .

فاحذر كل الحذر من الإستنامة إلى أحد منهم » .

---

(١) الخبر فى الاتعاظ ١ : ٩٨ والخطط ١ : ٣٥٢ . (٢) الخطط : كتابا منهم .

قال[١] : ولمـــا عزم المعز على المسير إلى مصر أجال فكره فيمن يخلفه بالمغرب . فوقع اختياره أولا على أبي أحمد جعفر بن على بن حمدون الأندلسى[٢] ويدعى بالأمير ، وله عمل واسع بالمغرب يعرف بالزابين وغير ذلك فاستدعاه من عمله إلى المنصورية وأسرّ إليه أنه يريد استخلافه بالمغرب . وقال له : « اعرف قدر هذه النعمة وقابلها بالشكر وحسن الطاعة ». فقال : « يامولانا فأكتبُ تذكرة يوقع عليها مولانا يكون مثالا لمـــا أعمل عليه » . فقال له : « افعلْ » . فأحضَره تذكرة كان فيها ما أنكره عليه وهو أن قال : « تترك معى أحد أولادك أو أحد إخوتك جالسا فى القصر ، وأنا أدبر وأعمل وكأنى أطالع من يأمرنى ليتم أمرى » . ومنها أن قال : « ولا تسألنى عن شىء من الأموال إذ كان ما أَجبيه بإزاء ما أنفقه » . ومنها : إذا أراد أمرا فعله ولم ينتظر ورود الأمر فيه ، لبعد ما بين مصر والمغرب . ومنها أن يكون تقليد القضاء والخراج وغير ذلك من قبل نفسه وعلى اختياره[٣] .

[فغضب المعز وقال : « ياجعفر : عزلتنى عن ملكى ، وأردت أن تجعل لى شريكا فى أمرى ، واستبددت بالأموال والأعمال[٤] دونى . قم فقد أخطأتَ حظّك ، وما أصبت رشدك » . فخرج .

(١) الخبر فى الاتعاظ ١ : ٩٩ . والخطط ١ : ٣٥٢ .

(٢) سماه ابن خلكان ١ : ١١٣ أبا على جعفر ... بن حمدان ، صاحب المسيلة والزاب ، الذى هزمه بلكين بن زيرى فهرب إلى الأندلس حيث قتل فى ٣٦٤ هـ ، وكان سمحا مؤثرا لأهل العلم ، مدحه ابن هانى .

(٣) سقط ما بعد هذا من الأصل ، وأتممت الخبر من الاتعاظ والخطط .

(٤) الخطط : بالأعمال والأموال .

واستدعى المعز يوسف بن زِيرى الصِّنهاجى(١)، وقال له : « تأهب لخلافة المغرب ». فأكبر ذلك وقال : « يا مولانا : أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما صفا لكم المغرب ، فكيف يصفو لى ، وأنا صنهاجى بربرى ؟ قتلتنى — يامولاى — بغير سيف ولا رمح » . فلم يزل به حتى أجاب وقال : « يا مولانا : بشريطة أن تولى القضاء والخراج لمن تراه وتختاره ، والخبر لمن تثق به . وتجعلنى قائما بين أيديهم . فمن استعصى عليهم أمرونى به حتى أعمل فيه ما يجب . ويكون الأمر لهم وأنا خادم بين ذلك » . فحسن هذا من المعز وشكره(٢) .

فلما انصرف قال له عم أبيه أبو طالب أحمد بن المهدى عبيد الله(٣) : «يامولانا : وتثق بهذا القول من يوسف أنه يفى بما ذكره ؟ » فقال المعز : « يا عمنا : كم بين قول يوسف وقول جعفر ؟ فاعلم — يا عم — أن الأمر الذى طلبه جعفر ابتداءً هو آخر ما يصير إليه يوسف . وإذا تطاولت المدة سينفرد بالأمر . ولكن هذا أولا أحسن وأجود عند ذوى العقل ، وهو نهاية ما يفعله من يترك دياره» .

(١) الأشهر فى اسمه بلكين ، استخلفه المعز فى ٣٦١ ومات فى ٣٧٣ . (الوفيات ١ : ٩٣) .

(٢) الخطط : فأحب المعز ما قال .

(٣) الخطط : أبو طالب بن القائم بأمر الله . ولم يذكره بين أولاده فى الاتعاظ ١ : ٨٦ .

وكان رشيق الحمدانى يقول عن الحاكم : « هذا يقتلنى » . فسئل عن ذلك ، فقال : دخلت على العزيز وهو مطـــرق كأنه يخاطب نفسه . فبعـــد وقت رفع رأسه ، وقال : « أى وقت جئت ؟ » فقلت : « من ساعة » . فقال : « كنت مفكرا فى قوم أشجوا صـــدرى ، وملأوا بالغيظ(1)] / قلبى ، ولا أدرى ما أعمل لهم » : فقلت : « يا مولانا : ومن يغيظك والدنيا لك ؟ ابعث إليهم فاقتلهم وقد استرحت منهم » . فقال : « يا رشيق : اسمـــع ما أقول لك ، ما هذا يكون بيدى ، ولكنه والله سوف يجىء من يقتلهم ويقتلك معهم » . وإن مولانا الحاكم قد قتل جماعة ممن كان نقول فيه ذلك ، ولا بد لى منه ، فما دارت عليه السنة .

١٠١ و
٣

قال : وحدثنى أبوسعيد ميمون الخادم المعروف بدُبَّة(2) قال : دخلت إلى مولانا العزيز وهو عند حُرَمه ، فتعمدت أن سقطتْ من كمى رقعة كانت معى لأبى على منصور بن محمد بن على بن سلمان الكتامى . فقال : « وقعت من كمك رقعة يا ميمون » . قلت : « نعم يا مولانا ، هى رقعـــة عبدك منصور

(1) هنا ينتهى الخرم فى الأصل . وأوردت صدر هذا الخبر من الاتعاظ ١ : ٢٩٦ .

(2) ابن ميسر ١ ٥ . وسماه الدوادارى ٢١٦ : ميمون بن دبة ، وجعله صاحب الشرطة .

ابن محمد يشكو فيها ما هو فيه من العلة وقلة ذات اليد ، وأنه ماله شىء يدفعه للطبيب ولا ما يشترى به دواء » . فقال لى : « والله يا ميمون ، لو شاطرته /ما ملكته ما رضى عنى ولا عن الله ، وإنه لحطب جهنم » . فقلت : « مرجع مولانا إلى كرمه . وهو من جملة عبيده » . فقال : « ونحن نجعل ما ندفع إليه حجة عليه . خذ له من بيت المـــال رقعتى هذه بما فيها » . وإذا فى الرقعـــة خمس مائة وثياب كثيرة ودابة بمركبها .

١٠١ ظ / ٣

قال ميمون : فأخذت الجميع وأتيته به ، وحدثته بجميع ما جرى : فقال : « أنا عبد مولانا ، وكيف أفعل هذا ؟ وحاشا لله »

قال : وأبلّ من مرضه وركب إلىّ فى بقايا تلك العلة. وأنفق تلك الجملة وعاد إلى مثل ما كان عليه من القول . فقلت له : « مولانا أعلم بك، والله ما فيك خير له ولا لى » .

قال : ونُكس فى مرضه ، وكتب إلىّ يعرفنى . فجئت إليه مفتقدا ، فرأيت حاله مقصّرة . فقلت : « من قريبٍ فعَل معك مولانا وفعل » . فغضب وقال : « الذى فعلنا نحن معه ومع أبيه وآبائه أكثر ، بذلنا أرواحنا ودماءنا، وأخرجنا أنفسنا من ديارنا ، وأنفقناها على إقامة / ملكهم. نحن لنا الفضـــل عليهـــم » .

١٠٢ و / ٣

قال : وعدت إلى مولانا ، فقلت : « يا مولانا انتكس عبدك منصور وافتقدته فدعا وشكر وأثنى » . فقال لى : « يا ميمون ، بعيدٌ يكون هذا من منصـــور ، ولكن أنت على كل حال مصـــدّق » . ومات منصور فأتيته إلى مولانا وقلت : « يجعـــل الله جميع عبيدك فداك . مات عبـــدك منصور ، وحاله تقصّر عن كفنه ومؤونته » . فقال لى : « اخرج إلى صاحب بيت

المـــال وخذ له كفنا فى الشيوخ ، وخذ له مائتى دينار . فإذا أصلحت أمره فاحمله إلينا حتى نصلى عليه . جعل الله كفنه لهبا عليه فى نار جهنم » . قال : ففعلت. فلما صلى عليه قلت : « يا مولانا :أنت والله أعلم به ، كان من قوله كذا وكذا » . فقال : « يا ميمون : والله ما خفى عنى أنك أردت تحسين حاله وما أعطيته ذلك إلا على بصيرة منى بكفره . فالرجل نسمة سوء لا رحمه الله .

١٠٢ظ / ٣

ووصفه القرطى فى تاريخه بالجود وحسن الخلق والعدل ، وأن/المثل يضرب بأيام العزيز فى مصر لأنهـــا كانت كلها كأنها أعياد وأعراس . وكان محسنا لأخيه تميم الشاعر[1] الذى خلعه أبوه عن العهد وصرفه إلى ابنه العزيز .

(١) ولد تميم بن المعز فى ٣٣٧ بالمغرب ، وانتقـل إلى مصر مع أبيه ، وعرف بالفسق ، وغلب على شعره المجون والغزل والوصف ، فصرفه أبوه عن ولاية العهد ، ومنحها أخاه الأصـغر ، ومات فى ٣٧٤ أو ٣٧٥ . وطبع ديوانه فى دار الكتب المصرية .

الحاكم بأمر الله

أبو على منصور بن العزيز بن المعز

من كتاب الروحى : ولد بمصر ليلة الخميس الثالث والعشرين من ربيع الأول[1] سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . وولاه أبوه العهد فى شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة . وولى الخلافة يوم الخميس سلخ شهر رمضان[2] الذى توفى فيه العزيز سنة ست وثمانين. وكان عمره إذ هلك إحدى عشرة سنة ونصف سنة[3] :

---

(١) أتى كل من ابن ميسر وابن تغرى بردى بقولين ، وافق فى أحدهما ما ذكره ابن سعيد . وانفرد الثانى ٤ : ١٧٦ بأن مولد الحاكم كان يوم الخميس لأربع ليال بقين من شهر ربيع الأول ، وانفرد الأول ٥١ بأن مولده كان يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الآخر .

(٢) يكاد المؤرخون يجمعون على أن ذلك كان يوم ٢٨ رمضان ، ويتفق كثير منهم أنه يوافق يوم الثلاثاء . وانظر ابن ميسر ٥٢ ، وابن خلكان ٢ : ١٢٦ ، ١٥٣ ، وابن تغرى بردى ٤ : ١٧٦ ، وأبا الفدا ٢ : ١٣٨ ، والدوادارى ٢٥٦ فى أحد قوليه . وقيل فى الخطط ٢ : ٢٨٥ : « سلم عليه بالخلافة فى مدينة بلبيس بعد الظهر من يوم الثلاثاء عشرى شهر رمضان .. » . وأعتقد أن كلمة (ثمان) سقطت من العبارة .

(٣) جعل أبو الفدا ٢ : ١٣٨ وابن الوردى ١ : ٣١٣ والدوادارى ٢٥٦ عمره إذ ذاك ١١ سنة ، وجعله المقريزى : الخطط ٢ : ٢٨٥ إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وستة أيام . واتفق ابن تغرى بردى ٤ : ١٧٦ مع ابن سعيد ثم قال : « وقيل عشر سنين ونصف وستة أيام ، وقيل غير ذلك » . وانظر ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى ٨٠ . والصواب أنه ١١ سنة و ٦ أشهر و ٦ أيام .

ولم يزل خليفة إلى سنة إحدى عشرة وأربع مائة . فخرج ليلة الاثنين السابع والعشرين من شوال. فطاف ليلته كلها على رسمه[1] وأصبح عند / قبر القضاعى[2].

١٠٣ ر ٣

ثم توجه إلى شرقى حلوان وتبعه ركابيان فأعاد أحدهما[3] ثم أعاد الركابى الآخر. وذكر هذا الركابى أنه خلفه عند القبر والمقصبة[4]. وبقى الناس على رسومهم يخرجون ملتمسين رجوعه إلى يوم الخميس سلخ الشهر المذكور. ثم خرج خواص من بطانته[5] فبلغوا دير القصير[6] ثم أمعنوا فى الدخول فى الجبل . فبيناهم كذلك إذ بصروا بالحمار الذى كان راكبه على قنة الجبل ، وقد ضربت يداه بسيف فأثر فيها ، وعليه سرجه ولجامه . وتتبع الأثر فإذا بالحمار فى الأرض وأثر راجل خلفه وراجل قدامه[7] . فلم يزالوا يقصون هذا الأثر حتى انتهوا إلى البركة التى فى شرقى حلوان . فنزل فيها راجل فوجد فيها ثيابه ، وهى سبع[8] جباب ، ووجدت مزرورة وفيها آثار السكاكين فلم يشك فى قتله ؛

(١) أعلن الدوادارى ٢٩٩ أن غيبته كانت فى الرابع عشر من شوال ، ثم صحح رواية ابن سعيد .

(٢) كذا فى الأصل ، وهو خطأ من المؤلف . والصواب : الفقاعى ، كما فى سائر المراجع . وأبو عبد الله محمد بن سلامة القضاعى توفى بعد ذلك ، فى سنة ٤٥٤ هـ ، بل روى ابن تغرى بردى ٤ : ١٩٠ خبر مقتل الحاكم عن القضاعى .

(٣) أعاده مع تسعة من العرب السويديين ليعطيهم من بيت المال جائزة أمر الحاكم لهم بها . انظر ابن خلكان ٢ : ١٢٧ والدوادارى ٢٩٩ وأبا الفدا ١ : ١٥٨ وابن الوردى ١ : ٣٣٢ .

(٤) ابن الأثير ٧ : ٣٠٤ وأبو الفدا ٢ : ١٥٨ وابن الوردى ١ : ٣٣٢ : العين والمقصبة . وابن تغرى بردى ٤ : ١٩٠ وابن إياس ١ : ٥٧ : القبر والقصبة .

(٥) هم مظفر الصقلبى صاحب المظلة ، ونسيم متولى الستر ، وابن نشتكين صاحب الرمح ، وابن أبى العوام القاضى ، وخطلبا الصقلبى ، وجماعة من الكتاميين والأتراك . وكان ذلك يوم الأحد ثانى ذى القعدة . انظر ابن خلكان ٢ : ١٢٨ وابن الأثير ٧ : ٣٠٤ والدوادارى ٣٠٠ .

(٦) دير كان فى أعلى المقطم ، يطل على الصحراء والنيل ، أشاد به الشعراء لطيبه ونزهته .

(٧) العبارة سقيمة ، وصحتها كما فى الوفيات ٢ : ١٢٨ : فتتبعوا أثر الحمار فى الأرض وأثر راجل ... وفى الدوادارى ٣٠٠ : أثر رجلين .

(٨) الدوادارى : أربع .

وكان عمره ستا وثلاثين سنة وسبعة أشهر.[1] وكانت ولايته خمسا وعشرين سنة / وشهرا.[2]

١٠٣ ظ / ٣

وكان جوادا بالمـال، سفاكا للدماء، قتل عددا كثيرا من أماثل دولته وغيرهم صَبْرا. وكانت سيرته من أعجب السير.

وبنى الجامع بظاهر القاهرة[3] وغيره، واحتفل بالإنفاق.

وأمر في صدر خلافته بكَتْب سَبّ[4] الصحابة على حيطان الجوامع والقَياسير والشوارع والطرقات وكتب السجلات إلى سائر أعماله بالسب ثم أمر بقَلْع ذلك ونهى عنه وعن فعله، وأمر بضرب من فعل ذلك.[5]

وأمر بألا يُمنَع أحد من صلاة التراويح في رمضان ثم منعها ثم أعادها.

وأمر بقتل الكلاب.[6]

---

(١) العبر ٣ : ١٠٤ : ست وثلاثون سـنة، وأبو الفدا ١ : ١٥٨ وابن الوردى ١ : ٣٣٢ وابن الأثير ٧ : ٣٠٤ : وتسعة أشهر، وابن تغرى بردى ٤ : ١٩٦ : وقيل سبعا وثلاثين سنة.

(٢) الكامل ٧ : ٣٠٥ : خمسا وعشرين سنة وعشرين يوما. وأبو الفدا وابن الوردى : وأياما.

(٣) يعنى جامع راشـدة، الذى بدأ فى بنائه يوم الاثنين ١٧ ربيع الآخر ٣٩٣، وتـولى بناءه الحافظ عبد الغنى بن سعيد، وصحح محرابه على بن يونس المنجم، وتكامل فرشه وتعليق قناديله وما يحتاج إليه، وركب الحاكم وأشرف عليه عشية يوم الجمعة ١٥ رمضان ٣٩٥. (الوفيات ٢ : ١٢٧، والخطط ٢ : ٢٨٣، ٢٨٦، والدوادارى ٢٦٩).

(٤) كان ذلك فى سنة ٣٩٥.

(٥) ذكر ابن خلكان ٢ : ١٢٦ والخطط ٢ : ٢٨٦ والنجـوم ٤ : ١٧٧ أن ذلك كان فى سنة ٣٩٧، والدوادارى ٢٧٩ أنه كان فى ٣٩٩ هـ.

(٦) فى سنة ٣٩٥.

ونهى عن بيع الفُقّاع (١) ، والملوخيا ، وكبِ التُّرْمُس (٢) ، والسمك الذى لا قشر له . وضرب عنق من فعل ذلك .

ونهى عن بيع الزبيب (٣) . ونهى التجار عن حمله إلى مصر ثم جمع بعد ذلك منه جملة كبيرة ، أحرق جميعها على شاطئ النيل . ومقدار النفقة التى خرجت على إحراقها خمس مائة / دينار (٤) . ومنع من بيع العنب (٥) . وأنفذ الشهود إلى الجيزة حتى قطعوا كثيرا من كرومها وديست بالبقر .

١٠٤ و ٣

وجمع ما كان فى المخازن من جرار العسل فكانت خمسة آلاف جرة . وكُسرت وقلبت فى البحر (٦) .

ورفع المكوس عن جميع الغلات الواردة إلى السواحل والأسواق (٧) ، ثم مكّن منها ، ثم منع بعضها وأبقى بعضها .

وأمر النصارى واليهود (٨) بلبس العمائم السود ، وأن يجعل النصارى فى أعناقهم من الصلبان ما يكون طوله ذراعا ووزنه خمسة أرطال ، وأن يجعل اليهود فى أعناقهم خشبا على وزن صلبان النصارى ، ولا يركبوا شيئا من المراكب

(١) الفقاع : شراب من الشعير ، سمى بذلك لما يعلوه من الزبد . وذكر الدوادارى ٢٧٨ أن الحاكم نهى عنه فى سنة ٣٩٩ .

(٢) كذا فى الأصل ، ولعله أراد : حب الترمس ، فأخطأ كتابته . وفى سائر المراجع : الترمس ، فقط .

(٣) فى سنة ٤٠٢ . (الخطط ٢ : ٢٨٧ . الدوادارى ٢٨٤) .

(٤) الدوادارى ٢٥٧ : ألف دينار عينا .

(٥) زادت الخطط ٢ : ٢٨٧ : إلا أربعة أرطال فما دونها .

(٦) أى بحر النيل ، كما نقول اليوم . (الوفيات ٢ : ١٢٧) .

(٧) فى سنة ٤٠٣ . (الدوادارى ٢٨٦) .

(٨) ذكر الدوادارى أن ذلك كان فى سنة ٤٠٣ .

المحلاة ، وأن تكون رُكُبهم من الخشب ، ولا يستخدموا أحدا من المسلمين . ولا يركبوا حمارا لمُكارٍ مسلم ولا سفينة نوتيها مسلم ، وأن يكون في أعناق النصارى إذا دخلوا الحمام صلبان ، وفي أعناق اليهود جَلاجل[1] . / ثم أفرد حماماتهم عن حمامات المسلمين[2] .

١٠٤ ظ / ٣

وأمر بهدم جميع الكنائس بمصر وأعمالها . ونهب جميع ما فيها وجميع مالها من الرِّباع والأحباس[3] . وتتابع إسلام جماعة من النصارى ثم أمر ببناء ماهدم منها[4] . وتنصر جماعة ممن كان أسلم منهم .

ونهى عن تقبيل الأرض بين يديه[5] ، وعن الدعاء له ، والصلاة عليه في الخطب والمكاتبات ، وأن يجعل عن ذلك السلام على أمير المؤمنين .

وأمر ألا يَتنجَّم أحد[6] . ونفى المنجمين من البلاد . فجُمعوا وشُهد عليهم بالتوبة فأُعفوا من النفي .

ومنع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلا ونهارا[7] . ومنع الأساكفة من عمل الخفاف المتخذة لهن . وأقمن على ذلك سبع سنين وسبعة أشهر إلى خلافة الظاهر .

---

(١) ذكرت الخطط ٢ : ٢٨٨ أن ذلك كان في سنة ٤٠٤ .

(٢) في سنة ٤٠٨ . (الوفيات ٢ : ١٢٧) .

(٣) الأحباس : الأوقاف ، جمع حبس . وفي الوفيات : ووهب جميع ما فيها ... لجماعة من المسلمين .

(٤) في سنة ٤١٠ . الدواداري ٢٩٨ أو شعبان سنة ٤١١ . الوفيات ٢ : ١٢٧ .

(٥) في الخطط ٢ : ٢٨٨ أن ذلك كان في سنة ٤٠٣ ، وفي الوفيات ٢ : ١٢٧ والدواداري ٢٩ أنه كان في ٤٠٨ .

(٦) في سنة ٤٠٤ . (الخطط ٢ : ٢٨٨ . الدواداري ٢٩٢ . الوفيات ٢ : ١٢٧) .

(٧) في سنة ٤٠٤ . (الخطط ٢ : ٢٨٨ . الوفيات ٢ : ١٢٧ . النجوم ٤ : ١٧٨) . وأعلن الدواداري ٢٩٢ خطأ أنه كان في ٤٠٧ .

وأمر أن يجلس الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ، ويناظر كل أحد على مذهبـــه .

١٠٥ر/٣ ونهب[(١)] جماعة من عبيد الشراء ومن المغاربة / القيسارية وغيرها فلم يعترضهم معـــترض .

ومن كتاب « بَلَشْكَر الأدباء » تأليف أحمد بن الحسين بن أحمد الرُّوذَبارى[(٢)] : أنه شهد ركوب العزيز بين الظهر والعصر إلى الحمام، وعليه أثر الضعف ، وهو بثياب صفر وعمامة بيضاء . وكان رسمه إذا ركب أن يسلم على النـــاس بيده ، فلم يسلم عليهم فى يومه هـــذا . ولم يكن بين دخوله الحمام وموته إلا ساعة واحدة .

والتاث أمر الناس وركبوا ، ونهب الأتراك الاصطبلات وهربوا نحـــو الشام . ووقف حسن بن عمار ، واستدعى سُبُكْتِكِين ، وأمره أن يلحق الأتراك ويضمن لهم ما يردهم به ؛ فأجابوا .

وسارت السيدة ست الملك[(٣)] بنت العزيز إلى مصر[(٤)] وركب فى خفارتهـــا القَصْرية[(٥)] . ومنعها يانس[(٦)] من دخول القصر .

---

(١) فى سنة ٤١٠ . (الدوادارى ٢٩٨) .

(٢) يترجم له المؤلف بعد .

(٣) ابن ميسر ٥٠ ، ٥١ : سيدة الملك . ويتهمها المؤرخون بالتحريض على قتل الحاكم ، وينسبون إليها تدبير الأعوام الأولى من خلافة الظاهر . ووصفها الدوادارى ٣٠٠ بأنها كانت ذات أدب وعقل ودين وبر ، وعاشت بعد الحاكم قرابة ٤ سنوات .

(٤) ابن ميسر : إلى القصر بالقاهرة .

(٥) جماعة من الجند . وفى ابن ميسر : القيصرية .

(٦) هو أبو الحسن يانس الصقلبى ، الذى كان يشرف على القصور فى خلافة العزيز ، وأنابه عنـــه عنـــد ما خرج إلى بلبيس وولاه الحاكم برقة ومات فى حرب طرابلس سنة ٣٨٩ هـ . (ابن ميسر ٥٣ . الدوادارى ٢٣٨ . الخطط ٢ : ٢٨٥) .

وقُبض على دار على بن أحمد بن المهدى لأنه كان يتهم أن له دعاة .

ورحل الناس مع الحاكم ودخلوا مصر . وتقلد / الوزارة حسن بن عمار ابن حسن الكتامى[(١)] ، وسمى أمين الدولة[(٢)] . وصلى بالناس العيد أبو عبد الله محمد ابن النعمان قاضى القضاة[(٣)] . وحضرت الخطبة ، فما سمع الناس أكثر ما قال لكثرة بكاء الناس على العزيز .

١٠٥ ظ / ٣

وقبض حسن بن عمار على عيسى بن نَسْطُورِس[(٤)] فقتله بالليل ، ورمى عليه حائطا ، وعذب أصحابه وقتلهم .

وجرى بين كُتامة والأتراك شغب عظيم . وذكر أن كتامة كانوا يَعيثون ويأخذون الثياب ، ويقتلون ، ويحملون المُردان من الطرقات . وآل الأمر إلى القتال . فانهزم الكتاميون واستخفى ابن عمار .

وتقلد الأمر بَرْجَوان[(٥)] . وتقرب إلى قلوب الناس ، وكان يصطنع الغلمان والمشارقة .

---

(١) فى الأصل : الكلبي . وفى الخطط ٢ : ٢٨٥ : الكندى ، وأعتقد أنهما هفوة قلم عن (الكتامى) انظر الوفيات ٢ : ١٥٣ . ابن الصيرفى ٢٦ . الخطط ٢ : ٣ .

(٢) هو أول من لقب فى الخلافة الفاطمية من غير الخلفاء .

(٣) ولى القضاء للعزيز والحاكم ، ومات فى ٣٨٩ . (العبر ٣ : ٤٥) .

(٤) كان قد وزر للعزيز من ذى القعدة ٣٨٥ إلى رمضان ٣٨٦ فكرهه الكتاميون ، فصرف وأعيد إلى ديوان الخاص ثم قبض عليه وقتل فى محـرم ٣٨٧ هـ . ابن ميسر ٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ . ابن القلانسى ٣٣ ، ٤٦ .

(٥) الكامل ٧ : ١٧٧ — ٨ : أرجوان . وكان من خدام العزيز ومدبرى دولتـه ، تولى الوزارة فى ٢٧ رمضان ٣٨٧ إلى أن قتـل فى ٣٨٩ أو ٣٩٠ . (ابن الصيرفى ٢٧ . الوفيات ١ : ٨٨ ، الخطط ٢ : ٤ ، ٢٨٥) .

وذكر من افتتاح دولة الحاكم بالنفاق والتشغيب ما يطول ذكره .

وعظم برجوان فصار إذا ركب لا ينظر إلا إلى السماء ولا يلتفت إلى بشر .

فوافق الحاكم على قتله ، فقُتل فى الجنان التى (١) عند / الخليج .

١٠٦ر ٣

وقلد الحاكم وزارته بعد برجوان حسين بن جوهر وسمى بقائد القواد ، وجعل له السيف والقلم .

ثم دس الحاكم لمن (٢) قتل حسن بن عمار ، فقُطع ثلاث قطع . ونظر إليه الحاكم وقال : « ردّاك الله برداء عملك » .

وكثّر قتل الحاكم . وقتل فى من قتل مقداد بن حسن الشاعر الصِّقلى كاتب جوهر (٣) . فى التاسع من المحرم سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. قال ابن سعيد : ويقال : إن سبب قتله إياه كان من أجل بيت قاله ، وهو (٤) :

الحمدُ للهِ حتى الخبز أعْوَزَنى فى دولة أنا فيها شاعرُ الملكِ

وكان ذلك فى مدة أبيه العزيز ، فحقدها له حتى قتله فى دولته .

وقتل فى شهر محرم المذكور الباغانى الشاعر الأعمى ، صاحب تميم ابن المعز وأحرقه .

وفى هذا الشهر جاءوا إلى الحاكم برأس أبى الطاهر النحوى (٥) من الشام .

---

(١) فى الأصل : الذى ، وهو هفوة قلم ، فالجنان جمع ، ويجب أن يوصف بالتى ، ولعل المؤلف أراد أن يكتب البستان ، لأن برجوان قتل فى بستان يعرف بدويرة التين والعناب . (الخطط ٢ : ٤) .

(٢) كذا فى الأصل . والأفصح أن تكون : من قتل . وكان قتله فى سنة ٣٩٠ .

(٣) له شعر فى الدوادارى ٥ ٢٥ .

(٤) من البسيط .

(٥) هو محمود بن محمد ، من أهل بغداد ، طرأ على مصر ، وتولى ديوان الحجاز ، فتآمر مع ابن العداس على فهد بن إبراهيم الوزير حتى قتله الحاكم . وكانت جائزته ولاية الشام فظلم وعسف . فكتب الحاكم إلى وحيد الهلالى والى الرملة فقتله غيلة . (ابن القلانسي ٥٨ — ٦١) .

ومن وقف على سيرة الحاكم في كتاب بلشكر/ الأدباء المذكور رأى معركة بعد معركة .

١٠٦ظ
٣

قال : وقتل سنة خمس وتسعين وثلاثمائة الأمير عبد الأعلى [بن] محمد ابن الأمير هاشم أخي المعز .

وفيها خرجت العساكر لقتال أبي رَكْوة (١) . وفي سنة سبع وتسعين ، دخل فضل بن صالح (٢) قائد الجيوش مصر ومعه أبو ركوة أسير . فأُشهر أبو ركوة على جمل ، وقد عُمل له سرير ، وأُلبس الطرطور والمشهّرة ، وطِيف به مصر والقاهرة . ومُضِى به نحو الخندق فضُربت عنقه ، وصلب ثلاثة أيام وأحرق بعد ذلك .

وقتل الحاكم في من قتله محمد بن الزبير صاحب الصعيد ، من ولد الزبير ابن العوام رضى الله عنه .

وهرب أبو القاسم الكامل الوزير المغربي (٣) من الحاكم . فضرب أعناق أقاربه وصلبهم . قال ابن سعيد : والقباب السبع المشهورة بظاهر القاهرة

---

(١) هو الوليد بن هشام العثماني الأموى الأندلسي ، من ولد هشام بن عبد الملك ، كنى أبا ركوة ، لأنه كان يحمل ركوة — قربة صغيرة — على كتفيه شأن الزهاد ، وقد اتصف بالزهد ، وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ثم طلب الخلافة ، فاستولى على برقة ، وهزم جند الحاكم بل حاز الصعيد مدة ، ولم تفرق التواريخ بين سنتي خروجه والقبض عليه ، وجعلت ذلك كله في سنة ٣٩٧ .

(٢) سمته أكثر التواريخ : فضل بن عبد الله .

(٣) هو الحسين بن علي بن الحسين ، ولد في ٣٠٧ ، ومات بميافارقين في ٤١٨ ، ودفن بالكوفة . وكان شاعرا كاتبا عالما ، هرب من مصر عند ما قتل الحاكم أباه في ٤٠٠ هـ ، وشارك في الأحداث السياسية في مدة بلاد — الوفيات ١ : ١٥٥ . العبر ٣ : ١٢٨ .

١٠٧ظ / ٣ والفسطاط هي مشاهد على سبعة من بني المغربي ، قتلهم / الحاكم بعد فرار الوزير أبي القاسم إلى أبي الفتوح حسن بن جعفر[١] بمكة . وفي ذلك يقول الوزير أبو القاسم[٢] :

إذا شئتَ أنْ ترنو إلى الطَّفِّ باكيا فدونَك فانظرْ نحوَ أرضِ المقطَّم[٣]

تجدْ من رجال المغربي عصابة مُضمَّخة الأجساد من حُلل الدم[٤]

فكم تركوا محرابَ آيٍ معطَّل وكم خلَّفوا من سُورة لم تُختَّم[٥]

قال الرُّوذْباري : وقتل الحاكم رِكابيا له بحربة في يده على باب جامع عمرو ابن العاص ، وتولى شق بطنه بيده . وعمَّ بالقتل بين وزير وكاتب وقاض وطبيب وشاعر ونحوي ومغن ومصارع وصاحب ستر وحمّامي وطباخ وابن عم وصاحب حرب وصاحب خبر ويهودي ونصراني . وقطع حتى أيدي الجواري في قصره . وكان في مدته القتل والغيلة حتى على الوزراء وأعيان الدولة . فخرج عليهم من يقتلهم ويجرحهم بين مصر والقاهرة . وخطف العمائم جهارا بالنهار . ولعبيد الشِّراء في مدته مصائب وخطوب في الناس .

١٠٧و / ٣ وكان المقتول ربما / جُرّ في الأسواق ، فأوقع ذلك فتنة عظيمة .

وقُرئ سجل من الحاكم بألا يُدعَى أحد من سائر الملقَّبين بلقب ولا كنية ، وأن يُسقَط كل لقب عن جميعهم سوى ولي عهد المسلمين وقاضي القضاة ، وداعي الدعاة . قال : وكان وليّ عهده أبو هاشم العباس بن شعيب بن داود ابن المهدي .

(١) العلوي ، من بني فليتة ، من أشراف مكة ، وليها من ٣٨٤ إلى ٤٠١ ومن ٤٠٣ إلى ٤٣٠ .

(٢) من الطويل . والأبيات عند ابن الصيرفي ٤٧ .

(٣) الإشارة :

إذا كنت مشتاقا إلى الطف تائقا * إلى كربلا فانظر عراص المقطم

(٤) الإشارة : مضرجة الأوداج تقطر بالدم .

(٥) الإشارة :

فكم خلفوا محراب آي معطلا * وكم تركوا من بين ختمة لم تتمم

وأكثر من قتل الركابية حتى رغبوا أن يُخرِج لهم من الخزانة سيفا ماضيا لقتلهم ، فالسيوف النابية تعذبهم .

قال : وكان الحاكم يركب حمارا يسمى « القمر » ويعبر به على النـــاس . وكان له صوفية يرقصون بين يديه ، ولهم عليه جارٍ[1] مستمر . وقتل فى من قتل الشاعر أبا الدحداح ، وكان صاحب خبر .

قال : وفى اليوم الفلانى رد على فلان لقبه ، وهو شمس الدولة .

قال : ووقف رجل للحاكم ، وهو طالب محال ، فصاح عليه الحاكم ، فمات لوقته .

١٠٨ و / ٣

قال : وكانت غيبة / الحاكم إلى يوم جلوس ولده الظاهر ثلاثة وأربعين يـــوما .

قال : وفى جملة من قتل الحاكم عبد الرحيم بن إلياس ولى عهد المسلمين[2] .

ومن كتاب أخذته من خزانة الصاحب الكبير كمال الدين بن أبى جرادة[3] :

وممن قتل الحاكم القاضى حسين بن على بن النعمان[4] ، وممن قتل الزّرّاد التّنّيسى ، وابن زيد التنيسى الشاهدين . وقتل أبا الطاهر البهركى[5] متولى ديوان الإنشاء

---

(١) جار : راتب .

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد ، جعله الحاكم وليا لعهده سنة ٤٠٤ ، وولاه دمشق ٤٠٩ . وذكر اتعاظ الحنفا أن ست الملك هى التى أمرت بقتله بعد أن سلبته الخلافة فى ٤١١ . (مجموعة الوثائق الفاطمية ٦٠) وذكر الدوادارى ٥ : ٣١٥ أنه انتحر فى سنة ٤١٢ .

(٣) أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله المعروف بابن العديم ، ولد بحلب فى ٥٨٨ ، واشتغل بالتدريس والقضاء وسفر بين الأمراء ، ومات بمصر فى ٦٦٠ ، وكان شاعرا مؤلفا فى التاريخ والأدب .

(٤) ولد بالمهدية ٣٥٣ . وولى القضاء بعد وفاة عمه فى ٣٨٩ ، وصرفه الحاكم عنه وحبسه فى ٣٩٤ ثم قتله فى السنة التالية . (رفع الإصر لابن حجر ١ : ٢٠٧ — ١٢) .

(٥) صبح الأعشى ١ : ٩٦ : البهزكى .

وأمر بقتل أبي الحسن يوسف بن سهل الملقب بالضفدع . فبذل لصاحب الستر مائتي ألف دينار يعجل منها مائة ألف دينار ويحمل بعد شهر مائة ألف دينار فلم يجبه إلى ذلك وقطع رأسه في صفر سنة ثمان وأربع مائة . ولما أحضره بحضرة الحاكم سأله عما قاله، فعرّفه . فقال : « لو راجعتني فيه لجعلتك مكانه » . وقتل على بن على الزيدي نقيب الطالبيين . وقتل خطير الملك عمار ابن محمد[1] . وخرج من الحاكم منشور / فيه بعد البسملة[2] :

١٠٨ظ ٣

« مَعاشرَ المسلمين ممن يسمع هذا النداء :

إن الله وله الكبرياء أوجب اختصاص الأئمة بما لا يَشْرَكها فيه أحد من الأمة . فمن أقدم على مخاطبةٍ لغير الحضرة المقدسة بسيدنا ومولانا فقد أحل أمير المؤمنين دمه . فليُبلغ الشاهد الغائب إن شاء الله »

وأمر الحاكم بفتح « دار العلم » بالقاهرة . وجلس فيها المقرئون والفقهاء والنحويون والأطباء والمنجمون لتعليم الناس. بعد أن أجريت لهم الأرزاق السنية، وبعد أن زُخرفت هذه الدار وفُرشت وعُلقت الستور على جميع أبوابها وممراتها . وأُقيم فيها قائم لخدمتها، وجماعة من الفراشين وغيرهم . وحُمل إليها من خزائن الخلافة من كتب العلم والآداب بالخطوط المنسوبة مالم يُرَ مثله مجتمعا لأحد من الملوك . وأبيح ذلك لمن يريد قراءة الكتب ونَسْخها . وجعل فيها ما يحتاج إليه من الورق والحبر والمحابر والأقلام .

---

(١) هو الأمير الخطير رئيس الرؤساء أبو الحسين ، كان يتولى ديوان الإنشاء، ووزر للحاكم في جمادى الآخرة ٤١١ . وذكر ابن الصيرفي أنه الذى تولى بيعه الظاهر ، وعزل في ذى القعدة ٤١٢ فغير صحيح إذن أن الحاكم قتله .

(٢) في سنة ٣٩٠ . (الخطط ٢ : ٢٨٥) .

١٠٩ و / ٣ / قال : واشتد الطلب على الركابية المستخدمين برسم الركاب الحاكمي بعد أن قتل منهم في يوم واحد أكثر من خمسين رجلا ، فتغيبوا . وامتنع الناس أن يمشي بين أيديهم ركابي . فصار وجوه الدولة الذين رسم كلٌّ واحد منهم أن يكون بين يديه عدة من الركابية يسير واحدا[1] . وإذا نزل الرئيس منهم كانت دابته مع خادم . ثم عفا عنهم بعد ذلك ، وكتب لهم أمانا مفردا وقرئ .

قال : وأمر الحاكم ألا يدخل أحد من المكاريين[2] أصحاب الحمير ولا من يركب معهم راكبا من باب القاهرة ، ولا يجلس أحد على باب الزهومة[3] من التجار وغيرهم ، ولا يمشي أحد ملاصقا القصر من باب الزهومة إلى باب الزمرد[4] . ثم أباح ذلك .

وذكر أن الحاكم ركب لفتح الخليج وعلى رأسه تاج مرصع بالجوهر . وكان يقتل من يُشْهَد أنه ناصبي .

١٠٩ ظ / ٣ وأمر أن يُجعَل على سوق / الرقيق من يمنع أن يدخل إليه من الناس إلا من كان مشتريا أو بائعا . وجعل يوما مفردا للجواري ، وكذلك للغلمان .

وأمر مناديا ينادي بأن يُترَك الخوض في ما لا يعني ، واشتغال كل إنسان بما لا يعنيه ؛ والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والاشتغال بالصلوات في أوقاتها ، وألا يخاض في أحوال السلطان وأوامره وأسرار الملوك . وأمر بقطع رجال ممن كان يتولى شغل الديوان .

(١) العبارة سقيمة ، وصحتها : فصار وجوه الدولة ... يسيرون منفردين .

(٢) كذا في الأصل . وهو خطأ ، صوابه : المكارين .

(٣) كان في آخر ركن القصر مقابل خزانة الدرق ، سمى بذلك لأن اللحوم والأطعمة كانت تدخل منه إلى مطبخ القصر ، والزهومة الزفر . (الخطط ١ : ٤٣٥) .

(٤) سمى بذلك لأنه كان الموصل إلى قصر الزمرد . (الخطط ١ : ٤٣٥) .

قال : وفى يوم السبت لعشر بقين من شعبان استحضر جماعة الأطباء إلى القصر . وحضر فى جملتهم المعروف بشُقَير(١) اليهودى المتطبِّب . فخرج بعض الخدم فصاح : « شقير » . فقام بين الجماعة . فأخذ بيده ومضى به . فخُلع عليه ، وحُمل على بغلة ، وقِيد بين يديه ثلاث بغلات كلها بسروج ولُجُم . وحمل معه عشرون سَفَطا من أنواع الثياب الملونة . وخرج ومعه جماعة

١١٠ و ٣ / من الخدم الخاصة ، فلحقه دَهَش وحيرة وبان ذلك منه ، وتلجلج فى كلامه . ثم عدل به إلى طريق لم يجر به رسمه . فقال : « إلى أين أذهب ؟ ليس هذا طريقى إلى منزلى » . فقيل له : « هاهنا تنزل » . ومُضى به إلى الدار التى اشتُريت له بأربعة آلاف دينار ، بعد أن فُرشت بأنواع الفُرش وزُينت ، وعُلق على أبوابها وحُجَرها الستور ، وأعد فيها جميع ما يحتاج إليه . وأدخل إليها وقيل له : « هذه دارك ، وما فيها فهو لك » . فنزل فى قاعتها وجلس فى مجلس منها فيه فرش دبيقى ابتيع بألف دينار . وكان فى كل مجلس من مجالسها أنواع من الفرش والديباج والأرمنى . فحصل له فى ساعة واحدة ما قيمته عشرة آلاف دينار . وكان المال الذى دُفع إليه من مصادرة من صودر من النصارى .

وخرج سجل من الحاكم بالتشدد فى المنكر ، وكسر الملاهى ، والمنع من الغناء ، والنهى عن بيع المغنيات ، ومنع النساء / من الاجتماع والخروج إلى الصحراء(٢) . ١١٠ ظ ٣

(١) لم يذكر ابن أبى أصيبعة طبيبا بهذا الاسم فى أطباء مصر ، ولكنه ذكر ابن مقشر بين أطباء الحاكم بأمر الله — عيون الأنباء ٢ : ٨٩ .

(٢) فى سنة ٤٠١ . (الخطط ٢ : ٢٨٧) .

وشاع أن الحاكم أمر بحجرة من حجر القصر فسُدّ بابها على جماعة من الجوارى ، منهن حَظيّتان إحداهما أم ابنه أبى الأشبال . وطلب خادما فهرب واستجار بالحجرة التى فيها القبور . فقيل له : « وحقّ من فيها لاضربتُ رقبتك، ولا خرجت إلا محمولا » . وأمر به فضُرب بالسيوف حتى مات ثم حُمل .

وأمر بحسين بن جوهر وزير الوزراء، وعبد العزيز بن النعمان، وإسماعيل أخى فضل بن صالح فى وقت واحد ، فضربهم الأتراك بالسيوف [1] .

وادعى رجل الشرف ، فأمر بأن يكوى فى وجهه وينادى عليه .

وخرج منه سجل قرئ بالقصر بألا يلتمس أحد زيادة فى رزق ولا إقطاعا ولا صلة ولا غير ذلك من المنافع .

وأمر بقطع يدى الجَرْجَرائى [2] الوزير المشهور ، فقُطعتا على باب القصر . وكان فى ذلك الوقت يكتب لقائد القواد غَبْن [3] . وقطع يد القائد غبن ثم قطع يده الأخرى بعد ذلك ووجه إليه / من يَطبه ويُعالجه ، وعاده جميع رجال الدولة وحمل إليه فى هذا اليوم ألف دينار وعدة أسفاط . ثم أمر بقطع لسان غبن المذكور ، فقُطعت وحملت إليه ، وأنفذ له الأطباء ليعالجوه .

١١١ و
٣

---

(١) قتلوا فى سنة ٤٠١ ، وكان القاضى عبد العزيز زوجا لأخت الحسين ، وزوج ولديه بابنتى فضل بن صالح . وقد تولى المظالم فى ٣٩٠ ثم أضيف إليه القضاء والدعوة فى ٣٩٤ — رفع الأصر لابن حجر ٢ : ٣٥٩—٦٥ .

(٢) هو أبو القاسم على بن أحمد ، من جرجرايا بالعراق ، جاء إلى مصر مع أخيه أبى عبد الله محمد . وخدم بالريف والصعيد ، واعتقل فى ٤٠٣ ثم أطلق فكتب لأستاذ الأستاذين غبن . قطع الحاكم يديه فى ٤٠٤ على باب قصر البحر لخيانة ظهرت عليه ، ثم ولى ديوان النفقات ٤٠٦ ، ووزر للظاهر فى ٤١٨ ومات فى ٤٣٦ .

(٣) فى سنة ٤٠٤ ، ثم قتله فى السنة التالية — الانتصار لابن دقاق ٤ : ١١٥ ، وفى الدوادارى ٢٥٩ : عين ، وهو تحريف .

وأمر بمنع النساء من الخروج ليلا ونهارا . ثم أباح الخروج منهن للنسوة المتظلمات إلى مجلس الحكم ، والخارجات إلى الحج وغيره من الأسفار ، والإماء اللواتى يُبَعن فى سوق الرقيق ، والعجائز الضعاف ممن يضطر إلى نقل الماء من المصانع (١) ، والنسوة اللائى يجتمعن إلى أقاربهن دون الغرباء فى زقاق على شريطة متسترات ليلا والرجوع على حالهن وآلتهن ومن وقتهن ومثل ذلك فى المآتم ، والنسوة الواردات إلى مصر فى البر والبحر ، والعجائز الغسالات ، والأرامل اللائى يبعن الغَزْل والأكسية ، والضعاف من أهل المَسْكنة والمَسْئلة ، والإماء المزيِّنات ، والقبائل (٢) بعد معرفة الحاجة إليهن .

ورکب الحاكم / إلى جامع عمرو بن العاص فخطب فى الناس وصلى بهم صلاة الجمعة . ١١١ظ ٣

ومنع النساء اللواتى يجلسن على الشوارع من النظر والجلوس فى الطرقات ، وأغلقت طاقات الدور .

وولّى عهدَه ابن عمه عبد الرحيم بن إلياس بن أحمد بن المهدى (٣) . ودعا له بعد الدعاء لنفسه : « اللهم استجب منى فى ابن عمى وولى عهدى وعهد المسلمين والخليفة من بعدي ، كما استجبت من موسى فى أخيه هرون » : وأصعده معه فى يوم عيد إلى المنبر وأقعده عن يمينه .

وتأخر الحاكم عن الخروج فى يوم عيد النحر فخرج ولى العهد ، وخطب وقال فى خطبته بعد دعائه للحاكم : « اللهم أَوزِعْنى شكرَ نعمتك ونعمته ، واستعملنى لمرضاتك ومَرْضاته ، وأعنِّى على طاعتك وطاعته » . ثم أمر بمالك

(١) المصانع ، جمع مصنعة ، وهى حوض يجمع فيه ماء المطر .

(٢) القبائل : جمع قبول وقبيل ، وهى القابلة أى المرأة التى تستقبل المولود .

(٣) فى سنة ٤٠٤ . (مجموعة الوثائق الفاطمية ٥٧ — ٦٠) .

ابن سعيد قاضى القضاة[1] فقُتل وترك مطرَّحا . فلما رجع الحاكم وقف حتى رآه . ثم أمر بمواراته فى المكان / فدُفن ببعض ثيـابه ، وخُفّاه فى رجليه ، وعُلِّم مكانه بحجر .

١١٢ و
٣

وركب الحاكم فى مركبه على رسمه . وركب أمين الأمناء الحسن بن الوزان[2] فى الموكب . فلما حصل بحارة كُتامة خارجا عن باب القاهرة ضُربت عنقه . ودفن مكانه فى الموضع المحفور للسيل ويعرف « بالخرق » .

وقتل الحاكم غَبْنا قائد القواد الذى قطع يديه ولسانه . وأُخرج من الحجرة فى حصير .

وبقيت مصر بغير قاض بعـد مالك بن سعيد . فلما تمادى ذلك تقدم مظفر الخادم وهـو يتولى الشرطتين إلى يعقـوب بن إسحق أحد الشهـود الذين يحضرون معه الشرطة بالتوسط ما بين المترافعين ، وأن يجلس فى الجامع لذلك .

قال : وركب ولى العهد يوم الجمعة لأربع خلون من شهر رمضان[3] إلى الجامع الجديد بباب الفتوح . فصلى بالناس والقاضى يكبر خلفه . فسها ولى العهد فى قوله : « سمع الله لمن حمده » فحكى القاضى لفظه / ولم يقل : « ربنا ولك الحمد » . ولحقه سهو آخر ، وهو رفعه رأسه من السجدة الثانية بغـير تكبير . وفعل القـاضى مثل فعله . وسلم وطائفة ساجدة لم ترفع رؤوسها . وسها فى القراءة فى « سورة المنافقين » ففتح عليه القاضى .

١١٢ ظ
٣

(١) هو الفارقى ، ولى القضاء فى ٣٩٨ ثم أضيفت إليـه المظالم فى ٤٠١ ، وقتـل فى ٤٠٥ . (الخطط ٢ : ٢٨٧ — ٨ : الدوادارى ٢٢٧ ، ٢٨٣ ، ١٨٩ ، ٣٢٥) .

(٢) هو الحسن بن طاهر الوزان ، ولاه الحاكم الوساطة والتوقيع عنه فى ٤٠٣ ، وقتله فى ٤٠٥ . وفى الإشارة ٢٩ : الحسين . (الخطط ٢ : ٢٨٧ — ٨ . الدوادارى ٢٨٦ ، ٢٨٩) .

(٣) سنة ٤٠٥ . (مجموعة الوثائق الفاطمية ٥٩) .

قال : واتسع الحاكم فى الإقطاعات(١) ، إلى أن أقطع جماعة نواتية العشارى الذى كان يركب فيه ، وثلاثة من النّفاطين الذين كانوا يحملون المشاعل بين يديه .

وقُرئ سجل يؤمر فيه بأن يكون ما يرفعه الناس من حوائجهم فى ثلاثة أيام : يوم السبت للكتاميين وجميع المغاربة ، ويوم الاثنين للمشارقة ، ويوم الخميس لسائر الناس ؛ وأن يجتنبوا لقاء أمير المؤمنين بالرقاع ليلا ونهارا . وما كان يتعلق بالمظالم فإلى ولى العهد . وما يتعلق بالدعاوى فإلى قاضى القضاة . وما استُصعب من ذلك أنهاه إلى الحضرة .

وأمر الحاكم أبا العباس الفضل بن جعفر بن الفضل بن الفرات بالجلوس للوساطة بغير خلع(٢) / ثم قُتل . وكانت مدة نظره خمسة أيام .

١١٣ و / ٣

وقرئ سجل على منابر جميع الجوامع : يُنهَى المؤذنون عن قولهم بعد الأذان : « السلام على أمير المؤمنين » وأن يكون عوضا مما يقولونه من ذلك « الصلاة رحمكم الله » .

قال : وواصل الحاكم الركوب ست ركبات بشاشيته مكشوفة بغير عمامة ، على فرس وبغل وحمار ومِحفّة وفى البحر . وركب إلى دار على بن ابن فلاح(٣) يعوده من مرضه .

---

(١) فى سنة ٤٠٥ . (الخطط ٢ : ٢٨٨) .

(٢) فعل ذلك بعد قتله عبد الرحيم والحسين ابنى أبى السيد فى ٤٠٥ . (الإشارة ٣٠ . الخطط ٢ : ٢٨٨ . الدوادارى ٢٩٠) .

(٣) هو قطب الدولة أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح ، ذو الرياستين ، ولى الإسكندرية ودمشق ، ثم الوساطة والسفارة ، وقتل فى ٤٠٩ . وكان مرضه فى ٤٠٦ . (الإشارة ٣١ . الخطط ٢ : ٢٨٨ . النجوم ٤ : ٢٠١ ، ٢٢١ . الدوادارى ٢٧١ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥) .

وقبض على الأمير أبى جعفر أحمد[1] بن عقيل بن المعز ، وقتله ، وقطع رأسه فى دهليزه . وحُمل إلى الحاكم حتى نظر إليه ، وبقى فى داره ستة أيام ثم أعيد رأسه وكفن ، إجابة لسؤال الأقارب . وصلى عليه ولى العهد .

وقتل من الركابية ونفاهم . وأمر ألا يمشى معه أحد منهم .

وواصل الاصطناع للسودان ، وابتياعهم ، وعتقهم . ولقيه جماعة منهم ليلا ونهارا يسألونه ابتياعهم / وعتقهم ، فأجابهم لذلك . واتصل هذا منهم وكثر . وواصل فى ركوبه الوقوف على المعروف بابن الأزرق الشوّاء بدار فرج ، ومحادثته ، وأجازه وخلع عليه خلعا كثيرة .

١١٣ ظ / ٣

قال : وفى يوم من أيام ذى الحجة ، استدعى الحاكم أحد الركابية السودان المصطنعة بحضرة حانوت ابن الأزرق الشواء قرب دار الضرب ، فوقفه بين اثنين ، ورماه برمح . ثم أضجعه واستدعى سكينا فذبحه بيده . ثم استدعى ساطورا ففرق بين رأسه وجسده . ثم استدعى ماء فغسل يده بأُشنان ثم ركب . وحُمل المقتول إلى الشرطة فأقام ليلة ثم دفن بحضرة مسجد الرُّميلة بالصحراء . ثم بعث المؤتمن بعد ثلاثة أيام فنبشه وغسله . وأنفذ إليه أكفانا كُفِّن بها . ثم أمر قاضى القضاة بالصلاة عليه . وأمر ألا يتخلف أحد ، فحضر الشهود وأهل السوق ، وصلى عليه قاضى القضاة ، ودفن بالقرافة : واراه قاضى القضاة وجعل التراب / تحت خده . وأمر ببناء قبره وتبييضه فى وقته . وفُعِل ذلك كله بمشهد منه .

١١٤ ر / ٣

(١) لم يذكره الشيال فى أولاد الخلفاء الفاطميين (الاتعاظ ١ : ٣١٣) : غير أنه ذكر من سماه محمدا ، وأعلن أنه مات فى ٣٨٣ ، أى قبل أن يلى الحاكم الخلافة ، فلعله غيره أو لعل المؤلف أخطأ هنا كما أخطأ فى غيره من قتلى الحاكم .

وولّى ابن خيران[1] ديوان الإنشاء ثم صرفه ورده إلى محمد بن راشد ثم سخط عليه وصرفه ثم عفا عنه آخر النهار ورده .

وركب الحاكم إلى ولى العهد عائدا له من علة . وحمل إليه فيما حمله خمسة آلاف دينار .

وأقطع عالم العلماء جعفرا الضرير دارا من حُبُس سُعْدَى العباسية العلوية ، وبها عدة قبور . فنُبشت ونُقل الموتى منها إلى الصحراء ، فدفنوا بها . ثم تكلم جماعة فيما حبسته سعدى هذه من هذه الدار وغيرها . ولما صح للرافعين ما رفعوه ، أمر الحاكم برد ذلك عليهم . فأُعيدت القبور من الصحراء إلى مكانها فى الدار .

وأمر بالقبض على جميع ما للكتاميين من الإقطاع من ضِياع ورِباع وغير ذلك إلا قطب الدولة بن فلاح ، فان إقطاعه بقى عليه .

١١٤ ظ / ٣

وتظلم إليه فى / ركوبه إلى مصر رجل فى ناصح الركابى . فوقف عليه وسمع ظلامته . ثم سأل ناصحا عن دعواه فنظر أنها صحيحة . فأمر بدفع ماله إليه . فلم يكن معه فى الوقت فألزمه ببيع الفرس الذى كان راكبا عليه ؛ فباعه ووفّى الرجل ما كان له عليه ؛ كل ذلك بحضرته وهو واقف على ظهر دابته ثم سار .

---

(١) اشتهر بهذه الكنية ولى الدولة أبو محمد أحمد بن على بن أحمد بن خيران ، الذى ذكر ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٥ أنه ولى ديوان الإنشاء بعد أبيه فى عهد الظاهر ، ولكن يفهم من كلام ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٨٠ ، ٨٥ أنه كان يتولى ديوان الإنشاء فى أواخر عهد الحاكم ، وكتب سجل خلافة الظاهر ، وذكر ياقوت أنه مات قريبا من سنة ٤٣١ هـ ، ويفهم من ذيل تاريخ دمشق أنه كان لا يزال حيا يلى ديوان الإنشاء فى ٤٤٣ .

ومن كتاب « الرقيق فى تاريخ إفريقية » أن فيمن قتله الحاكم العُكبرى المنجم، وكان مختصا بالتنجيم للحاكم ، وكان ضعيف العقل ، وكان له بصر بالقضاء . فاتفق أنه لمـــا نافقت مدينة صور (1) مع المعروف بعلاقة (2)، أمر السلطان بتهيئة الأسطول لِيُنفذ إليها . فرفع العكبرى رقعة يسأل فيها أن يجعل تدبير هذا الأسطول إليه يخرجه فى الوقت الذى يراه ؛ فإن لم يظفر ضُربت عنقه . فصرف ذلك إليه . فتخير طالعا أخبر به ؛ فظفر ساعة وصوله وعاد سالمـــا غانمـــا .

فحُكى عنه أنه رفع رقعة / يذكر فيها أنه رأى فى تنجيمه أن فى الموضع المعروف ببركة رسيس على ساحل البحر مسجدا قديما رثا . وسأل أن يؤذن له فى هدمه ، فإن تحته كنزا عظيما . فإن لم يتم ذلك أعاد المسجد جديدا، وأنفق عليه من ماله مالا كثيرا . فأذن له فى ذلك؛ فوُجد الكنز . وأقامت البغال تنقل منه إلى القصر أياما . وأُعطى على ذلك مالا جزيلا .

١١٥ ر / ٣

فلما اتفق له ذلك مع ضعف عقله تحامل وأسرف . وجعل يقول : يكون كذا يوم كذا . فتشوفت إليه قلوب الناس ، وامتدت له عيونهم ، وخاضوا فى حديثه . فأمر الحاكم به فقُتل وأحرق بالنار .

وقتل الحاكم عددا من رجاله . منهم أبو على الدنهاجى بن عُسْلوج ، وأبو عشرة الكتامى ، وعلى بن البندوى الشاعر الأعمى ، وأبو العلاء الكاتب

---

(1) صور : ميناء لبنانى جنوب صيدا ، على خط عرض ١٦َ ٣٣° شمالا ، وطول ١٢َ ٣٥° شرقا .

(2) علاقة ، ثار وحالف الروم فى ٣٨٧ ، ولكن جيش الحاكم هزمه واسترد صورا وأسره ، وحمله إلى مصر ، فسلخه حيا ، وحشا جلده تبنا ، وصلبه . (ابن القلانسى ٢٧ ، ابن الأثير ٧ : ١٧٨) .

النصرانى ، وعلى بن عمر المعروف بابن العداس [١] . وقتل المعروف بابن خريطة صاحب برجوان . وقتل / أبو سهل بن كِلِّس [٢] اليهودى أخو يعقوب الوزير ، ورشيق الحمدانى ، وإسماعيل بن سوّار الذى يدعى القائد الرحيم ، وكان خاصا بأرجوان . وقتل ابن مهدى الكتامى ويَخْلَف بن عبد الله بن يخلف الكتامى ، ومحمد بن على بن فلاح ، وابن مبطونة الكتامى .

١١٥ ظ / ٣

قال : وفى هذه السنة استأذن ابن الأمير هاشم الحاكم فى الخروج إلى بعض ضياعه فأذن له . فخرج بجماعة من مُنادميه وأصحابه ، منهم أولاد المغازلى وابن خريطة وابن أبى الفضل بن حنزابة الوزير وفتيان من الكتاميين . فبعث عليهم عينا يأتيه بخبرهم وبكل حرف ينطقون به . فساروا إلى متنزّههم فطَعِموا وشربوا . فجرى فى مجلسهم أنْ قال أحد أولاد المغازلى [٣] ، وكان منجما لابن الأمير هاشم : « لابد لك من الخلافة ، وأنت إمام هذا العصر » . فلما عادوا دخل ابن الأمير هاشم إلى القصر ، وكان يدخل بغير إذن . فلما سلم وجلس ، / أخرج الحاكم من تحت فراشه سيفا مجردا فضربه . وحُمل إلى داره ، فكتب رقعة يعتذر من ذنب إنْ كان بُلِّغ عنه ، ويحلف ويذكر أن ضربته سالمة ، ويسأل فى طبيب يدخل إليه ويعالجه . فأذن له فى ذلك . فلما أفاق استأذن فى دخول الحمام ، فأذن له وبعث إلى الحمام من ذبحه فيه وجاءه برأسه . وبعث إلى كل من حضر ذلك المجلس فقُتلوا وأحرقوا بالنار .

١١٦ و / ٣

(١) تولى الخراج فى عهد العزيز وقبض عليه مدة ، وفى خلافة الحاكم سعى هو وابن النحوى بالوزير فهد بن إبراهيم ، وولى الوزارة بعد مقتله ، ولكنه ما لبث أن قتل فى ٣٩٣ (ابن ميسر ٥١ . ابن القلانسى ٥٩ ، ٦٠ . الدواداري ١٩٨ ، ٢٣١) .

(٢) كذا ضبطه المؤلف . ولكن ابن خلكان ٢ : ٣٣٦ ضبطه بتشديد اللام وكسرها .

(٣) انظر رفع الإصر لابن حجر ١ : ٢١١ .

وتتابع القتل فى الناس من الجند والرعية بضروب مختلفة . وعاث بنو قُرَّة ببرقة ؛ فأمَّنهم الحاكم وطلب منهم رهائن . فكل من حصل منهم بالإسكندرية قتله . واستوحش بنو قرة من الحاكم ، فوجد بذلك سببا إلى القيام الوليدُ ابن هشام، معلِّمٌ كان ببرقة، ادعى أنه من بنى أمية ، وهو الملقب بأبى رَكْوة .

قال : وقتل الحاكم قاضيه حسين بن على بن النعمان[1] وأحرقه بالنار .

١١٦ ظ / ٣ وقد كان ملأ عينه ويده ، وشرط عليه / العفة عن أموال الناس . فرفع إليه متظلم رقعة يذكر فيها أن أباه توفى وترك له عشرين ألف دينار ، وأنهـا فى ديوان القاضى ، وقد أخذ منها رزقَ أوقاتٍ معلومة ، وأن القاضى عرَّفه أن ماله قد نجز . فلما عاد إلى قصره دعا بالقاضى ودفع إليه الرقعة . فقـال كقوله للرجل : «إنه استوفى ماله عن آخره» . فأمر من يثق به بإحضار ديوان القاضى فأحضره من ساعته . وفتش عن مال الرجل فوجد أن الذى صار إليه أيسره . فعدَّد عليه ما أجراه له وأقطعه وما أزاح من علله لئلا يتعرض لمـا نهاه عنه من هذا وأمثاله . فقال : «العفو والتوبة» . فأمر به فحُبس ثم أخرج بعد ذلك محمولا على حمار نهارا ، والناس ينظرون إليه . فمُضى به إلى المنظر فضُربت عنقه وأحرق . وقد كان فى وقت عزله وحبسه دعا عبـد العزيز ابن عمه محمد بن النعمان فولاه القضاء، وتقدم إليه بمثل ما تقدم إلى ابن عمه .

١١٧ و / ٣ واستفحل أمر أبى ركوة / الثائر ببرقة، وآل حاله إلى أن خرج له الفضل ابن صالح بالعساكر وجاء به إلى القاهرة ، فقتله الحاكم . ثم قتل بعد ذلك الفضل بن صالح بعد أن بلغ عنده أعلى محل .

(١) ولد فى ٣٥٣ وولى القضاء فى ٣٨٩ وقتل فى ٣٩٤ . (ابن ميسر ١٠٥ ، الدوادارى ٢٦٤ ، ٢٧٠ ، رفع الإصر ١ : ٢٠٧ ، العبر ٣ : ٤٥) . والخبر عن الرقيق مروى فى رفع الإصر أيضا ٢ : ٢١١ .

وقتل رجاء بن أبي الحسين. وكان سبب قتله أن الحاكم أراد اختبار أصحابه. فأمر بسجل قرئ بمصر والقاهرة يأذن فيه أن يتبع كل واحد طريقا يختاره من المذاهب . فعمد رجاء هذا إلى إجّانة كبيرة فملأها خلوقا وخلّق بها مسجده ، وصلى فيه القيام [١] ، فقتله .

وقتل أيضا رجلا يعرف بابن الرقاق لأنه تقدم فصلى بالناس في جامع عمرو القيام .

وكثرت أذية أصحاب الأخبار وقتلوا الناس بضروب من السّعايات والبغى . فجرب الحاكم عليهم كذبا وعلم تسبّبهم إلى الأموال فأمر بهم فتُتبّعوا حتى قُتلوا عن آخرهم .

قال : وأمر الحاكم بقتل الحسين بن جوهر قائد القواد وقتل صهره القاضي بمصر عبد العزيز/ بن النعمان ، فقُتلا جميعا في وقت واحد . وكان الحسين ابن جوهر قد خاف خوفا شديدا . فهرب إلى بني قُرّة واستجار بهم على أنهم يوصلونه إلى المغرب . فبعث إليهم الحاكم يتوعدهم ويُمنيهم فأسلموه إلى رسله . وهرب جعفر بن الحسين بن جوهر وإخوته إلى ابن جرّاح أمير طيئ [٢] . فأعطاهم الذمام وأمّنهم وأجارهم . وكوتب في أمرهم ، فدافع وسوّف ولم يجب إلى إسلامهم .

١١٧ظ
٣

فأعمل الحاكم الحيلة في أمرهم . فدعا مفلحا [٣] — وكان من جلة عبيده وخاصته — فأمره بما أحب ثم أظهر أنه سخط عليه ، فاعتقله وقبض إقطاعه

(١) فدل بذلك على أنه سني .

(٢) أرجح أنه حسان بن المفرج بن دغفل ، وكان يقيم بفلسطين .

(٣) أرجح أنه أبو صالح مفلح اللحياني ، الذي ولي دمشق من ٣٩٤ إلى ٣٩٩ . (ابن القلانسي ٥٨ ، ٦٢ . الدواداري ٢٧٢)

وأمواله . فأقام فى السجن مدة ثم خرج منه بحيلة ومرهاربا . فلحق بابن جراح وكان قد بلغه خبره . فتوجع له وأعطاه وأحسن إليه . فأقام عنده أياما . ثم خلا بجعفر وإخوته فقال : « إن هذا الرجل فعل بنا جميلا ولم يقبل فينا كتابا ولا رسولا ، غير أن العرب يستميلهم المـــال / ، ونخشى أن يبذل له صاحب مصر الرغائب فيبعث بنا كما فعل فى أيام أبيه بفلان وفلان ، فيقتلنا بعد أن يمثّل بنا . وابن جراح وإنْ مَنعه مرة فهو لا يخرج عن طاعته جملة » . ولم يزل يخوفهم هذا ونحوه إلى أن قالوا له : « فما ترى لنفسك ولنا ؟ » . قال : « نرى أن نبذل مالا لمن يأخذ بنا طريقا يوصلنا إلى بغداد حيث لا ينفذ له حكم ولا يقبل منه أمر » . فعزم القوم على ذلك . وخرج ابن جراح إلى وجه قَصَده . فرحلوا إلى ما أحكموه وقد اختاروا من يَصْحبهم واحتاطوا وتنكبوا الجادّة وتنكروا جهدهم ، وقد أحكم الأمر مع حسن بن الصمصامة[1] أمير دمشـــق فجعل لهم أرْصادا على الطرق. فما شعروا — وقد نزلوا فى بعض المنازل — حتى قُبض عليهم . فضُربت أعناق أولاد الحسين بن جوهر . وبعث بهـــا ابن الصمصامة رسله . وأصحبهم الرجال الذين تولوا أمرهم . وتوجه مفلح إلى مصر ، فصُرفت إليه أملاكه / ورُفعت مرتبته وأحسن إليه .

١١٧ و / ٣

١١٨ ظ / ٣

قال : وفى سنة ثلاث وأربعمائة فى شهر رمضان وفى آخر جمعة منـــه ، نزل الحاكم إلى جامع عمرو بمصر . فصعد المنبر وخطب الناس وصلى بهـــم صلاة الجمعة وانصرف . فتعرض له جماعة من ولد عمرو بن العاص فعـــرفوه بأنفسهم وشكوا إليه خلّة . فأمر لكل واحد منهم بألف درهم وكسوة . وكانوا ثلاثة عشر رجلا .

(١) كذا فى الأصل ، وفى غيره من المراجع : جيش بن محمد بن الصمصامة ، أبو الفتوح الكتامى ، القائد المغربى ، الذى تولى دمشق أكثر من مرة ، وعرف بالظلم ، ومات فى ٣٩٠ .

وأظهر بمصر من العدل والإنصاف والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما سارت به الركبان .

قال : وفى سنة أربع وأربعمائة قرئ سجل بمصر والإسكندرية أن الحاكم قد جعل ولاية العهد فى حياته وبعد وفاته لابن عمه عبد الرحيم بن القاسم ابن إلياس بن أحمد بن عبيد الله المهدى . ثم ورد بعد هذا سجل إلى باديس[1] ، صاحب إفريقية بمثله ، فقرئ بجامع المنصورية وجامع القيروان . فعظم ذلك على باديس وقال : « لولا / أن السلطان لا يُعتَرَض عليه وعلى تدبيره ، لكاتبته ألا يصرف هذا الأمر عن ولده إلى بنى عمه » .

١١٩ ر
٣

قال : وحدث رجل من تجار طرابلس قال : ركب معنا البحر رجل من التجار كانت بضاعته ثلاثة آلاف دينار . فوصل معنا إلى الإسكندرية فعجل الرجل قبلنا ، واكترى عُشاريا ودخل فى النيل من رشيد[2] ، فسار يومه . فلما جاء الليل نزل إليه رجال فأخذوا جميع ما كان معه من رَحْل . فوصل الرجل إلى القاهرة فوصل إلى الحاكم ، فقال له : « إنى سُلبت فى حَرَمك ، واخذ مالى عبيدك ، والمولى مأخوذ بجناية عبيده » . فقال : « وأين ذهب مالك ؟ » فأخبره فقال : « وكم هو ؟ » . قال « ثلاثة آلاف دينار » . فأمر صاحب السيارة بطلب من بتلك الناحية . فمطله وقال له : « ما الدليل على صدقك ، وأن هذا المال كله ذهب لك ؟ . وسأسأل من صحبك من التجار » . فعاد الرجل إلى الحاكم فقال : « يا أمير المؤمنين / : إن الكريم يحيل على اللئيم » . فأمره أن يتقدم إلى القصر . فلما انصرف بعث إلى ابن طاهر فأمره أن يحضر

١١٩ ظ
٣

(١) أبو مناد باديس بن المنصور ناصر الدولة ، ولد فى ٣٧٤ ، وولى إفريقية فى ٣٨٦ ، ومات فى ٤٠٦ .

(٢) رشيد : عند مصب الفرع الغربى للنيل ، على خط عرض ٢٥َ ٣١° شمالا ، وطول ٢٥َ ٣٠° شرقا .

مالا فجاء من ساعته بجراب فقال: « كم فيه ؟ » فقال : « سبعة آلاف دينار » فدعا الرجل وأمر بتسليمه إليه وقال : « هذه ثلاثة آلاف دينار عوض من مالك ، وأربعة آلاف دينار لمطله لك » . فقبض المال وانصرف .

ومن كتاب القرطى : كان الإمام الحاكم أجود الخلفاء بمال . وبه تمشت حاله فيما سفكه من الدماء التى لا يحصيها إلا الله تعالى . وكان الأمر فى مدة العزيز فيه انحلال وعفو كثير عن الناس ، فظنوا أن ذلك يجوز فى مدة الحاكم . وجَرَوا على رسمهم فتجرَّد لهم منه مُطَّلع على جميع أمورهم ، غير مُطَّرح لعقوبة . فهلك الجم الغفير منهم . وكان فى مدة أبيه الإمام العزيز قد تكشَّف على أقوام ممن يطعن فى الدولة ويسىء القالة فيها . فلما صارت / له الخلافة انتقم منهم أشد انتقام ، وعمَّهم بالعقوبة . وذكر ممن قتل من تقدم ذكره فلا فائدة لإعادته .

١٢٠ و / ٣

قال : ومن حكاياته المشهورة فى العدل التى تثقل يوم الحشر ميزانه أن رجلا غريبا ورد على مصر من سِجِلْماسة التى هى أقصى مدن المغرب . فعزم على الحج فأودع مالا له عند رجل فى السوق توسم فيه الخير والأمانة . فلما عاد من الحج طلب ماله من الرجل ليعود به إلى بلده . فقال له : « طِبْ عنه نفسا فوالله لا رأيته أبدا » . فقامت قيامة الرجل وتوسل إليه بكل سبب ، فلم ينفع فيه شىء وأقام على لجاجه . فتوصل إلى أن أطلع الحاكم على أمره . فقال له : « اجلس فى دكان مقابل لدكانه ، فإذا جزتُ فى تلك السوق فأعمل كأنى أعرفك وأسألك عن حالك وأكثر من الوقوف معك » . فلما عمل ماأمره به وانصرف الحاكم ، جاء الرجل الذى عنده الوديعة إليه ، وأكب / على يديه وسأل منه الصفح عما سلف . وأحضر له جميع ماله . فعرَّف الحاكم بذلك . فأصبح الرجل الذى أنكر الوديعة مقتولا معلقا برجله على دكانه .

١٢٠ ظ / ٣

الظاهر لإعزاز دين الله

أبو الحسن[1] على بن الحاكم

من كتاب الروحى : ولد بمصر يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر رمضان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة . بويع له بالخلافة يوم عيد النحر من سنة إحدى عشرة وأربعمائة . ومات[2] وله من العمر اثنان وثلاثون عاما إلا أياما[3] . وكانت ولايته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياما[4] .

---

(١) الوفيات ١ : ٣٦٦ : أبو هاشم . والنجوم ٤ : ٢٤٧ : أبو هاشم وقيل أبو الحسن .

(٢) فى ٤٢٧ هـ .

(٣) هـذا هو الصحيح . وفى النجوم والدوادارى : وعمره إحدى وثلاثون سـنة . وفى الكامل ٨ : ١٠ وأبى الفدا ٢ : ١٦٧ وابن الوردى ١ : ٣٤٢ : وعمره ثلاث وثلاثون .

(٤) حدد ابن القلانسى ٨٣ عدد الأيام بجعلها خمسة . وفى الكامل : وكانت خلافته خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وسبعة عشر يوما . وفى أبى الفدا وابن الوردى : خمس عشرة سنة وتسعة أشهر . وفى الدوادارى : خمس عشرة سنة وأحد عشر شهرا وخمسة أيام . وفى النجوم : ست عشرة سنة وتسعة أشهر ، وذلك خطأ .

المستنصر بالله

أبو تميم مَعَدّ بن الظاهر

من كتاب الروحى : ولد فى السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين وأربعمائة.[1] وبويع له فى النصف من شعبان[2] سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وعمره سبع سنين[3]. وتوفى ليلة الخميس الثامن عشر[4] من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، وله من العمر سبع وستون سنة وخمسة أشهر[5]. فكانت خلافته ستين سنة وأشهرا[6].

١٢١ و
٣

وكان فى أيامه غلاء شديد وكان قد تغلب عليه .

---

(١) الكامل ٨ : ١١ : عشر وأربعمائة ، وذلك خطأ . والدوادارى ٣٢٥ : ولد ٤١٩ وقيل ٤٢٠ . وانظر ص ٣٢٦ ، ٣٤٢ — ٣

(٢) انفرد الدوادارى ٣٤٢ بأنه بويع له يوم الاثنين السابع عشر من شعبان .

(٣) النجوم ٥ : ١ : سبع سنين وسبعة وعشرين يوما . والدوادارى : سبع سنين وأشهر ، والصواب سبع سنين وشهرين .

(٤) جعلها الدوادارى ٤٤١ فى السادس عشر . والخطط ١ : ٣٥٦ فى الثامن والعشرين .

(٥) جعلها ابن القلانسى ١٢٨ ستة أشهر ، والعبر ٣ : ٣١٨ : ثمانيا وستين سنة .

(٦) اتفق المؤرخون أنها ستون سنة وأربعة أشهر ، ثم أضاف إليها الدوادارى يومين ، والخطط وابن ميسر ٣١ : ثلاثة أيام .

وجرت فى خلافته أمور عجيبة حتى استوزر أمير الجيوش بدرا الجمالى[(١)] فاستقام أمره .

ثم إن ابنا لأمير الجيوش يلقب بالأوحد[(٢)] خرج شاقا لأبيه حتى أتى الإسكندرية. فنزل عليها فى أول سنة سبع وسبعين وأربعمائة فحاصرها أشهرا. ثم دخلها فأخذ ابنه أسيرا . ثم منّ على أهلها بعد أن صادرهم . وبنى بها جامعه المعروف بجامع العطارين .

ثم توفى بدر الجمالى بعد ذلك فى آخر أيام المستنصر فى سنة سبع وثمانين وأربعمائة[(٣)] . فاستوزر ابنه شاهنشاه أبا القاسم[(٤)] . فعدل فى الناس ولقب بالأفضل وشاع إنصافه فى جميع / الأقطار . وتوفى المستنصر فى ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة .

١٢١ظ
٣

ومن الكامل لابن الأثير[(٥)] : « ولقى المستنصر شدائد وأهوالا ، وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر . فأخرج فيها أمواله وذخائره إلى أن بقى لا يملك غير سجادته التى يجلس عليها ، وهو مع ذلك صابر غير خاشع » .

---

(١) أرمنى اشتراه جمال الدين بن عمار ، ورباه ، وقدمه . ولاه المستنصر دمشق وصورا وعكا . ولما ساءت حال مصر بسبب طمع الوزراء والقواد وسيطرتهم على شئونها ، استقدمه فى ٤٦٦ ، وولاه تدبير أموره . فأصلح الدولة ، ونشر الأمن ، وحاز كل السلطة إلى أن مات فى ٤٨٧ . (الوفيات ١ : ٢٢١ . العبر ٣ : ٣٢٠ . الإشارة ٥٥ — ٥٦)

(٢) ابن ميسر ٢٦ .

(٣) جمل الدوادارى ٤٣٩ وفاته فى ٤٨٦ ، والعبر ٣ : ٣٢٠ فى ٤٨٨ .

(٤) حل محل أبيه ، وحاز السلطة كلها إلى أن قتل فى ٥١٥ . (الإشارة ٥٧ . ابن ميسر ٥٦ . الوفيات ١ : ٢٢١ . العبر ٤ : ٣٤)

(٥) ٨ : ١٧٣ .

ومن تاريخ القرطبى : بقى المستنصر فى الخلافة ما لم يبق خليفة . ولقى من انتظام البلاد وانفساح الدعوة ما لم يلق أحد من آبائه . ثم حل به من الفتن ونشوز البلاد عنه والفقر المدقع خطوب متصلة حتى إن الفتن اضطرمت بالقاهرة ، وفى الضياع بين الفلاحين ، وبين عبيد الشراء . حتى إن النيل خرج سنين ولم يجد من يزرع عليه من شدة الفتن . فهلك الناس بالجوع وفنيت ذخائر مصر بعد مقاساة شديدة من غلاء السعر . وكان القمح / والشعير يُجلَب من بلاد الأندلس وبلاد النصارى . وكان التجار الذين يجلبونه يأخذون فيه الجوهر والياقوت وغير ذلك من ذخائر مصر .

١٢٢ ظ / ٣

وخلع المعز بن باديس(1) صاحب إفريقية طاعة المستنصر ، وخطب للقائم(2) خليفة بغداد . فسلط العرب على إفريقية ، فخربوها وأذهبوا دولة المعز وأخرجوه من قاعدة سلطانه حتى لم يبق له إلا حصن المهدية التجأ إليه وانحصر فيه . ودارى العرب على غيرها من البلاد . وكان أصل هذه الفتنة العظيمة أنْ قصّر المعز فى مخاطبة الوزير اليازورى(3) . فأفسد ما بينه وبين الخليفة . وكان بالصعيد بطون من عامر بن صَعْصعة لا يُترَكون إلى الجواز للجهة الغربية . فلما خلع المعز طاعة المستنصر ، أُبيح لهم الجواز وأُعطى كل واحد منهم دينارا وفروة . فتكاثروا على إفريقية وحصل بها جمهور / عظيم منهم . وكتبوا إلى من بقى منهم بالديار المصرية : أنهم وجدوا بلادا فى نهاية من الخصب

١٢٢ ر / ٣

(1) ولد فى ٣٩٨ وولى فى ٤٠٦ . ومات فى ٤٥٤ . وهو الذى نشر مذهب الإمام مالك بالمغرب .

(2) القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن أحمد القادر ، ولد فى ٣٩١ وولى فى ٤٢٢ ومات فى ٤٦٧ ، وهو أطول خلفاء بغداد مدة ، وعرف بالورع .

(3) أبو محمد الحسن بن على ، ولد بيازور من قرى الرملة بفلسطين . وتولى القضاء بها ثم صار قاضى قضاة مصر فى ٤٤١ فوزيرها فى ٤٤٢ إلى أن قتل فى ٤٥٠ .

والخير ولا لهم فيها ناهٍ ولا مُزاحِم بل جميعها بحكمهم حيثما شاءوا توجهوا .
فانثال من بقى من العرب بمصر على المسير إلى إفريقية واتباع إخوانهم .
فطولب كل واحد منهم بدينار وفروة . فتحصّل منهم أكثر مما أُعطى الأولون .

واتفق أن البساسيرى[1] أحد مماليك الأتراك البغدادية انحرف عن القائم خليفة بغداد وعن وزيره ، فسعى فى فساد الدولة وكتب للمستنصر بطاعته .
ولم يزل يسعى فى أن يخطب له ببغداد[2] حتى خطب له وأخرج القائم منها ، وسجنه فى عانة[3] (بجزيرة بالفرات) . وبطلت الدعوة العباسية[4] ، وهذا شىء لم يتفق فيها قط منذ بنيت . وصارت الموصل[5] وما خلفها إلى الديار المصرية فى طاعة المستنصر ، وكذلك العراق واليمن والحجاز وعمان وغير ذلك .

١٢٣ و / ٣

ووصل / إلى المستنصر الحسن بن صباح[6] القائم بدعوة الإسماعيلية النزارية فى زى تاجر . فكلمه فى إقامة الدعوة له فى بلاد العجم فأذن له فى ذلك سرا .
فأظهرها ابن صباح واستولى باسمه على القلاع والبلاد . وقال للمستنصر :

---

(١) الأمير المظفر أبو الحارث أرسلان بن عبد الله ، اتصل ببهاء الدولة البويهى فقدمه حتى صار من كبار القواد . وقع بينه وبين الوزير على بن المسلمة خلاف ، جعله يتصل بالمستنصر ويدعو له حتى استولى على بغداد باسمه فى ٤٥٠ ولكن السلطان طغرلبك هزمه وقضى على حركته وقتله وأعاد الدعوة العباسية فى ٤٥١ .

(٢) على خط عرض ٢٠َ ٣٣° شمالا ، وطول ٢٦َ ٤٤° شرقا .

(٣) عانة : من مدن العراق على الفرات بين الرقة وهيت ، وهى على خط عرض ٢٩َ ٣٤° شمالا ، وطول ٥٧َ ٤١° شرقا .

(٤) الأصل : الإسماعيلية . وهى هفوة قلم .

(٥) الموصل : على خط عرض ٢١َ ٣٦° شمالا ، وطول ٨َ ٤٣° شرقا .

(٦) كان داهية شجاعا ، استولى على قلعة الموت بفارس فى ٤٨٣ ، واستمر بها إلى أن مات فى ٥١٨ .
وقدم إلى مصر فى ٤٧٩ .

« من إمامى بعدك ؟ » فقال : « ابنى نزار » . وهو أكبر أولاده . فخطب له وقام بدعوته . فلما مات المستنصر ، عدل الأفضل الوزير عن إقامة الدعوة لنزار وأقامها لأخيه المستعلى[١] . وثار نزار بالإسكندرية وبايعه أهلها وسموه « المصطفى لدين الله » . فخطب لنفسه ولعن الأفضل . وتجهز الأفضل له فحصره بالإسكندرية . وحصل فى يده وجاء به أسيرا إلى المستعلى . فبنى عليه حائطا فمات . واحتال ابن صباح فى وصول بعض أولاد نزار إليه فوصل وأقام دعوته[٢] . ومن ولده الآن الخلفاء الذين بألموت / . ولم يزالوا يحتالون فى قتل الأفضل حتى بعثوا له من جلس له فى دكان خياط يخيط فى جملة الخياطين نحو سنة إلى أن وجد منه غرة فقتله :

١٣٢ظ
٣

(١) كان المستعلى ابن أخت الأفضل ، فكان ذلك أحد أسباب تفضيله على نزار ، الذى كان يخاصمه ، وقد أدى هذا التفضيل إلى انقسام الدعوة الفاطمية إلى قسمين : نزارية ومستعلية .

(٢) قيل إنه محمد بن نزار (ابن القلانسى ١٢٩) .

المستعلى بالله

أبو القاسم أحمد بن المستنصر

من كتاب الروحى : ولد فى العشرين من المحرم[1] سنة سبع وستين وأربعمائة[2] وبويع له حين مات أبوه . وتوفى فى صفر سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وله من العمر ثمان وعشرون سنة[3] . فكانت مدته سبع سنين[4] . والأفضل وزيره إلى أن توفى . وكان منه مع أخيه نزار ما تقدم ذكره فى ترجمة أبيهما المستنصر ، فلا حاجة لإعادته . ومنـــه افترقت النزارية من المستعاوية[5] ، فالنزارية يقولون بنص المستنصر على خلافة ابنه نزار وأن الإمامة فى ولده بالموت بالنص متوارثة ، والمستعلوية يقولون / بإمامة المستعلى ومن بعده من خلفاء مصر .

١٢٤ ر
٣

(١) الدوادارى ٤٤٣ : ذى الحجة . (٢) ابن ميسر ٤٠ وابن القلانسى ١٤١ : ثمان وستين . وابن خلكان ١ : ٥٨ : تسع وستين . وأعتقد أنها محرفة عن سبع .

(٣) ابن القلانسى ١٤١ وابن تغرى بردى ٥ : ١٥٣ : سبع وعشرون . والخطط ١ : ٣٥٦ : سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما . والعبر ٣ : ٣٤١ : تسع وعشرون سنة . وأخطأ الدوادارى فى ٤٤٣ إذ جعل عمره سبع عشرة سنة ، فقد عاد فى ٤٥٣ وجعل عمره « سبعا وعشرين سنة وشهرين وأحد عشر يوما ، وقيل وشهرين غير يوم واحد ، وهو الصحيح » .

(٤) ابن ميسر ٤٠ وابن القلانسى ١٤١ وابن الوردى ٢ : ١٣ والخطـط ١ : ٣٥٦ وابن الأثير ٨ : ٢٠٥ وأبوالفدا ٢ : ٢٢٥ : سبع سنين وشهرين أو قريبا منهما ، والدوادارى ٤٥٤ : سبع سنين وشهر واحد وعشرين يوما . والنجوم ٥ : ١٥٣ : سبع سنين وشهرين وأياما . والعبر ٣ : ٣٤١ : ثمان سنين .

(٥) كذا فى الأصل ، نسبة إلى المستعلى . وهو خطأ صرفى ، صحته المستعلية . قال الرضى فى شرح الشافية ٢ : ٤٥ : « وأما الياء المكسور ما قبلها – إذا كانت خامسة فصاعدا – فلا كلام فى حذفها ، نحو مستقّ ومستسقّ ، إذ الألف مع خفتها تحذف وجوبا فى هذا المقام » .

الآمر بأحكام الله

أبو على المنصور بن المستعلى

من كتاب الروحى : مولده يوم الثلاثاء الثالث عشر من المحرم سنة تسعين وأربعمائة . بويع له فى اليوم الذى مات فيه أبوه ، وهو طفل له من العمر خمس سنين [(١)] . فقام بدولته الأفضل وزير أبيه أحسن قيام . وحسنت حال الرعية فى أيامه . ولما اشتد الآمر قتل الأفضل أبا القاسم شاهنشاه المذكور فى آخر يوم من رمضان [(٢)] سنة خمس عشرة وخمسمائة . وكانت وزارته واستيلاؤه على أمر مصر ثمانيا وعشرين سنة وستة أشهر وأياما [(٣)] . واستوزر الآمر أباعبد الله محمد بن فاتك البطائحى [(٤)] ولقبه بالمأمون . فاستولى عليه وأساء السيرة . فقتله الآمر فى شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة [(٥)] وقتل معه خمسة / إخوة .

١٢٤ظ
٣

(١) ابن ميسر ٤٠ وأبو الفدا ٢ : ٢٢٥ وابن الوردى ٢ : ١٣ والخطط ١ : ٣٥٧ : خمس سنين وشهرا وأياما . ابن الأثير ٨ : ٢٠٥ : خمس سنين وشهر وأربعة أيام . الدوادارى ٤٦١ والخطط أيضا ٢ : ٢٩٠ : خمس سنين وأشهر وأيام .

(٢) شذ ابن الأثير ٨ : ٣٠٣ فذكر أنه قتل فى الثالث والعشرين من رمضان .

(٣) الدوادارى ٤٨٧ : وأحد عشر يوما .

(٤) أكبر رجال الأفضل وقواده ، واتهم بالاشتراك فى مقتله ، وكوفىء بالوزارة ، غير أنه لم يهنأ بها ، فسرعان ما اعتقل ثم قتل هو وجماعة من أسرته .

(٥) ذكر ابن ميسر ٦٩ ، ٧١ وابن القلانسى ٢١٢ والخطط ٢ : ٢٩١ والنجوم ٥ : ١٧٠ ، ٢٢٩ أن الآمر اعتقلهم فقط فى هذه السنة ثم قتلهم فى ٥٢٢ .

وفى أيام الآمر ووزارة المأمون ، أخذ الفرنج مدينة صور سنة ثمان عشرة[(١)] فاستقامت حال الآمر بعد قتل البطائحى وذويه . وبقى دون وزير يدبر ملكه إلى أن خرج من القاهرة صبيحة يوم الثلاثاء الثالث[(٢)] من ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة . فنزل إلى مصر وعبر على الجسر إلى الجزيرة[(٣)] فكمن له قوم مسلحون تواعدوا على قتله . فلما مر بهم وثبوا عليه فاغتالوه . فحمل فى النيل فى زورق فلم يمت . فأدخل إلى القاهرة وجىء به إلى القصر فمات من ليلته وله من العمر أربع وثلاثون سنة[(٤)] . وكانت خلافته تسعا وعشرين سنة[(٥)] . ولم يعقب .

ومن تاريخ القرطى : كان الأفضل قد تجبر فى مصر مع عدل كان فيه إلا أنه صار لا يلتفت إلى أحد ، ولا يخاف من أحد ، وقدر أن الدنيا تحت أخمصه ، ولا سيما حين عقد الأمر للآمر وهو صغير محجور عليه فى قصره .

---

(١) أخطأ ابن تغرى بردى فنسب إلى ابن القلانسى أنه ذكر أن ذلك كان فى ٥١٩ . وصور : جنوب صيدا من موانى لبنان ، على خط عرض ١٦َ ٣٣° شمالا ، وطول ٢٢َ ٣٥° شرقا .

(٢) ابن الأثير ٨ : ٣٣١ وابن القلانسى ٢٢٨ : الثانى . والخطط ٢ : ٢٩١ : الرابع عشر . وابن ميسر ٧٢ : الثانى أو الثانى عشر أو الثالث عشر .

(٣) جزيرة الروضة .

(٤) ابن ميسر ٧٢ والخطط ٢ : ٢٩١ والنجوم ٥ : ١٧٣ : أربعة وثلاثين سنة وتسعة أشهر وعشرين يوما . والدوادارى ٥٠٥ : أفلاق أربعين سنة .

(٥) اختلفت الأقوال اختلافا كبيرا فى مدة خلافته . فقال ابن القلانسى ٢٢٨ : أربعا وعشرين سنة . ووهم ابن تغرى ٥ : ١٧٣ قول مرآة الزمان : أربعا وعشرين سنة وشهرا . وقال الدوادارى ٥٠٥ : أربعا وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصفا ، أو ثمانيا وعشرين سنة . وابن الأثير ٨ : ٣٣٢ : تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر . وأبو الفدا ٣ : ٤ وابن الوردى ٢ : ٣٥ : تسعا وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصفا . وابن ميسر ٧٢ والخطط ٢ : ٢٩١ : تسعا وعشرين سنة وثمانية أشهر ونصفا . والعبر ٤ : ٦٣ : ثلاثين سنة .

١٢٥ ر / ٣

فكان هو الخليفة فى الظاهر / ، والآمر ليس له من الأمر شىء . فما زال الآمر يشتد ويشتد حنقه على الأفضل إلى أن سطا به ودس عليه من قتله ، وقتل المأمون بعده ، الذى أراد أن يحاكى الأفضل فى استيلائه . وعظم أمر الآمر واستغنى عن وزير ومدبر . وولع بالفرجة فى الجزيرة التى أمام الفسطاط . وبنى فيها لامرأته البدوية التى هام فى حبها الموضع المعروف بالهودج [1] ، وكان كثيرا ما يتردد إليه . فكمن له قوم من النزارية قتلوه عند عبوره إلى الجزيرة .

وكان سمحا بالمـــال . وكان أسود اللون .

ومن الكامل لابن الأثير [2] : « لم يكن فيمن تسمى بالخلافة قط أصغر منه ومن المستنصر ، وكان المستنصر أكبر منه . ولم يقدر يركب وحده على الفرس لصغر سنه وقام بدولته الأفضل ابن أمير الجيوش أحسن قيام » .

وذكر [3] أن الباطنية النزارية قتلت الأفضل . وقيل إن الآمر وضع من قتله .

١٢٥ ظ / ٣

وذكر [4] أن الآمر كان / سيئ السيرة فى رعيته .

---

(١) انظر القصة فى الخطط ١ : ٤٨٥ .

(٢) الكامل ٨ : ٢٠٥ .

(٣) الكامل ٨ : ٣٠٣ .

(٤) الكامل ٨ : ٣٢٢ .

الحافظ لدين الله

أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير أبى القاسم محمد بن الخليفة المستنصر

من كتاب الروحى : بويع له بولاية العهد[1] فى اليوم الذى مات فيه الآمر ولم يكن منهم مذ قام المهدى من أبوه غير خليفة إلا الحافظ والعاضد .

ووزر له أبو على أحمد بن الأفضل ويلقب بالأفضل[2] . ثم استولى على السلطان فأخذ الحافظ وحبسه . وأسقط ذكره عن المنابر ، وخطب لأئمة الإمامية[3] والمنتظر محمد المهدى ، وأسقط ذكر آل إسماعيل من الخطبة. وأمر المؤذنين أن يسقطوا من الأذان « محمد وعلى خير البشر[4] » وأن تعنون الكتب عنه إلى سائر الأقطار ، ويدعى له على المنابر . وكان جوادا / يسمع الشعر

١٢٦ و
٣

(١) يريد الوصاية على الخلافة حتى يتبين حمل إحدى زوجات الآمر ، فيما يقول المؤرخون ، وإن كان هناك من أثبت أن الآمر قد أنجب ابنا دعى الطيب ، فكانت تنحيته سببا فى انقسام الدعوة الإسماعيلية المستعلية إلى حافظية وطيبية . (الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ١ : ٢٢) .

(٢) كذا فى الأصل ، والأدق أن يقال : ويلقب بالأكمل ، لأنه اللقب الذى اختص به أبو على أما الأفضل فأطلق على جميع الوزراء بعد شاهنشاه بن بدر الجمالى .

(٣) فى العبر ٤ : ٦٨ والنجوم ٥ : ٢٣٩ أنه كان سنيا ، وذلك خطأ .

(٤) الذى ذكره المؤرخون أنه أسقط : " حى على خير العمل "

ويثيب عليه ، حظى عنده ظافر الحداد الإسكندراني[(١)] ونال منه أسنى مرتبة .
ولم يزل منهلا للواردين ونجعة للقاصدين إلى أن قتل في محرم سنة ست
وعشرين وخمسمائة[(٢)] .....

ثم رجع الأمر إلى الحافظ ودعي له على المنابر . واستوزر يانسا أبا الفتح[(٣)] .

وولى ابنه حسنا العهد فاستبد دون أبيه بتنفيذ الأمور . وأحبه الجند
فسمه أبوه فمات[(٤)] .

ثم وزر له أبو المظفر بهرام الملقب بتاج الملوك . ثم هرب إلى الصعيد
فأُحدر وقتل[(٥)] .

ووزر له أبو الفتح رضوان وتلقب بالأفضل . ثم جرت له أمور منها أنه
أخرج إلى الشام وعاد إلى القاهرة . فقَتل فيها وقَتل من أمرائها وعاد إلى الشام
فلم يزل الحافظ ينفذ إليه من أمنه حتى جيء به إليه فسجنه في قصره . فأقام
مدة ثم نقب القصر وخرج . فقُبض عليه وقتل[(٦)] .

---

(١) أبو منصور ظافر بن القاسم الجذامي ، المتوفى ٥٢٩ ، مدح الأفضل وابنه ، والآمر والحافظ ، وبعض كبار المصريين ، وأجمل شعره في الحنين إلى الإسكندرية .

(٢) أخطأ الدواداري ٥٠٧ في قوله إنه شغل الوزارة ثماني سنوات . وعرف الرجل بالعدل والحزم كأبيه .

(٣) أحد مماليك الأفضل الجمالي وقواده ، وكان عظيم الهيبة بعيد الغور ، تتبع المتهمين بقتل الأفضل فقتل منهم جماعة ، ثم وقعت خصومة بينه وبين الحافظ أدت إلى أن سمه قبل أن يحول عليه الحول في الوزارة . وكذا أورد المؤلف اسمه ، وحقه أن يمنعه من الصرف .

(٤) أوجز المؤلف أخبار الحسن بحيث أخل بها . وقد أفاض ابن ميسر ٧٦ وغيره فيها ، وكانت وفاته عند الأكثرين في ٥٢٩ ، وعند الدواداري ٥١٥ وابن تغري بردي ٥ : ٢٥٣ في ٥٢٨ .

(٥) كان أرمنيا مسيحيا ، ترك الوزارة في ٥٣١ بعد أن بقي فيها سنة . ولما عاد من الصعيد بقي في القصر إلى أن مات في ٥٣٥ . (ابن ميسر ٧٨ – ٨٤) .

(٦) هو رضوان بن ولخشي ، وزر في ٥٣١ ، وفر إلى الشام في ٥٣٣ ، وعاد في ٥٣٤ ، وقتل في ٥٤٢ أو ٥٤٣ وقيل إنه أول من لقب الملك من وزراء مصر ، ووصف بالشجاعة وعلو الهمة .

١٢٦ ظ
٣

فلم يستوزر الحافظ بعده وزيرا . وحسنت حال الرعية على يد / الحافظ إلى أن مات فى جمادي الآخرة[١] سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة[٢] .

ومن الكامل لابن الأثير[٣] : وقتل الأفضل أبا على غلمانُ الحافظ بالميدان ، وهو يلعب بالكرة . ونهب الناس من داره مالا يحصى . وركب إليها الحافظ ، فأخذ ما بقى وحمله إلى القصر . وبويع يومئذ بالخلافة .

وكانت خلافة الحافظ عشرين سنة إلا خمسة أشهر[٤] ، وعمره سبعا وسبعين سنة . ولم يزل فى جميعها محكوما عليه من وزرائه وابنه .

---

(١) العبر ٤ : ١٢٢ : جمادى الأولى .

(٢) يكاد المؤرخون يتفقون على أنه مات فى ٥٤٤ ، وأورد ابن خلكان ١ : ٣٠٩ الخلاف فى وفاته ومولده فقال : وتوفى آخر ليلة الأحد لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وقيل ثلاث وأربعين وخمسمائة ... وكان مولده بعسقلان فى المحرم من سنة سبع وستين وأربعمائة وقيل سنة ست وستين وقيل إنه ولد فى الثالث عشر وقيل الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثمان وستين ..

(٣) ٨ : ٣٣٥ ، وتصرف المؤلف فى نقله .

(٤) اختلف فى مدة خلافته نظرا إلى وصايته مدة فجعلها ابن القلانسى ٣٠٨ : ثمانى عشرة سنة وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوما . وابن الأثير ٩ : ٢٤ وأبو الفدا ٣ : ٢٢ وابن الوردى ٢ : ٤٨ : عشرين سنة إلا خمسة أشهر .

الظافر بأمر الله

أبو المنصور إسماعيل[1] بن الحافظ

من كتاب الروحي : بويع له في اليوم الذي توفي فيه أبوه . ووزر لـه العادل[2] ، وقُتل العادل المذكور غيلة . فوزر له عباس بن أبي الفتوح بن يحيي ابن تميم بن المعز الصنهاجي[3] وتلقب بالأفضل . وقتل الظافر / ابنُ وزيره عباس في نصف المحرم[4] سنة تسع وأربعين وخمسمائة . وكانت خلافته خمس سنين وستة أشهر وأياما[5] .

١٢٧ ر
٣

---

(١) وهم ابن تغرى بردى ٥ : ٢٨٨ تسمية سبط ابن الجوزى له : يوسف .

(٢) هو الأمير المظفر سيف الدين أبو الحسن على بن السلار الكردى ، ولى الصعيد والإسكندرية ، وعندما مات الحافظ وتولى الظافر ، حاز الوزاة فى رجب نجم الدين أبو الفتح سليم بن محمد بن مصال ، الذى أهمله المؤلف . فشغب عليه العادل وهزمه وانتزع منه الوزارة فى شعبان ٥٤٤ ، واستمر إلى أن قتله ابن ربيبه نصر بن عباس فى ٥٤٨ . وكان سنيا شافعيا غير أنه وصف بالظلم .

(٣) جاءت به أمه بلارة صغيرا ، فتزوجها العادل ، وأشرف على تربيته ، إلى أن صار والى الشرقية . وحاز الوزارة عندما قتل ابنه العادل . ثم قتله الصليبيون عند فراره من مصر من طلائع بن رزيك .

(٤) انفرد ابن القلانسى ٣٢٩ بأن مقتله كان فى آخر صفر .

(٥) العبر ٤ : ١٣٦ : خمس سنين . الدوادارى ٥٥٧ ، ٥٦٥ : أربع سنين وثمانية أشهر . الخطط ١ : ٣٥٧ ، ٢ : ٣٠ : أربع سنين وثمانية أشهر تنقص خمسة أيام . النجوم ٥ : ٢٩٧ : أربع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام .

ومن الكامل لابن الأثير[(١)] : وولى الحافظ ابنه الظافر فجاء العادل بن سلار من الإسكندرية فاستولى على وزارته ولم يكن للخليفة معه حكم . وكان ربيب العادل عباس بن أبي الفتوح بن يحيي بن تميم بن المعز الصنهاجي قد حظى عند العادل . فوضع على العادل من قتله واستولى على الوزارة ، وكان حازما جلدا . ومع هذا ففى أيام وزارته للظافر أخذ الفرنج عسقلان[(٢)] وظهر وَهْن الدولة بذلك .

قال : وفى سنة تسع وأربعين قتل عباس الوزير الظافر صاحب مصر[(٣)]، وقد اتهمه بأنه يأتى ابنه نصرا . وكان الظافر يحب نصرا وينادمه ، ولا يكاد يستغنى عنه . وكان نصر قد استدعى الظافر بمواطأة أبيه عباس إلى داره ليلا فى نفر يسير . فلما / دخل الدار قتله وقتل من معه . وأفلت خادم صغير عُرِف منه الخبر . وبكر عباس إلى القصر وطلب الاجتماع مع الخليفة وأظهر أن أحد خدمه اغتاله . واستعرض أهل القصر . وقتل أخوين للظافر[(٤)]. وأجلس الفائز ابن الظافر ثانى اليوم الذى قتل فيه أباه ، وله من العمر خمس سنين[(٥)] . فحمله عباس على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايع له الناس . وأخذ عباس من القصر من ذخائر الملك ما أراد . ولم يترك إلا مالا خير فيه .

١٢٧ ظ
٣

---

(١) ٩ : ٢٤ . وتصرف المؤلف فى النقل .

(٢) فى ٥٤٨ . وكانت عسقلان شمالى غزة ، على خط عرض ٤٠َ ٣١° شمالا ، وطول ٣٣َ ٣٤° شرقا .

(٣) وكان عمره قريبا من ٢٢ سنة ، إذ ولد فى ٥٢٧ . وأورد ابن القلانسى ٣٢٩ رواية انفرد بها عن مقتل الظافر .

(٤) هما أبو الأمانة جبريل وأبو الحجاج يوسف .

(٥) الدوادارى ٥٦٦ : أربع سنوات وعشرة أشهر . ابن القلانسى ٣٢٩ : يناهز ثلاث سنوات . الوفيات ١ ، ٣٩٥ ، والنجوم ٥ : ٣٠٨ عن تاريخ الإسلام للذهبى : تقدير عمره خمس سنين وقيل سنتان .

ولم يتم الأمر لعباس ، بل اختلفت عليه الكلمة . واستنصر نساء القصر بالملك الصالح طلائع بن رزيك[1] ووجهوا له شعورهن طى الكتب ، وكان واليا على مُنْية ابن الخصيب[2] ، وكانت فيه شهامة . فسار إلى القاهرة وفر أمامه عباس بالذخائر التى لا تحصى إلى الشام . فأخذه الفرنج فى الطريق واستولوا على ما معه / وقتلوه . ودخل طلائع القاهرة بأعلام سود وثياب سود حزنا على الظافر ، والشعور التى أرسلت إليه من القصر على رؤوس الرماح . وكان هذا من الفأل العجيب ، فإن الأعلام العباسية السود دخلتها وأزالت الأعلام العلوية البيض بعد خمس عشرة سنة . واستمر الصالح فى الوزارة .

١٢٨ و
٣

وأرسل إلى الفرنج فى نصر بن عباس المذكور ، وبذل لهم فيه مالا فوجهوه . فلما رأى القاهرة أنشد[3] :

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر

فقتله الصالح وصلبه على باب زويلة . واستقصى الصالح البيوت الكبار والأعيان بالديار المصرية فأهلك وسلب الأموال ونفى .

---

(١) أبو الغارات الملك الصالح الأرمنى ، ولد فى ٤٩٥ ، وولى الوزارة فى ٥٤٩ ، وقتل فى ٥٥٦ . وكان شجاعا ممدحا شاعرا له ديوان .

(٢) هى المنيا الآن ، فى صعيد مصر ، على خط عرض ٦َ ٢٨° شمالا ، وطول ٤٥َ ٣٠° شرقا .

(٣) ينسب الشعر لعمرو بن الحارث بن عمرو بن مضاض الأصغر الجرهمى (معجم البلدان لياقوت ٤ : ٦٢٣) .

الفائز بنصر الله

أبو القاسم عيسى بن الظافر

١٢٨ظ
٣

من كتاب الروحى : بويع له بعد وفاة أبيه . ووزر له عباس / قاتل أبيه ثم طلائع بن رزيك . ومات الفائز فى سنة خمس وخمسين وخمسمائة . فكانت خلافته ست سنين وأشهرا[1] .

---

(١) ابن الأثير ٩ : ٩٨ وأبو الفدا ٣ : ٣٩ وابن الوردى ٢ : ٦٢ : ست سنين ونحو شهرين . الخطط ١ : ٣٥٧ : ست سنين وخمسة أشهر وأيام . الدوادارى ٥٦٦ والنجوم ٥ : ٣٠٦ : ست سنين وستة أشهر وسبعة عشر يوما . وكان مولده فى ٥٤٤ .

العاضد لدين الله

أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الخليفة الحافظ

من كتاب الروحى : بويع له سنة خمس ، وهو إذ ذاك طفل . وقام بأمره طلائع بن رزيك إلى أن قتل طلائع فى دهليز قصره . فاستوزر رزيك ابن طلائع بن رزيك (١) ، ولقبه بالعادل إلى أن قتلته العرب بالقرب من القاهرة وقد حاربه وأخرجه منها شاور (٢) .

فاستوزر العاضد شاور المنعوت بأمير الجيوش واستصفى أموال بنى رزيك وثار عليه ضرغام (٣) وتلقب بالمنصور .

(١) محيى الدين أبو شجاع ، أوصاه أبوه ألا يقلق شاورا ، ولكنه عصى وصيته وعزله عن الصعيد . فهرب شاور إلى الواحات ، وأتى إلى القاهرة ، فاستولى عليها ، واعتقل رزيك ثم قتله فى ٥٥٨ . ومدحه بعض المؤرخين .

(٢) أبو شجاع شاور بن مجير السعدى ، والى الصعيد الذى ثار على رزيك وقتله ، وتولى الوزارة فى ٥٥٨ . ولكنه لم يهنأ بها ، وكان شجاعا خبيثا سفاكا للدماء .

(٣) أبو الأشبال ضرغام بن عامر بن سوار اللخمى ، كبير أمراء البرقية الذين أنشأهم رزيك . ولى باب شاور ، ثم خرج عليه واستولى على الوزارة فى رمضان ٥٥٨ غير أنه قتل فى رمضان ٥٥٩ .

١٢٩ ر / ٣

ثم جاء شاور من دمشق وصحبته الأسفهسلار (١) أسد الدين شيركوه / بن شاذى فجرت بينهم وبين همام بن سوار أخى الضرغام الملقب بناصر المسلمين ببلبيس وقعة انهزموا فيها إلى القاهرة . وقتل ضرغام وقتل معه ثلاثة إخوة ؛

ووزر شاور الوزارة الثانية وجرت له مع شيركوه أمور وحروب وذلك أن شاور لما ظفر بضرغام ، دخل القاهرة مع شيركوه ، فنكث ما كان بينه وبينه من العهود وما كانا اتفقا عليه . فأنفذ شاور إلى ملك الروم (٢) بالشام مستنصرا . فجاءه الملك مرى (٣) لعنه الله فى خلق كثير . فتحصن شيركوه ببلبيس هو وعسكره . فاجتمع شاور وعساكره مع ملك الروم واتفقا عليه : فوقع بينهما وقائع كثيرة . وعملت الإفرنج برجا عظيما . وكان شيركوه فى القبضة فأعانه الله ونصره ، وخرج منها سالما منصورا ، ومعه أسارى عدة من جماتهم أخو شاور الوزير / . فقطع عليه واحدا وخمسين ألف دينار . وحصل فى دمشق بالسلامة .

١٢٩ ظ / ٣

ثم بعد ذلك لم يعلم به حتى وصل إلى إطفيح (٤) وعدى إلى الجيزة . فأقام بها مدة إلى أن أنفذ الوزير المذكور إلى الملك مرى الأفرنجى . واستنصر به وبذل له من الأموال ما لا عدد لها ، فوافاه بخيله ورجله . وجرت بينهم وقائع ثم عدوا إليه فاندفع طالبا الصعيد ، فلحق بأعمال منية ابن خصيب . فوقعت

(١) لقب مكون من كلمتين : اسفه الفارسية ومعناها المقدم ، وسلار التركية ومعناها العسكر ، وكان حامل هذا اللقب إليه أمر الأجناد والتحدث فيهم ، ويلى صاحب الباب فى مرتبته (القلقشندى ٣ : ٤٨٣) .

(٢) كذا فى الأصل ، والأصح أن يقول الفرنج ، إذ أنه يريد الصليبيين .

(٣) يسميه الانجليز Amalric 1st. والفرنسيون Ammauri ، وهو ملك القدس .

(٤) اطفيح : إحدى قرى مركز الصف من محافظة الجيزة شرق النيل ، على خط عرض ٢٥ َ ٢٩° شمالا ، وطول ١٥ َ ٣١° شرقا .

بينهما وقعة عظيمة كانت أول النهار لشاور والفرنج . ونصر الله شيركوه آخر النهار وكسرهم جميعا . وأخذ صاحب قيسارية[1] أسيرا وجماعة من أصحابه وعاد شاور والملك إلى القاهرة مهزومين .

وسار شيركوه وعساكره إلى الإسكندرية فأقاما بها مدة يسيرة . فسمع بهم شاور والملك مرى فجيشوا جيوشا عظيمة ودخلوا إلى الإسكندرية فى طلبه . فترك ابن أخيه صلاح الدين يوسف / بن أيوب بالإسكندرية ومعه شرذمة قليلة ، فأصعد هو وعساكره إلى الصعيد . ورحل شاور وملك الروم ومن معهما فنزلوا على الإسكندرية برا وبحرا وسهلا ووعرا ، وقطعوا كروما ونخيلا ، وأقاموا عليها خمسة وسبعين يوما[2] . وأعان الله عليهم ولم ينالوا بحمد الله طائلا . وكان البلد عاريا من الغلال . وكانوا قد عملوا برجا ومنجنيقا ، واستولوا على البلد . فما هو إلا أن وصل أسد الدين شيركوه من الصعيد إلى القاهرة فنزل عليها وحصرها وضيقها . فرأى من كان فيها أن يصالحوه على أن يسلم صاحب قيسارية والأسارى الذين معه ويرتفع عن قتالهم وحصارهم بسبب ابن أخيه صلاح الدين ومن معه . فعاد شاور إلى القاهرة وعاد كل إلى بلده . وأقام شاور بعد ذلك بالقاهرة مدة يسيرة .

١٣٠ ر / ٣

فجاء الملك صاحب الشام والاسبتار[3] فى جمع / عظيم . فنزلوا على بلبيس ففتحوها عنوة وقتلوا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها . فسمع بذلك شاور فنزل

١٣٠ ظ / ٣

---

(١) قيسارية : من مدن فلسطين على ساحل البحر المتوسط جنوب حيفا ، على خط عرض ٣٠َ ٣٢° شمالا ، وطول ٥٤َ ٣٤° شرقا .

(٢) أبو الفدا ٣ : ٤٦ وابن الوردى ٢ : ٧٢ : ثلاثة أشهر . العبر ٤ : ١٧٦ والنجوم ٥ : ٣٣٩ : أربعة أشهر .

(٣) الاسبتار : طائفة من الفرسان ، أخذ اسمهم من اللفظ الإنجليزى Hospitallers أو الفرنسى Hospitalliers ، وقد أسس الطائفة جيرارد Gerard Blessed بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس .

إلى مصر فنهبها وأحرقها . وهرب أهلها خوفا على أنفسهم . فوصل الملك المذكور وجيوشه إلى باب القاهرة وعول على فتحها ودخولها . فبذل له مالا جزيلا مقداره مائتا ألف دينار[١] فما قنع بذلك وطلب ألفي كيس . فرأى العاضد ووجوه دولته أن ينفذوا إلى شيركوه مستغيثين به من الفرنج . ففتح الله عليه وجيش من دمشق بمساعدة السلطان نور الدين محمود بن زنكي[٢] . فما علم به حتى وصل إلى القاهرة . فارتحل الفرنج إلى بلادهم لا يلوون على شيء . وأن شيركوه خلع عليه العاضد وضيفه ضيافة تامة ، وكان نازلا بظاهر القاهرة فخرج إليه الوزير شاور مسلما عليه . فأوقع به صلاح الدين فقتله يوم السبت للنصف من جمادى الأولى[٣] سنة أربع وستين وخمسمائة . وأخذ / ابني شاور الكامل والمعظم وأخاه فارس المسلمين ، فقتلوا ودير برؤوسهم .

١٣١ و
٣

ووزر شيركوه وتوفى بالقاهرة يوم الأحد الثالث والعشرين[٤] من رجب في هذه السنة . فكانت مدة وزارته ستين يوما[٥] . وولى بعده ابن أخيه صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب في التاريخ المذكور .

وفي سنة سبع وستين وخمسمائة خطب للمستضيء[٦] بنور الله العباسي وتوفى العاضد[٧] .

---

(١) أبو الفدا ٣ : ٤٧ والنجوم ٥ : ٣٥٠ : مائة ألف ، الكامل ٩ : ١٠٠ وابن الوردى ٢ : ٧٤ والعبر ٤ : ١٨٤ : ألف ألف .

(٢) ولد في ٥١١ وملك حلب في ٥٤١ ودمشق في ٥٤٩ ثم معظم مدن الشام ، وخضعت له مصر ، ومات في ٥٦٩ . وكان الأمير الذى رفع علم الجهاد ضد الصليبيين ، ولقى الثناء من كل المؤرخين .

(٣) يكاد المؤرخون يجمعون أن ذلك كان في ربيع الآخر .

(٤) أكثر المؤرخين على أن الوفاة كانت في الثانى والعشرين . وفي النجوم ٥ : ٣٨٩ : الثانى عشر أو الثالث عشر من جمادى الآخرة .

(٥) الكامل ٩ : ١٠١ وأبو الفدا ٣ : ٤٩ وابن الوردى ٢ : ٧٥ : شهرين وخمسة أيام .

(٦) أبو محمد الحسن بن يوسف ، ولى من ٥٦٦ إلى ٥٧٥ .

(٧) اختلف المؤرخون في مولده . فقال النجوم ٥ : ٣٣٤ : أربعين وخمسمائة . وفيه : أربع وأربعين . وفيه أيضا : سبع وأربعين . وفي النجوم ٥ : ٣٣٨ والخطط ١ : ٣٥٧ : ست وأربعين .

ومن الكامل لابن الأثير[1]: كانت الخطبة للخلفاء العباسيين بالديار المصرية فى ثانى جمعة من المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة، وقُطعت خطبة العاضد. قال: وكان سبب الخطبة العباسية بمصر إلحاح نور الدين محمود بن زنكى فى ذلك على صلاح الدين. وكان صلاح الدين يريد إبقاء الدعوة العاضدية ليمتنع بها من نور الدين إن أراد الديار المصرية، فأكثر الاعتذار عن قطعها. فلما لم يوسعه / عذرا قطعها. وكان العاضد مريضا فلم يُعلمه أحد، وقالوا: إن استراح فهو يعلم وإن توفى فلا نفجعه بهذه المصيبة. فتوفى ولم يعلم قطع الخطبة يوم عاشوراء. وجلس صلاح الدين للعزاء. واستولى على قصر الخلافة. ونقل أهل العاضد إلى موضع من القصر ووكل بهم من يحفظهم. وأخرج جميع من فيه، وباع، وأعتق، ووهب. وخلا القصر من سكانه.

١٣١ظ / ٣

وكان صلاح الدين يصف العاضد بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه.

وجميع من خطب له منهم بالخلافة أربعة عشر خليفة.

منهم بإفريقية: المهدى، القائم، المنصور، المعز.

ومنهم بمصر: المعز المذكور، فى آخر مدته، العزيز، الحاكم، الظاهر، المستنصر، المستعلى، الآمر، الحافظ، الظافر، الفائز، العاضد. / وجرى فيهم ماجرى فى غيرهم من الخلفاء: السادس مقتول وهو الحاكم والظافر[2]. وجميع مدتهم من حين ظهر المهدى بسجلماسة فى ذى الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين إلى أن توفى العاضد مائتا سنة واثنتان وسبعون سنة وشهر على التقريب.

٨٣و / ٢

(١) ٩ : ١١١.

(٢) كذا وردت العبارة فى الأصل، وهى مختلة، والصواب أن يقول: السادس والثانى عشر مقتولان وهما الحاكم والظافر.

قال : ولمّا خُطب للمستضىء بمصر ضُربت البشائر فى بغداد عشرة أيام وزينت بغداد ، وظهر من الفرح والجذل مالا حد عليه ، وسيرت الخلع لنور الدين وصلاح الدين والأعلام السود .

قال على بن سعيد مكمل هذا الكتاب : ولم أسمع فى ما بُكيت به دولة بعد انقراضها أحسن من قصيدة عمارة بن على اليمنى (١) ، الذى قتله صلاح الدين على ما رامه من رجوع هذه الدولة التى بكاها ومشاركته فى ذلك للذين كاتبوا الفرنج فى الوصول إلى القاهرة . وهى (٢) :

رميتَ يا دهرُ كفَّ المجد بالشللِ	وجيدَه بعد حسنِ الحَلْى بالعَطلِ (٣)
/ سعيتَ فى منهجِ الرأى العثورِ فإن	قدرتَ من عثرات السعي فاستقل (٤)
جدعت مارنك الأقنى فوجهُك لا	ينفكُّ ما بين نقص السيء الخجل (٥)
هدمت قاعدة المعروف عن عجلٍ	سُقيت مُهْلا ، أما تمشى على مهل ؟ (٦)

٨٣ ظ
٢

(١) نجم الدين أبو محمد الحكمى ، الفقيه الشاعر المؤرخ ، ولد بتهامة اليمن ، واستوطن مصر فى ٥٥١ أو ٥٥٢ ، ومدح خلفاءها ووزراءها وكبراءها من الفاطميين والأيوبيين ، واشترك فى مؤامرة إعادة الدولة الفاطمية فقتله صلاح الدين فى ٥٦٩ هـ . وله ديوان كبير .

(٢) من البسيط . وهى فى الروضتين ١ : ٢٢٣ . ومفرج الكروب ١ : ٢١٢ . وتاريخ أبى الفدا ٣ : ٥٧ . وتاريخ ابن الوردى ٢ : ٨٢ . وصبح الأعشى ٣ : ٥٣٠ .

(٣) الروضتين : حلى الحسن .

(٤) الروضتين : فمن قدرت من عثرات البغى . مفرج الكروب : عثرات الدهر .

(٥) غير المغرب : فأنفك . الروضتين : الشين والخجل . المفرج وأبو الفدا والصبح : بين أمر الشين والخجل .

(٦) الصبح : شقيت مهلا ، وهى غير جيدة . والمهل : ما ذاب من نحاس أو حديد ، والزيت أو درديه ، وما يتحات عن الخبزة من الرماد والجمر ، والسم ، والقيح ، وصديد الميت ، وهو شراب أهل النار .

لهفى ولهف بنى الآمال قاطبــة   على فجيعتنا فى أكرم الــدول (١)

قوم عرفتُ بهم كسبَ الألوفِ، ومن   كمالهـا أنها جاءتْ ولم أسَـل

وكنتُ من وزراءِ الدّستِ حيث سما   رأس الحصان بهاديه على الكَفَل (٢)

يا عاذلى فى هوى أبنــاء فاطمة   لك الملامة إن قصّرت عن عــذلى (٣)

بالله زُرْ ساحة القصرين وابك معى   عليهما لا على صــفين والجمل

وقــل لأهليهما: والله ما التحمت   فيكم جروحى ولا قَرْحى بمندمل (٤)

ماذا ترى كانت الإفرنج فاعــلة   فى نسل آلِ أميرِ المؤمنين على ؟

هل كان فى الأمرِ شىء غير قسمة ما   قد مُلِّكوا بين حكم السَّبى والنفل (٥)

مررت بالقصر والأركان خاليــة   من الوفود وكانت قبلة القُبَــل

فملتُ عنها بوجهى خوفَ منتقــد   من الأعادى ووجهُ الود لم يمــل (٦)

أسبلت من أسف دمعى غداة خلت   رحابكم وغدتْ مهجورةَ السبل (٧)

أبكى على مأثراتٍ من مكارمكم   حال الزمان عليها وهى لم تحُــل (٨)

/دار الضيافة كانت أنس وافدكم   واليوم أوحشُ من رسمٍ ومن طلل (٩)

٨٤ ب
٢

---

(١) المفرج وأبو الفدا وابن الوردى والصبح : على بجيعتها .

(٢) الدست : البلاط . والهادى : العنق . والكفل : العجز .

(٣) أبو الفدا : أقصرت . الصبح : فى عذلى .

(٤) الروضتين وأبو الفدا وابن الوردى : لأ هلهما . الروضتين : قروحى ولا جرحى . أبو الفدا : لا التحمت .

(٥) الديوان والروضة والصبح : ما ملكتم .

(٦) المفرج : بوجه .

(٧) المفرج : أسفى .

(٨) الديوان والروضتين : على ما تراءات . وهى تحريف .

(٩) دار الضيافة : هى دار برجوان بالحارة التى تنسب إليه بالخرنشف ، جعلها الأفضل الجمالى — بعد موت أخيه المظفر الذى كان يسكنها — دار ضيافة للرسل الواردين من الملوك . واستمرت كذلك إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فأنزل بها صلاح الدين أولاد العاضد — الخطط ١ : ٤٦١ .

وفطرة الصوم إن أصغتْ مكارمكم ... تشكو من الدهر حَيْفا غير محتمل [١]

وكسوة الناس فى الفصلين قد درستْ ... ورثّ منها جديدٌ عنـدهم وبلى [٢]

وموسم كان فى كسر الخليج لكم ... يأتى تجمّلكم فيـه على الجُمل [٣]

وأول العـام والعيدان كان لكم ... فيهن من وبل جود ليس بالوَشل [٤]

والأرض تهتز فى عيد الغدير لمـا ... يهتز ما بين قصريكم من الأسَل [٥]

والخيل تعرض من وشى ومن شية ... مثل العرائس فى حَلْى وفى حلل [٦]

وما خصصتم ببر أهـل ملتكم ... حتى عممتم بـه الأقصى من الملل [٧]

---

(١) الصبح : إذا أضحت مكارمكم . وانظر فطرة الصوم عند الفاطميين فى الخطط ١ : ٤٢٥ .

(٢) الديوان والروضتين والمفرج : جديد عنهم . ويشير عمارة هنا إلى احتفال الفاطميين بالكسوة فى فصلى الشتاء والصيف — الخطط ١ : ٤٩٠ ، ٤٩٢ .

(٣) الديوان والمفرج والصبح : يوم الخليج . وانظر احتفال الفاطميين بكسر الخليج فى الخطط ١ : ٤٧٠ ، ٤٩٣ .

(٤) الديوان والمفرج والصبح : والعيدين كم لكم . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والوشل : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره . وانظر الاحتفال بأول العام والعيدين فى الخطط ١ : ٣٨٧ — ٣٨٨ ، ٤٤٥ ، ٤٥١ ، ٤٩٠ ، ٤٩٢ .

(٥) الروضتين : بما تهتز . الديوان والمفرج : كما يهتز . والصبح : يوم الغدير كما . والأسل : الرماح . والغدير : هو غدير خم ، على ميلين أو ثلاثة من الجحفة ، أحد منازل الحاج بين مكة والمدينة . يعتقد الشيعة أن النبى صلى الله عليه وسلم نص فيه على إمامة على بن أبى طالب بعده . واتخذوا من ذلك عيدا احتفلوا به فى ١٨ من ذى الحجة . وانظر احتفال الفاطميين به فى الخطط ١ : ٣٨٨ ، ٤٩٢ .

(٦) الديوان والمفرج والصبح : فى وشى وفى شية .

(٧) الصبح : أهل مملكة .

من كتاب نقش الأساطين

فى حلى تراجم السلاطين

نذكر فى القاهرة من ملك جميع الديار المصرية من اتخذها سريرا . وأول من بناها وملك جميع الديار المصرية جوهر المغربى ، فنذكر ترجمته . وأول من ملك سلطنتها بعد انقراض الخلافة منها السلطان الأعظم صلاح الدين ، فنذكر ترجمته . ثم تراجم الذين / اتخذوها سريرا من بعده من بنى أيوب إلى أن بنى السلطان الكامل بن العادل بن أيوب قلعة الجبل ؛ فانتقل سرير السلطنة عنها ، على ما ستقف عليه .

٨٤ظ / ٢

جوهر المعـزى

من كتاب القرطى : أنه رومى الأصل نشأ بإفريقية عند الخلفاء العُبيديين وعظم قدره عند المعز ، وناوأه غيره من عبيد الخلافة ، فقُتلوا بسببه وشردوا حتى استبد وصار يتقدم على العساكر . وقد تقدم إلى أقصى المغرب ، وغزا وظهر ، وسار ذكره .

ولمـا كوتب المعز من مصر بأن الدولة الإخشيدية قد اختلت ، وأن النفوس متشوفة إليه ، مع ما يعين على تملكه لها مما وقع فيها من غلاء السعر ، أنهض إليها غلامه جوهرا ، وكان عنده أهلا لذلك . وأصحبه من الأموال

والخزائن مالا يحصى وأطلق يده فى جميع ذلك . ويقال : إن الذهب كان مفرغا على صورة الأرحاء فوق / الجمال ليعظم ذلك فى قلوب الناس .

٨٥ ر
٢

وفى رحيله من القيروان إلى مصر بتلك العظمة يقول محمد بن هانئ الأندلسى قصيدته الجليلة المشهورة :[1]

رأيتُ بعينى فوقَ ما كنتُ أسمعُ ... وقد راعنى يومٌ من الحشرِ أروعُ
غداةَ كأن الأفق سُدَّ بمثله ... فعاد غروبُ الشمس من حيث تطلع
فلم أدرِ إذ ودعتُ كيف أودع ... ولم أدرِ إذ شيعت كيف أشيع[2]
ألا إن هذا حَشْد من لم يذق له ... غرارَ الكرى جفنٌ ولا بات يهجع
إذا حل فى أرض بناها مدائنا ... وإن سار عن أرض ثَوتْ وهى بلقع
تحل بيوتُ المال حيث تُحله ... وجمُّ العطايا والرواق المرفع[3]
وكبّرت الفرسان لله إذ بدا ... وظل السلاح المنتضَى يتقعقع[4]
وعبَّ عباب الموكب الفخم حوله ... ورفَّ كما رف الصباح الملمع[5]
رحلتَ إلى الفسطاط أول رحلة ... بأيمن فأل بالذى أنت مجمع[6]
وإن يك فى مصرٍ ظماءٌ لمورد ... فقد جاءهم نيلٌ سوى النيل يهرع[7]
ويممهم من لا يغار بنعمة ... فيسلبهمُ لكنْ يزيد فيُوسع[8]

---

(١) ديوانه ٣٩٧ . وهى قصيدة طويلة من بحر الطويل . وابن هانى متنبي المغرب ، ولد باشبيلية ، ومدح كبراءها ، ثم انتقل إلى المغرب فمدح رجالها واتصل بالمعز ، ومات فى ٣٦٢ .

(٢) الديوان : إذ سلمت كيف أشيع ... كيف أودع .

(٣) الديوان : يحله .

(٤) الديوان : فكبرت .

(٥) الديوان : زف . ورف : برق وتلألأ .

(٦) الديوان : أيمن رحلة ... فى الذى أنت .

(٧) الديوان : فإن يك فى مصر رجال .

(٨) الديوان : لا يغير .

٨٥ ظ / ٢

وسار جوهر وملوك البلاد تحت أمره ونهيه، ومنهم / جعفر بن فلاح[١] أحد الجعفرين[٢] اللذين يمدحهما محمد بن هانئ المذكور. فوجد الديار المصرية مهيأة لاستيلائه عليها. فعبر إلى بر الفسطاط من جهة «المقس» عند احتراق[٣] النيل واستولى عليها. وكتب بالبشارة إلى مولاه المعز. وفى ذلك يقول ابن هانئ قصيدته[٤] المشهورة:

يقول بنو العباس: قد فُتحت مصر   فقل لبنى العباس: قد قُضى الأمرُ[٥]

وقد جاوز الإسكندريّة جوهـرٌ   تُصاحبه البشرى ويَقْدُمه النصر[٦]

ولم يزل بمصر معظّما مُطاعا، وله حكم ما فتح من بلاد الشام، حتّى ورد المعز وسكن القاهرة التى بنى له جوهر. وقد تقدم تاريخ ذلك.

ومن كتاب «سيرة الأئمة» لابن مهذّب: كان جعفر بن فلاح الكتامى يرى نفسه فى فضله وشجاعته وسخائه وكرمه أجل من جوهر، فما كان ينطاع له. فلما أنفذه جوهر القائد من مصر إلى الرملة التقى بأبى محمد الحسن ابن عبد الله بن طُغْج[٧] بن أخى الإخشيد فى عساكر الشام ومصر. وسار جعفر

(١) أحد كبار قواد المعز، فتح الرملة ودمشق فى ٣٥٩، وولى دمشق إلى أن قتل فى حرب الحسن ابن أحمد القرمطى، ولم أجد من ذكر أنه انخر، وكان شاعرا فصيحا. (الوفيات ١: ١١٣).

(٢) الثانى هو أبو على جعفر بن على بن أحمد الأندلسى، أمير المسيلة والزاب، الذى هزمه بلكين ابن زيرى، فهرب إلى الأندلس، وقتل بها فى ٣٦٤ — ابن خلكان ١: ١١٣.

(٣) يريد التحاريق، أى انخفاض مياه النيل شتاء.

(٤) ديوانه ٣٣٥. اتعاظ الحنفا ١: ٩٧. وهى من الطويل.

(٥) الديوان والاتعاظ: تقول بنو العباس هل.

(٦) الديوان: تطالعه البشرى.

(٧) الوفيات ٢: ٤٢. والاتعاظ ١: ١٢٢. والدوادارى: عبيد الله. وكان ولى الرملة ثم صار وصيا على أبى الفوارس الأخشيدى، ولد ٣١٢ ومات فى ٣٧١.

٨٦ و
٢

إلى طبرية . ثم سار إلى / دمشق فحارب أهلها مدة ثم فتحها عنوة ودخلها . وصارت الشام بأسرها له . شمخت[(١)] نفسه عن مكاتبة جوهر ، فأنفذ كتبه من دمشق إلى المعز بالمغرب سرا من جوهر ، يذكر طاعته ، ويقع فى جوهر ، ويصف ما فتح الله للمعز على يده . فغضب المعز ، ورأى من طريق السياسة ألا يستفسد جوهرا ، ورد كتب ابن فلاح كما هى مختومة لم يفتحها . وكتب إليه : « قد أخطأت الرأى لنفسك . نحن قد أنفذناك مع قائدنا جوهر فاكتب إليه . فما وصل منك إلينا على يده قرأناه ولا تتجاوزه بعد . فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذى أردته وإن كنت أهله عندنا ، ولا كنا لنستفسد[(٢)] جوهرا مع طاعته لنا » . فزاد غضب ابن فلاح . وانكشف ذلك لجوهر وكان أكبر الأسباب أن لم يكتب جعفر بن فلاح يستدعى زيادة العساكر من جوهر بمصر لأنه علم أنه لو كتب لما أنجده /، فأقام جعفر على مكانه وحاله غير مكاتب لجوهر بشىء من أمره ، حتى كان من أمره ما كان : وذلك أن عسكر القرمطى الحسن بن أحمد[(٣)] ضيق على دمشق ، فخرج جعفر وهو عليل . فلما أيقن بالغلبة أمر غلامه بأن يذبحه ويغيب رأسه فى النهر ، ففعل ذلك .

٨٦ ظ
٢

قال : ولما اصطنع العزيز منجوتكين التركى[(٤)] ورفعه ، وذلك فى سنة ثمانين وثلاثمائة ، إلى أن أخرجه من قصره راكبا وحده ، وذلك فى سنة

---

(١) كذا فى الأصل ، والصحيح أن يقول : فشمخت ، أو ما ماثلها .

(٢) الأصل : ولا كنا لا نستفسد . وأراها هفوة قلم .

(٣) هو ابن أبى منصور بن أبى سعيد الأعصم الجنابى ، ولى هجر بعد أبيه ، واتسعت سلطانه حتى دفعت له دمشق جزية سنوية . فلما انقطعت باستيلاء الفاطميين عليها ، شن الحروب عليهم ، فاستولى على دمشق والجزء الشرقى من مصر أكثر من مرة ، فى ٣٦١ و ٣٦٣ إلى أن هزمه العزيز فى ٣٦٨ فعاد إلى بلاده . وما لبث الحكم أن ضاع من أسرته .

(٤) ولى دمشق من ٣٨١ إلى ٣٨٦ واستدعاه برجوان لمناصرته على الحسن بن عمار فهزمه سليمان ابن جعفر فى عسقلان وأسره ، ولكنه نجا من القتل ، وساعد برجوان فى بلوغ غرضه .

إحدى وثمانين ، والقائد جوهر وحسن بن عمار بن أبى الحسين ومن دون هاؤلاء يمشـون ، وذلك يوم برز إلى الشام ؛ فلما صـار جوهر وابن عمـار فى سقائف القصر ويد هذا فى يد هذا ، زفر ابن عمار زفرة كاد أن ينشق لها ، وقال : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » . وكان جوهر معتقدا لولاء مواليه ، وكان ابن عمار معتزليا على رأى أهل بيته . فنثر جوهر يده منه وقال : « قد كنت عندى يا أبا محمد أثبت من / هذا ، يظهر منك إنكار فى هذا المقام ! لأحدثنك حديثا عسى يسليك عما أنت فيه . والله ما وقف على هذا الحديث أحد غيرى » . فلما خرج منجوتكين من القصر ، ركب جوهر وابن عمـار وركب الناس ، وساروا معه إلى المضارب فاستدعى منه ابن عمار الحديث فقال : « نعم لمـا خرجت إلى مصر وأنفذتُ إلى مولانا المعز من أَسْرته ، ثم حصل فى يدى آخرون فلم أر إنفاذهم إليه واعتقلتهم عندى ؛ فحصل منهـم فى تلك المدة زائد على ثلاثمائة أسـير من مذكوريهم والمعروفين منهم . فلما ورد مولانا إلى مصر فى سـنة اثنتين وستين وثلاثمائة فى شـهر رمضان ، أعلمته أن عندى جماعة معتقلين . فقال : « اعرضهم علىّ ، واذكر فى كل واحد حاله وأين أسرته » . ففعلت ، وفى يده كتاب مجلد يقرأ فيه . فجعلت آخذ الرجل من يد الصقالبة البوابين وأقدمه إليه ، وأقول : هذا فلان ومن حاله / وحاله . فيرفع رأسه وينظر إليه ويقول : « يجوز » ويعود إلى قراءة ما فى كتابه حتى أحضرت له فى الجملة — وكان آخرهم — غلاما تركيا ، فنظر إليه وتأمله ، ولمـا ولى أتبعه بصره . فلما لم يبق أحد قبلت الأرض وقلت : « يامولانا : رأيتك فعلت لمـا رأيت هذا التركى ما لم تفعله مع من تقدمه ؟ » فقال : « يا جوهر : يكون عندك مكتوما : نحن نروى أنه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس يتفق له فتوحات عظيمة فى بلاد كثيرة ، ويرزقه الله

٨٧ ر / ٢

٨٧ ظ / ٢

على يده ما لم يرزقه أحد منا مع غيره » . وأنا أظن أنه ذاك الذى قال لى مولانا المعز . ولا علينا إذا فتح الله لنا البلاد على أيدينا أو على يد من كان يا أبا محمد . لكل زمان دولة ورجال . أنريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا ؟ لقد أرْجل لى مولانا المعز لما سرت إلى مصر أولادَه ، وإخوته الأمراء ، وولى عهده ، وسائر أهل دولته [1] ، فتعجب الناس من ذلك . وها أنا اليوم أمشى راجلا / بين يدى منجوتكين. أَعَزُّونا وأَعَزُّوا بنا غيرنا . وبعد هذا فأقول : اللهم قرِّب مدتى ، فقد نيفت على الثمانين أو أنا فيها » . فمات فى تلك السنة يوم الاثنين السادس من ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [2] . وابنه الحسين بن جوهر جلّ قدره بعد ذلك ، ولُقِّب بقائد القواد وزير الوزراء وقتله الحاكم .

٨٨ و / ٢

ومن كتاب الروض المهضوب [3] فى حلى دولة بنى أيوب :

قال ابن سعيد مكمل هذا الكتاب : رأيت أن أُفرد لبنى أيوب — خلد الله دولتهم — كتابا ، كما أفردت لبنى طولون وبنى طغج ، إذ تدوّخت دولتهم فى البلاد ودامت طاعتهم على العباد . والكتاب المتضمن لذلك منه ما يختص بكتاب « المُشرق فى حلى المَشْرق » وستقف على ذلك هنالك . ومنه ما يختص بكتاب « المغرب فى حلى المغرب » وهو ما يختص بالديار المصرية . / فمنه ما يذكر فى القاهرة ، ومنه ما يذكر فى قلعة الجبل ، ومنه ما يذكر فى الجزيرة الصالحية وأول ما نقدم ترجمة البانى لمجد هذه الدولة المشيد لها بالجد والصولة ، رحمة الله عليه .

٨٨ ظ / ٢

(١) أى جعلهم يمشون راجلين على أقدامهم ، وهو راكب .

(٢) فى الاتعاظ ١ : ٢٧٢ أنه « توفى لسبع بقين من ذى القعدة » . وفى الوفيات ١ : ١١٨ أنه « توفى يوم الخميس لعشر بقين من ذى القعدة » .

(٣) المهضوب : الممطور .

السلطان الأعظم الناصر صلاح الدنيا والدين

أبو المظفر يوسف بن نجم الدين أيوب بن شاذى

رحمة الله عليه

المعتمد عليه فى هذه الترجمة كتاب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » تصنيف الصاحب القاضى بهاء الدين أبى المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد[1] ، وكتاب الكامل لابن الأثير ، وغير ذلك مما يذكر عند الإحالة عليه .

من الكتاب البهائى[2] : وبعد ، فإنى لما رأيت أيام مولانا السلطان الملك الناصر ، جامع / كلمة الإيمان ، قامع عبدة الصلبان ، رافع علم العدل والإحسان ، صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، منقذ بيت الله المقدس من أيدى المشركين ، خادم الحرمين الشريفين ، أبى المظفر يوسف ابن أيوب بن شاذ[3] — سقى الله ضريحه صَوْب[4] الرضوان ، وأذاقه فى مقر رحمته

٨٩ ر
٢

---

(١) اعتمدت فى المقابلة على طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ ، وكان بهاء الدين عالما بالقراءات والحديث والتفسير واللغة والفقه ، ألف عدة كتب ، واشتغل بالتدريس والقضاء ، ولد بالموصل ٥٣٩ ومات بحلب ٦٣٢ .

(٢) ٣ . مع خلاف طفيف .

(٣) كذا فى الأصل . وصوابه أن تبق الياء — كما فعل المؤلف أحيانا — لأنه علم أجنبى بمعنى فرحان لا ينون — الوفيات ١ : ٨٦ .

(٤) الصوب : المطر .

حلاوة نتيجة الإيمان — ؛ قد صدقت من أخبار الأولين ما كذبه الاستبعاد ، وشهدت بالصحة لمـا رُوى من نوادر الكرام الأجواد ، وحققت وَقَعـات شجعان مماليكها ما قَدَحت فيه من الشكوك (١) من أخبار الشجعان ، وأرت العيان من الصـبر على المكاره فى ذات الله ما قـوى به الإيمان . وعظمت عجائبها عن أن يحويها خاطر أو يُجِنّها (٢) جنان . وجلت نوادرها عن أن تُحَدّ ببيان لسان ، وأن تسطَّر فى طِرْس ببنان .

وكانت مع ذلك من قَبيل مالا يمكن الخبير بها إخفاؤها ، ولا يسع المطَّلع عليها إلا أن تُرْوَى عنه / أخبارها وأنباؤها . ومسنى من رِقّ نعمتها ، وحق صحبتها (٣) ، وواجب حرمتها ، ما تعيَّن علىّ به إبداء ما تحققته من حسناتها ، ورواية ما علمته من محاسن صفاتها .

٨٩ ظ
٢

رأيت أن أقتصر من ذلك على ما أملاه علىّ العيان ، أو الخبر الذى يقارب مظنونه درجة الإيقان ، وذلك جـزء من كل ، ونَهَل من عَلّ (٤) ، ليستدل بالقليل على الكثير ، وبالشعاع على المستطيل بعد المستطير .

وسميت هذا المختصر من تاريخها « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » .

وجعلته قسمين :

أحدهما : مولده رحمه الله ، ونَشْؤه (٥) ، وخصائصه ، وأخلاقه المرضية ، وشمائله الراجحة فى نظر الشرع الوفية .

(١) النوادر : قدحت فيه الشكوك . وهى أوضح .
(٢) يجنها : يسترها .
(٣) النوادر : خدمتها .
(٤) النوادر : قل من جل . والنهل : أول الشرب . والعل : الشرب بعد الشرب تباعا .
(٥) النوادر : فى مولده . ويرجحها مجيء الحرف فى القسم الثانى ، وفى عنوان القسم الأول أيضا .

والقسم الثانى فى تقلبات الأحوال به ، ووقعاته ، وفتوحاته ، وتاريخ ذلك إلى آخر حياته ، قدس الله روحه .

والله المستعان فى الصيانة عن هفوات اللسان والقلم ، وجريان الخاطر بما فيه من مزلة القدم [1] ، وهو حسبى ، ونعم الوكيل .

(١) النوادر : بما فيه مزلة ، وهى أوضح .

القسم الأول (١)

في مولده – رحمه الله – وخصائصه وأوصافه وشمائله وخلاله

مولده (٢)

كان مولده – على ما بلغنا على ألسنة ثقات ، تتبعوه حتى بنوا عليه تسيير مولده على ما تقتضيه صناعة التنجيم ، في شهور سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ، وذلك بقلعة تكريت (٣) .

وكان والده أيوب بن شاذ (٤) – رحمه الله – واليا بها ، وكان كريما أريحيا حليما حسن الأخلاق ، مولده بدوين (٥) . ثم اتفق له الانتقال من تكريت

---

(١) ٥ . (٢) ٦ .

(٣) تكريت : من مدن شمال العراق ، بين سامراء والموصل ، على خط عرض ٣٦َ ٣٤° شمالا ، وطوله ٤٢َ ٤٣° شرقا .

(٤) الملك الأفضل نجم الدين ، ولى تكريت إلى أن اضطر إلى مغادرتها في ٥٣٢ ثم بعلبك من ٥٣٤ إلى ٥٤١ ، ودخل مصر ٥٦٥ ومات في ٥٦٨ .

(٥) دوين : بلدة من نواحي أران في آخر حدود أذربيجان قريبة من تفليس (في الاتحاد السوفيتي الآن) . ضبطها ياقوت بفتح الدال ، وابن خلكان ٢ : ٣٧٦ بضمها ، كذا قال الأخير في ترجمة صلاح الدين . وفي شمال العراق ، جنوب غربي راوندوز ، على خط عرض ٢٧َ ٣٦° شمالا ، وطول ٨َ ٤٤° شرقا مدينة أخرى بالاسم نفسه ، ولعلها هي المرادة .

إلى الموصل ، وانتقل والده المذكور معه ، فأقام بها إلى أن ترعرع ، وكان والده محترما مقدما هو وأخوه أسد الدين شيركوه عند أتابك زنكى[1] . واتفق لوالده الانتقال إلى الشام وأعطى بعلبك[2] ، فأقام بها مدة يتربى فى حجره ، ويرتضع ثدى محاسن أخلاقه ، حتى بدت منه أمارات السعادة ، ولاحت عليه لوائح التقدم والسيادة . وقدمه / الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى ، وعول عليه ، وقربه ، ونظر إليه ، وخصصه . ولم يزل كلما تقدم قدما تبدو منه أسباب تقتضى تقديمه إلى ما هو أعلى منه ، حتى اتفق لعمه أسد الدين شيركوه — رحمه الله — الحركة إلى مصر والنهوض إليها .

٩٠ ظ
٢

ذكر ما شاهدناه من مواظبته على القواعد الدينية وملاحظته الأمور الشرعية[3]

ورد فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال[4] : « بنى الإسلام على خمس قواعد : شهادة ألا إله إلا الله ، وإيقام[5] الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، والحج إلى بيت الله الحرام » .

(١) عماد الدين زنكى بن قسيم الدولة أقسنقر التركى ، ولى شحنكية بغداد ، ثم سيطر على الموصل وحلب وحماة وحمص وبعلبك والرها والمعرة ، وقتله بعض غلمانه فى ٥٤١ . (العبر ٤ : ١١٢) .

(٢) بعلبك : من مدن شمال شرق لبنان ، على خط عرض ٣٤° شمالا ، وطول ٣٦° ١٢´ شرقا .

(٣) ٧ .

(٤) البخارى ١ : ٩ . مسلم ١ : ٢٩ . الترمذى ٢ : ٨٥ . ولم أجد عندهما كلمة (قواعد) .

(٥) كذا فى الأصل ، وهو خطأ لم أجده عند البخارى ومسلم . والصواب : إقام . فالمصدر من الفعل الأجوف مثل (أقام) هو (إقوام) فيعل المصدر تبعا لإعلال فعله ، فتقلب الواو ألفا ، فتجتمع ألفان ، فتحذف أحدهما ، ويعوض عنها بتاء التأنيث ، فيقال (إقامة) . وأجاز سيبويه عدم التعويض مطلقا استدلالا بقوله تعالى : ﴿ وإقام الصلاة ﴾ وخص الفراء ذلك بحال إضافتها — شرح الشافية للرضى ١ : ١٦٣ ، ١٦٥ .

وكان — رحمة الله عليه — حسن العقيدة ، كثير الذّكر لله تعالى . قد أخذ عقيدته عن الدليل ، بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء وفهم من ذلك ما يحتاج إليه ، بحيث كان إذا جرى الكلام بين يديه يقول فيه قولا حسنا ، وإن لم يكن / بعبارة الفقهاء . فتحصل من ذلك سلامة عقيدته عن زلل التّشبيه[1] غير مارق سهم النظر فيها إلى التعطيل[2] . وكان قد جمع له الشيخ الإمام قطب الدين النّيسابورى[3] — رحمه الله — عقيدة تجمع جميع ما يحتاج إليه فى هذا الباب . وكان من شدة حرصه عليها يعلّمها الصغار من أولاده حتى ترسخ فى أذهانهم من الصغر . ورأيته وهو يأخذها عليهم ، وهم يقرؤونها من حفظهم بين يديه ، رحمه الله .

٩١ ر
٢

وأما الصلاة : فإنه كان شديد المواظبة عليها بالجماعة ، حتى إنه ذكر يوما — رحمه الله — أن له سنين ما صلى إلا جماعة . وكان إذا مرض يستدعى الإمام وحده ، ويكلّف نفسه القيام ، ويصلى جماعة . وكان يواظب على السُّنَن الرّواتب . وكان له ركعات يصليها إن استيقظ بوقت فى الليل وإلا أتى بها قبل صلاة الصبح . وما كان يترك الصلاة مادام عقله عليه . ولقد رأيته

---

(١) النوادر : كدر التشبيه ، والتشبيه : القول بأن الله — سبحانه — على صورة ذات أعضاء وأبعاض روحانية أو جثمانية ، ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن . وقال بذلك جماعة من الشيعة الغالية كالهشاميين ، وأصحاب الحديث الحشوية مثل مضر وكهمس (الشهرستانى ١ : ١٧٣) .

(٢) المعطلة : أصناف : جماعة أنكروا الخالق والبعث والإعادة وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفنى وأخرى أقروا بالخالق وابتداء الخلق وأنكروا البعث ، وثالثة أقرت بالخالق ونوع من الإعادة وأنكرت الرسل . (الشهرستانى ٢ : ٢٢٨ — ٣٦) .

(٣) أبو المعالى مسعود بن محمد الطرثيثى الشافعى ، تفقه بنيسابور ومرو ، وتولى التدريس فى بغداد ودمشق وحلب وهمذان ، ولد فى ٥٠٥ ومات بدمشق فى ٥٧٨ . (الوفيات ٢ : ٩١ ، العبر ٤ : ٢٣٥) .

٩١ ظ / ٢

ـ قدّس الله روحه ـ يصلى فى مرضه / الذى مات فيه قائما . وما ترك الصلاة إلا فى الأيام الثلاثة التى تَغيّب فيها ذهنه . وكان إذا أدركته الصلاة ، وهو سائر ، نزل وصلى .

وأما الزكاة : فإنه مات ـ رضى الله عنه ـ ولم يحفظ ما وجبت عليه به الزكاة .

وأما صَدَقة النَّفْل : فإنها استنفدت جميع ما ملكه من الأموال، ولم يخلّف[1] فى خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهما ناصرية وجرما[2] واحدا من ذهب ، صُوريّا ولم يخلف ملكا ولا دارا ولا عَقارا ولا بستانا ولا قرية ولا مزرعة ولا شيئا من أنواع الأملاك .

وأما صوم رمضان : فإنه كان عليه منه فوائت من مرض تواتر عليه فى رمضانات متعددة . وكان القاضى الفاضل[3] قد تولّى ثَبْت تلك الأيام . وشرع ـ رحمه الله ـ فى قضاء فوائت ذلك فى القدس الشريف فى السنة التى توفى فيها . وواظب على الصوم مقدارا زائدا على الشهر . وكان الصوم لا يوافق / مزاجه فألهمه الله ـ تعالى ـ الصوم لقضاء الفوائت . وكان يصوم وأنا أثبت الأيام التى يصومها . والطبيب يلومه وهو لا يسمع ويقول : « ما أعلم ما يكون » ؛ فكأنه كان ملهَما براءةَ ذمته . ولم يزل حتى قضى ما كان عليه .

٩٢ ر / ٢

---

(١) أسقط المؤلف هنا من النوادر عبارة ، هى : فإنه ملك ما ملك ومات ولم يخلف .

(٢) جرما : أراد بها دينارا . فقد ورد فى مرآة الزمان جـ ٨ ق ١ ص ٤٣٢ : قال العماد الكاتب : لم يخلف فى خزانته سوى ستة وثلاثين درهما ودينارا واحدا ذهبا .

(٣) أبو على عبد الرحيم بن على بن محمد اللخمى ، ولد بعسقلان فى ٥٢٩ ، واشتغل بالكتابة فى الإسكندرية ، وتولى ديوان الإنشاء بالقاهرة للفاطميين ، ثم وزر لصلاح الدين ومن بعده إلى أن توفى فى ٥٩٦ ، وكان كاتبا شاعرا ، ذا أسلوب شاع فى النثر بعده .

وأما الحج : فإنه لم يزل عازما عليه ، وناويا له ، سيما[1] فى العام الذى توفى فيـه ، فإنه صمم العزم عليه ، وأمر بالتأهب ، وعُملت الزّوادة[2] ، ولم يبق إلا المسير . فاعتاق[3] عن ذلك بسبب ضيق الوقت ، وفراغ اليد عما يليق بأمثاله . فأخّره إلى العام المستقبل ، فقضى الله ما قضى .

وكان يحب سماع القرآن العظيم . . متقنا لحفظه . وكان يَستقرئ من يَحضُره فى الليل .. وهو يتسمع ، وكان يستقرئ فى مجلسه العام من جرت عادتُه بذلك الآية والعشرين والزائد على ذلك .

ولقد اجتاز على صغير بين يدى أبيه ، والصغير يقرأ القرآن . فاستحسن قراءتَه ، فقرَّبه وجعل له حظا / من خاصّ طعامه ، ووقف عليه وعلى أبيه جزءا من مزرعة .

٩٢ ظ ٢

وكان — رحمه الله — خاشع القلب ، رقيق الدّمعة ، إذا سمع القرآن .

وكان شديد الرغبة فى سماع الحديث ... وإن كان المُسمِع ممن لا يطّرُق أبواب السلاطين ... سعى إليه وسمع عليه . تردّد إلى الحـافظ الأصفهانى[4] بثغر الإسكندرية وروى عنـه أحاديث كثيرة . وكان يحب أن يقرأ الحديث بنفسـه .

---

(١) كذا فى الأصـل والنوادر ، وهو خطأ ، إذ يجب تقديم (ولا) على (سيما) — مغنى اللبيب لابن هشام ١ : ١٤٩ .

(٢) الزوادة : طعام السفر .

(٣) كذا فى الأصل والنوادر . والفصيح أن يقال : فاعتيق ، أو : فاعتاقه عائق .

(٤) هو الحافظ السلفى أبو الطاهر صدر الدين أحمد بن محمد بن محمد ، المحدث المشهور . ولد بأصبهان فى ٤٧٢ ورحل إلى الحجاز وبغداد ودمشق وصور والقاهرة . ثم سكن الإسكندرية فى ٥١١ إلى أن توفى فى ٥٧٦ . (الوفيات ١ : ٣١ . العبر ٤ : ٢٢٨) .

وكان ... مبغضا للفلاسفة ... والدّهرية ومن يُعاند الشريعة . ولقد أمر ولده صاحب حلب[(١)] — اعزه الله — بقتل شاب نشأ ، كان يقال له السُّهرَوَرْدي[(٢)] ، قيل عنه : إنه كان معاندا للشرع مُبطِلا .. فصلبه أياما وقتله .

قال[(٣)] : وكان — قدّس الله روحه — حسن الظن بالله ، كثير الاعتماد عليه ، عظيم الإنابة إليه ، ولقد شاهدت من آثار ذلك ما أحكيه :

وذلك أن الفرنج — خذلهم الله — كانوا نازلين ببيت نُوبةٍ[(٤)] — وهو موضع قريب من القدس الشريف[(٥)] ، حرسه الله تعالى ، يكون / بينهما بعضُ مرحلة ، وكان السلطان — رحمه الله — بالقدس ، وقد أقام يَزَكا[(٦)] على العدو ، وقد سيّر إليهم الجواسيس والمخبرين . فتواصلت الأخبار بقوة عزمهم على الصعود إلى القدس ومحاصرته وتركيب القتال عليه . فاشتد خوف المسلمين بسبب ذلك ، فاستحضر الأمراء وعرّفهم ما قد دهَم المسلمين من الشدة . وشاورهم في الإقامة بالقدس ، فأتوا بمجاملة باطنها غيرُ ظاهرها . وأصر الجميع على أنه لا مصلحة في إقامته بنفسه ، فإنه مخاطرة بالإسلام . وذكروا أنهم يقيمون هم ، ويخرج

٩٣ ر
٢

---

(١) الملك الظاهر غازى ، ولد بالقاهرة فى ٥٦٨ وأعطاه أبوه حلب فى ٥٨٢ ومات فى ٦١٣ . (الوفيات ١ : ٤٠٢) .

(٢) يريد شهاب الدين يحيى بن محمد بن حبش ، الكلامى الزاهد ، ولد حوالى ٥٤٩ وقتل فى ٥٨٧ هـ . (الوفيات ٢ : ٢٦١ . العبر ٤ : ٢٦٣) .

(٣) ص ١٠ .

(٤) بيت نوبة : بين القدس والرملة : على خط عرض ٥١َ ٣١° شمالا ، وطول ٢َ ٣٥° شرقا .

(٥) على خط عرض ٤٧َ ٣١° شمالا ، وطول ١٣َ ٣٥° شرقا .

(٦) اليزك : طلائع الجيش ؛ لفظ فارسى .

هو — رحمه الله — بطائفة من العسكر يكون حول العدو كما كان الحال بعكا[1] ، وهو ومن معه بصدد منع ميرتهم والتضييق عليهم ، ويكونون هم بصدد حفظ البلد والدفع عنه . وانفصل مجلس المشورة على ذلك . وهو مصرّ على أنه يقيم بنفسه ، علما منه أنه إن لم يقم ما يقيم أحد . فلما انصرف الأمراء إلى بيوتهم / جاء من عندهم من أخبر أنهم لا يقيمون إلا أن يقيم أخوه العادل أو أحد أولاده ، حتى يكون هو الحاكم عليهم والذى يأتمرون بأمره . فعلم أن هذه إشارة منهم إلى عدم الإقامة . وضاق صدره وتقسّم فكره واشتدت فكرته .

٩٣ ظ / ٢

ولقد جلستُ فى خدمته تلك الليلة ، وكانت ليلة الجمعة ، من أول الليل إلى أن قارب الصبح ، وكان الزمان شاتيا ، ليس معنا ثالث إلا الله تعالى ، ونحن نقسم أقساما ، ونرتب على كل قسم مقتضاه ، حتى أخذ بى الإشفاق عليه ، والخوف على مزاجه ، فإنه كان يغلب عليه اليبس . فشفعت إليه حتى يأخذ مضجعه لعله ينام ساعة . فقال — رحمه الله — : « لعلّ جاءك النوم » . ثم نهض :

فما وصلت إلى بيتى وأخذت لبعض شأنى إلا وأذّن المؤذن وطلع الصبح ، وكنت أصلى معه الصبح — رحمه الله — فى معظم الوقت . فدخلتُ عليه وهو يُمِـرّ المـاء على أطرافه . فقال : « ما أخذنى النوم أصلا » . فقلت : « قد علمت» . فقال / : « من أين ؟ » قلت : « لأنى ما نمت ، وما بقى وقت للنوم »

٩٥ ر / ٢

(١) عكا : ميناء فى شمال فلسطين ، على خط عرض ٥٥َ ٣٢° شمالا ، وطول ٤َ ٣٥° شرقا .

ثم اشتغلنا بالصلاة وجلسنا على ما كنا عليه . فقلت له : « « قد وقع لى واقع ، وأظن الإفادة فيه إن شاء الله » . قال : « وما هو ؟ » قلت : « الإخلاد إلى الله تعالى ، والاستنامة إليه ، والاعتماد فى كشف هذه الغمة عليه » . قال : « وكيف نصنع ؟ » فقلت : « اليوم الجمعة : يغتسل المولى عند الرواح ، ويصلى على العادة بالأقصى ، موضع مسرى النبى — صلى الله عليه وسلم — ويقدم المولى التصدق بشىء خفية على يد من يثق به ، ويصلى ركعتين بين الأذان والإقامة ، ويدعو الله فى سجوده . فقد ورد فيه حديث صحيح[1] . وتقول فى باطنك : إلهى ، قد انقطعت أسبابى الأرضية فى نصر دينك ، ولم يبق إلا الإخلاد إليك ، والاعتصام بحبلك ، والاعتماد على فضلك ، أنت حسبى ، ونعم الوكيل . فإن الله أكرم أن يخيب قصدك » .

ففعل ذلك كله / . وصليت إلى جانبه — رحمه الله — على العادة . وصلى الركعتين بين الأذان والإقامة . ورأيته ساجدا ، ودموعه تتقاطر على شيبته ثم على سجادته ، ولا أسمع ما يقول . فلم ينقض ذلك اليوم حتى وصلت رقعة من عز الدين جرديك[2] — وكان على اليزك — يخبر فيها أن الفرنج مختبطون ، وقد ركب اليوم عسكرهم بأسرهم إلى الصحراء ، وتفرقوا إلى قيام الظهر ، ثم عادوا إلى خيامهم .

٩٥ ظ / ٢

وفى بكرة السبت جاءت رقعة ثانية تخبر عنهم بمثل ذلك .

---

(١) جاء عند الترمذى ١ : ٢٩ : « عن أنس بن مالك : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة . قال أبو عيسى : حديث أنس حديث حسن » .

(٢) كان من مماليك نور الدين ، وأحد الذين رافقوا شيركوه فى حملته الأخيرة على مصر ، وهو الذى قتل شاور ، وولى القدس .

ووصل فى أثناء النهار جاسوس أخبر أنهم اختلفوا . فذهبت الفرنسيسيّة إلى أنهم لابد لهم من محاصرة القدس . وذهب الانكتار[١] وأتباعه إلى أنهم لا يُخاطرون بدين النصرانية ويرمونهم فى هذا الجبل مع عدم المياه ، فإن السلطان — رحمه الله — قد كان أفسد جميع ما حول القدس من المياه . وأنهم خرجوا للمشورة . ومن عادتهم أنهم يتشاورون / للحرب على ظهور خيلهم ؛ وأنهم قد نَصُّوا على عشرة أنفس منهم ، وحَكَّموهم بأى شىء اختاروا ، وألا يخالفوهم .

٩٧ ر ٢

ولما كانت بكرة الاثنين ، جاء البشير يخبر أنهم رحلوا عائدين إلى جهة الرملة[٢] .

فهذا ما شاهدته من آثار استنامته إلى الله ، رحمة الله عليه .

ذكر عدله ، رحمه الله[٣]

روى أبو بكر — رضى الله عنه — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « الوالى العادل ظلُّ الله فى أرضه ورُمحه[٤] . فمن نصحه فى نفسه وفى عباده أظلَّه الله تحت عرشه ، يوم لا ظلَّ إلا ظله . ومن خانه فى نفسه أو فى عباد الله خذَل [ه] الله يومَ القيامة[٥] . يُرفَع للوالى العادل فى كل يوم عمل ستين صدِّيقا كلهم عُبّاد مجتهدون لأنفسهم » .

---

(١) المقصود به رتشارد قلب الأسد ، ملك انجلترا .

(٢) الرملة : شمال غربى القدس ، على خط عرض ٥٦َ ٣١ شمالا ، وطول ٥٢ ٣٤ شرقا .

(٣) ١٣ . (٤) ورمحه : ليست فى النوادر .

(٥) كذا فى النوادر . وفى الأصل : خذ الله ، وأظنها هفوة قلم . وأسقط المؤلف بعد هذا عبارة : ومن خانه فى نفسه أو فى عبادة الله خذله الله .

ولقد كان — رحمه الله — عادلا رؤوفا رحيما، ناصرا للضعيف على القوى .

وكان يجلس للعدل فى كل يوم اثنين وخميس [(١)] ، فى مجلس عام يحضره القضاة والفقهاء والعلماء . ويفتح الباب للمتحاكمين حتى يصل إليه كل أحد، / من كبير وصغير ، وعجوز هرمة وشيخ كبير . وكان يقعد لذلك سفرا وحضرا .

٩٧ظ / ٢

على أنه كان فى جميع زمانه قابلا لما يعرض عليه من القصص ، كاشفا لما ينتهى إليه من المظالم . وكان يجمع القصص [(٢)] فى كل يوم .. ثم يجلس مع الكاتب ساعة ، إما فى الليل أو فى النهار ، ويوقع على كل قصة بما يُطلق الله على قلبه ... وما استغاث إليه إنسان إلا وقد سمع ظُلامته ، وكشف قضيته ، وأخذ قصته .

ولقد رأيته — رحمه الله — وقد استغاث إليه إنسان يُقال له ابن زُهير من أهل دمشق على تقى الدين ابن أخيه [(٣)] . فأنفذ إليه يحضره فى مجلس الحكم . فما خلّصه إلا أن أشهد عليه شاهدين أنه وكّل القاضى أبا القاسم أمين الدين قاضى حماة فى المخاصمة والمنازعة . فحضر الشاهدان وأقاما الشهادة عندى فى مجلسه — رضى الله عنه — بعد دعوى الوكيل الصحيحة ، وإنكار الخصم . فلما ثبتت الوكالة / أمرت أبا القاسم بمساواة الخصم، فساواه — وكان من خواص جُلساء السلطان — رحمه الله — ثم جرت المحاكمة بينهما . واتجهت اليمين على تقى الدين . وانقضى المجلس على ذلك . وقطعنا عن إحضاره دخول الليل ، وكان تقى الدين من أعز الناس عليه ، وأعظمهم عنده . ولم يُحابه فى الحق .

٩٨ و / ٢

(١) كذا فى النوادر . وفى الأصل : وخمسين . وأعتقد أنها هفوة قلم .

(٢) القصص : رقاع الشكوى .

(٣) تقى الدين المظفر عمر بن العادل ، تولى حماة فى ٥٧٤ ومات فى ٥٨٧ . (الوفيات ١ : ٣٨٣ . العبر ٤ : ٢٦٢) .

وأعظم من هذه الحكاية مما يدل على عدله — رحمه الله — قضية جرت له مع إنسان يدعى عمر الخلاطى تاجر . وذلك أنى كنت يوما فى مجلس الحكم بالقدس الشريف — حرسه الله — إذ دخل علىّ شيخ حسن تاجر معروف يسمى عمر الخلاطى ، معه كتاب حُكْمى سأل فتْحه . فسألته : «من خصمك؟» فقال : «السلطان . وهذا بساط الشرع ، فقد سمعنا أنك لا تحابى» . فقلت : «وفى أى قضية هو خصمك ؟» فقال : «إن سُنْقُر الخلاطى (١) كان مماوكى ، ولم يزل على ملكى إلى أن مات . وكان فى يده أموال عظيمة كلها لى ، ومات / عنها واستولى عليها السلطان . وأنا مُطالبه بها» . قلت له : «يا شيخ وما الذى أَقْعَدك إلى هذه الغاية ؟» فقال : «الحقوق لا تبطل بالتأخير . وهذا الكتاب الحكمى ينطق بأنه لم يزل فى ملكى إلى أن مات» . فأخذت الكتاب منه ، وتصفحت مضمونه ، فوجدته يتضمن حِلْية سنقر الخلاطى ، وأنه قد اشتراه من فلان التاجر بأَرجيش (٢) فى اليوم الفلانى ، من شهر كذا ، من سنة كذا ؛ وأنه لم يزل فى ملكه إلى أن شذّ عن يده فى سنة كذا . وما عرف شهود الكتاب خروجه عن ملكه بوجه ما . وتمم الشرط إلى آخره .

٩٨ ظ
―――
٢

فتعجبت من هذه القضية . وقلت للرجل : «لا يَسَعُنى سماعُ الدعوى بلا وجود الخصم ؛ وأنا أُعرّفه وأُعرّفك ما عنده فى ذلك» . فرضى الرجل بذلك واندفع .

(١) الحسام ، مات فى حصار الصليبيين لعكا ، فى ٥٨٥ هـ ، وكان شجاعا دينا — الروضتين ٢ : ١٤٢ ، مفرج الكروب ٢ : ٢٩٢ .

(٢) أرجيش : مدينة كانت من نواحى أرمينية الكبرى قرب خلاط ، وهى الآن من مدن شرق تركيا باسم Argaeus أو Erciyas Dagi ، على خط عرض ٣٢َ ٣٧ْ شمالا ، وطول ٢٧َ ٣٥ْ شرقا .

فلما اتفق المثولُ بين يديه في بقية ذلك اليوم عرَّفْته القضية . فاستبعد ذلك استبعادا عظيما . وقال : « كنتَ نظرتَ في الكتاب ؟ » قلت : « نظرتُ فيه فرأيته متصل الورود والقبول إلى دمشق . وقد كُتب عليه « كتاب حكمي بدمشق » وشَهد به على قاضي[1] دمشق شهود معروفون » . فقال : « مبارك ، يحضر الرجل ونحاكمه ، ونعمل في القضية بما يقتضيه الشرع » .

ثم اتفق بعد ذلك جلوسه — رضي الله عنه — فقلت له : « هذا الخصم يتردد ولا بد أن نسمع دعواه » . فقال : « أقم عني وكيلا يسمع الدعوى ثم يقيم الشهود شهادتهم . وأَخِّر فتح الكتاب إلى حين حضور الرجل ها هنا » .

ففعلت ذلك . ثم حضر الرجل عنده . واستدناه حتى جلس بين يديّ إلى جانبه . ثم انفرك من طُرّاحته[2] حتى ساواه . وقال : « إن كان لك دعوى فاذكرها » . فحرَّر الرجل الدعوى على معنى ما شرح أولا . فأجابه السلطان بأن هذا سنقر كان مملوكي ، ولم يزل على ملكي حتى أعتقتُه ، وتوفى وخلف ما خَلَّف لورثته . فقال الرجل : « لي بيِّنة تشهد بما ادعيته » . ثم سأل / فتح كتابه . ففُتح فوجدتُه كما شرح . فلما سمع السلطان التاريخ قال : « لي من يشهد أن سنقر في هذا التاريخ كان في ملكي وفي يدي بمصر ، وأني اشتريته مع ثمانية أنفس في تاريخ متقدِّم على هذا التاريخ بسنة ، وأنه لم يزل في يدي وفي ملكي إلى أن أعتقته » . ثم استحضر جماعة من أعيان الأمراء والمجاهدين فشهدوا بذلك ، وحكوا القضية كما ذكرها ، وذكروا التاريخ كما ادعاه . فأُبْلِس الرجل .

٩٩ ظ / ٢

(١) النوادر : على يد قاضي . وأظن أن (يد) سقطت من المؤلف .

(٢) الطراحة : حشية توضع على البسط — ابن خلكان ٢ : ٣٥٧ .

فقلت : « يا مولاى : هذا الرجل ما فعل ذلك إلا طلبا لمرَاحم السلطان . وقد حضر بين يدى المولى ، وما يَحسُن أن يرجع خائب القصد » . فقـــال : « هذا باب آخر » . وتقدم له بخلعة ونفقة بالغة .

فانظر إلى ما فى طَىّ هذه القضية من المعانى الغريبة العجيبة ، ومن التواضع والانقياد إلى الحق وإرغام النفس ، والكرم فى موضع المؤاخذة مع القـــدرة التـــامة .

ذكر طرف من كرمه (١)

١٠٠ ر / ٢

/ قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إذا عَثَرَ الكريم فإن الله / آخذٌ بيده » . وفى الكرم أحاديث .

وكرمُه ـــ قدّس الله روحه ـــ كان أظهر من أن يُسطَّر ، وأشهر من أن يُذكَر ، لكنى نبهت عليه جمـــلة . وذلك أنه مَلَكَ جملة ، ومات وما وُجِد فى خزانته من الفضة إلا سبعة وأربعون درهما ناصرية ، ومن الذهب إلا جِرم واحد صُورى ، ما علمت وزنه .

وكان ـــ رحمـــه الله ـــ يهب الأقاليم . وفتح آمِد (٢) ، فطلبها منه ابن قَرا أرْسلان (٣) ، فأعطاه إياها .

(١) ١٧ .

(٢) آمد : من مدن شرق تركيا ، على خط عرض ٢٢َ ٣٩ْ شمالا ، وطول ١٥َ ٢٩ْ شرقا .

(٣) نور الدين محمـــد بن قرا أرســـلان بن داود ، أمير حصن كيفا وآمـــد ، مات فى ٥٨١ . (أبو الفدا ٢ : ٨٣ ، وابن الوردى ٣ : ٩٤) .

ورأيته قد اجتمع عنده جمعٌ من الوفود بالقدس الشريف — حرسه الله — وكان قد عزم على التوجه إلى دمشق[١] ، ولم يكن فى الخزانة ما يعطى الوفد . فلم أزل أخاطبه[٢] فى معناهم حتى باع قرية من بيت المـال ، وفضضنا ثمنها عليهم ، ولم يفضُل منه درهم واحد .

وكان — رحمه الله — يعطى فى وقت الضائقة كما يعطى فى حال السـعة . وكان / نواب خزائنه يُخفون عنه شيئا من المـال ، حذرا أن يفاجئهم مُهِمٌّ لعلمهم أنه متى علم به أخرجه .

١٠٠ظ ٢

وسمعته[٣] يقول فى معرض حديث جرى : « يمكن أن يكون فى الناس من ينظر إلى المـال كمن ينظر إلى التراب » . فكأنه أراد بذلك نفسه .

وكان يعطى فوق ما يؤمل الطالب . وما سمعته يقول قط : « أعطينا فلانا » وكان يعطى الكثير ، ويبسُط وجهه للمُعطى بَسْط[٤] من لم يعطه شيئا . وكان يعطى ويكرم أكثر مما يعطى . وكان الناس قد عرفوه ، فكانوا يستزيدونه فى كل وقت . وما سمعته قط يقول : « قد زدت مرارا ، فكم أزيد ؟ » .

وأكثر الرسائل كانت تكون فى ذلك الوقت على لسانى ويدى . وكنت أخجل من كثرة ما يطلبونه ولا أخجل من كثرة ما أطلبه لهم ، لعلمى بعدم مؤاخذته فى ذلك . وما خدمه أحد قط إلا وأغناه عن سؤال غيره .

(١) على خط عرض ٣٠َ ٣٣ْ شمالا ، وطول ١٩َ ٣٧ شرقا .

(٢) كذا فى النوادر . وفى الأصل : أخطبه . وأظنها هفوة قلم .

(٣) كذا فى النوادر . وفى الأصل : وسمعه . وأظنها هفوة قلم .

(٤) كذا فى الأصل . وفى النوادر : ويبسط وجهه للعطى بسطه لمن لم يعطه شيئا . وهى أوضح .

٩٦ و / ٢

وأما تعداد / عطاياه ، وتعداد صُنوفها ، فلا تطمع فيها حقيقة أصلا .

ولقد سمعت من صاحب [ديوانه(١) ، يقول لى : « قد تجارينا] فى عطاياه . فقال : حصرْنَا عدد ما وهب من الخيل بمرج عكا] لاغير فكان [عشرة آلاف فرس » . ومن شاهد عطاياه] يستقل هذا [القدر .

اللهم إنك ألهمته الكرم ، وأنت أكرم منه .] .

ذكر [شجاعته قدّس الله روحه(٢)]

روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حَية » .

ولقد كان — رحمه الله تعالى — من عظماء الشجعان ، قوى النفس ، شديد البأس ، عظيم الثّبات لا يهوله أمر .

ولقد رأيته — رحمه الله — مرابطا فى مقابلة عدة عظيمة من الفرنج ، ونُجُدهم(٣) تتواصل ، وعساكرهم تتواتر ، وهو لايزداد إلا قوة نفس وصبر .

٩٦ ظ / ٢

/ ولقد وصل فى ليلة واحدة منهم نيّف وسبعون مركبا على عكا ، وأنا أعدها من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس ، وهو لا يزداد إلا قوة نفس .

ولقد كان — رحمه الله — يعطى دستورا(٤) فى أوائل الشتاء ويبقى فى شرذمة يسيرة فى مقابلة أعداد كثيرة . ولقد سألت ابن بارزان(٥) — وهو من كبار ملوك

(١) تمزقت هذه الصفحة من الأصل ، وضاع أكثرها ، فجئت به من النوادر ووضعته بين المعقوفات .

(٢) ١٩ .

(٣) النجد : جمع النجيد ، وهو الشجاع الماضى فيما يعجز غيره .

(٤) الدستور : الإجازة .

(٥) هو باليان الثانى Balian II of Iblin صاحب الرملة .

الساحل — وهو جالس بين يديه رحمه الله ، يوم انعقاد الصلح ، عن عدتهم فقال الترجمان عنه : إنه يقول « كنتُ أنا وصاحب صَيْدا[١] — وكان أيضا من ملوكهم وعقلائهم — قاصدين عسكرنا من صُور . فلما أشرفنا عليه تحازَرْناه ، فحزرهم هو بخمس مائة ألف ، وحزرتهم أنا بست مائة ألف » . أوقال عكس ذلك . قلت : « فكم هلك منهم ؟ » فقال : « أما بالقتل فقريب من مائة ألف . وأما بالموت والغرق فلا نعلم . وما رجع من هذا العالم إلا الأقل » .

[وكان[٢] لابد له من أن يطوف حول العدو في كل يوم مرة أو مرتين إذا كنا قريبا منهم .

وكان — رحمه الله تعالى — إذا اشتد[ت] الحرب يطوف بين الصفين ، ومعه صبي واحد وعلى يده جنيب[٣] . ويخرق العساكر من الميمنة إلى الميسرة ، ويرتب الأطلاب[٤] ، ويأمرهم بالتقدم والوقوف في مواضع يراها . وكان يشارف العدو ويجاوره ، رحمه الله .

ولقد قُرئ عليه جزء من الحديث بين الصفين . وذلك أني قلت له : « قد سُمع الحديث في جميع المواطن الشريفة ، ولم ينقل أنه سمع بين الصفين . فإن رأى المولى أن يُؤثَر عنه ذلك كان حسنا » . فأذن في ذلك ، فأحضر جزءا .

---

(١) صيدا : ميناء لبنان جنوب بيروت ، على خط عرض ٣٢ ً ٣٣° شمالا ، وطول ٢٢ ً ٣٥° شرقا .

(٢) سقط من الأصل ابتداء من هنا إلى آخر ما حددته ، وجئت بما هنا من النوادر .

(٣) الجنيب : العصا يتوكأ عليها المرء .

(٤) الأطلاب : جمع طلب ، وهو لفظ كردى معناه الأمير الذى يقود مئتى فارس في ميدان القتال ، وأطلق أيضا على قائد المئة أو السبعين . وكان أول ما استعمل بمصر والشام أيام صلاح الدين ثم عدل مدلوله فأطلق على الكتيبة من الجيش . (السلوك ١ : ٢٤٨ حاشية الدكتور زيادة رقم ٢) .

وهناك أحضر من له به سماع . فقُرئ عليه ونحن على ظهور الدواب بين الصفين ، نمشى تارة ، ونقف أخرى .

وما رأيته استكثر العدو أصلا ، ولا استعظم أمرهم قط ، وكان مع ذلك فى حال الفكر والتدبير ، تذكر بين يديه الأقسام كلها . ويُرتب على كل قسم بمقتضاه من غير حِدَّة ولا غضب يعتريه ، رحمه الله .

وقد انهزم المسلمون فى يوم المصافّ الأكبر بمَرْج عكا ، حتى القلب ورجاله ، ووقع الكُوس[(١)] والعلم ، وهو — رضى الله عنه — ثابت القدم فى نفر يسير ، قد انحاز إلى الجبل ، يجمع الناس ويردهم ، ويُخجِّلهم حتى يرجعوا . ولم يزل كذلك حتى نصر عسكر المسلمين على العدو فى ذلك اليوم . وقتل منهم زهاء سبعة آلاف ما بين راجل وفارس . ولم يزل — رحمه الله — مصابرا لهم ، وهم فى العدة الوافرة إلى أن ظهر له ضعف المسلمين . فصالح وهو مسئول من جانبهم ، فإن الضعف والهلاك كان فيهم أكثر ، ولكنهم كانوا يتوقعون النجد ، ونحن لا نتوقعها . وكانت المصلحة فى الصلح . وظهر ذلك لما أبدت الأقضية الإلهية والأقدار ما كان فى مكنونها .

وكان — رحمه الله — يمرض ويصح ، وتعتريه أحوال مهولة ، وهو مصابر مرابط . وتتراءى النارانِ ، ونسمع منهم صوت الناقوس ، ويسمعون منا صوت الأذان ، إلى أن انقضت الوقعة على أحسن حال وأيسره ، قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه .

(١) الكوس : أكبر نوع عرفه العرب من الطبول ، قرعوه فى (النوبة) مع بقية الآلات الموسيقية الحربيـة .

ذكر اهتمامه بأمر الجهاد

قال الله سبحانه وتعالى[1] :

﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلنا ، وإن الله لمع المحسنين ﴾ .

ونصوص الجهاد فيها كثيرة .

ولقد كان — رحمه الله — شديد المواظبة عليه ، عظيم الاهتمام به ، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد دينارا ولا درهما إلا فى الجهاد أو فى الإرفاد[2] ، لصَدَق وبرّ فى يمينه .

ولقد كان الجهاد وحبه والشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيما ، بحيث ما كان له حديث إلا فيه ، ولا نظر إلا فى آلته ، ولا كان له اهتمام إلا برجاله ، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه . ولقد هجر فى محبة الجهاد فى سبيل الله أهله وأولاده ووطنه[3]] وسكنه وسائر ملاذه ، وقنع من الدنيا بالسكون فى ظل خيمة تهب بها الرياح يَمْنَة ويَسْرة ؛ ولقد وقعت عليه الخيمة فى ليلة رِيحيَّة على مرج عكا . فلو لم يكن فى البرج وإلا قتلته[4] . ولا يزيده ذلك إلا رغبة ومصابرة واهتماما .

وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثّه على الجهاد ويذكر شيئا من أخبار الجهاد . ولقد أُلِّف له كتب عِدّة فى الجهاد . وأنا ممن جمع له فى ذلك كتابا ، فيه كل آية وردت فيه وكل حديث ... وكان كثيرا ما يطالعه ...

١٠١ ر / ٢

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٦٩ . (٢) الإرفاد : الإعانة والإعطاء .

(٣) إلى هنا ينتهى الساقط من الأصل .

(٤) كذا فى الأصل والنوادر . والفصيح أن يقول : فلو لم يكن فى البرج لقتلته .

ولمـا أخذ حصن كوكب(١) فى ذى القعدة سـنة أربع وثمانين ، أعطى العساكر دستورا . وأخذ عسكر مصر فى العَوْد وكان مقـدمه الملك العادل أخوه . فسار معه ليودعه ويحظى بصلاة العيد فى القدس الشريف ، وسرنا فى خدمته . ولمـا صلى العيد فى القدس ، وقع له أنه يمضى معهم إلى عَسْقَلان ويودعهم بها ثم يعود على السّاحل يتفقد البلاد / الساحلية إلى عكّا ويرتّب أحوالها . فأشاروا عليه ألا يفعل فإن العساكر إذا فارقتنا نبقى فى عدة يسيرة ، والفرنج كلهم بصُور ، وهذه مخاطرة عظيمة . فلم يلتفت — رحمـه الله — وودّع أخاه والعسكر بعسقلان .

١٠١ ظ
٢

ثم سرنا فى خدمته على الساحل طالبى عكّا ، وكان الزمان شتاء عظيما ، والبحر هائجا ، وموجه كالجبال ... فعظم أمر البحر عندى حتى خيّل لى أننى لو قال لى قادر : « إن جُزْتَ فى البحر ميلا واحدا ملّكتك الدنيا » لما كنت أفعل . واستسخَفْتُ رأى من يركب البحر رجاء أن يكسب دينارا أو درهما . واستحسنت رأى من لا يقبل شهادة راكب البحر . هذا كله خطر لى .

فبينا أنا فى ذلك ، إذ التفتَ إلىّ وقال : « ما أحكى لك شيئا ؟ » فقلت : « بلى » . قال : « فى نفسى أنه متى يَسّر الله فتح بقية الساحل ، قَسّمت البلاد وأوصيت وودّعت ، وركبت هذا البحر إلى جزائره أتتبعهم فيها حتى لا أبقى على وجه الأرض من يكفر / بالله أو أموت » .

١٠٢ و
٢

فعظم وَقْع هذا الكلام عندى حيث ناقض ما كان بخاطرى . وقلت له : « ليس فى الأرض أشجع نفسا من المولى ، ولا أقوى نية منـه فى نصرة دين

(١) حصن كوكب : قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية تشرف على الأردن .

الله » . فقال : « كيف ؟ » قلت : « أما الشجاعة فلأن مولانا ما يهوله أمر هذا البحر وهوله . وأما نصرة دين الله فهو أن المولى ما يقنع بقلع أعداء الله من موضع مخصوص فى الأرض حتى يطهر جميع الأرض منهم » . واستأذنت فى أن أحكى له ما كان يخطر لى . فحكيت له ثم قلت : « ما هذه إلا نيـــة جميلة ، ولكن المولى يسيِّر فى البحر العساكر ، وهو سور الإسلام ومبعثـــه[1] ، لاينبغى له أن يخاطر بنفسه » . فقال : « أنا استفتيتك : ما أشرف المَوْتات ؟ » فقلت : « الموت فى سبيل الله » . فقال : « غاية ما فى الباب أن أموت أشرف الميتـــات » .

ذكر طرف من صبره واحتسابه رحمه الله[2]

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[3] .

ولقد رأيته — رحمه الله — بمَرْج عكا ، وهو على غايةٍ من مرض / اعتراه ، بسبب كثرة دمامل كانت قد ظهرت عليه من وسطه إلى ركبتيه بحيث لايستطيع الجلوس ، وإنما كان متكئا على جانبه إذا كان بالخيمة . وامتنع من مد الطعام بين يديه لعجزه عن الجلوس . وكان يأمر أن يفرَّق على الناس . وكان مع ذلك قد نزل بخيمة الحرب ، قريبا من العدو ، وقد رتَّب الناس ميمنة وميسرة وقلبا ، تعبئة القتال . وكان مع ذلك يركب من بكرة النهار إلى صلاة الظهر ، يطوف على الأطلاب ، ومن العصر إلى صلاة المغرب ، وهو صابر على شدة

١٠٢ ظ ٢

(١) النوادر : ومنعته ، وهى أوضح .

(٢) ٢٤

(٣) سورة النحل ، الآية ١١٠ .

الألم وقوّة ضَرَبان الدمامل . وأنا أتعجب من ذلك . فيقول — رحمه الله — : « إذا ركبتُ يزول عنى ألمها حتى أنزل » . وهذه عناية ربانية .

ولقد مرض — رحمه الله — ونحن على الخَرّوبة[1] ، وكان قد تأخر عن تل الحجاف[2] بسبب مرضه . فبلغ الفرنج ، فخرجوا طمعا فى أن ينالوا من المسلمين شيئا بسبب مرضه ، وهى نَوبة / النهر . فخرجوا فى مرحلة إلى الآبار التى تحت التل . فأمر بالثِّقل[3] حتى يتجهز بالرحيل[4] والتأخر إلى جهة النّاصرة . وكان عماد الدين صاحب سِنْجار[5] متمرِّضا أيضا ، فأذن له حتى يتأخر مع الثقل وأقام .

١٠٣ و
٢

ثم رحل العدو فى اليوم الثانى يطالبنا . فركب على مضض . ورتّب العسكر للقاء القوم تعبئة الحرب . وجعل طرف الميمنة للملك العادل ، وطرف الميسرة لتقى الدين ، وجعل ولديه الملك الظاهر والملك الأفضل — عزّ نصرُهما — فى القلب . ونزل هو — رحمه الله — وراء القوم يطلبهم[6] . وأول ما نزل من التل أحضر فرنجيا قد أسر من القوم ، فأمر بضرب عنقه فضُربت بين يديه ، بعد عرض الإسلام عليه وإبائه عنه . وكلما سار العدو يطلب رأس النهر، سار هو يستدير وراءهم ، حتى يقطع بينهم وبين خيامهم ، وهو يسير ساعة ثم ينزل يستريح ويتظال بمنديل على رأسه من شدة وقع الشمس ؛ ولا ينصب خيمة حتى لا يرى / العدو ضعفا .

١٠٣ ظ
٢

(١) الخروبة : حصن بسواحل فلسطين مشرف على عكا .
(٢) النوادر : تل الجل ، ولم يذكره ياقوت .
(٣) الثقل : متاع المسافر وحشمه وكل شيء نفيس مصون .
(٤) كذا فى الأصل ، وفى النوادر : للرحيل ، وهى أوضح .
(٥) هو أبو الفتح عماد الدين زنكى بن مودود ، تملك حلب فى ٥٧٧ ثم أخذها منه صلاح الدين فى ٥٧٩ وعوضه سنجار عنها ، ومات فى ٥٩٤ . (الوفيات ١ : ١٩٣ ، العبر ٤ : ٢٨٣) .
(٦) كذا فى النوادر . وفى الأصل : يطلبه ، وهى هفوة قلم .

ولم يزل كذلك حتى نزل العدو برأس النهر . ونزل هو قُبالتَهم على تل مطل عليهم إلى أن دخل الليل . ثم أمر العساكر المنصورة بالعودة إلى مجال المُصابرَة ، وأن يبيتوا تحت السلاح . وتأخر ، ونحن فى خدمته ، إلى قمة الجبل فضُربت له خيمة لطيفة . وبتُّ أنا والطبيب نُمَرِّضه ونُشاغله ، وهو ينام مرة ويستيقظ أخرى ، حتى لاح الصباح .

ثم ضُرب البوق . وركب ، وركبت العساكر وأحدقت بالعدو . ورحل العدو راجعا إلى خيامهم من الجانب الغربى فى النهر . وضايقَهم المسلمون فى ذلك اليوم مضايقة شنيعة .

وفى ذلك اليوم قدّم أولاده بين يديه احتسابا : الملك الظاهر ، والملك الأفضل ، والملك الظافر[1] ، وجميع من حضره منهم . ولم يزل يبعث من عنده حتى لم يبقَ عنده إلا أنا والطبيب وعارض الجيش والغلمان بأيديهم الأعلام والبيارق / لاغير . فيظن الرائى لها من بُعد أن تحتها خَلْقا عظيما ، وليس تحتها إلا واحد يَخْلُق عظيم — رحمه الله — ولم يزل العدو سائرا ، والقتل يعمل فيهم إلى أن كثر ذلك[2] . وكلما قُتل منهم شخص دفنوه ، وكلما جُرح منهم رجل حَملوه ، حتى لا يبقى بعدهم من يُعلَم قتله وجرحه ، وهم سائرون ، ونحن نشاهدهم ، حتى اشتد بهم الأمر ، ونزلوا عند الجسر . وكان الفرنج متى نزلوا إلى الأرض أَيِس المسلمون من بلوغ غرض منهم ، لأنهم يحتمون فى حالة النزول حماية عظيمة .

١٠٤ و
٢

(١) ظافر الدين الخضر المعروف بالمشمر ، ولد بمصر ٥٦٨ ، وولى بصرى إلى أن طرده منها أخوه العزيز ، فعاش فى حلب .

(٢) عبارة (إلى أن كثر ذلك) : ليست فى النوادر .

وبقى — رحمه الله — فى موضعه . والعساكر على ظهور الخيل قُبالةَ العدو إلى آخر النهار . ثم أمرهم أن يبيتوا على مثل ما باتوا عليه بارحتهم . وعدنا إلى منزلتنا[1] فى الليلة الماضية .

وذَكَر ملازمته للصبر حتى دخل العدو إلى خيامه . وذكر شدة صبره على وليد له مات وهو مُراهِق ، فبلغه الكتاب بموته / فلم يظهر عليه أثر لذلك .

١٠٤ظ ٢

ذكر نُبَذ من حلمه وعفوه رحمه الله[2]

قال تعالى[3] : ﴿ والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

ولقد كان حليما متجاوزا قليل الغضب .

وأُخبر أنه كان يوما عند باب خيمته ، وقد جلس جلوس مُتضجِّر ، وقد أخلى المكان إلا ممن لزم . فتقدم له مملوك كبير محترم عنده . وعرض عليه قصة لبعض المجاهدين ، فقال : « أنا الآن ضَجْران ، أخِّرها ساعة » . فلم يفعل ، وقدَّم القصة إلى قريب من وجهه الكريم بيده ، وفتحها بحيث يقرؤها فوقف على الاسم المكتوب فى رأسها فعرفه وقال : « رجل مستحق » . فقال « يوقع له المولى ؟ » . فقال : « ليست الدواة حاضرة الآن » . وكان جالسا فى باب الخركاه[4] بحيث لا يستطيع أحد الدخول إليها . والدواة فى صدرها ،

(١) النوادر : منزلنا .

(٢) ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٣٤ .

(٤) الخركاه : لفظ فارسى : أطلق على نوع من الخيام ، يتكون من قطع من الخشب يعقد بينها على شكل قبة ، وتغطيها قطع من اللبد .

والخركاه كبيرة . فقال له المخاطِب : « ها هى الدواة فى صدر الخركاه » . وليس لهذا معنى إلا أمره بإحضار الدواة . فقال : « صدق » . وامتد على يده اليسرى / ومد يده اليمنى فأحضرها ووقّع له . فقلت : « قال الله تعالى فى حق نبيه : ﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) وما أرى المولى إلا قد شاركه فى هذا الخلق ! » فقال : « ما ضرّنا شىءٌ . قَضَيْنَا حاجته وحصل الثواب » .

١٠٥ و / ٢

قال : ولقد كانت طراحته تُداس عند التزاحم عليه لعرض القصص ، وهو لا يتأثر لذلك ...

ولقد كان يسمع من المستغيثين إليه والمتظلّمين أغاظ ما يمكن أن يُسمع ، ويتلقّى ذلك بالبشر والقبول .

وذكر حكاية فيها طول : تلخيصها أن السلطان أمر بالحملة فى موضع فرصة . فأجابه بعض أكراد الأمراء بكلام فيه خشونة ، حاصلهُ تَعَتُّب لعدم التوفير فى إقطاعه . فعَطَف عنان فرسه كالمُغْضَب . وتيقن الناس أنه فى ذلك اليوم ربما صلب وقتل جماعة . فلم يظهر منه إلا ما اعتاده من البشر والقبول ، واستدعى الأمراء للأكل :

ذكر محافظته على أسباب المروءة
قَدَّسَ الله روحه (٢)

/ قال النبى — صلى الله عليه وسلم — : « بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارم الأخلاق » (٣) .

١٠٥ ظ / ٢

---

(١) سورة القلم ، الآية ٤ .

(٢) ٣١ .

(٣) الموطأ ٢ : ٢٠٣ . مسند ابن حنبل ٢ : ٣٨١ .

وكان — صلى الله عليه وسلم — إذا صافحه الرجل ، لا يترك يده حتى يكون الرجل هو الذى يبدأ بذلك[(١)] .

ولقد كان السلطان — رضى الله عنه — كثير المروءة ، نَدِىّ الوجه ، كثير الحياء ، مبسوط الوجه لمن يرد عليه من الضيوف ، لايرى أن يفارقه الضيف حتى يَطْعَم عنده ، ولا يخاطبه فى شىء إلا ويُنجزه . وكان يكرم الوافد عليه وإن كان كافرا .

وذَكَرَ ما أعطاه البرنْس[(٢)] من بلاد العَمْق ومؤاكاته لصاحب صَيْدا .

قال[(٣)] : وكان يكرم من يرد عليه من المشايخ وأرباب العلم وذوى الفضل والأقدار . وكان يوصينا لئلا نغفل عمن يجتاز بالخيم من المشايخ المعروفين حتى نحضرهم عنده وينالهم من إحسانه .

وذكر عن ابن صاحب توريز المتزهِّد الذى وفد عليه ، وليس له غرض فى لقاء السلطان ، وانصرافه دون وداع السلطان ، وأن السلطان عَتَبه / على كونه انصرف بغير إحسان منه . فكتب إليه رقعة فى ذلك وكانت بينهما صداقة . فعاد إليه . فأمسكه السلطان أياما . واجتمع به ، وخلع عليه ، وحماه ، وأعطاه ثيابا كثيرة يحملها إلى أهل بيته وأتباعه وجيرانه ونفقة يرتفق بها .

١٠٦ و
٢

قال[(٤)] : ولقد رأيته وقد مَثَل بين يديه أسير فرنجى ، وقد هابه بحيث ظهرت أمارات الخوف . فقال له الترجمان : « من أى شىء تخاف ؟ » فأجرى الله على لسانه أن قال : « كنت أخاف قبل أن أرى هذا الوجه ، فبعد رؤيتى له ... أيقنتُ أنى ما أرى إلا الخير » . فرَقَّ له ومَنّ عليه وأطلقه .

---

(١) سنن ابن ماجه — أبواب الأدب — باب إكرام الرجل جليسه — ص ٢٧٢ .

(٢) صاحب أنطاكية . والعمق : كورة بنواحى حلب ، ومنها أكثر ميرة أنطاكية .

(٣) ٣١ . (٤) ٣٢ .

ولقد كنتُ راكبا فى خدمته فى بعض الأيام قُبالةَ الفرنج ، وقد وصل بعض اليَزَكيّة ، ومعه امرأة شديدة التّحرّق ، كثيرة البكاء ، متواترة الدق على صدرها . فقال : إن هذه خرجت من عند الفرنج . وسألت الحضور بين يديك ، وقد أتينا بها . فأمر الترجمان أن يسألها عن قصتها . فقالت : « إن لصوص المسلمين دخلوا / البارحة إلى بيتى(١) وسرقوا ابنتى . فبتُّ البارحةَ مستغيثة إلى بكرة » . فقال لى الملوك : « الملك هو رحيم . ونحن نخرجك إليه تطلبين ابنتك . فأخرجونى وما أعرف ابنتى إلا منك » . فرقّ لها ودمعت عينه ، وحركته مروءته . وأمر من ذهب إلى سوق العسكر يسأل عن الصغيرة : من اشتراها . ويدفع له ثمنها ، ويُحضرها . وكان قد عرف قصتها من بُكْرة يومه . فما مضت ساعة حتى وصل الفارس والصغيرة على كتفه . فما كان إلا أن وقع نظرها عليها ، فخرّت إلى الأرض تمرّغ وجهها فى التراب ، والناس يبكون على ما نالها ، وترفع طَرْفَها إلى السماء ، ولا نعلم ما تقول . فسُلّمت ابنتها إليها ، وحُملت حتى أُعيدت إلى عسكرهم .

١٠٦ظ ٢

قال(٢) : وكان — رحمه الله — لا يرى الإساءة لمن صحبه ، وإن أفرط فى الجناية . ولقد قُلب من خزانته كيسان من الذهب المصرى بكيسين فلوسا ، فما عمل بالبوابين(٣) شيئا سوى أن صَرَفهم .

ولقد دخل عليه أَبرنس أرناط(٤) / صاحب الكَرَك(٥) مع ملك الفرنج بالساحل

١٠٧ر ٢

(١) النوادر : خيمتى . (٢) ٣٣ . (٣) النوادر : النواب .

(٤) هو Le Prince Arnould Seigneur de Carac.

(٥) قلعة حصينة من فلسطين ، شرقي القسم الجنوبي من البحر الميت ، علي خط عرض ١١َ ٣١ْ شمالا ، وطول ٤٢َ ٣٥ْ شرقا .

لمـــا أسرهما فى وقعة حطّين[1] المشهورة .. وكان قد أمر بإحضارهما ، وكان هذا أرناط اللعين كافرا عظيما جبارا شديدا . وكان قد اجتازت به قافلة من مصر حين كان بينهم وبين المسلمين هدنة ، فغدر بها وأخذها ونكّل بهـــم وعذّبهم ، وأسكنهم المطامير[2] والحبوس الحرجة . وأذكروه حديث الهدنة فقال : « قولوا لمحمد كم يخلصكم » .

فلما بلغه ذلك عنه ، نذر أنه متى أظفره الله به قتله بنفسه . فلما أمكن الله منه قوى عزمه على قتله وفاء بنذره . فأحضره مع الملك . فشكا الملك العطش فأحضر له قدحا من شراب . فشرب منه ثم ناوله أرناط . فقال السلطان للترجمان : « قل للملك : أنت الذى سقيته ، وأما أنا فما أسقيه من شرابى ، ولا أطعمه من طعامى[3] » . فقصد ـــ رحمه الله ـــ أن من أكل من طعامى فالمروءة تقتضى ألا أوذيه . ثم ضرب عنقه بيـــده وفاء بنذره وأخذ عكا . وأخرج الأسرى كلهم من / الأسر ، وكانوا زهاء عن أربعة آلاف ، وأعطى كلا منهم نفقة توصله إلى وطنه .

١٠٧ظ
٢

وكان ـــ رحمه الله ـــ حسن العشرة ، لطيف الأخلاق . طيب الفكاهة ، حافظا لأنساب العرب ووقائعهم ، عارفا بسيرهم وأحوالهم ، حافظا لأنساب خيلهم ، عالمـــا بعجائب الدنيا ونوادرها ، بحيث كان يستفيد محاضره منه مالا يسمعه من غيره . وكان حسن الخُلق ، يسأل الواحد منا عن مرضـــه

---

(١) حطين : من مدن شمال فلسطين ، بين بحيرة طبرية والناصرة ، على خط عرض ٨ ٤َ ٢ ٣٢° شمالا ، وطول ٢٨َ ٥ ٣٥° شرقا .

(٢) المطامير : جمع المطمورة ، وهى الحفيرة تحت الأرض .

(٣) كذا في النوادر . وفي الأصل : طعامه ، وهي هفوة قلم لا تتفق مع (شرابى) السابقة عليها .

ومُداواته ومطعمه ومشربه وتقلبات أحواله، طاهر المجلس .. واللســان .. والقلم .. حسن العهد والوفاء .. رحيما للأيتام والشيوخ . ما أُحضر بين يديه يتيم إلا تَرَحَّم على مُخلفيه ، وجَبر قلبه ، وأعطاه خبز مخالفه إن كان كبيرا يعتمد عليه[1] ، وإلا أبقى له من الخير[2] ما يكفّ حاجته، وسُلِّم إلى من يَكْفُله ...

ولم يزل على هذه الأخلاق إلى أن توفاه الله إلى مَقارّ رحمته ورضوانه .

---

(١) النوادر : وإن كان له من أهله كبير يعتمد عليه سلمه إليه .

(٢) كذا فى الأصل . وفى النوادر : الخبز .

القسم الثانى

من الكتاب البهائى فى تقلبات أحوال ووقائعه وفتوحاته / وما يضاف إلى ذلك ويتخلله (1)

١٠٨ ر
٢

قال ابن سعيد : أطال الصاحب بهاء الدين فى هذا القسم الثانى ، على ما يقتضيه العمل فى تأليف كتاب مُفْرَد بسيرته . وقد اختصرته أشد اختصارا من الأول ، جريا على ما يقتضيه غرض هذا الكتاب ، مع الاحتياط على حَصْر الفوائد ، والله ولى الإعانة .

ذكر حركاته إلى مصر حتى مَلَكها بعد قتل شاور وخطب بها للخليفة المستضىء ومات خليفتها العاضد (2)

كان السبب فى أول حركة تحرّك فيها إلى مصر أن شاور وزير العاضد خرج الضِّرْغام عليه طالبا منصبه . فغلب عليه وقتل ولده وأُخْرجه من القاهرة . فطلب شاور الشام مستصرخا بنور الدين محمود بن زنكى . فنصره بأسَد الدِّين شيركوه / . فاستصحب معه صلاح الدين على كراهية منه . وجعله مُقَدَّم

١٠٨ ظ
٢

---

(1) ٣٥ . (2) ٣٦ .

عسكره ، وذلك فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة[1] . وآل الأمر إلى أن نصرُوا شاور على خصمه وأعادوه إلى منصبه .

وعاد أسد الدين ، وقد عرف البلاد ، وانغرس فى قلبه الطَّمعُ فيهـا . وعَلم أنها بلاد تمشى فيها الأمور بمجرد الإيهام والمحال . ولم يزل يتحدث بالرجوع إليها بين الناس حتّى بَلغ ذلك شاور وخافه على البلاد . فكاتب الفرنج واستعان بهم . فتوقع نور الدين استيلاء الفرنج على الجهات المصرية . فجهز أسد الدين ومعه ابن أخيه صلاح الدين . فجرت بينهم حروب ووَقعـات شديدة ، منها وقعة البابين[2] التى تنسب هذه الحركة الثانية إليها . وجَرَّد نورالدين العساكر لبلاد الفرنج وأخذ المُنَيطرة[3] . فخافوه على بلادهم فعادوا إلى مصر . وعاد أسد الدين / بسبب ضعف عسكره وما عاينه من الشدائد .

١٠٩ و
٢

ثم إن الفرنج جمعوا جمهورا عظيما وعادوا إلى مصر وقد طمعوا فيها . فجهز محمود أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، وهو أيضا كاره جارٍ على ما يتضمنه قوله تعالى[4] : ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ . وهذه الحركة الثالثة التى ملكوا فيها مصر ، وذلك فى سنة أربع وستين وخمس مائة . وكان شاور قد بعث لأسد الدين يستحثه ويستنجده على الفرنج . ولمـا علم الفرنج بوصوله إلى مصرعن اتفاق مع أهلها عادوا إلى بلادهم .

(١) كذا قال ابن شداد ، ولكن أكثر المؤرخين خالفوه وجعلوا ذلك فى ٥٥٩ ، وصحح أبوشامة التاريخ الأخير .

(٢) البابين : قرية كانت تقع جنوبى مدينة المنيا . (النوادر ٣٧ ، التعليقة ٢) . وكانت هذه الحـرب فى ٥٦٢ هـ .

(٣) المنيطـرة : حصن قريب من طرابلس فى الشام . واتفق أكثر المؤرخين على أن نور الدين استولى عليها فى ٥٦١ لا ٥٦٢ كما يقول ابن شداد .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٢١٦ .

وأقام أسد الدين بها يتردّد إليه شاور فى الأحيان . وكان قد وعدهم بمال فى مقابلة ما خسروه من النفقـــة . فلم يوصّل إليهم شيئا ، وعلّقت مخاليب أسد الدين فى البلاد . فأجمعوا على القبض / على شاور إذا خرج إليهم ، وكان يركب على قاعدة وزرائهم بالطبل والبوق والعلم . فلم يتجاسر على قبضـــه من الجماعة إلا السلطان بنفسه . وذلك أنه لمـــا خرج إليهم تلقّاه راكبا . وسار إلى جانبه ، وأخذ بتلابيبه . وأمر العسكر بأخذ أصحابه . ففروا ونُهبـــوا . وقُبض شاور وأنزل فى خيمة مفردة . وفى الحال جاء التوقيع من المصريين على يد خادم خاص يقول : لابدّ من رأسه . جريا على عادتهم فى وزرائهم فى تقرير قاعدةٍ فى مَنْ قَوِى منهم على صاحبه . فحُزّت رقبته . وأُنفذ رأسه إليهم . وأنفذ إلى أسد الدين خلعة الوزارة فلبسها . وسار ودخل القصر وترتّب وزيرا . وذلك فى سابع عشر ربيع الآخر سنة أربع وستين وخمسمائة . واستمر على ذلك .

١٠٩ ظ
٢

وكان شديد المواظبة على تناول اللحوم الغليظة ، تتواتر عليه التُّخَم / والخَوانيق[1] ، وينجو منها بعد مُعاناة شديدة . فاعتراه خانوق عظيم فقتله رحمه الله فى الثانى والعشرين[2] من جمادى الآخرة فى السنة المذكورة .

١١٠ و
٢

وفُوِّض الأمر بعده إلى السلطان صلاح الدين واستقرت القواعد وتمشت الأحوال على أحسن نظام . وبذل المـــال وملك الرجال وهانت عنده الدنيا

(١) الخوانيق : جمع خانوق ، ضيق يعترى المرىء فلا يمر الهواء .

(٢) جعـــل الروحى وفاته فى الثالث والعشرين (الوفيات ١ : ٢٢١) : والخطط ١ : ٢٣٣ فى الخامس والعشرين .

فملكها . وشكر نعمة الله فتاب عن الخمر وأعرض عن اللهو . واستمر على وزارة القوم لكنه غارسٌ للسنة فى القلوب . والناس يُهرَعون إليه من كل صَوْب . وهو لا يخيب قاصدا ولا يرد وافدا إلى سنة خمس وستين وخمسمائة :
ولما عرف نور الدين استقرار أمر السلطان بمصر أخذ حمصا من نواب أسد الدين[1] :

ولما علم الفرنج بما صح له فى مصر ، جمعوا وحدّثوا نفوسهم بالاستيلاء عليها ، فقصدوا دمياط[2] . ولما بلغ نور الدين ذلك / شَغَل قلوبهم بالنزول على الكرك . فقصده فرنج الساحل فرحل عنها . وآل الأمر بحسن تدبير صلاح الدين وسعادته وجوده إلى أن رحلوا عن دمياط خاسرين . فحُرِّقت مَناجيقهم ونُهبت آلاتهم وقُتل منهم خَلْق عظيم .

١١٠ ظ / ٢

ثم أنفذ فى طلب والده ، ليكمل له السرور مشاكلةَ ما جرى للنبى يوسف — صلوات الله على نبينا وعليه — فوصل والده نجم الدين[3] . وسلك معه من الأدب ما كانت عادتُه وألبسه الأمر كله . فأبى وقال : « يا ولدى : ما اختارك الله لهذا الأمر إلا وأنت كفوٌ له ، فلا ينبغى أن نغير موقع السعادة » .

الخطبة

وخطب السلطان للمستضىء فى آخر حياة العاضد . ومات العاضد يوم الاثنين العاشر من محرم سنة سبع وستين وخمسمائة . والسلطان — رحمه الله — كلما استولى على خزانة مال وهبها لا يبقى لنفسه شيئا .

١١١ و / ٢

ولما استقرت / قواعد سلطانه شرع فى التأهب لقصد بلاد العدو .

(١) فى رجب ٥٦٤ . (النجوم ٦ : ١٥ ، الروضتين ١ : ١٦٠) . وحمص على خط عرض ٤٤َ ٣٤° شمالا ، وطول ٤٣ ٣٦° شرقا .

(٢) فى ٥٦٥ . ودمياط على خط عرض ٢٦ ٣١° شمالا ، وطول ٤٨ ٣١° شرقا .

(٣) فى رجب ٥٦٥ .

غزواته رحمة الله عليه وما يتخللها(١)

الكرك

أول غزاة غزاها فى سنة ثمان وستين وخمس مائة غزوة الكرك والشوبك(٢). بدأ بهما لأنهما كانا فى الطريق يمنعان من يقصد مصر . وكان لا يمكن أن تصل قافلة حتى يخرج بنفسه ويعبرها . فجرت بينه وبين الفرنج وقعات . ولم يظفر من حصار الكرك فى تلك الكرة بشىء .

موت أبيه

وفى عوده منها بلغه موت أبيه . وكان سببه وقوعه من الفرس . وكان شديد الركض ولعا يحب(٣) الكرة ، بحيث من رآه يلعب بها يقول : « ما يموت إلا من وقوعه عن ظهر الفرس . وكانت وفاته بمصر سنة ثمان وستين وخمسمائة

فتح اليمن

ولما كانت سنة تسع وستين رأى قوة عسكره وكثرة عدد إخوته وقوة بأسهم . وكان بلغه أن باليمن إنسانا استولى عليها يخطب / لنفسه اسمه عبد النبى ابن مهدى(٤) ، ويزعم أنه ينتشر ملكه إلى الأرض كلها . فرأى أن يسير لها أخاه الأكبر شمس الدولة الملك المعظم تورانشاه(٥) ، وكان كريما أريحيا حسن الأخلاق . فخرج إليها فى رجب من السنة المذكورة فقتل الخارجى وفتحها ، واستولى على معظمها .

١١١ ظ
٢

---

(١) ٤٥ .

(٢) الشوبك : قلعة حصينة قرب الكرك شمال شرق معان ، على خط عرض ٣٢ ٣٠° شمالا ، وطول ٣٣ ٣٥° شرقا .

(٣) كذا فى الأصل . والأصوب كما فى النوادر وغيره : ولعا بلعب الكرة .

(٤) المهديون : أسرة حكمت زبيد من ٥٥٤ إلى ٥٦٩ ، وتولاها منهم على بن مهدى ثم ابنه مهدى بن على ثم ابنه عبدالنبى بن مهدى . وكانوا أحناف المذهب ، غير أنهم ابتدعوا لهم آراء تكفر مرتكب الكبائر وتبيح قتله ، وقتل من يخالف اعتقادهم من المسلمين ، ووطء نسائهم ، واسترقاق ذراريهم (أبو الفدا ٢ : ٣٧ . ابن الوردى ٢ : ٦١) .

(٥) كان أكبر من صلاح الدين ، غزا النوبة واليمن ، ومات بالإسكندرية فى ٥٧٦ ، وعرف بالجود . (الوفيات ١ : ٩٩ . العبر ٤ : ٢٢٨) .

وفاة نور الدين

واعترت نور الدين محمود بن زنكى خوانيق عجز الأطباء عن علاجها . فمات — رحمه الله — يوم الأربعاء حادى عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة فى قلعة دمشق . وقام مقامه ابنه الملك الصالح إسماعيل[1] .

قال[2] : ولقد حكى لى السلطان — رحمه الله — قال : كان يبلغنا عن نور الدين ربما قصدنا بالديار المصرية وكانت جماعة أصحابنا يشيرون بأن يكاشف ويخالف ويلقى عسكره بمصاف يرده ، وكنت وحدى أخالفهم وأقول : « لا يجوز أن يقال شىء من ذلك » ، ولم يزل النزاع بيننا حتى وصل الخبر بوفاته — رحمه الله .

وكان المعروف بالكنز[3] / [قد[4] انتزح إلى أسوان فأقام بها ، ولم يزل يدبر أمره ، ويجمع السودان عليه ، ويخيل لهم أنه يملك البلاد ويعيد الدولة مصرية ، وكان فى قلوب القوم من مهاواة المصريين ما تستصغر هذه الأفعال عنده . فاجتمع عليه خلق كثير وجمع وافر من السودان . وقصد قوص[5] وأعمالها .

---

(١) ولد نحو ٥٥٨ هـ وولى دمشق وحلب فى ٥٦٩ هـ إلى أن أخذ صلاح الدين منه أولاهما ومات فى ٥٧٧ هـ وورث عن أبيه التقوى والعدالة وحسن الخلق (العبر ٤ : ٢٣١) .

(٢) ٤٧ .

(٣) الكنوز : بطن من ربيعة استقر حول أسوان وفى بلاد النوبة ، منح الحاكم شيخهم أبا المكارم هبة الله بن أبى عبد الله محمد لقب كنز الدولة ، عند ماظفر بالثائر الأموى أبى ركوة ، ثم توارث شيوخهم هذا اللقب ، إلى أن قتل صلاح الدين آخرهم هذا . واكتسبت القبيلة اسمها من لقب شيخها ، واستمرت تعيش فى هذه المنطقة ، بعد أن اختلطت بالنوبيين وتزوجت منهم . ولازالت سلالة الكنوز تعيش بين أسوان وكروسكو (الشيال فى مفرج الكروب ٢ : ١٦ ، والنوادر ٤٧) .

(٤) سقط من الأصل هنا ورقة ، فأوردت ما كان فيها من النوادر الذى كان المؤلف يختصره ، وأسوان على خط عرض ٥َ ٢٤° شمالا ، وطول ٥٦َ ٣٢° شرقا .

(٥) قوص : من محافظة قنا الآن ، وكانت حينذاك من أكبر مدن مصر ، وهى على خط عرض ٥٣َ ٢٥° شمالا ، وطول ٤٨َ ٣٢° شرقا .

وانتهى خبره إلى السلطان . فجرّد له عسكرا عظيما شاكين فى السلاح من الذين ذاقوا حلاوة ملك الديار المصرية ، وخافوا على فَوْت ذلك منهم . وقدّم عليهم أخاه الملك العادل سيف الدين[(١)] . فسار بهم حتى أتوا القوم . فلقيهم بمصاف فكسرهم . وقتل منهم خلقا عظيما ، واستأصل شأفتهم ، وأخمد نائرتهم . وذلك فى السابع من صفر سنة سبعين[(٢)] . واستقرت قواعد الملك ، واستوت أموره . ولله الحمد والمنة .

ذكر خروج السلطان
رحمة الله عليه إلى الشام وأخذه لدمشق المحروسة

ولما تحقق السلطان وفاة نور الدين ، وكون ولده طفلا[(٣)] لا ينهض بأعباء الملك ، ولا يستقل بدفع عدو الله عن البلاد ، تجهز للخروج إلى الشام ، إذ هو أصل بلاد الإسلام . فتجهز بجمع كثير من العساكر . وخلّف فى الديار المصرية من يستقل بحفظها وحراستها ، ونظم أمورها وسياستها ، وخرج هو سائرا مع جمع من أهله وأقاربه ، وهو يكاتب أهل البلاد وأمراءها .

واختلفت كلمة أصحاب الملك الصالح ، واختلت تدابيرهم ، وخاف بعضهم من بعض ، وقبض البعض على جماعة منهم . وكان ذلك سبب خوف الباقين من فعل ذلك ، وسببا لتغير قلوب الناس عن الصبي . فاقتضى الحال أن كاتب شمس الدين بن المقدم[(٤)] السلطان .

---

(١) ذكر ابن الأثير ٩ : ١٣٠ أن الذى قاد الجيش أبو الهيجاء السمين ، لأن الكنز كان قد قتل أخاه .

(٢) أرخ الذهبى : العبر ٤ : ٢١٤ المعركة بسنة اثنتين وسبعين .

(٣) كان فى الحادية عشرة من عمره .

(٤) هو محمد بن عبد الملك ، الوصى على الملك الصالح ، ولاه صلاح الدين بعلبك ودمشق ، قتل فى فتنة بمكة فى ٥٨٣ ، وكان بطلا شجاعا عاقلا (العبر ٤ : ٢٥٠) .

ووصل السلطان البلاد مطالبا بالملك الصالح ، ليكون هو الذى يتولى أمره ويُرَبّ حاله ، ويقوّم له ما اعوجّ من أمره . فوصل محروسة دمشق ، ولم يشق عليه عصا . ودخلها بالتسليم فى يوم الثلاثاء سَلْخ ربيع الآخر سنة سبعين وخمس مائة . وتسلم قلعتها . وكان أول دخوله إلى دار أبيه . واجتمع الناس إليه وفرحوا به . وأنفق فى ذلك اليوم فى الناس مالا طائلا . وأظهر الفـرح والسرور بالدمشقيين ، وأظهروا الفرح به . وصعد القلعة ، واستقر قـدمه فى ملكها .

فلم يلبث أن سار فى طلب حلب[1] . فنازل حمصا ، فأخذ مدينتها فى جمادى الأولى سـنة سبعين ، ولم يشـتغل بقلعتها . وسار حتى أتى حلب ، ونازلها فى يوم الجمعة سلخ جمادى الأولى[2] من السنة المذكورة ، وهى الدفعة الأولى .

ذكر تسيير سيف الدين[3] أخاه عز الدين[4] إلى لقـائه

ولمـا أحس سيف الدين — صاحب الموصـل — بما جرى ، علم أن الرجل قد استفحل أمره ، وعظم شأنه ، وعات كلمته . وخاف أنه — إن غفل عنه — استحوذ على البلاد ، واستقر قدمه فى الملك ، وتعدى الأمر إليه . فجهّز عسكرا وافرا وجيشا عظيما . وقدّم عليه أخاه عز الدين مسعودا . وساروا يريدون لقاء السلطان وضَرْب المصاف معه وردّه عن البلاد .

(١) حلب على خط عرض ١٤ َ ٣٦ ° شمالا ، وطول ١٠ َ ٣٧ ° شرقا .

(٢) الكامل ٩ : ١٣٢ ، والروضتين ١ : ٢٤٠ عن العماد : ثالث جمادى الآخرة .

(٣) هو سيف الدين غازى بن قطب الدين مودود ، الذى ولد نحو ٥٤٦ وولى الموصل من ٥٦٤ إلى ٥٧٢ . (الوفيات ١ : ٤٠١ . العبر ٤ : ٢٣٠) .

(٤) هو مسعود ، ولى الموصـل بعد أخيه فى ٥٧٢ ثم حلب بعد الملك الصالح فى ٥٧٧ غير أنه قايض بها سنجار مع أخيه عماد الدين . ومات فى ٥٨٩ . (الوفيات ٢ : ٩٤ . العبر ٤ : ٢٦٩) .

ولما بلغ السلطان ذلك ، رحل عن حلب مستهل رجب من السنة المذكورة عائدا إلى حماة[1] . وسار إلى حمص فاشتغل بأخذ قلعتها فأخذها ، ثم وصل عز الدين إلى محروسة حلب ، وانضم إليه من كان بها من العسكر . وخرجوا بجمع عظيم .

ولما عرف هو بمسيرهم سار حتى وافاهم فى قرون حماة ، وراسلهم وراسلوه . واجتهد أن يصالحوه ، فما صالحوه ، ووجدوا أن المصاف ربما نالوا به الغرض الأكبر ، والمقصود الأوفر . والقضاء يجر إلى أمور ، وهم بها لا يشعرون .

وقام المصاف بين العسكرين . فقضى الله أن انكسروا بين يديه ، وأسر جماعة منهم ، ومَنّ عليهم وأطلقهم . وذلك عند قرون حماة فى تاسع عشر رمضان سنة سبعين وخمس مائة .

ثم سار عقيب انكسارهم ونزل على حلب ، وهى الدفعة الثانية . وصالحوه على أن أخذ][2] /المعرة[3] وكَفَرْطاب[4] وأخذ بارين[5] . ووصل سيف الدين صاحب الموصل بنفسه نصرة للملك الصالح . وخرج الصالح للقائه واعتنقه ، فضمه

١١٢ ر
٢

(١) حماة على خط عرض ٩َ ٣٥° شمالا ، وطول ٤٤َ ٣٦° شرقا .

(٢) هنا ينتهى الساقط من الأصل .

(٣) المعرة : مدينـة كبيرة قديمة مشهورة ، من أعمال حمص ، بين حلب وحماة ، على خط عرض ٤٠َ ٣٥° شمالا ، وطول ٤٠َ ٣٦° شرقا .

(٤) كفرطاب : بلدة فى البرية بين المعرة وحلب .

(٦) بارين : مدينة حسنة بين حلب وحماة ، إلى جهة الغرب ، وقد أخذها صلاح الدين فى أواخر ٥٧٠ .

إليه وبكى ودخل القلعة جريدة . وأكل فيها خبزا . ونزل معه فى جمع عظيم رحل به إلى تل السلطان (١) . وآل الأمر إلى أن تلاقى مع السلطان بجباب التركمان (٢) فكان الظفر العظيم للسلطان . وأسر جمعا عظيما من كبار الأمراء . فمن عليهم وأطلقهم . وعاد سيف الدين إلى بلاده .

وسار السلطان إلى منبج (٣) فتسلمها . وسار إلى قلعة أعزاز (٤) فحاصرها . وهنالك وثب عليه الإسماعيلية فنجّاه الله من كيدهم وظفر بهم . ولم يفلّ ذلك عزمه حتى أخذها .

وسار حتى نزل على حلب فى سادس عشر من ذى الحجة سنة إحدى وسبعين . فخرجت له ابنة صغيرة لنور الدين محمود وسألت منه أعزاز ، فوهبها لها .

وعاد /إلى الديار المصرية ، واستخلف فى دمشق أخاه شمس الدولة بعد وصوله من اليمن . ثم عاد شمس الدولة إلى مصر وتوفى بالإسكندرية يوم الخميس مستهل (٥) صفر (٦) سنة ست وسبعين وخمسمائة .

١١٢ظ
٢

(١) تل السلطان : موضع على مرحلة من حلب فى الطريق إلى حماة .

(٢) فى ٥٧١ .

(٣) منبج : مدينة كبيرة فى شمال سورية ، إلى الشمال الشرقى من حلب على خط عرض ٣٢َ ٣٦° شمالا وطول ٥٥َ ٣٧° شرقا .

(٤) أعزاز ، وتسقط همزتها : بليدة شمالى حلب ، على حدود تركيا ، على خط عرض ٣٥َ ٣٦° شمالا وطول ٣َ ٣٧° شرقا .

(٥) الوفيات : «ذكر ابن شداد فى سيرة صلاح الدين أنه توفى يوم الخميس مستهل صفر ، وقال فى موضع آخر من السيرة أيضا خامس صفر ...» . وانظر النوادر ٥٢ .

(٦) المفرج ٢ : ٩٦ ، والروضتين ٢ : ١٨ عن العماد : المحرم .

كسرة الرملة[1]

وخرج السلطان من مصر غازيا حتى وافى الرملة فالتقى بها مع الفرنج . فكانت الكسرة التى جبرها الله بيوم حطّين . قال : وكانت كسرة الرملة عظيمة . وأسر من المسلمين جماعة منهم الفقيه عيسى[2] .

وفاة الصالح

وفى خامس عشر[3] من رجب ، توفى الملك الصالح بن محمود صاحب حلب . وكان لموته وقع عظيم فى قلوب الناس . وأوصى بالأمر لعز الدين مسعود بن قطب الدين صاحب الموصل . فوصل إلى حلب ، وصعد القلعة واستولى على خزائنها ، وتزوج أم الملك الصالح . وضاق عطن عز الدين بالأمراء وطلبهم الزيادات . وكان صاحب أمره مجاهد الدين قايماز[4] ، وكان ضيق العطن / لم يعتد مقاساة أمراء الشام . فآل ذلك إلى أن قايض أخاه عماد الدين[5] عن سنجار[6] بحلب . وتحرك السلطان من مصر فنزل على حلب ثلاثة أيام[7] .

١١٣ ر
٢

---

(١) فى ٥٧٣ . والرملة : من مدن فلسطين ، شمال غرب القدس ، على خط عرض ٥٦َ ٣١° شمالا وطول ٥٢َ ٣٤° شرقا .

(٢) هو أبو محمد عيسى بن محمد الحسنى الهكارى ضياء الدين ، كان إماما لأسد الدين شيركوه ، وعند وفاته شارك قراقوش فى تمهيد الأمر لصلاح الدين ، فحفظ له صنيعه ، وجعله أحد أمرائه ومستشاريه ومات فى ٥٨٥ (الوفيات ١ : ٣٩٧) .

(٣) المفرج ٢ : ١٠٦ ، والروضتين ٢ : ٢١ : الخامس والعشرين وذلك فى ٥٧٧ .

(٤) أبو منصور قايماز بن عبد الله الزينى ، ولد بسجستان ، وأخذ منها صغيرا ، فملكه على بكتكين ثم أعتقه وعهد إليه بتربية أولاده ، وفوض إليه أمور إربل فى ٥٥٩ ، وانتقل إلى الموصل فى ٥٧١ وفوض إليه سيف الدين تدبير شئون مملكته ، ومات بالموصل فى ٥٩٥ (الوفيات ١ : ٤٢٦) .

(٥) أبو الفتح زنكى بن مودود ، ولى حلب فى ٥٧٨ ، وسنجار من ٥٦٦ إلى موته فى ٥٩٤ .

(٦) سنجار : مدينة مشهورة ، فى شمال العراق ، على خط عرض ٢٠َ ٣٦° شمالا ، وطول ٥١َ ٤١° شرقا .

(٧) الروضتين ٢ : ٣٠ عن ابن أبى طى : ستة أيام .

وعبر الفرات . وأخذ الرُّها[1] والرَّقَّة[2] ونصيبين[3] وسَروج[4] . وشحن على الخابور[5] وأقطعه .

منازلة الموصل

ونزل على الموصل في يوم الخميس حادى عشر رجب سنة ثمان وسبعين فأقام عليها أياما . وعلم أنه بلد عظيم لا يتحصل منه شيء بالمحاصرة على هذا الوجه . ورأى أن طريق أخذه أَخْذُ قلاعه وما حوله من البلاد . وإضعافه بطول الزمان . فرحل عنها .

فتح سنجار

ونزل على سنجار فأخذها عَنْوة في ثاني رمضان سنة ثمان . وخرج واليها شرف الدين بن قطب الدين وجماعته محترمين إلى الموصل . وأعطاها السلطان ابن أخيه تقي الدين[6] . ورحل إلى نصيبين .

---

(١) الرها : مدينة بالجزيرة بجنوب تركيا الآن ، على خط عرض ٨َ ٣٧° شمالا ، وطول ٤٥َ ٣٨° شرقا .

(٢) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات ، في الجزيرة بسورية على خط عرض ٥٧َ ٣٥° شمالا ، وطول ٣َ ٣٩° شرقا .

(٣) نصيبين : مدينة عامرة من الجزيرة بجنوب تركيا ، على حدود سورية ، على خط عرض ٥َ ٣٧° شمالا ، وطول ١١َ ٤١° شرقا .

(٤) سروج : بلدة من ديار مضر قريبة من حران .

(٥) الخابور : أحد روافد الفرات ، ينبع من جبال جنوب تركيا ، ويصب عند البصيرة في شرق سورية .

(٦) في الكامل ٩ : ١٥٩ والروضتين ٢ : ٣٣ عن العماد : سعد الدين مسعود بن معين الدين أزوكان ، زوج أخت صلاح الدين ، الذي مات في ٥٨١ . ويغلب على ظني أن الصواب مع ابن تغرى بردى ٦ : ٢٨ — ٢٩ الذي يذكر أنه أعطاها لتقي الدين ، ثم وقع الصلح بين صلاح الدين وعماد الدين زنكي فتنازل له صلاح الدين عن سنجار .

١١٣ ظ / ٢

ونزل على آمد فأخذها فى ثمانية أيام ، وذلك فى أول المحرّم (١) سـنة تسع / وسبعين . وأعطاها نور الدين بن قَرَا أَرْسَلان .

فتح حلب

ونزل السلطان على حلب بالميدان الأخضر وكان يُصبّحها ويُمسّيها بالقتال وفى يوم نزوله جُرح أخوه تاج الملوك (٢) . وآل الأمر إلى أن سلمها له عماد الدين زنكى (٣) ، وقـد ضاق ذَرْعه من اقتراح الأمراء ، ومطالبتهم فى سابع عشر (٤) من صفر سنة تسع وسبعين . وخرج عسكر حلب إلى خدمته بالميدان ، فخلع وطيّب القلوب . وأقام عماد الدين ينقل ما فى القلعة إلى يوم الخميس ثالث عشر [ى] (٥) صفر . وفيه توفى أخوه تاج الملوك من الجرح المذكور . فشقّ على السلطان موتُه وجلس للعزاء . فنزل عماد الدين وعزّاه . وسيّر معه بالميـدان الأخضر ، وأنزله فى خيمته ، وقدّم له تقْـدمة سَنِيّة . وسار عماد الدين من يومه إلى سنجار وقد قايضه بها السلطان .

وأخذ السلطان بعد ذلك حارم (٦) .

١١٤ ر / ٢

ولم يَشْغله فتح حلب / عن همته فى الغزو ، بل سار مُجِدًّا حتى واقع الفرنج بعين الجالوت (٧) ونال منهم أشد النيل ، ورجع إلى دمشق ظافرا .

---

(١) الروضتين ٢ : ٣٩ عن ابن أبى طى : رابع عشر محرم . وفى الكامل ٩ : ١٦١ والمفرج ٢ : ١٣٥ : فى العشر الأول .

(٢) هو أبو سعيد بورى ، أصغر إخوة صلاح الدين ، ولد فى ٥٥٦ ، ومات فى ٥٧٩ ، وكان يقول الشعر .

(٣) فى الأصل : بن زنكى ، وهى هفوة قلم . انظر ١٣٠ ، ١٤٨ .

(٤) الكامل ٩ : ١٦٢ والخطط ١ : ٢٣٤ ثامن عشر . وفى الروضتين ٢ : ٤٢ : سابع عشرى .

(٥) فى الأصـل : ثالث عشر ، وهى هفوة قلم واضحة من مقارنة التواريخ ، ومن النوادر ٥٩ .

(٦) حارم : مدينة سورية على حدود تركيا ، قريبة من أنطاكية ، على خط عرض ١٣َ ٣٦° شمالا ، وطول ٣٠َ ٣٦° شرقا .

(٧) عين جالوت : بليدة لطيفة ، بين بيسان ونابلس ، من فلسطين .

ثم نزل على الكرك إلى أن يئس منها . فرحل عنها ورجع إلى دمشق .

وأعطى أخاه الملك العادل حلب . ووصل منها الملك الظاهر [١] ، ولا يظهر منه إلا بر والده والطاعة له ، وباطنه منكسر من أخذها .

وأنشأ غَزاة أخرى إلى الكَرَك [٢] . وأحدق به عسكر مصر وعسكر الشام وعسكر الجزيرة . وخرجت جموع الفرنج من الساحل لحمايته . وكان على الإسلام منه ضرر شديد لأنه فى الطريق بين مصر والشام . ورحل عنه السلطان راجعا إلى دمشق .

وخرج السلطان فنزل على الموصل فى الدفعة الثانية .

ومات شاه أرمن [٣] صاحب خلاط [٤] ، ووليها بُكْتَمر غلامه [٥] ، وراسل السلطان فى أن يمكنه من خلاط . فرحل عن الموصل . وقصد البَهْلَوان [٦] خلاط / وأدى ذلك إلى مصاهرته مع بكتمر والصلح . فاعتذر لرسل السلطان .

١١٤ظ
٢

ونزل السلطان على ميّافارقين [٧] فملكها عن صلح فى تاسع وعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين .

وعاد السلطان إلى الموصل . فنزل فى كَفَر زَمّار [٨] ، وكان الحر شديدا . وأقام مدة فاشتد مرضه . فرأى عز الدين صاحب الموصل طلب الصلح منه

---

(١) غازى بن صلاح الدين ، ولد بمصر ٥٦٨ ، وملك حلب ٥٨٢ ، ومات ٦١٣ ، وكان سمحا داهية .

(٢) فى ٥٨٠ . (٣) ناصر الدين سكمان بن إبراهيم بن سكمان ، ولد ٥١٧ ، ومات ٥٨١ .

(٤) خلاط : بلدة عامرة ، قصبة أرمينية الوسطى .

(٥) سيف الدين ، قتله الإسماعيلية فى ٥٨٩ ، وكان فيه دين وإحسان — العبر ٤ : ٢٦٨ .

(٦) شمس الدين محمد البهلوان بن الدكز ، صاحب أذربيجان وعراق الجبل ، مات فى ٥٨٢ أو آخر ٥٨١ . (٧) ميافارقين : أشهر مدن ديار بكر .

(٨) كفرزمار : من قرى الموصل .

فرصة فى ذلك الحين . فكان فى من وصل له من الأرسال بهاء الدين صاحب الكتاب ، واستحلفوا السلطان على الصلح ، فحلف . قال : ومات رحمه الله وهو على ذلك الصلح لم يتغير عنه .

وأعاد السلطان ابنه الملك الظاهر إلى حلب ، وأخاه العادل إلى مصر ، على أن يكون أتابك[1] العزيز بن صلاح الدين . وكان المظفر بن أخى السلطان فى مصر ، فعزله عنها ، وأعطاه حماة .

وقعة حطين ١١٥ و ٢

وتهمم السلطان بالجهاد وجمع العساكر من جهاته . وكانت / وقعة حطين[2] المباركة على المؤمنين فى يوم السبت رابع عشر[3] من ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . قال : وكان قد جرى بين الفريقين يوم الجمعة من الوقائع العظيمة والأمور الجسيمة ما لم يخلد عمن تقدم .

قال : وحطين عند قبر شعيب ، من جهة بحيرة طبرية .

وفى هذه الوقعة قتل ملوك الفرنج وأسروا . وممن أسر فيها صاحب الكرك الذى وفى السلطان بقتله نذره .

ونزل فى أثر ذلك على قلعة طبرية فأخذها .

فتح عكا

ثم رحل طالبا عكا فنزل عليها يوم الأربعاء سلخ ربيع الآخر . وقاتلها بكرة الخميس مستهل جمادى الأولى من سنة ثلاث وثمانين . فأخذها واستنقذ

---

(١) الأتابك : المربى .

(٢) حطين : قرية بين أرسوف وقيسارية ، فى شمال فلسطين .

(٣) كذا فى الأصل . ويبدو أن المؤلف أخطأ فى قراءة النوادر ٧٥ ، فالصواب : رابع عشرى ربيع الآخر . وعند غير ابن شداد : خمس وعشرين .

من كان فيها من الأسرى ، وكانوا زهاء على أربعة آلاف[١]. واستولى على ما فيها من الذخائر والتجائر ، فإنها كانت مَظِنَّة التجار .

وتفرقت العساكر في الساحل يأخذون / الحصون والقلاع . فأخذوا نابُلُس[٢] وحَيْفا[٣] وقَيسارية[٤] وصَفّورِيّة[٥] والناصرة[٦]. وكان ذلك لخلوها من الرجال بما كان في وقعة حِطّين من الأسر والقتل .

١١٥ ظ
٢

ثم سار إلى تبنين[٧] ، وهي قلعة منيعة ، فأخذها بعد معاناة شديدة عنوة[٨] .

ثم رحل إلى صَيْدَا ، فنزل عليها وتسلمها من الغد .

ثم نزل على بيروت[٩] فأخذها .

فتح عسقلان

ونزل على عَسْقَلان ، وقاتلها قتالا شديدا من يوم الأحد السادس عشر من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين إلى أن تسلمها يوم السبت سلخ جمادى الآخرة من هذه السنة .

---

(١) النوادر ٧٩ : وكانوا زهاء أربعة ... وهو الصواب لغويا .

(٢) نابلس : أكبر مدن شمال فلسطين ، على خط عرض ١٣َ ٣٢° شمالا ، وطول ١٦َ ٣٥° شرقا .

(٣) حيفا : ميناء في شمال فلسطين جنوب عكا ، على خط عرض ٤٩َ ٣٢° شمالا ، وطول ٥٩َ ٣٤° شرقا .

(٤) قيسارية : ميناء إلى الجنوب من حيفا .

(٥) صفورية : قريبة من بحيرة طبرية ، شمال غربي الناصرة ، على خط عرض ٤٥َ ٣٢° شمالا ، وطول ١٧َ ٣٥° شرقا .

(٦) الناصرة : في شمال فلسطين ، غرب بحيرة طبرية ، على خط عرض ٤٢َ ٣٢° شمالا ، وطول ١٨َ ٣٥° شرقا .

(٧) تبنين : ذكر ياقوت أنها بين دمشق وصور .

(٨) الكامل ٩ : ١٨٠ وابن الوردي ٢ : ٩٧ : بالأمان .

(٩) بيروت : عاصمة لبنان ، على خط عرض ٥٢َ ٣٣° شمالا ، وطول ٣٠َ ٣٥° شرقا .

فتح القدس

وأقام عليها إلى أن تسلم أصحابه غَزّة[1] و بيت جِبْرِين[2] والنَّطْرُون[3] بغير قتال.

ثم جمع العساكر ونهض إلى منازلة القدس . فنزل عليه يوم الأحد الخامس عشر من رجب سنة ثلاث وثمانين بالجانب الغربي . ثم انتقل إلى الجانب الشمالي ونصب عليه المَنْجَنِيقات/ وضايقه بالزحف وكثرة الرماة حتى أخذ النَّقْب في السور مما يلي وادي جهنم . ولما أيقن من فيه بالغلبة سلموه يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب ، وليلته كانت ليلة المِعْراج المنصوص عليها في القرآن . وكان فتوحا عظيما[4] شهده من أهل العلم وأرباب الخِرَق[5] خَلْق وكانوا قد قصدوه من الجهات . وارتفعت الأصوات بالضجيج والدعاء والتهليل والتكبير . وخُطِب فيه وصُلِّيت فيه الجمعة يوم فتحه.[6] وحُطّ الصليب الذي كان على قبة الصخرة ، وكان شَكْلا عظيما .

١١٦ و / ٢

(١) على خط عرض ٣٠َ ١٣° شمالا ، وطول ٢٨َ ٣٤° شرقا .

(٢) بيت جبرين ، ويقال فيها أيضا بيت جبريل : بليدة شمال غرب الخليل ، على خط عرض ٣٦َ ٣١° شمالا ، وطول ٥٤َ ٣٤° شرقا .

(٣) كذا في جميع المراجع ، ولكنه غير موجود في معجم ياقوت ، ولذلك أصلحه محقق النجوم ٦ : ٣٥ إلى : الماطرون ، وأعتقد أن ذلك خطأ ، لأن الماطرون عند دمشق ، على حين يتحدث المؤلف عن جنوب فلسطين وخاصة منطقة غزة ، و يفهم من مفرج الكروب ٢ : ٢١٠ أنه أحد حصون فرسان الداوية الصليبيين .

(٤) كذا في الأصل والنوادر ٨٢ . وحق العبارة أن تكون : فتحا عظيما ، أو فتوحا عظيمة .

(٥) أرباب الخرق : الصوفية .

(٦) كذا قال ابن شداد . ولكن العماد وغيره ذكروا أن اليوم ضاق عن صلاة الجمعة ، لما كان يحتاج إليه المسجد من إصلاح ، و إنما جمعوا فيه الجمعة التالية . الروضتين ٢ : ٩٢ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، المفرج ٢ : ١٧١ ، الكامل ١١ : ٢٠٩ .

وكانت قاعدة الصلح أنهم قطعوا على أنفسهم عن كل رجل عشرة دنانير[(١)] وعن كل امرأة خمسة دنانير صُورية[(٢)]، وعن كل صغير ذكرا أو أنثى دينار واحد[(٣)]. فمن أحضر القطيعة تَسَلَّم نفسه[(٤)] وإلا أُخذ أسيرا . وفرج الله عمن كان أسيرا من المسلمين ، وكانوا خَلْقا / عظيما. وأقام عليه — رحمه الله — يجمع الأموال ويفرقها على الأمراء والعلماء ، وإيصال مَنْ دفَع منهم قطيعته إلى مأمنه وهو صور . ولقد بلغني أنه — رحمه الله — رحل عنه ولم يبق معه من ذلك المـــال شيء ، وكان مائتي ألف دينار وعشرين ألفا . وكان رحيله عنه يوم الجمعة الخامس والعشرين من شعبان سنة ثلاث وثمانين .

١١٦ظ / ٢

منازلة صور

ثم قصد صور لينتهز فيها فرصة . وقدم عليه ابنه الملك الظاهر صاحب حلب . فضايقها وقاتلها قتالا عظيما برا وبحرا . فاتفق أن خرج أسطول الكفار وكبس أسطول الإسلام ، وأخذوا خمس قطع ، وقتلوا خلقا عظيما من الأسطول الإسلامي . فضاق عطن السلطان . وكان الشتاء قد هجم ، وتراكمت الأمطار وامتنع الناس من القتال ، وأشار الأمراء بالرحيل حتى يأخذ العسكر جزءا من الراحة ، ويستعدوا لها استعدادا / جديدا . ففرق العساكر لبلادهم .

١١٨و / ٢

---

(١) النجوم ٦ : ٣٧ : عشرين دينارا .

(٢) نقـــل الدكتور الشيال عن لويس شيخو أن الدينار الصوري كان يقدر بخمسة عشر فرنكا ذهبيا من النقود الحالية ، وأن الدينار الصوري كان أقل قيمة من الدينار المصري .

(٣) عن العماد : دينارين . انظر الروضتين ٢ : ٩٢، ٩٥ ، المفرج ٢ : ٢١٤ ، الكامل ١١ : ٢٠٨ ، أبا الفدا ٣ : ٧٧ ، ابن الوردي ٢ : ٩٧ .

(٤) النوادر ٨٢ : سلم بنفسه .

(٥) الخطط ١ : ٢٣٤ : ثلاث مئة ألف دينار مصرية .

وأقام هو بخواصه فى عكّا حتى دخلت سنة أربع وثمانين . فنزل على حصن كوكب . وكان فيه من بقية السيف ما لم يبلغ معهم فيه غرضا . فرحل عنه واستحضر العساكر فوصلته . وكان عماد الدين زنكى على ميمنته ، ومظفر الدين بن زين الدين[(١)] على الميسرة .

فتح أنطرسوس

ودخل إلى الساحل فنزل على أنْطَرْسوس[(٢)] . وهى مدينة راكبة البحر فما استتمّ نصب الخيم حتى صعد الناس السور وأخذها سيفا . وترك الغلمان نصب الخيم واشتغلوا بالنهب . وخرب السلطان سور البلد ، وأمر بوضع النار فى البلد ، فأحرق جميعه .

فتح جبلة

وسار إلى جبلة[(٣)] فنزل عليها فى ثانى عشر من جمادى الأولى . فما استتم نزول العسكر حتى أخذ المدينة وسلمت القلعة بالأمان يوم السبت تاسع عشر جمادى الأولى[(٤)] .

---

(١) أبو سعيد كوكبورى بن على بكتك التركمانى ، ولى إربل بعد موت أبيه فى ٥٦٣ وله من العمر ١٤ سنة ، ولكن وصيه مجاهد الدين قايماز نحاه وأقام أخاه يوسف مقامه . فاتصل بسيف الدين غازى فأعطاه حران ثم بصلاح الدين فأعطاه الرها وسميساط وزوجه أخته . وبعد موت أخيه فى ٥٨٦ تنازل عن أملاكه مقابل إربل وشهرزور . ولد فى ٥٤٩ ومات فى ٦٣٠ . وعرف بالدين والجود والشجاعة .

(٢) كذا فى الأصل والنوادر ٨٧ . والصواب ما فى الروضتين ٢ : ١٢٦ والكامل ١١ : ١٩٠ والمفرج ٢ : ٢٥٦ والنجوم ٦ : ٣٩ ومعجم ياقوت : انطرطوس . وهى ميناء طرطوس الحالى إلى الجنوب من بانياس بسورية على خط عرض ٥٥َ ٣٤ْ شمالا ، وطول ٥٢َ ٣٥ْ شرقا .

(٣) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام إلى الجنوب من اللاذقية ، بينها وبين بانياس ، على خط عرض ٢٢َ ٣٥ْ شمالا ، وطول ٥٦َ ٣٥ْ شرقا .

(٤) أبو الفدا ٣ : ٧٨ : ابن الوردى ٢ : ٩٩ : ثامن جمادى الأولى . وأظنها محرفة عن : ثامن عشر ، الموجودة فى الروضتين ٢ : ١٢٧ ، والمفرج ٢ : ٢٥٨ . وفى معجم البلدان لياقوت ٢ : ٢٦ : جمادى الآخرة .

فتح اللاذقية

١١٨ظ / ٢

وسار إلى اللاذقية[١] ، فنزل عليها / يوم الخميس الرابع والعشرين[٢] من جمادى الأولى سنة أربع وثمانين . وهى بلد مليح خفيف على القلب ، وله قلعتان متصلتان على تل يشرف على البلد . فقاتلها قتالا شديداً إلى آخر النهار : فأخذ البلد دون القلعتين . وغنم الناس منه غنيمة عظيمة ، فإنه بلد تجار . وصابحهم بالقتال ، فلما اشتد عليهم ورأوا الغلبة طلبوا الأمان . فاستقر الحال على أن يطلقوا بنفوسهم وذراريهم ونسائهم وأموالهم ما خلا الغلال والذخائر وآلات السلاح والدواب . وأطلق لهم دوابا[٣] يركبونها إلى مأمنهم .

وسار إلى صهيون[٤] ، وهى قلعة حصينة فى طرف الجبل ، خنادقها أودية هائلة واسعة عميقة ، وليس لها خندق محفور إلا من جانب واحد ، مقدار طوله ستون ذراعا ، ولا يبلغ وهو نقر فى حجر . ولها ثلاثة[٥] أسوار . واشتد عليها القتال حتى / تسلم المسلمون سور الربض ودخلوه . وطلب الأمان أهل القلعة فأمنهم السلطان ، وتسلمها . وأقام حتى تسلم عدة قلاع .

١١٩ر / ٢

وسار إلى بكاس[٦] ، وهى قلعة منيعة على العاصى ، ففتحها بالأمان .

(١) اللاذقية : ميناء سورية ، على خط عرض ٣١َ ٣٥ْ شمالا ، وطول ٤٧َ ٣٥ْ شرقا .

(٢) الروضتين ٢ : ١٢٧ عن ابن شداد : رابع عشر ، وهو خطأ ، بدليل ما فى النوادر ٨٩ ، والروضتين أيضا ٢ : ١٢٨ .

(٣) كذا بالأصل ، وهو خطأ ، فالكلمة ممنوعة من الصرف لأنها صيغة منتهى الجموع .

(٤) الأصل : صيهون ، وهى هفوة قلم ، الياء . وهى قلعة حصينة من أعمال حمص قريبة من البحر ، على خط عرض ٣٦َ ٣٥ْ شمالا ، وطول ٥َ ٣٦ْ شرقا .

(٥) الكامل ٩ : ١٩٢ : خمسة .

(٦) بكاس : قلعة على شاطئ العاصى من نواحى حلب .

ثم فتح قلعة سرمانية[1] ثم قلعة برزيه[2] ، وهى عظيمة المنعة والقوة ، ودخلها عنوة . وكان يوم فتحها يوما عظيما .

ثم فتح درب ساك[3] بالأمان ، وهى قلعة منيعة بقرب أنطاكية .

ثم فتح قلعة بغراس[4] بالأمان ، وهى أقرب إلى أنطاكية[5] .

وطلب أهل أنطاكية الصلح . فأذن لهم على أن يُطلقوا جميع أسارى المسلمين ورجع إلى دمشق .

ثم سار فى أوائل رمضان[6] حتى أتى صفد[7] ، وهى قلعة عظيمة ، فقاتلها حتى سلمت بالأمان فى رابع شوال[8] .

---

(١) الكامل ٩ : ١٩٣ وأبو الفدا ٣ : ٧٩ ، وابن الوردى ٢ : ٩٩ : سرمينية . ولم أجد الصيغتين فى معجم البلدان لياقوت ، وإنما وجدت سرمين ، بلدة مشهورة من أعمال حلب ، ويغلب على ظنى أنها المرادة .

(٢) اختلفت المصادر فى هذا الاسم . فضبطه المؤلف على هذا النحو . وجعلته النوادر ٩٢ ، والروضتين ٢ : ١٣٠ ، والكامل ٩ : ١٩٣ ، والمفرج ٢ : برزيه ، بهاء أو تاء فى آخره . وجعله ياقوت « برزويه ، بالفتح وضم الزاء وسكون الواو وفتح الياء ، والعامة تقول برزيه » وهى قلعة كان المثل يضرب بها فى الحصانة ، قرب ساحل الشام .

(٣) الروضتين ٢ : ١٣٢ والنجوم ٦ : ٤١ : دربساك . ابن الوردى ٢ : ٩٩ : ديربساك . ولم أجده عند ياقوت .

(٤) بغراس : من نواحى طرسوس .

(٥) أنطاكية : من مدن جنوب تركيا ، على خط عرض ١٢َ ٣٦ْ شمالا ، وطول ١٠َ ٣٦ْ شرقا .

(٦) المفرج ٢ : ٢٧٢ : منتصف .

(٧) صفد : مدينة فى شمال فلسطين ، غرب بحيرة طبرية ، على خط عرض ٥٧َ ٣٢ْ شمالا ، وطول ٢٧َ ٣٥ْ شرقا .

(٨) كذا فى الأصل ، والصواب : رابع عشر ، كما فى النوادر ٩٥ وبقية المراجع .

فتح الكرك

وفى أثناء شهر رمضان فى هذه السفرة، سلّمت الكَرَك من جانب نواب صاحبها، وتخلّصوا بها من الأسر، وكانوا قد أُسروا فى وقعة/ حطّين.

١١٩ظ
٢

ثم سار إلى كوكب ففتحها بالأمان.

ورحل إلى القدس الشريف فصلى به صلاة العيد الأعظم. وعاد إلى دمشق بعد تفقد البلاد الساحلية.

وكان السلطان قد أقام على الشوبك جمعا يحاصرونه مدة سنة، فسلموه بالأمان لما فرغت أزوادهم فى ربيع الأول سنة خمس وثمانين وخمسمائة.

حديث عكا

واجتمع الإفرنج فى صور من البر والبحر لطلب الثأر وقصدوا مدينة عكّا. فسار السلطان نحوها واستدعى العساكر. وبعث بعض العسكر حتى دخل عكّا على غرة من العدو تقوية لمن فيها. ولم يزل يبعث إليها بعثا بعثا حتى حصل فيها عدد وافر. وسار مر الخرّوبة(١) فنزل على تل كيسان فى أول مرج عكا. وكان قد نزل على الخروبة يوم الأربعاء خامس عشر من رجب سنة خمس وثمانين وخمسمائة. وصار العدو محصورا/ بإحداق العساكر، وكانوا نحو ألفى فارس وثلاثين ألف رجل، إلا أن مددهم من البحر لاينقطع وجرى بينهم وبين المسلمين مقاتلات عظيمة متواترة، وبعوث المسلمين تتواصل، والملوك والأمراء من الأقطار تتتابع. ثم تكاثر الفرنج فأحاطوا بعكا ومنعوا من الدخول إليها والخروج عنها. فضاق صدر السلطان إلى أن فتح بهمته الطريق إليها بحيث يمر السوقى بحوائجه والمرأة. ودخل السلطان إلى عكا ورقى على السور.

١٢٠و
٢

(١) الخروبة: حصن بساحل الشام مشرف على عكا.

وذكر من تواتر الحرب بين الفريقين ، وأنه كان ما يخلو يوم عن قتل وجرح ، ما يطول ذكره .

واتفق أثناء ذلك نادرة ، وهى أنْ قالوا : « قد سئم الكبار من القتـال ، وليس للصغار حظ . نريد أن يصطرع صَبيّان : صبى منا وصبى منكم » . فكان الغَلَب للصبى المسلم احتضن الكافر وضرب به الأرض . واشتراه منه بعض / الفرنج بدينارين ، فأطلقه .

١٢٠ظ / ٢

وكان يوم المصاف الأعظم يوم الأربعاء الحادى والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة . انهزمت فيه ميسرة الإسلام أولا ثم رجعت بأطلابٍ أعانتها من قلب العسكر والميمنة . فحمل العدو على المكان الذى خرجت منه الأطلاب . فانهزمت الّديار بكْرية ومن كان إلى جانبها هزيمـة عظيمة وتبعهم العدو . ومن المنهزمين من لم ينته إلا إلى دمشق . ووقع النهب فى خيام المسلمين من الغلمان ، فإنهم أيقنوا بالكَسْرة .

وفى هذا اليوم استُشهد ابن رَواحةَ الشاعر[1] .

ولم يزل السلطان يحرض الناس ويَعِدُهم وينادى : « يا للإسلام » حتى انهزم العدو إلى خيامه ، وتراجع المسلمون عليهم ، فوجدوا فى خيام العدو فرسانا مستريحة قد أعدوها احتياطا لهـذا الشأن . فردت المسلمين فرجعوا يخوضون فى الدماء والقتلى .

(١) جمال الدين أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسين الحموى ، عالم شاعر زاهد ، مدح العاضد ورزيك ، (المفرج ٢ : ٣٠٠ . معجم الأدباء لياقوت ١٠ : ٤٦ . الروضتين ٢ : ١٤٧) .

١٢١ و / ٢ /وجلس السلطان للهناء . وتذاكروا فى من فُقد ، فكان مقدار مائة وخمسين وكان قتلى العدو نحو سبعة آلاف[1] . وجلس السلطان لاسترجاع ما نهبه الغلمان من الخيم . وأرسل فى رد المنهزمين الكتب . وأمر السلطان بأن يتراجع الثقل إلى الخروبة خشية من ريح القتلى وآثار الوقعة من الوخَم . وكان بالسلطان التياث فأقام بالخروبة يُصلح مزاجه وينتظر وصول الملك العادل . فوصـــل خبر خروج الآمان[2] فى شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة فى نحو مائتى ألف . فعظم ذلك على السلطان فوجّه الأرسال للخليفة الناصر[3] وملوك البلاد . فوصل عماد الدين صاحب سنجار بعسكره . وسيَّر صاحب الموصل ابنـــه علاء الدين[4] . وسار صاحب إربل[5] بنفسه وعسكره .

١٢١ ظ / ٢ وخرج السلطان يتصيَّد ، فعلم بذلك العدو فانتهزوا / الفرصة فى العسكر : فناب عنه أخوه الملك العادل . فعاد العدو خائبا خاسرا .

ومات الفقيه عيسى المشهور بصحبة السلطان يوم الثلاثاء تاسع ذى القعدة من السنة المذكورة . قال : وكان كريما شجاعا كثير الغرام بقضاء حوائج النـــاس :

(١) أبو الفدا ٣ : ٨١ . ابن الوردى ٢ : ١٠١ : عشرة آلاف .

(٢) كذا فى الأصل هنا وفيما يلى ، ويريد المؤلف الألمان ، كما عند غيره من المؤرخين ولاميما مفتوحة .

(٣) أبو العباس أحمد بن الحسن ، ولى من ٥٧٥ إلى ٦٢٢ .

(٤) خرمشاه بن عز الدين مسعود ، الذى مات أبوه فى ٦٠٧ وتولى الحكم أخوه أرسلان فحبسه سنين حتى مات فى حبسه . (النجوم ٦ : ٢٠٠) .

(٥) زين الدين يوسف بن على بكتك ، ولى إربل من ٥٦٣ إلى ٥٨٦ .

وفى سنة ست وثمانين وخمسمائة ، تسلم الشّقيف(١) من أصحابه وكان ملكه فى قبضته فأطلقه .

وحَصّل السلطان فى عكا من الميرة والخير والذخائر والعُدد والرجال ما أمن معه عليها . ودخل إليها أسطول عظيم من مصر مُراغمة للعدو . وأعطى العساكر دستورا فى الشتاء ليستجموا ويستريحوا إلى وقت الحرب . وأقام هو فى مقابلة العدو مع نفر يسير . وحال بين الفريقين الوُحول .

ولمـا انقضت الشّتْوة استدعى العساكر ورحل إلى تل / كيسان فى ثامن عشر من ربيع الأول سنة ست وثمانين وخمسمائة . ووصل رسول الخليفـة الناصر ، ومعه حملان من النّفْط وجماعة من النّفاطين الزّرّاقين(٢) ، ومعه رقعـة من الديوان العزيز تتضمن(٣) الإذن للسلطان فى أن يقترض عشرين ألف دينار من التجار ، ينفقها فى الجهاد ويُحيل بها على الديوان العزيز . فقَبل جميع ما وصل مع الرسول . واستعفى من الرقعة والتثقيل بها .

٥٠٠ و
٢

وقرب السلطان من عكّا فانتقل إلى تل العجول(٤) فى الخامس والعشرين(٥) من ربيع الأول سنة ست وثمانين . وفى هذا اليوم وصل عَوّام من البلد معـه كتب تتضمن أنه قد طَمّ(٦) العدو بعض الخندق وقوى عزمه على منازلة البلد ومضايقته . فجدّد الكتب إلى العساكر بالحث فتواتر وصول الملوك .

---

(١) هو شقيف أرنون ، قلعة حصينة قرب بانياس .

(٢) الزراق : الذى يرمى النفط من الزراقة ، وهى أنبوبة خاصة يزرق بها النفط ، فتنبعث بها النار بإرعاد ودخان شديد فتحرق السفن . (الشيال : مفرج الكروب ٢ : ٣١٤) .

(٣) الأصل : يتضمن .

(٤) الروضتين ٢ : ١٥٢ تل الجل . ولم أجد الصيغتين فى معجم البلدان .

(٥) الروضتين ، الخامس عشر .

(٦) طم : ردم ودفن .

١٠٠٠ ظ / ٢

وصنع العدو ثلاثة أبرجة من / خشب وحديد، وألبسها الجلود المسقاة بالخل على ما ذكر بحيث لا تنفذ فيها النيران . وكانت هذه الأبرجة كالجبال نشاهدها من مواضع عالية على سور البلد ، وهى مركبة على عجل يسع الواحد منها من المقاتلة ما يزيد على خمسمائة ، ويسع سطحها لأن يُنصَب عليه منجنيق فيئس الناس من البلد بالكلية وانقطعت قلوب مقاتليه. وكانت قد فرغت ولم يبق إلا جرها إلى السور .وكان السلطان قد أعمل فكره فى إحراقها .وجمع الصُّنّاع من الزراقين والنفاطين وباحثهم فى ذلك وأجزل وعدهم ، فضاقت حيلهم . وكان فى من حضر شاب نحّاس دمشقى ، ذكر بين يديه أن له صنعة فى إحراقها إن مُكّن من الدخول إلى عكا ، وحَصل له الأدوية التى يعرفها . فحصل له جميع ما طلبه . ودخل إلى عكا / وطُبخت الأدوية مع النفط فى قدور من النحاس حتى صار الجميع كأنه جمرة نار . فضرب الأبرجة الثلاثة بقدور ثلاث واحترقت واحداً[1] بعد آخر . وصعدت ذوائبها نحو السماء . وعلت الأصوات بالتهليل والتكبير . وغلب المسلمين الفرح حتى كادت عقولهم تذهب . وركب السلطان وركبت العساكر . ولم يظهر العدو من خيامهم .

١٢٢ ر / ٣

ووصلت الملوك من البلاد . ودخل الأسطول الإسلامى على رغم العدو . والقتال فى البر والبحر . وكان الظفر للمسلمين . وأخذ شينيّ[2] من العدو ، ومركب وصل من القسطنطينية . ودخلت مع الأسطول مراكب الميرة ، فطابت قلوب أهل البلد .

---

(١) كذا فى الأصل ، والأصوب : واحد .

(٢) الشينى أو الشانى أو الشينية أو الشونة ، وجمعها الشوانى : السفينة الحربية الكبيرة ، التى تتسع لنحو ١٥٠ جنديا .(د . الشيال : النوادر ٤٨).

ومات ملك الالمان فى طريقه فاستخلف ابنه . وجاز على بلاد قليج أرسلان[(١)]

١٢٢ظ / ٣

قال : وكان قليج أرسلان يظاهر شقاقه ويضمر وفاقه . ولما بلغ ملك / الالمان بلاد ابن لاون[(٢)]، سيّر من العساكر من يقف على طريقهم . ووقع المرض والضعف فى عسكر الالمان وبلغ أنهم احتاجوا إلى الخيل فأكلوها ، وإلى العُدّة فأحرقوها .

ولما علم العدو الذى على عكّا أن العساكر خَفّت فى تَوجُّه مَنْ تَوَجّه منها إلى الالمان ، خرج ينتهز الفرصة . فكان بين الفريقين قتال عظيم امتدت فيه قتلى الفرنج نحو فَرْسَخ . ولم يُفقَد من المسلمين إلا نحو عشرة .

ووصل فى البحر من ملوك الروم الكُنْدهرى بذخائر وأموال ورجال ، فقوى به جأش العدو . فبَعُد السلطان بسببه من البلد . وتقهقر إلى الخروبة فى السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين . فإنه بلغ أنهم يريدون كَبْس العسكر ليلا . فأراد السلطان أن يقع منهم ذلك ، وقد بعدت منهم خيامهم ، فيحول بينهم وبينها ، وكان الكُنْدهرى / قد أنفق فى عشرة آلاف مقاتل . ونصبوا المنجنيقات على عكّا ، وتسلطوا عليها ليلا ونهارا . فخرج عليهم الأمير أبو الهَيْجاء الكُرْدى[(٣)] ، وكان كريما شجاعا مطاعا . فَذَهَل العدو عن المنجنيقات فأحرقها النفاطون .

١٢٣و / ٣

---

(١) قليج أو قلج أرسلان بن مسعود بن قلج أرسلان السلجوقى ، ملك قونية وأعمالها من ٥٥١ إلى ٥٨٨ ، وحجر عليه أولاده فى آخر حياته .

(٢) لافون بن اصطفانه بن لاون (ليون) ملك الأرمن . (المفرج ٢ : ٣٦٩ . الكامل ٩ : ٢٠٨) .

(٣) حسام الدين السمين ، مقدم الأسدية ، الذى ناب عن العزيز ، ثم عزله فى ٥٩٣ ، فلحق بالخليفة العباسى وخدمه ، ولكنه عاد إلى الشام ومات فى ٥٩٤ .

ووصلت بُطْسة[1] من بيروت كانت ملأى من أنواع الميرة ، وكان البلد محتاجا إليها . ودخلت على مراكب الفرنج بحيلة . وذلك أنهم حلقوا لحاهم ، ولبسوا زي الفرنج ، وعلقوا الصلبان ، وجعلوا الخنازير بحيث تظهر . فظن الفرنج أنها منهم . فسلمت ودخلت البلد ، وكان في نهاية الحاجة إليها .

وكان رجل يقـــال له عيسى العوّام يدخل إلى البلد بالكتب والنفقات للمجاهدين ليلا . فشد ذات ليلة على وسطه ثلاثة آلاف دينار وعام . فجرى عليه أمر أهلكه ، وخرج ميتا وعلى وسطه الذهب . فأدّى الأمانة حيا وميتا .

/ وكان المركيس صاحب صور أصل تهييج من وراء البحر من الفرنج . فإنه صور القدس في ورقة عظيمة ، وفيها القيامة التي يحجون إليها ، وبهـــا قبر المسيح الذي دفن فيه بعد صلبه على زعمهم ، وذلك القبر هو أصل حجّهم ، وهو الذي يعتقدون نزول النور عليه في كل سنة في عيد من أعيادهم . فصوّر القبر وصوّر عليه فارسا مسلما وقد وَطئ قبر المسيح ، وبال الفرس على القبر.[2] وأبدى هذه الصورة وراء البحر في الأسواق والمجامع . والقُسوس يحملونها ورءوسهم مكشوفة وعليهم المسوح ، وهم ينادون بالويل والثبور . فهـــاج بذلك خلائق لا تُحصى . وهذا كان سبب خروج الامان وغيرهم . ودخل الامان إلى الساحل ، ولم يبق منهم بعد ذلك العدد العظيم إلا نحو خمسة آلاف .

١٢٣ظ / ٢

ووصلت من مصر بُطَس بالميرة / ، فجازت وشدة الريح والقتال يعمل في جوانبها . وسلمها الله حتى دخلت إلى ميناء عكّا . ففرح بها أهل البلد ، وكانت أزوادهم قد فنيت .

١٢٤ر / ٢

(١) البطسة : بالسين والشين : السفينة الكبيرة : تحمل من ٣٠٠ الى ٧٠٠ مقاتل . (الشيال : مفرج الكروب ٢ : ٧٧) .

(٢) وزع الصليبيون أكثر من صورة للتشنيع على المسلمين ، وحض الناس السذج على محاربتهم . انظر المفرج ٢ : ٢٨٨ .

ووصل ملك الامان وملك صور فى البحر بعد مقاساة عظيمة . وخرجوا أن ينتهزوا فرصة فى العسكر وكانت الدائرة عليهم . ونصبوا كباشا[(١)] وآلات على سور عكا فأحرقها المسلمون . وصنعوا بطسة لإحراق بطس المسلمين ، وأخذ برج الدبان[(٢)] الذى يحمى ميناء الإسلام . فأحرقها النفاطون وفرح المسلمون بذلك .

واحتمى مزاج السلطان بحمى صفراوية فانتقل إلى جبل شفرعم[(٣)] .

ومات صاحب إربل زين الدين وأنعم السلطان على أخيه مظفر الدين بإربل .

وطلب سنجر شاه بن سيف الدين غازى بن مودود بن زنكى بن أقسنقر صاحب الجزيرة دستورا إلى بلده وألح فى ذلك . فاعتذر له السلطان بأمر العدو وأن الرسل قد/ترددت فى شأن الصلح . فلم يقبل العذر ، وقبل يد السلطان مودعا ، وخرج ورحل . فلقيه الملك المظفر تقى الدين صاحب حماة فى طريقه فرده قهرا وسأل السلطان الصفح عنه .

١٢٤ظ / ٢

وطلب عماد الدين زنكى صاحب سنجار دستورا وألح فى ذلك حتى أحرج السلطان أن كتب له بخط يده الكريمة :

---

(١) الكباش : جمع الكبش : وأطلق على آلة حربية وصفها ابن شداد ١٤٠ فقال : « آلة عظيمة تسمى دبابة ، يدخل تحته من المقاتلة خلق عظيم ، ملبسة بصفائح الحديد ، ولها من تحتها عجل تحرك بها من داخل ... حتى ينطح بها السور ، ولها رأس عظيمة برقبة شديدة من حديد ، وهى تسمى كبشا ، ينطح بها السور بشدة عظيمة ... فتهدمه بتكرار نطحها » .

(٢) برج فى وسط البحر ، مبنى على الصخر على باب ميناء عكا ، يحرس به الميناء ، ومتى عبره المركب أمن من غائلة العدو . (النوادر ١٣٨) .

(٣) شفرعم : قرية كبيرة شرق حيفا ، على خط عرض ٤٨َ ٣٢° شمالا ، وطول ١٠َ ٣٥° شرقا .

(٤) ملك الجزيرة من ٥٧٦ إلى ٦٠٥ فقتله ابنه غازى ، وكان سيء السيرة ظلوما .

من ضاع مثلى من يديه فليت شعرى ما استفادا[1]

وقيل للسلطان إن الوخم قد عظم فى مرج عكا بحيث أن الموت قد كثر فى الطائفتين ، فأنشد متمثلا :

اقتلانى ومالكا واقتلا مالكا معى[2]

ولما هجمت الشتوة ، صرف السلطان العساكر ، وأخذ فى البذل بمن فى عكا . فخرج الأمير أبو الهيجاء . ودخل بدله سيف الدين المشطوب[3] يوم الأربعاء سادس عشر من محرم سنة سبع وثمانين . ودخل / مع المشطوب خلق من الأمراء والأعيان . وتقدم إلى كل من دخل أن يكون معه ميرة سنة .

١٢٥ و / ٢

ووصلت بطس من مصر وفيها ميرة سنة ، فانكسرت على الصخر وهلك جميع ما فيها وستون شخصا . وكانت هذه من علامات أخذ البلد .

ثم وقعت قطعة من السور ، وهى العلامة الثانية .

فطمع العدو وهاج الزحف . فوقف المسلمون كالسد فى موضع القطعة الواقعة . وما مرت إلا ليال حتى عادت كما كانت مبنية .

واستأمن إلى السلطان خلق عظيم من الفرنج ، وصاروا يكسبون فى البحر من إخوانهم ، ويأخذون ما يحصل فى أيديهم .

ومرض ابن ملك الامان من وخم المرج فمات .

---

(١) من بحر الكامل .

(٢) من قول عبد الله بن الزبير ، فى وقعة الجمل ، حين اصطرع مع الأشتر النخعى واسمه مالك . وفسره ابن شداد فقال ١٥٠ : « يريد بذلك أنى قد رضيت أن أتلف أنا إذا تلف أعداء الله » .

(٣) على بن أحمد الهكارى ، كان أحد القواد الذين دخلوا مصر مع شيركوه ، ثم أقطعه صلاح الدين القدس ، ومات فى ٥٨٨ .

وانفتح البحر فجاءت عساكر المسلمين . وجاء فى البحر ملك الافرنسيسة وإليه الإشارة فيهم بالتعظيم .

وسرق لصوص المسلمين طفلا رضيعا من أمه . فجاءت من الفرنج تطلبه من السلطان ، فرده عليها برحمته .

١٢٥ ظ / ٢

وضايق الفرنج البلد فرحل السلطان / إلى تل الغياضية . واشتدت مضايقة البلد حتى كانوا يطمّون الخندق بموتى دوابهم وموتاهم . ووصل ملك الانكتار (١) فى البحر ، وهو شديد البأس كثير المـــال .

ووصلت بُطْسَة عظيمة من بيروت . فيها ميرة لعكا ، وفيها من المقاتلين سمائة وخمسون . فاعترضها الانكتار فى أربعين قلعا (٢) . فلما رأى مقدّمها الغلبة بعد القتال العظيم . وإحراق شيئ للعدو ، خرقها وغرقت بجميع أهلها ومافيها ، ولم ينتفع منها العدو بشيء . وكانت هذه علامة ثالثة لأخذ البلد . وكان مقدمها من رجال حلب اسمه يعقوب .

وصنع الفرنج دبابة عظيمة ، الطبقة الأولى من الخشب ، والثانيـــة من الرصاص ، والثالثة من الحديد ، والرابعة من النحاس . وكانت تعلو السور ويركب فيها المقاتلة . وخاف منها أهل البلد حتى حدثتهم نفوسهم بطلب الأمان إلى أن أحرقها المسلمون بالنِّفط ، وظهر لها ذؤابة نحو السماء .

١٢٦ و / ٢

واتصلت بهذه وقائع عدة بين الفريقين . وتوالى / الزحف على البلد . وتخلخل السور من المنجنيقات واشتدت حال من فيـــه من الجهد والسهر .

---

(١) الكامل ٩ : ٢١٣ وابن الوردى ٢ : ١٠٣ : الانكتار . المفرج ٢ : ٣٥٠ والنجــوم ٦ : ٤٧ : الانكلتير . الروضتين ٢ : ١٨٤ : انكلتيرة . ريد رتشارد قلب الأسد ، ملك انجلترا .

(٢) القلع : الشراع ، وأطلقة هنا على المركب الحربى .

فوصل الخبر إلى السلطان بأنهم يطلبون الأمان على رقابهم . فعظم ذلك عليه إذ فى عكا من الأسلحة وأمراء المسلمين مالا يُسْلَى عنه .

ولما تناهت شدة ضعفهم ورأوا عين الهلاك ، وتمكن العدو من السور ووقعت بَدَنَة من السور ، خرج المشطوب بنفسه إلى ملك إفرنسيسة ، وقال له : « إنا أخذنا منكم بلادا عدة هجْما ، ومع هذا إذا سألونا الأمان أعطيناهم ، وحملناهم إلى مأمنهم . ونحن نُسلِّم البلد بالأمان على أنفسنا » . فأجابه بأن هؤلاء الملوك الذين أخذتموهم منا وأنتم أيضا مماليكى وعبيدى فأرى فيكم رأيى . فأغلظ له المشطوب فى القول ، وقال : « إنا ما نُسلِّم البلد حتى نُقتل بأجمعنا ولا يقتل منا واحد حتى يقتل خمسين من كبارکم » . وانصرف عنه ودخل المشطوب البلد .

فهرب قوم من الأمراء فى مركب صغير . وظفر السلطان بابن الجاولى[1] منهم / فرماه فى الزَّرَدخاناه[2] .

١٢٦ظ ٢

أخذ عكا

وترددت الأرسال . وبذل لهم السلطان تسليم البلد وما فيه دون من فيه ، فلم يفعلوا . وبذل لهم فى مقابلة كل واحد من الذين فى البلد واحدا من أسراهم ، فلم يفعلوا . وبذل لهم مع ذلك صليب الصلبوت فلم يفعلوا . واشتد عتوهم وضاقت الحيل عنهم . وما أحس المسلمون إلا وقد ارتفعت أعلام الكفر وصلبانه على أسوار البلد وفى المئذنة ، وذلك فى ظَهيرة نهار الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة . فبلغ الحزن من المسلمين مبلغا

(١) هو حسام الدين تمرتاش (الروضتين ٢ : ١٨٧ ، المفرج ٢ : ٣٥٧) .

(٢) الزردخاناه : خزانة الزرد أو السلاح ، واستخدمت هنا سجنا لبعض كبار القواد .

يجلّ عن أن يعبَّر عنه . وكان أهل البلد قد صالحوهم على أن يسلموه وجميع ما فيه من الآلات والعُدد والمراكب ، ومائتى ألف دينار ، وألفا وخمسمائة أسير يختارونهم[1] ، وصليب الصلبوت ، على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين وما معهم من الأموال والأقمشة . وضمنوا للمركيس صاحب صور عشرة آلاف دينار .

١٢٧ و / ٢

وأنكر السلطان هذا الصلح. ثم استقرت / القاعدة على الصليب المذكور ومائة ألف دينار وألف وستمائة أسير . وطلبوا ذلك قبل أن يُخرجوا أسرى المسلمين فخاف السلطان الغدر منهم . فركب الانكتار الملعون وجمع العساكر راجلهم وفارسهم فى وقت العصر من يوم الثلاثاء سابع وعشرين من رجب وساروا حتى توسطوا المرج . وأحضروا من قضى الله شهادته من المسلمين ، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم فى الحبال . فحملوا عليهم حملة الرجل الواحد طعنا وضربا رحمة الله عليهم . ولم يعلم عسكر المسلمين بذلك إلا بعد انقضاء الأمر . فغشيهم من الحزن ما غشيهم .

رحيل العدو

ثم رحل العدو على الساحل إلى جهة عسقلان ورحل السلطان ، والمواقعات تتواتر فى المنازل بين الفريقين . ومن حصل لليد من الفرنج وقع التشفى بقتله

وعد صاحب الكتاب المنازل إلى أن كانت وقعة أرْسُوف[2] ، استُشهد فيها جماعة من المسلمين وانهزموا . وثبَّت الله السلطان / ومن وقف حياء منه .

١٢٧ ظ / ٢

(١) غير المؤلف عبارة ابن شداد وحذف منها ، وهى : « وألفا وخمس مائة أسير مجاهيل الأحوال ومائة أسير معينين من جانبهم يختارونهم ... وضمنوا للركيس ... ولأصحابه أربعة آلاف دينار » — النوادر ١٧٠ ، والمفرج ٢ : ٣٦٠ ، والروضتين ٢ : ١٨٨ .

(٢) أرسوف : ميناء فى فلسطين بين قيسارية ويافا .

قال : وكان فى قلب السلطان من أمر هذه الوقعة مالا يعلمه إلا الله ، والناس بين جريح الجسد وقريح القلب .

وبادر السلطان إلى عسقلان ، فقسمها على الأمراء فخربوها . وبكى أهلها على مفارقة أوطانهم ، ولحق الناس عليها حزن شديد . وجرت فى أثناء هذا مراسلات ، وطَلَب مُصَاهَرة بأخت الانكتار من العادل ، وأن يترك ابن أخته صاحب البلاد الساحلية . وجاء رسل القسطنطينية يطلب صليب الصلبوت . فلم يُسمَح له به ، وقيل له : « إن ملك الكُرجْ أعطى فيه مائتى ألف دينار » .

حديث القدس

وآل الأمر إلى أن ينهض الفـــرنج إلى محاصرة القدس . فغَوَّر السلطان ما حولها من الميـــاه ، وجمع الأمراء للمشاورة . وتكلم السلطان بكلام قال فيه : اعلموا أنكم جند الإســـلام اليوم ومنعته ، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذراريهم مُعلّقة فى ذمتكم ، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه إلا أنتم. فإن لويتم أعناقكم[1] / — والعياذ بالله — طوى البلاد كطىّ السِّجل للكتاب ، وكان ذلك فى ذمتكم ، فإنكم أنتم الذين تصدّيتم لهذا وأكلتم بيت مال المسلمين[2] . فالمسلمون فى سائر البلاد متعلقون بكم». فابتدر المشطوب — وكان قد خرج من أسر عكّا — وقال : « يا مولانا نحن مماليكك وعبيدك ، وأنت الذى أنعمت علينا وكبرتنا وعظمتنا وأغنيتنا . وليس لنا إلا رقابنا ، وهى بين يديك . والله ، ما يرجع أحد منا عن نصرتك إلى أن يموت » . فقـــال الجماعة مثل ما قال . وطاب قلبه .

١٢٨ و
٢

(١) النوادر ٢١٦ ، المفرج ٢ : ٣٨٦ ، الروضتين ٢ : ١٩٨ : أعنتكم ، وهى أوضح .
(٢) الأصل : مال بيت المسلمين ، هفوة قلم .

ثم جاءه بعد ذلك الأمير أبو الهيجاء ، وأخبره أنه اجتمع عنده من المماليك[(١)] والأمراء ، وأنكروا موافقة السلطان على الحصار والتأهب له ، وتخوّفوا من واقعة عكّا ، وأن الرأى طلب المصافّ فإن انهزم العدو ملكت بقية البلاد . وإن تكن الأخرى مضى القدس وعاد العسكر ، وقد انحفظ الإسلام مدة بغير القـــدس .

وكان رحمه الله عنده من القدس أمر عظيم لا تحمله الجبال . فشقّ عليه /هذا . فاستخار الله وقت الجمعة فى المسجد الأقصى وأخلص ودعا . فلما كانت عشية الجمعة وصل الخبر أن القوم ركبوا بأسرهم ووقفوا على تل ثم عادوا إلى خيامهم . ثم وصل خبر آخر فى اليوم الثانى أنهم اختلفوا فى الصعود إلى القدس والرحيل إلى بلادهم . فذهبت الفرنسيسة إلى الصعود للقـــدس ، وقالوا : « نحن جئنا من بلادنا بسببه ولا نرجع دونه » وقال الانكتار : « إن هذا الموضع قد أُفسدتْ مياهُه ولم يبق حوله ماء أصلا ، فمن أين نشرب ؟ » فقالوا له : « نشرب من نهر يقرع[(٢)] » . وبينه وبين القدس مقدار فرسخ . فقال : كيف نذهب إلى السقى ؟ » فقـــالوا : « ننقسم قسمين : قسم يذهب إلى السقى مع الدواب ، وقسم يبقى على البلد فى المنازلة . ويكون الشرب فى اليوم مرّة » . فقال الانكتار : « إذاً يأخذ العسكر البرانى الذى يذهب مـــع الدواب ، ويخرج عسكر البلد على الباقين ، ويذهب دين النصرانية » .

١٢٨ ظ
٢

---

(١) يريد جماعة من المماليك ، كما فى النوادر ٢١٦ .

(٢) كذا فى الأصل . وفى الروضتين ٢ : ١٩٩ : نهر تقوع . وفى النوادر ٢١٧ ، والمفرج ٢ : ٣٨٩ : ماء تقوع . ورجح د . الشيال نسبته إلى تقوع ، من قرى بيت المقدس .

٢٩١/٢ وانفصل الحال على أنهم حكّوا ثلاثمائة من أعيانهم . وحكّموا / الثلاثمائة اثنى عشر منهم ، وحكّم الاثنا عشر ثلاثة منهم . وقد باتوا على حكم الثلاثة فلما أصبحوا حكموا عليهم بالرحيل ، فلم يمكنهم المخالفة ، فرحلوا نحــو الرملة . فكان يوم سرور وفرح .(١)

وكان الفرنج قد أخذوا قافلة عظيمة وردت من مصر استعانوا بها لـــا فيها من المير والجبال والبغال وسائر الدواب على حصار القدس ، واشتدت قوتهم بذلك . وحزن السلطان عليها حزنا عظيما .

ووصلت الرسل فى معنى الصُّلح . وكان من كلام الانكتار : « لايجوز لك أن تهلك المسلمين ، ولا يجوز لى أن أهلك النصرانية . وهذا ابن أختى الكندهرى قد ملكته هذه البلاد ، وسلمته إليك يكون هو وعسكره بحكمك ويقول : « إن جماعة من الرهبان والمنقطعين قد طلبوا منك كنائس فما بخلت عليهم ، وأنا أطلب منك كنيسة . وتلك الأمور التى كان يضيق بها صدرك مما كان يجرى من المراسلة مع الملك العادل قد أَعْرَضْتُ / عنها . ولو أعطيتنى ١٢٩ظ/٢ مِقْرعة أو قرية قبلتها » .

فأشار الناس بالصلح لـــا نالهم من الضجر والديون . فكان الجواب من السلطان للإنكتار : « إذا دخلت معنا هذا الدخول ، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان . ابن أختك يكون عندى كبعض أولادى ، وسيبلغك ما أفعل معه من الخير . وأنا أعطيك أكبر الكنائس ، وهى القيامة(٢) . وبقية البلاد نقتسمها: فالساحلية التى بيدك تكون بيدك ، والتى بأيدينا من القلاع الجبلية تكون لنا ،

---

(١) كذا فى الأصل والنوادر ٢١٨ ، وهو جائز على لغة .

(٢) النوادر ٢١٩ : القمامة .

وما بين العمل[1] يكون مناصفة . وعسقلان وما وراءها تكون خرابا لا لنا ولا لكم . وإن أردتم قراها[2] كانت لكم » فوقع النزاع فى خراب عسقلان ، وقال الانكتار : « لا يهدم منها حجر واحد » .

فبرز السلطان إلى حرب العدو لجهة بيروت ، وعدل إلى يافا[3] فحصرها واشتد القتال من الفريقين ، واجتهد النقابون ، وعظم رمى المجانيق ، حتى وقعت بدنة من السور استولى منها المسلمون على المدينة . وانحاز الفرنج إلى القلعة . / ونهب الناس من المدينة ما ملأ أيديهم . وطلب الأمان أهل القلعة على أن يخرجوا . فبينا هم فى شأن الخروج ، إذ وصل الانكتار فى البحر ومعه النجدة . فعصوا وجددوا الحرب ، ورحل السلطان .

١٣٠ و / ٢

وترددت الرسل والمنازعة فى شأن عسقلان باقية ، إلى أن قال الانكتار للرسول : « كم أطرح نفسى على السلطان وهو لا يقبلنى ، وأنا كنت أحرص حتى أعود إلى بلادى . والآن فقد هجم الشتاء ، وتغيرت الأنواء ، وعزمت على الإقامة ، وما بقى بيننا حديث . »

فقدمت العساكر على السلطان من البلاد . ومرض الانكتار وكانت رسله لا تنقطع فى طلب الفاكهة والثلج . وأوقع الله عليه فى مرضه شهوة الكمثرى والخوخ ، وكان السلطان يمده بذلك ، ويكشف الأخبار بتواتر الرسل . وانكشف أن الفرنسيسة عزموا على عبور البحر .

(١) النوادر : العملين ، وهى أوضح ، أى ما بين المنطقتين .

(٢) الأصل : قراياها ، وهى هفوة قلم .

(٣) يافا : على خط عرض ٣َ ٣٢° شمالا ، وطول ٤٥َ ٣٥° شرقا .

وآل الأمر إلى أن كان الصلح بعد نزول الانكتار عن عسقلان . وأمده ثلاث سنين(١) من يوم الثلاثاء الثاني / وعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة . فكمل الصلح واستقر . ووجه السلطان إلى عسقلان من يتمم خرابها . وكان يوم الصلح يوم سرور في الجهتين .

١٣٠ ظ
٢

ولم يكن من إيثار السلطان . قال : فإنه قال لي رحمه الله : « أخاف أن أصالح. وما أدري أي شيء يكون مني ، فيقوى هذا العدو، وقد بقي لهم هذه البلاد . فيخرجوا لاستعادة بقية بلادهم ، وترى كل واحد من هؤلاء الجماعة(٢) قد قعد في رأس تله — يعني حصنه — وقال : لا أنزل ويهلك المسلمون » . لكنه رأى المصلحة في الصلح لمظاهرته بالمخالفة(٣) . وكان مصلحة لأنه اتفقت وفاته بعيد الصلح . فلو اتفق ذلك أثناء الوقعات لكان الإسلام على خطر .

ورحل السلطان من الرملة ، واختلط العسكران بالنطرون . وذهب جماعة من المسلمين إلى يافا في طلب التجارة . ووصل خلق عظيم من العدو إلى القدس للحج . فكثرت زيارتهم فصعب على الإنكتار ذلك . وأكرمهم السلطان وباسطهم .

ولما / استقر الأمر ، أعطى العساكر دستورا ، فتفرقوا إلى بلادهم . وأشاع السلطان أمر الحج ، وقوى عزمه على أن يحج بنفسه رحمة الله عليه ،

١٣١ و
٢

(١) زادت المراجع : وثلاثة أشهر ، وأخطأ العبر ٤ : ٢٦٥ فجعلها ثمانية .

(٢) يعني أخاه وأولاده وأولاد أخيه (المفرج ٢ : ٤٠٥) .

(٣) اختصار المؤلف ابن شداد أخل بالظاهر ، وتتمة الكلام : « رأى المصلحة في الصلح لسآمة العسكر ومظاهرته بالمخالفة » — النوادر ٢٣٥ .

وأعد ما يحتاج إليه واهتم به . ورحل العدو فبعد . ودخل السلطان القدس لينظر فى عمارته ومصالحه .

ووصل رسول من الخليفة الناصر بكتاب عن الوزير ابن الناقد[(١)] إلى الملك العادل ، فى استعطاف قلب السلطان للخدمة الشريفة ، والدخول بينه وبين الديوان العزيز ، وتسيير القاضى الفاضل ليحضر الديوان فى تقرير قواعد بينه وبين السلطان . فوجه السلطان إلى بغداد الضياء[(٢)] الشهرزورى .

وأحضر ابنه الملك الظاهر صاحب حلب لوداعه . وأوصاه ، فكان من وصيته له التحذير من الدماء والذُّحول[(٣)] ، وحفظ قلوب الرعية ، ومداراة الأكابر ، فإنى لم أبلغ ما بلغت إلا بمداراة الناس . ثم سار الملك الأفضل .

الرحيل ١٣١ظ ٢

ولما صحّ عند الناس والسلطان إقلاع مراكب الأنكتار / إلى بلادها ، رحل من القدس ، فأصلح البلاد الساحلية ، وتفقد أحوالها . ودخل دمشق وفيها أولاده الأفضل والظاهر والظافر وأولاده الصغار ، وكان يحبها ، ويؤثر الإقامة فيها . وجلس للناس ، وأنشده الشعراء ، ونشر جَناح عدله ، وهطلت سحائب إنعامه . ووصل إليه أخوه الملك العادل من جهة الكرك . وخرج السلطان للقاء الحاج ، فكانت آخر ركباته ، رحمة الله عليه ؛ أخذته حمى صَفْراوية ؛ واشتد مرضه ، فخاف الناس ونقلوا الأقمشة من الأسواق . وشرع الملك

(١) أبو الأزهر ناصر الدين أحمد بن محمد ، وكان نائبا للوزير فى ذلك الحين ، وإنما ولى الوزارة من ٦٢٣ إلى ٦٤٠ .

(٢) أبو الفضائل القاسم بن يحيى ، ولى القضاء بالشام وبغداد ، ومات بحماة فى ٥٩٩ .

(٣) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثأر . وفى النوادر ٢٣٨ : الدماء والدخول فيها .

الأفضل فى تحليف الناس للسلطان مدة حياته ، وله بعد وفاته . ولم يُحضر أحدا من أمراء مصر .

وفاته

وتوفى السلطان الأعظم صلاح الدين — رحمة الله عليه — بعد صلاة الصبح يوم الأربعاء سابع عشر من صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة :

قال : وكان يوما لم يُصب الإسلام بمثله منذ فَقْد الخلفاء الراشدين . وغشى القلعة والبلد من الوحشة مالا يعلمه إلا الله تعالى . ثم جلس / الملك الأفضل للعزاء . وحُفظ باب القلعة إلا عن الخواص من الأمراء والمعمَّمين . وكان أولاده يخرجون مستغيثين بين الناس فتكاد القلوب تزهق . ولما أخرج تابوته ، ارتفعت الأصوات عند مشاهدته وعظم الضجيج .

١٣٢ و / ٢

قال : ثم اشتغل الملك الأفضل بتدبير أمره ومراسلة إخوته وعمه :

ثم انقضَت تلك السِّنون وأهلُها فكأنهم وكأنها أحلام (١)

بهذا خُتم الكتاب . ووجدت بعد هذا فى ورقة .

ذكر المُدن والحُصون التى يسر الله فتحها على يديْه رحمة الله عليه من بلاد الفرنج ، من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة ست وثمانين وخمسمائة

طبَرِيّة : بالسيف .

عَكّا : على البحر الكبير ، بالأمان :

حيفا : على البحر ، بالأمان .

الناصرة : التى يُنسب لها / النَّصارى :

١٣٢ ظ / ٢

(١) البيت لأبى تمام . وكذا ورد فى الأصل . وفى ديوانه ٣ : ١٥٢ ؛ والنوادر ٢٤٧ ، والنجوم ٦ : ٥٢ : فكأنها وكأنهم .

الرَّمْلة :

قيسارية : بالسيف .

أُرْسُوف : بالأمان :

يافا : مدينتها بالسّيف :

عسقلان : بالأمان .

بيروت :

غزة : بالأمان :

جُبَيْل[(١)] .

هوبين[(٢)] :

أنطَرسوس[(٣)] : دون أخذ برجيها ، بالسيف :

جَبلة : مدينتها بالسيف ، والقلعة بالأمان :

اسرفند[(٤)] :

مدينة القدس الشريف حَرسها الله :

نابُلُس .

الْبِيرة[(٥)] : بأرض القدس :

---

(١) جبيل : ميناء فى لبنان شمالى بيروت ، على خط عرض ٨ َ ٣٤ ْ شمالا ، وطول ٣٨ َ ٣٥ ْ شرقا .

(٢) كذا فى الأصل . وفى النوادر ٢٤٨ : هونين ، وهو الموجود فى معجم ياقوت ، وقال عنه : بلد فى جبال عاملة مطل على نواحى مصر .

(٣) النوادر : انطرطوس . وانظر ما سبق .

(٤) كذا فى الأصل . وفى النوادر : السرفند . ولعل المراد صرفندة ، من قرى فلسطين غرب الله ، على خط عرض ٥٧ َ ٣١ ْ شمالا ، وطول ٥١ ْ ٥٤ ْ شرقا .

(٥) البيرة : من قرى فلسطين شرق رام الله ، على خط عرض ٥٤ َ ٣١ ْ شمالا ، وطول ١٣ َ ٣٥ ْ شرقا .

صَفُّورِيَّة .

الطُّور .

حصن دَبُّورِيَّة[١] .

الفُولة[٢] .

حصن عَفْرِبِلا[٣] .

حصن جيفين[٤] .

سفسطية[٥] .

كوكب .

حصن عَفْرا : فى شمال القدس[٦] .

بيت لحم[٧] .

حصن العازرية : بأرض القدس[٨] .

البرج الأحمر : قريب منه .

---

(١) كذا فى الأصل . وفى معجم البلدان لياقوت : دبورية ، وعرفها بأنها بليد قرب طبرية ، وهى شرق الناصرة ، على خط عرض ١ ٤َ ٣٢° شمالا ، وطول ٢٣َ ٣٥° شرقا ، ولعل المؤلف أخطأ قراءتها .

(٢) الفولة : بلدة بفلسطين من نواحى الشام ؛ عن ياقوت .

(٣) عفربلا : بلد بغور الأردن قرب بيسان وطبرية .

(٤) كذا فى الأصل ، وأظن المؤلف أخطأ قراءتها . والصواب : جينين ، وهى التى نسميها الآن جنين ، فى شمال نابلس وغرب بيسان ، على خط عرض ٢٨َ ٣٢° شمالا ، وطول ١٨َ ٣٥° شرقا .

(٥) سفسطية : شمال غرب نابلس ، على خط عرض ١٧َ ٣٢° شمالا ، وطول ١٢َ ٣٥° شرقا .

(٦) عفرا : شمال شرق عكا ، على خط عرض ٣ ٣٣° شمالا ، وطول ٦َ ٥٤° شرقا .

(٧) بيت لحم : جنوب القدس ، على خط عرض ٤٢َ ٣١° شمالا ، وطول ١٢َ ٣٥° شرقا .

(٨) العازرية : جنوب شرق الرملة ، على خط عرض ٥٣َ ٣١° شمالا ، وطول ٥٥َ ٣٤° شرقا .

حصن الخليل[١] : عليه السلام ؛

بيت جبرين .

تل الصافية[٢] ؛

حصن مجدل[٣] ؛

يافا ؛

قلعة الجيب[٤] الفوقانى .

قلعة الجيب التحتانى ؛

النطـــرون ؛

الحصن الأحمر[٥] ؛

لد[٦] : بأرض الرملة ؛

١٣٣ و / ٢ / قلنوسة[٧] : قريب منها ؛

يبنى[٨] ؛

القـــابون[٩] .

---

(١) الخليـــل : جنوب غربى بيت لحـــم ، على خـــط عرض ٣٢َ ٣١° شمـالا ، وطولا ٩ ٣٥° شرقا .

(٢) تل الصافية : حصن بفلسطين قرب بيت جبرين من الرملة .

(٣) ياقوت : مجدليابة ، وهى قرية قرب الرملة .

(٤) الجيب ، الفوقانى والتحتانى : حصنان بين القدس ونابلس .

(٥) الحصن الأحمر ، ويعرف بعثليث : حصن على الساحل .

(٦) اللد : شمال شرق الرملة ، على خط عرض ٥٧َ ٣١° شمالا ، وطول ٥٤َ ٣٤° شرقا

(٧) ياقوت : قلنسوة ، وعرفها بأنها حصن قرب الرملة .

(٨) يبنى : بليـــد جنوب غرب الرملة بفلسطين ، على خـــط عرض ٥٢َ ٣١° شمالا ، وطـــول ٤٥َ ٣٤° شرقا .

(٩) القابون : موضع بينه وبين دمشق ميل واحد ، فى طريق القاصد إلى العراق ، وغريب أن يكون هو المعنى .

القيمون[١] .

قلعة الكرك : بعد حصار سنة ونصف ؛

الشوبك : بعد حصار سنتين .

قلعة السلع[٢] .

الوعيرة[٣] ؛

قلعة الجمع[٤] ؛

قلعة الطفيلة[٥] ؛

قلعة الهرمز[٦] ؛

قلعة صفد ؛

حصن يازور[٧] ؛

شقيف أزبون[٨] .

حصن إسكندرونة : بين صور وعكا[٩] ؛

قلعة أبي الحسن : بأرض صيدا ؛

(١) قيمون : حصن قرب الرملة .

(٢) سلع : حصن بوادي موسى بقرب القدس .

(٣) الوعيرة : حصن من جبال الشراة قرب وادي موسى .

(٤) جمع : قلعة بوادي موسى من جبال الشراة قرب الشوبك .

(٥) ياقوت : الطفيل ، وهي قلعة بوادي موسى قرب القدس .

(٦) هرمز : قلعة بوادي موسى بين القدس الكرك .

(٧) يازور : على الساحل بقرب الرملة .

(٨) ياقوت : شقيف أرنون ، وهو قلعة قرب بانياس .

(٩) ياقوت : قال أحمد بن الطيب : هي مدينة في شرق أنطاكية على ساحل بحر الشام ، بينها وبين بغراس أربعة فراسخ ، وبينها وبين أنطاكية ثمانية فراسخ ، ووجدت في بعض تواريخ الشام أن اسكندرونة بين عكا وصور .

حصن بلدة[(١)] : بالساحل الأعلى .

المرقية[(٢)] : على البحر .

حصن يحمور : بأرض عكا .

بلنياس[(٣)] : بين جبلة والمرقب .

صهيون .

بلاطنس[(٤)] .

حصن الحمهرية[(٥)] .

قلعة الغيدوا[(٦)] .

بكاس .

بكر اسرائيل[(٧)] .

السرمانية .

قلعة برزية .

دير ساك .

بغراس .

الرامون[(٨)] : بأرض بيروت .

الشقيف[(٩)] : قريب من صيدا .

---

(١) بلدة : من مدن ساحل بحر الشام قريبة من جبلة . (٢) مرقية : قلعة فى ساحل حمص .

(٣) بلنياس : مدينة صغيرة وحصن بساحل حمص على البحر .

(٤) بلاطنس : حصن منيع بساحل الشام مقابل اللاذقية .

(٥) كذا فى الأصل ، وفى النوادر ومعجم ياقوت : الجماهرية ، وهو حصن قرب جبلة من ساحل الشام . (٦) ياقوت والنوادر عيذو : وهى قلعة بنواحى حلب .

(٧) ياقوت والنوادر : بكسرائيل ، وهو حصن من ساحل حمص مقابل جبلة .

(٨) النوادر : الدانور ، والرامون : بجنوب بيروت على خط عرض ٤٥ َ ٣٣° شمالا وطول ٢٧ َ ٣٥° شرقا . (٩) النوادر : السرفند ، ولعل المراد صرفندة .

ومن كتاب الكامل لابن الأثير[1]

اتفق السلطان صلاح الدين وعشرة[2] من الأمراء على قتل شاور وأعلموا أسد الدين شيركوه . فنهاهم فسكتوا وهُمْ عَلَى عَزْمِهم / فاتفق أن خرج شاور إلى زيارة شيركوه على عادته ، فلم يجده فى الخيام ، وكان قد مضى لزيارة قبر الشافعى — رحمه الله — فلقيه صلاح الدين والأمراء فى جمع من العسكر وخدموه وأعلموه . فقال : « نمضى إليه » . فساروا جميعا. فساوره السلطان صلاح الدين وجورديك وألقياه إلى الأرض عن فرسه . فهرب أصحابه ، وأسروه حتى أعلموا شيركوه ، فلم يمكنه إلا إتمام ما عملوه. وسمع العاضد الخبر ، فطلب من شيركوه إنفاذ رأسه فأرسل إليه. ونهبت دار شاور . ودخل الكامل بن شاور القصر مع إخوته مستأمنين به ، فكان آخر العهد بهم . وذكر أن الفقيه عيسى الهكارى والأمير المشطوب سعيا فى تطييب القلوب على ولاية السلطان بعد موت عمه شيركوه، وهو نائب عن نور الدين محمود . وكان يخاطبه محمود بالأمير الاسفهسلار صلاح الدين،ولا يفرده بالكتب بل يتبع ذلك بقوله : « وكافة الأمراء بالديار المصرية » .

١٣٣ظ / ٢

---

(١) ٩ : ١٠١ .

(٢) الكامل : وغيره .

١٣٤ و / ٢

قال[١] : وفى سنة أربع / وستين وخمسمائة كانت وقعة السودان بالقاهرة وذلك أنه كان حافظا على القصر مؤتمن الخلافة[٢] ، وهو أسود خصى . فاتفق هو وجماعة من المصريين على مكاتبة الفرنج ، والاعتضاد على إخراج السلطان . فوقع الكتاب بيد السلطان وكان فى نعل مخروز عليه . فدبر الحيلة فى قتل مؤتمن الخلافة . فلما خرج إلى قريته بالخرقانية[٣] للتنزه ، وضع عليه من قتله وجاء برأسه .

وعزل جميع الخدم الذين يتولون أمر القصر . واستولى على الجميع[٤] بهاء الدين قراقوش[٥] ، وهو أبيض . فغضب السودان وثاروا حمية للجنس . وضاربوا الأجناد الصلاحية بين القصرين ، فكثر القتل بين الفريقين . فأرسل صلاح الدين إلى محلتهم المعروفة بالمنصورة[٦] فأحرقها على أموالهم وأولادهم وحُرَمهم . فلما أتاهم الخبر بذلك ، ولوا منهزمين . وركبهم السيف . فطلبوا الأمان ، فأجيبوا وأخرجوا إلى الجيزة / . فعبر إليهم شمس الدولة تورانشاه أخو السلطان فأبادهم بالسيف .

١٣٤ ظ / ٢

---

(١) الكامل ٩ : ١٠٣ .

(٢) اسمه جوهر ، وكان أحد الأستاذين المحنكين . (مفرج الكروب ١ : ١٧٤) .

(٣) الخرقانية : قرية على الشط الشرق للنيل ، فى الشمال الغربى من قرية أبى الغيط ، وعلى مقربة من القناطر الخيرية ، فى محافظة القليوبية — على مبارك ١٠ : ٩٧ .

(٤) كذا فى الأصل . وأظنها هفوة قلم ، صحتها ما فى الكامل : واستعمل .

(٥) أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدى ، كان رقيقا روميا خصيا ، ثم اعتق وصار من كبار رجال صلاح الدين . فتح طرابلس الغرب ، وولى عكا ، وناب عن صلاح الدين بمصر ، وتولى بناء سور القاهرة وغيره من العمائر الضخمة ، ومات فى ٥٩٧ ﻫ . ويبدو أنه اشتد على المصريين ، فسخروا منه ، وضربوا به المثل فى الجهل ، وألف ابن مماتى كتابا يهزأ به ، يسمى " الفاشوش فى أحكام قراقوش " .

(٦) المنصورة : محلة أو حارة كبيرة متسعة ، على يمين من سلك فى الشارع خارج باب زويلة . واسمها فى الخطط ٢ : ٩ : حارة المنصورية . (مفرج الكروب ١ : ١٧٦) .

وذكر[(١)] أن الفرنج أقاموا على دمياط خمسين يوما . وجهّز نور الدين العساكر لنصرة السلطان . ودخل نور الدين بلادهم . وأنفق السلطان أموالا لا تحصى . ويُحكى أنه قال : « ما رأيت أكرم من العاضد : أرسل لى مدة مُقام الفرنج على دمياط ألف الف دينار مصرية سوى الثياب وغيرها » .

قال[(٢)] : وفى سنة ست وستين ، صنع السلطان مراكب مفصّلة ، وحملها قطعا على الجمال ، وقصد أَيْلَة[(٣)] ، فجمع قطع المراكب . وحصر أيلة برا وبحرا ، وفتحها واستباح أهلها وما فيها .

وعاد إلى مصر وغير فيها رسوما للمصريين ، منها عزل قاضى القضاة وكان شيعيا ، وردّ قاضيا شافعيا ، فاستناب القضاة الشافعية فى البلاد .

ولما مات العاضد ، استولى على قصره . وأخذ منه ما يخرج عن الإحصاء ، والأشياء الغريبة ، التى تخلو الدنيا من مثلها . فمن ذلك الجبل الياقوت وزْنُه / سبعة عشر درهما أو سبعة عشر مثقالا ، والنصاب الزمرد طوله أربع أصابع فى عرض عقد كبير . ووُجد فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضد . فلما رأوه ظنوه عُمل لأجل اللعب فسخروا من العاضد . فأخذه إنسان ، وضرب به فضرط ، فتضاحكوا منه . ثم أخذه آخر فصنع كذلك . وصار كل من حركه ضَرط . فألقاه أحدهم وكسره ، وإذا به لأجل القولَنْج ، فندموا على كسره . وكان فيه من النفائس المعدومة المثل ما لا يُعَدّ .

١٣٥ و ٢

(١) الكامل ٩ : ١٠٥ . (٢) الكامل ٩ : ١١٠ .

(٣) أيلة : على رأس خليج القلزم من البحر الأحمر، على خط عرض ٣٤ َ ٢٩° شمالا ، وطول ٣ َ ٥٤° شرقا .

قال[1] : وفى هذه السنة ابتدأت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين فى الباطن . وذلك أن صلاح الدين سار من مصر ، ونازل حصن الشَّوْبك وبينه وبين الكرك يوم ، وحصر من به من الفرنج . فطلبوا الأمان واستمهلوه عشرة أيام ، فأجابهم .

فلما سمع نور الدين بما فعله صلاح الدين سار من دمشق إلى جهة صلاح الدين يُظْهِر الإعانة له على بلاد / الفرنج . فقيل لصلاح الدين : « إن قصد نور الدين بلاد الفرنج وهم على هذه الحال : أنت من جانب ، وهو من جانب ، مَلَكها . ومتى زال الفرنج عن الطريق وملك بلادهم ، لم يبق لك بالديار المصرية معه مُقام ، ومتى جاء نور الدين وأنت ها هنا ، فلا بد لك من الاجتماع به . وحينئذ يكون هو المتحكِّم عليك : إن شاء تَرَكك ، وإن شاء عَزَلك . والمصلحة الرجوع إلى مصر » . فرحل عن الشوبك راجعا إلى مصر ولم يأخذه من الفرنج . وكتب إلى نور الدين يعتذر عن رجوعه إلى مصر بخوفه من شيعة العَلويين عليها ، فلم يقْبله نور الدين ونَعى عليه ذلك . وعزم على الدخول إلى مصر وإخراجه عنها وأظهر ذلك .

١٣٥ ظ / ٢

فسمع صلاح الدين الخبر فجمع أهله ، وفيهم أبوه نجم الدين أيوب ، ومعهم سائر الأمراء ، وأعلمهم ما بلغه عن نور الدين وحركته إليهم . واستشارهم فلم يجبه أحد بكلمة . فقام تقى الدين عمر ابن أخى صلاح الدين / وقال : « إذا جاءنا قاتلناه ومنعناه عن البلاد » . ووافقه غيره من أهلهم . فشتمهم نجم الدين أيوب وأنكر ذلك واستعظمه ، وشتم تقى الدين وأقعده .

١٣٦ ر / ٢

(١) الكامل ٩ : ١١٢ .

وقال لصلاح الدين : « أنا أبوك وهذا شهاب الدين الحارمى خالك [(١)] ، ونحن أكثر محبة لك من جميع من ترى ، ووالله لو رأينا نور الدين لم يمكنا إلا أن نقبِّل الأرض بين يديه . ولو أمرنا أن نضرب عنقك بالسيف لفعلنا . فإذا كنا نحن هكذا فما ظنُّك بغيرنا ؟ وكل من تراه عندنا من الأمراء لو رأوا نورالدين وحده لم يتجاسروا على الثبات على سروجهم . وهذه البلاد له ونحن مماليكه ونوابه فيها ، فإن أراد عَزْلَنا سمعنا وأطعنا . والرأى أن تكتب كتابا مع نَجَّاب تقول فيه : بلغنى أنك تريد الحركة لأجل البلاد ، فأى حاجة إلى هـذا ؟ يُرسل المولى من يضع فى رقبتى منديلا ويأخذنى إليك . فما ها هنا من يمتنـع عليك » . وقام الأمراء وغيرهم وتفرقوا على هذا .

٢ ١٣٦ظ

فلما خلا/ به أبوه قال له : « بأى عقل قلت هذا ؟ أما تعلم أن نورالدين إذا سمع عَزْمنا على منعه ومحاربته جعلنا أهمَّ الوجوه إليه ، وحينئذ لا نقوم به . وأما الآن فإذا بلغه ما جرى وطاعتنا له تركنا واشتغل بغيرنا ، والأقدار تعمل عملها . ووالله لو أراد نور الدين قصبة من قصب السكر لحاربتُه عليها حتى أمنعه أو أُقتَل » . ففعل ما أشار به أبوه . فترك نور الدين قصده واشتغل بغيره .

قال [(٢)] : وفى سنة ثمان وستين سار شمس الدين تورانشاه أخو صلاح الدين الأكبر من مصر إلى بلد النُّوبة ، فتغلب على أول بلادهم . ونازل قلعة إبريم [(٣)] فحصرها ، ولم تكن للنوبة بهم قوة ، فملكها . وأقام بها قليلا ، فلم ير للبلاد

---

(١) محمود بن تكش : نائب حماة ، كان شجاعا عاقلا سيوسا ، مات فى ٥٧٣ — السلوك ١ : ٦٦ .

(٢) الكامل ٩ : ١١٨ .

(٣) أبريم : على خط عرض ٤٠َ ٢٢° شمالا ، وطول ٥َ ٣٢° شرقا .

دخلا يرغب فيه ويحتمل المشقة لأجله ، وقُوتُهم الذرة ، فتركها وعاد بغنائم من العبيد والجوارى . وكان سبب ذلك أن صلاح الدين وأهله كانوا يعلمون أن نور الدين على / عزم الدخول إلى مصر وأخْذها منهم. فاستقر الرأى بينهم أنهم يتملكون إما بلاد النوبة أو بلاد اليمن ، حتى إذا وصل إليهم نور الدين ، لقوه وصدّوه عن البلاد . فإن عجزوا عن منعه ركبوا البحر .

١٣٧ ر / ٢

قال[1] : وفى هذه السنة اتفق نور الدين مع صلاح الدين على الكرك . ولما أطلّ عليه نور الدين ، خاف من أن يقبض عليه فعاد إلى مصر فى الكرة الأولى ووجّه لنور الدين هدايا عظيمة . واعتذر بأن أباه نجم الدين أيوب مرض بمصر وأنه خاف أن يموت فتخرج البلاد من أيديهم . فاتفق أن أيوب سقط عن فرسه ، فحُمل إلى قصره وقيذا ، وبقى أياما ومات .

قال[2] : وفى سنة تسع وستين سار شمس الدولة تورانشاه أخو صلاح الدين إلى اليمن ، لمـا لم يجد فى النوبة طائلا . فوصل إلى مكة ، ووصل منها إلى زبيد[3] ليأخذها من يد صاحبها عبد النبى بن مهدى ، وكان قد قطع الخطبـة العباسية . وكان عمارة الشاعر اليمنى مختصا بشمس الدولة ، وكان / يحسّن له قصد اليمن ، لأنه يمنى ويعرف البلاد ويحبها . فزاده ذلك تحريضا عليها . فملك البلاد . وأخذ عبد النبى وعذّبه ، فاستخرج منه أموالا عظيمة .

١٣٧ ظ / ٢

ورحل إلى عدن[4] ، وهى على البحر ، وهى من جهة البر أمنع البـلاد ،

---

(١) الكامل ٩ : ١٢٠ . (٢) الكامل ٩ : ١٢٢ .

(٣) زبيد : بين تعز والحديدة ، على خط عرض ١٠َ ١٤° شمالا ، وطول ١٧َ ٤٣° شرقا .

(٤) على خط عرض ٥٠َ ١٢° شمالا ، وطول ٣َ ٤٥° شرقا .

وصاحبها ياسر بن بلال . فحمله جهله إلى أن خرج لقتالهم فانهزم . وتبعه بعض عسكر شمس الدولة فدخلوا البلد فملكوه ، وأخذوا صاحبه ياسرا أسيرا فاستقر ملكه باليمن .

وعاد إلى زبيد ، وحصر الحصون . فملك قلعة تعز(٢) ، وهى أحصن القلاع وبها تكون خزائن صاحب زبيد . وملك الجند(٣) وغيرها .

قال(٤) : وفى هذه السنة ، قبض صلاح الدين على جماعة من المصريين ، كانوا قد كاتبوا الفرنج وعزموا على أن يُعيدوا الدولة العلوية ورتبوا الخليفة والوزير وغير ذلك . ومنهم عمارة اليمنى الشاعر ، فقتله صلاح الدين مع الجماعة المذكورة . ونودى فى أجناد مصر بالرحيل عن ديار مصر ومفارقتها /إلى أقاصى الصعيد . واحتيط على من بالقصر من سلالة العاضد وأهله .

١٣٨ ر
٢

قال : وفى هذه السنة مات نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر صاحب الشام والجزيرة ومصر . ودفن بقلعة دمشق ، ونقل منها إلى المدرسة التى أنشأها بدمشق . وكان قد عزم على الدخول إلى مصر وجمع العساكر من أقاصى بلاده لذلك . فحال بينه وبين مراده أمرُ الله .

وأقام أصحابه بعده ابنه إسماعيل الملك الصالح ، وهو ابن إحدى عشرة سنة . فخطب له صلاح الدين بمصر . وضرب السكة باسمه ، وعمل فى الباطن فى تملك الشام .

---

(١) ابن جرير الهمدى ، لم يكن صاحبا لعدن ، بل وزيرا لعمدان بن محمد بن سبأ ، وناب عنه فيها لما طلع إلى حصن الدملوة — انظر أبا مخرمة وابن المجاور .

(٢) تعز : على خط عرض ٣٥َ ١٣ْ شمالا ، وطول ٢ً ٤٤ْ شرقا .

(٤) الكامل ٩ : ١٢٣ .

وحمل أصحاب نور الدين ابنه الملك الصالح إلى حلب ليمنعوها من عمه سيف الدين غاز صاحب الموصل . فكان من بدمشق يخاف بعضهم بعضا . وكاتبوا صلاح الدين ، وكان كبيرهم فى ذلك شمس الدين بن المقدّم . فسار صلاح الدين من مصر جريدة فى سبع مائة فارس ، والفرنج فى طريقه . فلما وصل/إلى بُصرى[1] ، خرج إليه صاحبها وكان ممن كاتبه . فاجتمع بالفاضل وقال : « ما أرى معكم عسكرا ، وهذا بلد عظيم لا يُقصَد بمثل هذا العسكر . وإن منعكم من بها أخذكم أهل السواد . فإن كان معكم مال يسهل الأمر » : فقال : « معنا مال كثير يكون خمسين ألف دينار » . فضرب صاحب بصرى على رأسه وقال : « هلكتم وأهلكتمونا » . قال : وجميع ما كان معهم عشرة آلاف دينار .

١٣٨ظ / ٢

وسار صلاح الدين فخرج من بدمشق إلى لقائه وخدمته . فملك دمشق ، وهو يظهر الطاعة للصالح ، ويخطب له ، ويخاطبه بالمملوك . واستخلف بها أخاه سيف الإسلام طُغْدِكين[2] . وسار إلى حمص فملكها من غد يوم النزول عليها . وملك القلعة بعد رجوعه من حلب . وملك حماة .

وسار إلى حلب فحصرها . فركب الملك الصالح وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، وجمع أهل البلد ، وقال : « أنا يتيمكم ، وقد علمتم إحسان والدى / إليكم . وقد جاء هذا الظالم يأخذ بلدى من يدى ولم يرعَ إحسان والدى إليه » .

١٣٩ و / ٢

(١) بصرى : من مدن سورية ، بين درعة وصرخد ، على خط عرض ٣٠َ ٣٢° شمالا ، وطول ٢٩َ ٣٦° شرقا .

(٢) سيف الإسلام أبو الفوارس الملك العزيز ظهير الدين ، سيره صلاح الدين إلى اليمن فى ٥٧٧ ، فأتم فتحها ، ومات فى ٥٩٣ . ويقال فى اسمه : طغتكين ، أيضا .

وبكى فأبكى الخَلْق . فبذلوا دونه الأموال والأرواح . قال : وفيهم شجاعة لأنهم قد ألفوا الحرب بمجاورة الفرنج .

وراسل أصحاب الصالح سنانا[(1)] مقدَّم الإسماعيلية ، وبذلوا له مالا كثيرا على أن يقتلوا صلاح الدين . فأرسل إلى قتله جماعة فقُتلوا دونَه وسلَّمه الله . وكاتبوا الفرنج ليحصروا بعض بلاده ليرحل عن حلب . فحصروا حمص ، فرحل إليهم ففروا أمامه .

وملك بَعْلَبك . وهُزِم عسكر غاز صاحب الموصل . فثبت ملكه بالشام وقطع حينئذ خطبة الملك الصالح فى بلاده . وحصر حلب وطال الحصار ، فصالحوه على أن يكون له ما بيده من الشام ولهم ما بأيديهم فرحل .

قال[(2)] : وفى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، انهزم سيف الدين غاز صاحب الموصل من صلاح الدين ، ومعه عساكر ملوك الجزيرة . وكان من التدبير / السيىء أنْ جُعلت أعلام عسكر سيف الدين فى أرض منخفضة لا يُبصرها إلا من يقرب منها . فظنوا أن العسكر هُزم ففروا على وجوههم .

١٣٩ ظ
٢

قال[(3)] : وفى سنة اثنتين وسبعين ، نهب صلاح الدين بلاد الإسماعيلية ، وحصر قلعة مَصْياث[(4)] وهى أعظم حصونهم . فأرسل سنان إلى أهل صلاح الدين يهددهم بالقتل إن لم يكن الصلح ؛ فكان .

---

(١) أبو الحسن سنان بن سلمان البصرى ، كان أديبا متكلما عارفا بالفلسفة شاعرا ماكرا ، مات فى ٥٨٨ .

(٢) الكامل ٩ : ١٢٦ . (٣) الكامل : ٩ : ١٣٩ .

(٤) النوادر : مصياف ، وهى من مدن سورية ، قريبة من طرابلس ، على خط عرض ٤َ ٣٥° شمالا ، وطول ٢١َ ٣٦° شرقا .

وسار إلى مصر ، فأمر ببناء سور على مصر والقاهرة ، والقلعة التى على جبل المقطم ، دَوْرُه تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالذراع القاسمى[1] ولم يزل العمل فيه إلى أن مات صلاح الدين . وفيها أمر ببناء المدرسة لقبر الشافعى بالقرافة . وعمل بالقاهرة البيمارستان ، ووقف عليها وقوفا عظيمة .

وفى سنة ثلاث وسبعين ، هُزم صلاح الدين على الرَّملة من قبل الفرنج ، وأُسر الفقيه عيسى الهكارى ، وكان قد قاتل قتالا عظيما فى ذلك اليوم . قال : وكان قد جمع العلم /[والدين والشجاعة . وأسر أيضا أخوه الظهير . وكانا قد سارا منهزمين فضلا الطريق ، فأخذا ومعهما جماعة من أصحابهما . وبقوا سنين فى الأسر ، فافتدى صلاح الدين الفقيه عيسى بستين ألف دينار...][2]

.../ حتى أحكم الأمر معه . ولم يكن عند أحد علم حتى صعدت أعلام الملك الناصر على القلعة . فأسقط فى أيدى أهل حلب والأمراء . وخاف الأمراء على أخبازهم ، والحلبيون على أنفسهم ، لما تكرر منهم من قتال الملك الناصر مرة بعد أخرى . وصرّح العوام بسبِّه . وحمل رجل من الحلبيين يقال له سيف ابن المؤذن إجانة الغسال ، وصار بها إلى تحت الطيارة[3] بالقلعة ، وعماد الدين جالس بها ، يشير إليه أن يغسل فيها كالمخانيث . وناداه : « يا عماد الدين : نحن كنا نقاتل بلا جامكية ولا جراية ، فما حملك على ما فعلت ؟ » . وقيل إن

٥٥ ر
٢

(١) كذا فى الأصل . وفى الكامل : الهاشمى . وهو الموجود فى معجم دوزى .

(٢) هنا سقط يشمل الأخبار بين سنتى ٥٧٢ و ٥٧٩ . وأتممت الخبر الأول من الكامل ، الذى ينقل المؤلف منه . أما الخبر الذى انتهى السقط فى أثنائه ، فليس من الكامل ، ويتحدث فيه عن سفارة حسام الدين طمان بن غازى الداروقى بين صلاح الدين وعماد الدين صاحب حلب سرا ، حتى أحكم الأمر مع صلاح الدين .

(٣) الطيارة : الشرفة ، أو الرواق ذو الأعمدة .

بعضهم رماه بالنُّشّاب فوقع فى وسط الطيارة . وعمل عوام حلب أشعارا عامية كانوا يدقون بها على طُبيلاتهم ، منها :

أحْبــاب قَلْبى لا تلومونى   هذا عمــاد الدين مجنون

قايِضْ بسنجار القلعة حَلَبْ   وزاده المَوْلى نَصيبين

٥٥ ظ / ٢

/قال : ومكث طمان[1] فى القلعة نائبا عن عماد الدين حتى تفرغ أسبابه فباع حتّى الأغلاق والخوابى . واشتري الملك الناصر منها شيئا كثيرا .

قال[2] : وسار الملك الناصر إلى الموصل . فوصل إلى بلد ، فنزلت إليــه والدة صاحبها عز الدين ومعها ابنة نور الدين وغيرها من نساء الأتابكية ، يطلبن منه المصالحة والموافقة — فردهن خائبات ظنا منه أن عز الدين أرسلهن عجزا عن حفظ الموصل . واعتذر بأعذار ندم عليها بعد ذلك . وبذل أهل الموصل نفوسهم فى القتال لرده النساء . وأقام على حصار الموصل شهرين ثم رحل عنها .

وقال : إنه لمــا عاد لحصار الموصل اشتد مرضه بكَفَر زَمّار فوقع الصلح وعاد إلى حران . وقد اشترط صاحب الموصل عز الدين على لسان القاضى المعروف بابن شداد الخطبة والسكة ، وأن يكون معه عسكر من جهته .

٥٦ و / ٢

واشتد مرض السلطان بحران[3] وأرجف بموته . ووصل / أخوه العادل من حلب ومعه أطباؤها . واستدعى الأمــراء المقدّمين من البلاد . وعزم الملك العادل على استخلاف الناس لنفسه . وسار ناصر الدين صاحب حمص طمعا

(١) حسام الدين طمان بن غازى الياروقى ، توسط بين صــلاح الدين وعماد الدين إلى أن تم الصلح بينهما ، فأقطعه صــلاح الدين الرقة مكافأة ، ومات فى ٥٨٥ ، وكانت من الشجعان — النجــوم ٦ : ٢٨ ، ٤٤ .

(٢) الكامل ٩ : ١٦٨ .

(٣) حران : جنوب تركيا على حدود سورية ، على خط عرض ١ ٥ ٣٦ شمالا ، وطول ١ ٣٩ شرقا .

فى ملك الشام . وجرى من تقى الدين بمصر حركات من يريد أن يستبد بالملك وتماثل السلطان وبلغه ذلك كله . وأرسل ابنه الملك العزيز إلى مصر وأتابكه عمه العادل ، وابنه الأفضل ولاه دمشق ، والملك الظاهر حلب . وكان الأفضل مع تقى الدين بمصر .

وذكر وقعة حطّين قال : وحطين قرية عندها قبر شُعَيب عليه السلام ، وأن أسرى الفرنج كان الرجل المسلم يقتاد منهم عشرين فرنجيا فى حبـــل . وكان الأسرى نحو ثلاثين ألفا ما بين رجل وامرأة وصبى . وقتل منهم خلق لا يحصى . وكان من جملة الغنيمة فى يوم المصاف صليب الصَّلَبوت ، وهـــو قطعة خشب / مغلفة بالذهب مرصعة بالجوهر ، يزعمون أن ربّهم صُلب عليها .

٥٦ظ
٢

قال : فأما مُقدَّمو الداوية والأَسْبتار[(١)] فاختار السلطان قتلهم فقتلوا . وفيها أُسر البرنس أرناط صاحب الكرك ، وكان السلطان قد نذر مرتين إنْ أظْفره الله به أن يقتله : إحداهما لمـــا أراد المسير إلى مكة والمدينة وبعثرة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، والمرة الأخرى حين غدر بالقافلة ، وقال لهم : « قولوا لمحمد يجى ينصركم » . فضرب عنقه بيده .

وذكر أن السلطان لمـــا أشرف بدمشق على الموت ، كان ولده الأفضل — وهو أكبر ولده — معه بدمشق ، والملك الظاهر بحلب ، والملك العزيز بمصر قال : ومات وليس فى خزانته يوم وفاته سوى دينار صورى وسبعة وأربعين درهما نُقْرة[(٢)] ، ودعوته على المنابر من أقصى حَضْرموت فى الجنوب إلى أوائل بلاد أرّانية[(٣)] فى الشمال عرضا ، ومن طرابلس الغرب إلى باب همذان[(٤)] ...

(١) هو الاسم الذى أطلقه العرب على طائفة فرسان المعبد Templiers .

(٢) الفضة النقرة : سبيكة من الفضة والنحاس الأحمر ، بنسبة ثلثين من الفضة ، وثلث من النحاس الأحمر ، ومنها كانت تضرب الدراهم النقرة — صبح الأعشى ٣ : ٤٤٣ ، ٤٦٦ — ٧ . السلوك ١ : ٤٥ .

(٣) كل ما جاور نهر الرس من ناحية المغرب والشمال فهو من أران ، وما كان من جهة المشرق فهو من أذربيجان (ياقوت : أران) .

(٤) سقط ما بعد هذا إلى أثناء الحديث عن العزيز .

[السلطان العزيز عثمان بن الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب

فكبا به فرسه] / بالفيوم فسقط عنه وقد شاع فى مصر أن كل ملك لها إذا دخل الفيوم جرى عليه منها نكبة . ١٤٠ ر / ٢

ومن الكامل لابن الأثير[1] : كان العزيز قد خرج إلى الصيد . فوصل إلى الفيوم . فرأى ذئبا فركض فرسه فى طلبه . فعثر الفرس فسقط عنه إلى الأرض ولحقته حمّى فعاد إلى القاهرة مريضا . فمات[2] من مرضه ذلك .

قال : وكان الغالب عليه مملوك والده فخر الدين جَرْكَس[3] .

قال ابن سعيد : وكان وزيره ابن مجاور[4] له نظم لطيف مشهور ، وكان كاتبه القاضى الفاضل طول حياته . وبعده مات الفاضل .

---

(١) الكامل ٩ : ٢٤٣ .
(٢) فى محرم ٥٩٥ ه .

(٣) جركس : الصورة العربية للاسم ، وهو جهاركس ، أحد كبراء الدولة الصلاحية ، كان كريما نبيلا عالى الهمة ، ولاه العادل بانياس والشقيف ، ومات بدمشق فى ٦٠٨ .

(٤) نجم الدين أبو الفتح يوسف بن الحسين بن محمد الشيرازى ، اشتغل بالتدريس ثم صار مربيا للعزيز فلما تولى السلطنة صار وزيره . (الخطط ٢ : ٤١ ، الغصون اليانعة ١٩) .

السلطان المنصور محمد بن العزيز بن الناصر
صلاح الدين يوسف بن أيوب

كان مولد المنصور سنة ست وثمانين وخمسمائة . وولى سلطنة مصر بعد أبيه ، وله عشر سنين . فوقع من أجل / صغره تخليط بين الملك العادل والملك الأفضل ، آل الأمر فيه إلى أن استقر ملك العادل بمصر ، وخلع ابن ابن أخيه المنصور ، وأسقط اسمه من الخطبة ، وأرسله مع أهله إلى الرها . فآل أمره إلى أن أقام عند عمه الملك الظاهر بحلب .

١٤٠ظ
٢

وقد ذكر الصاحب كمال الدين فى تاريخ حلب : أن الأمراء اجتمعوا بعد موت الظاهر فى دار العدل بحلب ، واتفقت آراؤهم على أن يكون الملك المنصور بن العزيز أتابك العسكر ، والأمر فى الإقطاع إليه . قال : ثم اضطربت الحال ولم يرض أخوه الملك الظاهر بولاية المنصور .

وأخبرنى الصاحب كمال الدين أن المنصور بقى ملحوظا فى حلب ، وهو ملتزم طريقة الخير ، فإنه كان لا يشرب إلى أن مات فى حلب – وكانت وفاته يوم عيد الأضحى من سنة خمس وعشرين وستمائة .

ومن كتاب الكامل لابن الأثير[١] : أن فخر الدين جركس كان غالبا على ملك / العزيز بمصر . فلما مات العزيز سير إلى الملك العادل ، وهو يحاصر ماردين[٢] ، يستدعيه إلى مصر . فأرسل أمراء مصر من الأسدية والكردية إلى الأفضل وكانوا يحبونه ، والناصرية مماليك أبيه تكرهه . وأشار الفاضل بتمليك الأفضل . ودامت المشاورات والمنازعات فوصل الأفضل من صرخد[٣] إلى بلبيس خامس ربيع الأول . وخرج إخوته والأمراء المصرية إلى لقائه ، وملك مصر .

١٤١ و
٢

وآل الأمر إلى أن هرب جركس وتغلب على القدس . واجتمع إليه المماليك الناصرية فقويت شوكتهم . وأرسلوا إلى الملك العادل ، وهو على ماردين ، يطلبونه إليهم ليدخلوا إلى مصر . فلجّ فى حصار ماردين ، وقد قوى طمعه فيها ، واستوحش الأفضل من الناصرية فقبض على أمراء منهم مشاهير أبطال . وأقام بالقاهرة وأصلح الأمور ، والخطبة بمصر لابن أخيه المنصور ، وهو مدبر / حاله لصغره .

١٤١ظ
٢

وحثه أخوه صاحب حلب على قصد دمشق لغيبة العادل عنها ، فتعوق فى طريقه . وبلغ الخبر العادل ، فرحل عن ماردين وسبقه إلى دمشق . وآل

(١) الكامل ٩ : ١٦٢ .

(٢) ماردين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة ، فى جنوب شرق تركيا ، على خط عرض ١٩َ ٣٧° شمالا ، وطول ٤٣َ ٥ ٤٠° شرقا .

(٣) صرخد : وتسمى صلخد الآن ، فى جنوب سورية من أعمال حوران ، على خط عرض ٢٩َ ٣٢° شمالا ، وطول ٤٢َ ٣٦° شرقا .

الحال إلى أن ملك العادل مصر ، وأخرج منها صاحبها المنصور ، كما تقدم وعلى ما سيذكر .

كمل الجزء الخامس من كتاب المغرب فى حلى المغرب

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد نبيه خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه الطاهرين .

يتلوه إن شاء الله تعالى فى السادس ترجمة السلطان الأفضل .

بسم الله الرحمن الرحيم

١ و / ٦

صلى الله على سيدنا محمد

السلطان الأفضل أبو الحسن نور الدين على بن السلطان الأعظم الناصرى صلاح الدين يوسف بن أيوب

النسب

الترصيع والتعريف

ولد بمصر ، وكان أبوه ولّاه سلطنتها فى حياته قبل ولاية العزيز ثم عزاه وولاه دمشق . ثم ملكها حين مات أخوه العزيز ولكنه لم يُسقط من الخطبة اسم المنصور بن العزيز استمالة لأصحاب العزيز وتمشية للوقت .

الحكاية والتاريخ

من كتاب الكامل[1] : فى سنة ست وتسعين وخمس مائة ، سار العادل إلى مصر مع المماليك الناصرية ، وقد حلفوا له[2] على أن يكون المنصور صاحب مصر والعادل مدبر أمره إلى أن يكبر . وكان عسكر الأفضل قد تفرق لتربيع الدواب . فرام الأفضل جمعهم من الأطراف فأعجله الأمر عن ذلك . وخرج / بمن اجتمع له إلى السائح[3] . وتلاقى مع العادل ، فانهزم الأفضل سابع ربيع الآخر . ووصل القاهرة بالليل .

١ ظ / ٦

(١) ٩ : ٢٤٩ .   (٢) الكامل : وقد حلفوه . وهى أدق .

(٣) السائح : المنطقة الواقعة على جانبى الترعة السعيدية ، بين ناحيتى سوادة والصالحية ، بمركز فاقوس ، بمحافظة الشرقية .

وفى تلك الليلة ، مات الفاضل ، فصلى عليه الأفضل .

ونزل العادل على القاهرة . وآل الأمر للصلح على ميّا فارقين وجبل جور [(١)] . وخرج الأفضل ليلة ثامن عشر ربيع الآخر ، وسار إلى صَرْخد .

ودخل العادل يوم السبت ثامن عشر [(٢)] ربيع الآخر .

وأرسل الأفضل من يتسلم ميا فارقين وما حولها . فامتنع بها نجم الدين أيوب بن العادل [(٣)] ، وسلم ما عداها .

ولما ثبتت قدم العادل بمصر ، قطع خطبة المنصور وأخرجه من مصر . فراسل الناصرية الظاهر والأفضل فى حصار دمشق ، ليخرج العادل إليهم . فإذا خرج من مصر أسلموه . فتحرك الظاهر ، وملك منبج وقلعة نجم [(٤)] . وحصر هو والأفضل دمشق . والقاعدة أن تكون دمشق للأفضل ، حتى إذا ملكوا مصر كانت/للأفضل ،وجميع الشام للظاهر. فلم يبق إلا أن يملكوا البلد . فجرت منازعة بين الأخوين عليها ، آلت لفساد الحال . وكان الأفضل قد أعطى صرخد لأحد المماليك الناصرية على أن ينصره [(٥)] . فآل الأمر إلى أن بقيت دمشق بيد العادل ، وصارت سُميساط [(٦)] وسَروج ورأس عين [(٧)] للأفضل . ثم انتزع

٢ و / ٦

(١) جور : إقليم متصل بديار بكر .

(٢) النجوم ٦ : ١٦٢ : لثلاث عشرة خلت . الوفيات ٢ : ٤٨ : لثلاث عشرة ليلة بقيت . أبو الفدا ٣ : ١٠٣ : الحادى والعشرين .

(٣) الملك الأوحد ، ناب عن أبيه فى حكم ميافارقين منذ ٥٩٦ ، وفتح خلاط فى ٦٠٤ ، ومات فى ٦٠٧ .

(٤) قلعة نجم : قلعة حصينة مطلة على الفرات بينها و بين منبج أربعة فراسخ .

(٥) يقصد زين الدين قراجا — المفرج ٣ : ١٢٤ . والكامل ٩ : ٢٥٢ .

(٦) سميساط : مدينة غربى الفرات ، بين قلعة الروم وملطية .

(٧) رأس عين : من مدن الجزيرة السورية ، على حدود تركيا ، على خط عرض ٥٢َ ٣٦ْ شمالا ، وطول ٥ً ٤٠ً شرقا .

العادل من يد الأفضل سروج ورأس عين ، ولم يبق له إلا سميساط . وأخذ منه أخوه الظاهر قلعة نجم .

ومن تاريخ حلب للصاحب كمال الدين بن أبي جرادة : هو أكبر ولد الناصر وكان عنده علم وأدب . وكان يكتب خطا حسنا وله شعر جيد . ووقفت على مصنف له في الفرق بين الظاء والضاد بخطه . وكان قد سمع الحافظ السلفي[1] بالإسكندرية وغيره . وكان يحب أهل العلم والدين ، ويؤثر مجالسهم ويحترمهم . وكان صحيح العقيدة ،ووقف أوقافا / جليلة المقدار على قبة الصخرة وغـيرها .

٢ظ / ٦

وكان مولده يوم عيد الفطر سنة خمس[2] وستين وخمس مائة بمصر .

ومن شعره قوله في ناسخ له : [من الوافر]

وقالوا : تاب عن شرب الحُمَيـا ... فقلت لهم : كذبتم ما يتـوب

وكيف يتوب عن فعـلٍ دَنيءٍ ... فتىً قد جُمِّعتْ فيـه العيوب

وقوله : [من الكامل]

وحلفتَ أنك سوف تهجر عاشقا ... وتُذيقُه من هجرك الداءَ الخـفي

فوفيتَ ، ثم حلفتَ أنْ سُتذيقـه ... بردَ الوفاء إذا وصَلتَ فـلم تَفِ

وغنى مغن بحضرته : [من الطويل]

يُطالبني قلبي بكم كلَّ سـاعةٍ ... إذا أفلس المديونُ لَـجَّ المُطالبُ

وأشتاقُكم شوقَ الذي مَسَّه الظَّمأ ... وقد مُنعتْ ظلما عليـه المَشارب

إذا رمتُم قتـلي وأنتم أَحبَّـتي ... إذن فالأعادي واحـدٌ والحَبائب

---

(١) أبو طاهر أحمد بن محمد صدر الدين ، الشافعي ، ولد بأصبهان في ٤٧٢ تقريبا ، ومات بالإسكندرية في ٥٧٦ هـ . طاف الآفاق بحثا عن الحديث الشريف . ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله .

(٢) وقيل : ست — الوفيات ١ : ٢٨٢ .

فزاد عليها :

وجربت منكم ما نهى القلب عنكمُ فعدتُ ، وهل تَنْهى المحبَّ التجاربُ

واجتمع بأخيه العزيز بعد مدة ساعةً واحدة / فكتب إليه شعرا منه : ٣ و/٦

[من الوافر]

نظرتُك نظـرةً من بعـد تسعٍ تقضَّتْ فى التفـرُّق ، من سنين(١)

وغضَّ الدهرُ عنـا طرفَ غـدرٍ مسافةَ قربِ طـرف من جبين(٢)

وعاد إلى سجيتـه فأجْـرى بفُرقتنا العيـون من العيـون

أما يبـدى جيوش القُرب حـتى يُرتبَ جيش بُعْـدٍ فى كمين(٣)

ولا يُدنى محـلى منك إلا إذا دارت رَحى الحـرب الزَّبون

وتوفى بسميساط يوم الجمعة ، بعد أن صلى صلاة الجمعة . وأدركته الوفاة فجأة فى خامس وعشرين من صفر سنة اثنتين وعشرين وستمائة(٤) . ونُقل إلى حلب فدفن بها فى التربة التى أنشأها لوالدته . وأوصى بسُمَيساط لأخيه مـوسى(٥) .

قال الصاحب : وأنشدت له بيتين قالهما لمـا نزل العزيز عثمان أخوه وعمه العادل أبو بكر على دمشق وأخذاها منه ، وكتب بهما إلى الخليفة الناصر :

[من البسيط]

مـولاى إن أبا بكرٍ وصاحبَـه عثمانَ قـد أخذا بالسيف حق على(٦)

/فانظرْ إلى حظِّ هذا الاسم كيف لَقِى مِنَ الأواخرِ ما لاقَى من الأوَل ٣ ظ/٦

(١) الروضتين ٢ : ٢٢٩ : بالتفرق . (٢) الروضتين : الدهر عنا .. قرب عين .

(٣) الروضتين : ولا يبدى . (٤) النجوم ٦ : ٢٦٢ : ربيع الأول .

(٥) الملك المفضل قطب الدين ، الذى نعت بعد بالمظفر .

(٦) الوفيات ١ : ٣٧١ والنجوم ٦ : ٢٦٢ : قد غصبا .

وليس بمتشيع وإنما قالها لموافقة الحال أو تقربا للخليفة فإنه كان يُنسب للتشيع .

قال ابن سعيد : وذكر لى جماعة من الفضلاء أنه أُجيب على هذا من الديوان بقول الكاتب ابن زَبادة : [من الكامل]

وافى كتابُك — يا ابنَ يوسفَ — ناطقا ... بالحق يُنْبِئُ أنَّ أصلك طاهر (١)

غصبوا عليـا حقَّه إذ لم يكن ... بعد النبى له بيثربَ ناصر (٢)

فاصبر فإن غدا على جزاءَهم ... وابْشِر فناصِرُك الإمام الناصر (٣)

ووجدت منسوبا له بخط الصاحب كمال الدين : [من الطويل]

وقبّلت خدا للحبيب مُوردا ... بنفسىَ أفدى منه خدا موردًّا

فمن حَرِّ أنفاسى عَلا فوق خده ... دخانٌ فخالُوه عِذارا مزرّدا

وقوله :

قل لمن فى العِذارِ أطنبَ جهلا ... إذ يُباهى بوصفِه ويُغالى

لم يكن فى الجنان يُفقَد فى الولـ ... ـدانِ لو كان من صفاتِ الجمال

وأنشدنى له جماعة ما يَشْهد بأنه قوله : [من الكامل]

/ يا من يُدلِّس شيبه بخضابه ... لَعَساه من أهل الشَّبيبةِ يَحْصِلُ (٤)

ها فاختضبْ بسواد حظىَ مرةً ... ولك الأمانُ بأنه لا ينْصُل

٤ و
٦

(١) الوفيات : معلنا بالود يخبر أن أصلك طاهر . وابن زبادة هو قوام الدين يحيى بن سعيد بن هبة الله الواسطى ، ولى نظر واسط ، وحجابة الحجاب ، والأستاذ دارية وديوان الإنشاء ببغداد ، وكان عارفا بالفقه والأصول والكلام والنحو والشعر ، ومات فى ٥٩٤ هـ — العبر ٤ : ٢٨٤ .

(٢) الوفيات : غصبا .

(٣) الوفيات : فابشر فإن غدا عليه حسابهم واصبر ... واضطر لخفف همزة (أبشر) .

(٤) أبو الفدا ٣ : ١٤٢ وابن الوردى ٢ : ١٤٦ : يسود شعره بخضابه .

ومن زبدة الحلب: أن الظاهر والأفضل نزلا على دمشق بعدما ملك الأفضل مصر. وسار العادل فى البرية حتى دخل دمشق. وهجم بعض العسكر على المدينة مُخامرة من أهلها ونادوا بشعار الأفضل. فخرج العادل من القلعة واخرجهم من البلد. وخامر بعض العسكر[1] على الأفضل، فدخلوا دمشق بالليل، فاختلّ الحال. ووصل الملك الكامل فى جيش عظيم إلى دمشق لنجدة أبيه. فرجع الظاهر إلى حلب[2]، والأفضل إلى مصر. واستولى العادل على مصر كما تقدم.

وذكر أنه وقع الخُلْف بين الأخوين على دمشق، لكون كل واحد يريدها لنفسه، فوجب الرحيل، وعصى الأفضل على عمه العادل فى البلاد التى أعطاه إياها. فسيّر من أخذها منه. ولم يبق له / إلا سُمَيْساط.

٤ظ / ٦

ولما مات الظاهر، ودخلت سنة خمس عشرة وخمس مائة، تحرك سلطان الروم كَيْكاوُس السلجوقى[3]، ومعه الأفضل طالبا أن يملك حلب. وأطمع الأفضل أن يأخذها له ليرغب الأمراء فى تملكه عليهم. واغتنما شغل قلب العادل بنزول الفرنج على دمياط. وكان كيكاوس يريد الملك لنفسه، ويجعل الأفضل ذريعة للتوصل إليه. فأخذ تل باشر[4] وغيرها من البلاد. ولم

---

(١) يقصد قراجا وفخر الدين جركس (جهاركس).

(٢) الأصل: دمشق، وهو سبق قلم، لأن حلب مقر إمارته، وقد عاد إليها حقا.

(٣) عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قلج أرسلان، صاحب قونية وملطية وغيرهما: مات فى ٦١٥.

(٤) تل باشر: قلعة حصينة وإقليم فى شمالى حلب.

يعط الأفضل شيئا . فتحقق الأفضل فساد نيته . وأرسل العادل الملك الأشرف[1]
إلى نجدة حلب . فآل الأمر إلى أن وقع العرب على بعض العسكر الرومى ،
واستباحوهم قتلا وأسرا . وسار كيكاوس هاربا . وتبعه الأشرف يتخطف
أطراف عسكره . واسترجع الأشرف تل باشر وغيرها لأهل حلب .

(١) أبو الفتح مظفر الدين موسى بن الملك العادل ، ولد فى ٥٧٨ ، وتولى الرها فى ٥٩٨ ، ثم امتد سلطانه فى الجزيرة حتى شمل دمشق ، ومات فى ٦٣٥ .

السلطان العادل أبو بكر محمد ابن أيوب

٥ ر / ٦

/كان أخوه السلطان الأعظم صلاح الدين يكرمه، ويعتمد عليه فى آرائه وكان موصوفا عنده بمعرفة الحرب ومكائدها، وعليه كان يعتمد فى إسناد أمر الفرنج ومراسلتهم أيام عكا ومخادعة الانكتار. ويحكى أن أحد المصنفين صنع كتابا فى مكائد الحروب، وقدمه للسلطان على عكا. فقال: «لا نحتاج لهذا مع وجود الملك العادل».

وكان السلطان قد جعله أتابك ابنه العزيز بمصر. وحكى ابن شداد فى «السيرة الصلاحية»[1] أنه قال للملك الظاهر بمحضر العزيز، وقد عزما على الرحيل إلى مصر وهو أتابكه فى شأن تخوفه من إفساد الوشاة بينه وبين العزيز وأنه لا بد من أن يقع ذلك: «وأنا أقنع منك بمَنْبِج فتكون مُعدَّة لى حتى أصل إليها وأكون فى خدمتك». فانظر تَنَزُّله لأولاد صلاح الدين وتسلُّقه على مراده فى مبدإ الأمر. وكان صلاح الدين قد نُبِّه عليه/ وحُذِّر منه.

٥ ظ / ٦

ومن زبدة الحلب[2] أن علم الدين سليمان بن جِنْدر[3] كان بينه وبين صلاح الدين صحبة قديمة ومعاشرة قبل الملك، وكان العادل — وهو بحلب — لا يوفيه

(١) ٧٢ . وقد تصرف المؤلف فى نص الحديث .

(٢) الخبر فى الكامل ٩ : ١٧٣ ومفرج الكروب ٢ : ١٨٣ ، والنجوم ٦ : ٣٠ .

(٣) من أكابر أمراء حلب ، ومشايخ الدولتين النورية والصلاحية ، شهد مع صلاح الدين حروبه كلها ، وأشار عليه بتخريب عسقلان ، وتولى دربساك ، ومات فى ٥٨٧ — النجوم ٦ : ١١٣،٤١

ما يجب له . فلما عوفى السلطان من مرضـــه ، سايره يوما سليمان . وجرى حديث مرضه — وكان قد أوصى لكل واحد من أولاده بشيء من البلاد — فقال له : « بأى رأى كنت تظن أن وصيتك تمضى ؟ كأنك كنت خارجا للصيد وتعـــود ، فلا يخالفونك ؟ أما تستحى أن يكون الطائر أهدى منـــك للمصلحة ؟ » . قال : « وكيف ذلك ؟ » وهو يضحك . قال : « إذا أراد الطائر أن يعمل عشا لفراخه قصد أعالى الشجر ليحمى فراخه ، وأنت سلمت الحصون إلى أهلك ، وجعلت أولادك على الأرض ؟ هذه حلب — وهى أم البلاد — بيد أخيك العادل ، وحماة بيد تقى الدين ، وحمص بيد ابن أسدالدين وابنك الأفضل[(1)] مع تقى الدين بمصر يخرجه متى شاء ، وابنك الآخر مع أخيك / في خيمة يفعل به ما أراد » . فقال له : « صدقت ، واكتم هذا الأمر » . ثم أخذ حلب من أخيه وأعطاها ابنه الظاهر . وأعطى العادل حرّان والرُّها وميا فارقين ليخرجه من الشام ، ويتوفر الشام ومصر على أولاده . وأخرج تقى الدين من مصر ، فشق عليه وامتنع . ثم خاف فقدم عليه .

٦ و
٦

وذكر من أمر العادل فى استيلائه على بلاد أولاد صلاح الدين شيئا فشيئا ما تقدم . وآل أمره إلى أن ملك مصر ودمشق وما بينهما . وخطب له الظاهر فى حلب .

ونزل العادل على سنجار . وقام نور الدين بن عز الدين[(2)] صاحب الموصل فى نصرة صاحبها ابن عمه . واتفق مع مظفر الدين[(3)] صاحب إربل . فرجع عنها دون غرض .

(١) الكامل : العزيز . وهو خطأ .
(٢) أبو الحارث أرسلا نشاه بن مسعود الملك العادل ، ولى الموصل فى ٥٨٩ ، ومات فى ٦٠٧ .
(٣) أبو سعيد كوكبورى بن على ، ولد فى ٥٤٩ ، ومات فى ٦٣٠ .

وذكر من أمر الظاهر فى شأن اتفاقه مع كَيْكاوُس ملك الروم على عمه خوفا منه ثم ندامته على ذلك حين أجابه العادل إلى ما طلب ما أداه إلى أن حصل فى نُشبة مع كيكاوس / وداخله الفكر . وهجم عليه مرض مات منه بقلعة حلب .

٦ظ / ٦

ونزل على دمياط الفرنج والكامل بن العادل فى مقابلتهم .

ومرض العادل على عالقين[1] فرحل إلى دمشق ، فمات فى الطريق فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة .

ومن كتاب الكامل[2] : لما مات صلاح الدين ، كان العادل فى الكرك . فامتنع فيه ولم يحضر عند أحد من أولاد أخيه إلى أن جهزوا معه العساكر ليذب عن بلادهم من صاحب الموصل .

وكان الأفضل كثير الثقة به بحيث أنه أدخله دمشق وهو غائب عنها . ولقد أرسل إليه أخوه الظاهر يقول له : « أخرج عمنا من بيننا فإنه لا يجيء علينا منه خير ونحن ندخل لك تحت كل ما تريد. وأنا أعرف به منك فإنى زوج ابنته » . فقال له الأفضل : « أنت سيء الظن فى كل أحد . أى مصلحة لعمنا فى أن يؤذينا ، ونحن إذا اجتمعنا سرنا معه العساكر / ليملك من البلاد أكثر من بلادنا ونربح حسن الذكر ؟ » .

٧و / ٦

قال[3] : هذا كان أبلغ الأسباب فى تمكن العادل .

وذكر انه لما ملك العزيز دمشق وعوض الأفضل بصرخد ، جلس العزيز على شرابه . فجرى على لسانه أنه يعيد دمشق للأفضل . فنقل ذلك إلى

(١) عالقين : قرية بظاهر دمشق — الوفيات ٢ : ٥٠٠ .

(٢) الكامل ٩ : ٢٢٧ . (٣) الكامل ٩ : ٢٣٦ .

العادل فى وقته ، فحضر المجلس من ساعته ، والعزيز سكران . فلم يزل به حتى سلم البلد له ، وخرج منه إلى مصر. وكان العادل يذكر أن الأفضل سعى فى قتله ، وكان الأفضل ينكر ذلك .

قال ابن سعيد : أخبرت أن مولده كان فى سنة إحدى وأربعين وخمس مائة[1] . وكان أعظم الملوك همة فى أمر الطعام . وكان قد ترك الشرب أيام سلطانه ، والتزم طريق الخير والبر والصدقة . وكان يضع الأشياء فى مواضعها .

ولم يكن بخيلا . ولكنه لما جاء فى أثر السلطان صلاح الدين وابنه العزيز ، ولم تسمح نفسه بالجرى / فى بذل الأموال على مسلكهما ، نُسب للشدة فى العطاء وكيف يكون بخيلا ، وقد أفسد العساكر على الأفضل والعزيز ، وهما أندى من الغمام ؟ ولو لم يقترن مع دهائه كرم ، لما انقادت إليه نفوس الأمم ، وقد قيل عنه إنه كان يهون عليه بذل العظيم عند استحقاقه .

٧ظ
٦

وكان كثير النوادر والمطايبات . وله فى ذلك حكايات :

وكان أشد الناس بحثا على من يفسد قلبه أولادُ صلاح الدين حتى يستميله ويشفع فيه ويصيره من حزبه .

وهو آخر من سكن دار الوزارة بالقاهرة من سلاطين مصر :

---

(١) اتفق أكثر المؤرخين أن مولده كان فى ٥٤٠ ه . وذكر النجوم ٦ : ١٦٩ أنه كان فى ٥٣٩ ، والوفيات ٢ : ٤٩ ، والنجوم ٦ : ١٦٠ ، ١٦٥ أنه فى ٥٣٨ ، والنجوم أنه كان فى ٥٣٤ .

السـك

قد نورد من تراجم الفسطاط هنا من لا نتحقق سكناه بها أو من غفلنـا عن إيراده هناك ، والمدينتان فى حكم واحدة . والأغلب أن من كان فى المدة التى كانت القاهرة فيها مبنية / ولا نتحقق مسكنه من المدينتين نورد ترجمته فى القاهرة . وأكثر المحترمين والرؤساء لهم منازل فى القاهرة ومنـازل فى الفسطاط :

٨ و
٦

من كتاب الاصطفاء فى حلى الشرفاء

عبد الله بن إسماعيل الحسينى الزيدى (١)

من الخريدة : أنه من الفضلاء الذين كانوا بمصر سنة خمس وعشرين وخمس مائة ، وأنشد له : [من الكامل]

فلأشكرنّك ما حييتُ مُبالغـا ... شُكرَ الرياضِ مواقعَ الأنداءِ
لا زلتَ فى الرُّتَبِ الشريفةِ خالدًا ... مُستخدِمَ الأكفاءِ والنظراءِ (٢)

الشريف المعروف بالوبر (٣)

ذكر صاحب الخريدة أنه من أهل عصره الموجودين بمصر . وأنشد له :

لا يُحْوِجَنّى سوءُ ما قد أرى ... أَقْصِدُ فيكم غيرَ مِنْهاجى
إنْ لم أَقُلْ شعرا فإنى امرؤٌ ... أَحْفَظُ ما قد قاله الهاجى

/ العلوى العباسى محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم

٨ظ
٦

ذكره صاحب الجنان فى شعراء مصر ، وأنشد له : [من الطويل]

طلولٌ يطول الحزنُ فى عَرصاتِها ... خَلتْ فعفَتْ أعلامُها والمَعالمُ
نزلْنا عن الأكوار نبكى رسومها ... حياءً وبخلا أن تطاها المَناسمُ (٤)
ولم يُبْكِنا فيها الحِمامُ وإنما ... بكتْ لبُكانا فى الغصون الحَمائمُ
لَعَمْرُ العُلا ما نمتُ عن طلب العلا ... ولكنما حظى عن المجد نائمُ

(١) الخريدة ٢ : ١٠٥ .
(٢) الخريدة : تعلو على النظراء والأكفاء .
(٣) الخريدة : ٢ : ١٣٢ .
(٤) الأكوار : جمع كور ، وهو الرحل . والمناسم : جمع منسم ، وهو خف البعير . واضطر لخفف همزة (تطأها) .

الشريف هاشم بن إلياس المصرى (١)

وجدت له منسوبا فى كتاب الجنان : [من الطويل]

كأن بياضَ البدر من خلف نخلة بياض بَنــانٍ فى اخضرار نقوشِ (٢)

وقــوله : [من الكامل]

وكأنمــا المريخ بين نجــومه ياقوتة فى لــؤلؤ متبــدِّدِ (٣)

وقــوله : [من البسيط]

والبدر فى الجانب الغــربى يُذَكرنى إعراضَ وجهك لمــا لجَّ فى الغضبِ (٤)

٩ د / ٦

إدريس بن الحسن بن على / بن عيسى الحسنى الإدريسى (٥)

أنشد له العماد فى ذيل الخريدة من قصيدة يخاطبه بها ، وقد اشتكى العماد من مرض لازمه : [من الكامل]

لهجتْ به لمــا اشتكى حسّادُه فتباشرتْ بسماعــه أضــدادُهُ

سيفٌ عــلى الأعداء سُلَّ مهنَّــدٌ لا راعَ سِرْبَ وَليِّــه إغماده ؟

قلت : اعلموا علمــا يقينا أنــه يَبْــقَى ويَبْقَى للشَّــقا حساده

الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسى (٦)

هو الآن نسّابة شرفاء مصر وفاضلهم ، إليه الإشارة من بينهم . لقيتــه بالقاهرة فاستفدت منه نكتا فى أنساب الأشراف . وأخبرنى أنه صنف تاريخا

(١) مسالك الأبصار ١٢/١/١٢ ، عنوان المرقصات ٦٤ ، الدواداري ٥٩٢ . وفيها : الناس .

(٢) عنوان المرقصات ، والدواداري ، والمسالك .

(٣) ن . م .

(٤) المسالك : للأفق الغربى .

(٥) الخريدة (قسم الشام) ٢ : ١٩٨ : يحيى . وقد التقى به العماد بدمشق فى ٥٧١ هـ ، وروى عنه بعض الشعر فى مدح طلائع بن رزيك .

(٦) ولد فى ٥٦٨ ومات بالقاهرة فى ٦٤٩ ، قرأ الأدب ، وكانت له معرفة بالحديث والتاريخ — الطالع السعيد ٥٣٤ ، حسن المحاضرة ١ : ٤٥٤ .

للقاهرة، وهو مشتغل به . وهو من أدارسة المغرب الأقصى الذين انتقلوا إلى مصر فأنسلوا بها . ومن شعره قوله فى طه المختص بصحبة قاضى قضاة القاهرة :

أنا أَوْلَى بك من كُلْـ ـلٍ فزِدْنى منك جاها
/ وشفيعى لك أنى صِنْوة من آل طه

٩ ظ
٦

الشريف جعفر العلوى العمرى المصرى
المعروف بابن الماشطة (١)

قال الشريف أبو جعفر المذكور : أنشدنى الشريف جعفر لنفسه بديهيا فى يوم اتفق فيه العيد والنوروز : [من الطويل]

أتى العيدُ والنوروز مجتمعا معا وشملى بمن أحببتُه غيرُ جامع
فعيَّدتُ فى ثوب جديد من الضَّنى وَنَوْرَزْتُ معْ صحبى بماء المدامع

ولما جاء الغلاء بمصر ، كبرت نفسه عن السؤال فحبس فى بيته إلى أن مات . وأنشد له صاحب الشعراء العصرية : [من الكامل]

وافيْتُ نحوكُم لأرفعَ مبتدا شعرى وأنصبَ خفضَ عيشٍ أَغْبرا (٢)
حاشاكُمُ أن تقطعوا صلة الذى أوتصرفوا — من غير شىء — جعفرا

الشريف العباسى (٣) أبو الحسن على بن شجاع بن سالم بن على بن موسى ابن حسان بن طَوْق بن سِنَد (٤) بن على بن الفضل بن على بن عبد الرحمن / ابن على بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس المقرئ الضرير .

١٠ و
٦

(١) فوات الوفيات ١ : ١٩٩ : توفى بعد الستمائة .
(٢) الفوات : عيش أخضرا .
(٣) كمال الدين بن أبى الفوارس الشافعى ، ولد فى ٥٧٢ ومات فى ٦٦١ — نكت الهميان ٢١٢ . العبر ٥ : ٢٦٦ . غاية النهاية ١ : ٥٤٤ . حسن المحاضرة ١ : ٥٠١ .
(٤) هذا الاسم غير واضح فى الأصل ، ويمكن أن يقرأ : بشر ، أوسيد .

سكن القاهرة . وهو الآن حي على مافى علمى. ومن شعره :[من السريع]

ما بالُ ذكرى عندهم كالسَّمَرْ   به يُقَضُّون ليالى القمرْ
لى عمر لى لم يُجَزْ غيرى به   وعيشتى لى نفعُها والضرر
من حسن إسلام الفتى تركُه   ما ليس يعنيه ؛ كذا فى الخبر

وأنشدنى له المولى الصاحب كمال الدين بن أبى جرادة[1] :

قالت ... ... وفيها ...   أمُقَلِّدٌ فى عشقتى لبصير
أم هاتف ... ... بالذى   حاولت أم بسفاهة وغرور
فأجبتها : والله ، ما أنا بالذى   قلدتُ فيك ولا أتيتُ بزور
إن كان طَرْفِى لا يراك فإنما   مُثلت بين جوانحى وضميرى

(١) ما يلى من شعر كتب فى هامش الأصل ، وجاء فى التصوير دقيقا باهتا غير واضح ، فما أثبتـه منه ظنى ، وبعضه لم أستطع إلى قراءته سبيلا .

ومن كتاب تلقيح الآراء فى حلى الحجاب والوزراء

الوزير أبو يوسف يعقوب بن كِلِّس الإسرائيلى[1]

من الجنان : أول وزير وَزَر للدولة الفاطمية بمصر . وكان من كتاب كافور ، ولم يزل يرتقى إلى أن وزر للعزيز .

واتفق أن سابق العزيز بين الطيور . فسبق طيرُ الوزير ، فشقّ ذلك عليه . ووجد أعداؤه سبيلا إلى الطعن فيه . وكتبوا إلى العزيز أنه اختار من كل صنف أعلاه ، ولم يُبْق منه إلا أدناه حتى من الحمام . واتصل ذلك به فكتب إلى العزيز[2] :

١٠/ظ
٦

/قل لأمير المؤمنين الذى ... له العلا والمثل الثاقب
طائرك السابق لكنه ... لم يأتِ إلا وله حاجب[3]

قال ابن الأثير[4] : هو ابن كلس بكسر الكاف واللام المشددة ، والسين المهملة . وذكر أنه مات سنة ثمانين وثلاثمائة .

---

(١) الإشارة ١٩ . الوفيات ٣ : ٣٣٣ . الكامل ٦ : ١٤٦ . النجوم ٤ : ١٥٨ .

(٢) عنوان المرقصات ٦٤ . الوفيات ٢ : ٣٣٥ ، وصرح أن القاضى الرشيد بن الزبير هو الذى نسب البيتين فى كتابه الجنان إلى يعقوب ولكن غيره ذكر أنهما لولى الدولة أبى محمد أحمد بن على المعروف بابن خيران الكاتب الشاعر .

(٣) الشطر الثانى فى الوفيات : جاء وفى خدمته الحاجب .

(٤) لم أجد هذا القول فى الكامل المطبوع .

النسب

الوزير الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الأرمني[(١)]

الترضيع والتعريف

ذكر القرطبي أن أصله من الأرمن . وكان والده عظيم المحل ، نقل من ولاية الشام[(٢)] إلى وزارة المستنصر بمصر . فاستولى على الدولة .

وذكر ابن الأثير[(٣)] أن الأفضل استولى على دولة الآمر بمصر . فقتل في طريق خزانة السلاح بالقاهرة ، قتله ثلاثة من الباطنية وقُتلوا : وحُمل إلى داره وبه رمق . فركب الآمر إليه وتوجع . فلما توفى ، نُقل من أمواله مالا يعلمه إلا الله . ووجد له من الأعلاق النفيسة القليلة / الوجود ما لا يوجد لغيره[(٤)] . واعتقل أولاده .

١١ / د ٦

قال : وكان الإسماعيلية يكرهونه لأسباب : منها عدوله بالإمامة عن إمامهم نزار إلى أخيه المستعلي ، وتركه معارضة أهل السُّنّة في معتقداتهم ، فكثر الغرباء في بلاده .

وكان حسن السيرة . حكى أنه لما قتل وظهر الظلم بعده ، اجتمع جماعة واستغاثوا إلى الخليفة الآمر . وكان من قولهم : « لعن الله الأفضل ، لأنه عدل وأحسن السيرة ، ففارقنا بلادنا وقصدنا بلده لعدله . فقد أصابنا بعده من الظلم ما أصاب وهو كان السبب » .

قال : وقيل إن الآمر وضع عليه من قتله . وكان قتله في الثالث والعشرين من رمضان سنة خمس عشرة وخمس مائة ، وعمره سبع وخمسون سنة . وكانت

(١) الإشارة ٥٧ . الوفيات ١ : ٢٢١ . الكامل ٨ : ٣٠٣ . النجوم ٥ : ٥١٥ .
(٢) الأدق أن يقول : ولاية عكا .
(٣) الكامل ٨ : ٣٠٣ .
(٤) انظر تفصيل ذلك في الوفيات ١ : ٢٢٢ .

ولايته بعد أبيه ثمانيا وعشرين سنة ، منها آخر أيام المستنصر ، وجميع أيام المستعلى ، إلى هذه السنة من أيام الآمر .

وكان مُمَدَّحا : مدحه / أبو الصلت (١) وظافر الحداد وغيرهما .

١١/ظ ٦ النظم

ووجدت من شعره بخط الصاحب كمال الدين بن أبى جرادة :

[من مجزوء الرجز]

لاغَرْوَ أنْ نلنـا الأملْ بعـد تَراخ ومَهَـل
لـكلِّ شئٍ مـدةٌ تفْضى به إلى الأَجَل
والصـبر أقوى عُـدَّة مُعِينةٍ عـلى العمـل
والنُّجْحُ بالله ، فمَـنْ أعانـه الله وصـل
أَحْسَن فى نُصْرتنـا وفى أَعادينـا عَـدَل

الوزير أبو الغارات الصالح طَلائع بن رُزِّيك الغَسّانى (٢)

النسب

ذكر القرطبى أنه أرمنى ، وبيته إلى الآن بالقاهرة يذكرون أنهـم من غسان ، ومُدَّاحه كانوا يمدحونه بهذا النسب .

الترصيع

وترجمته أول ترجمة افتتح بها صاحب الجنان كتابه . وبدأ بفصل رصَّعه بأمداح الشعراء له . فمن ذلك أبيـات من قصيدة وردت من جهة السلطان نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام :

التوشية

[من الطويل]

/ هو الملكُ الميمون والصالح الذى له الملكُ بعد الله والعزُّ والفخر
أياديه بيض ، ما تزال كسيفـه وأسيافهُ حمـر ، وأكنافه خضر

١٢/ر ٦

(١) أميـة بن عبد العزيز بن أبى الصلت الأندلسى : ولد بدانيـة فى ٤٧٠ ، وأقام بمصر فى عهد المستنصر والآمر ، ولكنه حبس لوشاية ثم غادرها إلى المغرب ، ومات فى ٥٢٨ . وكان طبيبا مهندسا شاعرا .

(٢) الوفيات ١ : ٢٣٨ . الخريدة ١ : ١٧٣ . الشذرات ٤ : ١٧٧ . الخطط ٢ : ٢٩٣ .

ووقعت على كتاب موسوم « بالدر المنظوم » فى مدائحه ، يحتوى على جملة شعراء ما بين شريف وجليس ، وحسيب وعالم ، وشاعر قاصد وكاتب : منهم من تأتى ترجمته فيما بعد ، ومنهم من تأتى فى غير مصر ، ومنهم من يُجهل مكانــه .

ووقعت أيضا على مجلد آخر فى أمداحه مختار مما أورده صاحب الجنان

النظـم

من نظم ابن رزيك قوله : [من الطويل]

حللنـــا بدار الملكِ أيامَ عــزّها وقد حَفَّها الإقبـــالُ من كل جانبِ

وشُيِّدت الأركان منهــا ورفِّعت إلى الجسو حتى شُرِّفت بالكواكب

وكان بهـــا قوم تصَدَّع مجـــدُهم وشملُ عُلاهم بالنَّـــوى والنوائب

وها هىَ قد أضحى صَداها مجاورا لصوت النَّواعى بعــدَهم والنواعب

وقوله : [من المتقارب]

أروح إلى أمـــلٍ كاذبٍ وأغدو إلى عمـــلٍ صالح

وآمُل أنى غـــداةَ الحساب أسرُّ بمـــيزانىَ الراجح

أمانىَّ يلعب بى مَيْنُهَـــا كما يلعب المـــوجُ بالسابح

١٢ ظ
٦

/ ومن الخريدة : هو سلطان مصر فى زمان الفائز ، وأول زمان العاضد : مَلَكَ مصر ، واستولى على صاحب القصر ، ونَفَق فى زمانه النظم والنـــثر . وقرّب الفضلاء ، واتخذهم ... جلساء . ورحل إليه ذوو الرجاء ، وفاض إحسانُه على جميع الأرجاء .

وقال ـــ بعد ما أثنى على شعره : « وما يُصدِّق أحد أن ذلك شـــعره لجودته ، وإحكام مبانى حكمته . فيُقال إن المهذب بن الزبير كان ينظم له ، والجليس بن الحباب كان يعينه . وله ديوان كبير ، وإحسان كثير .

ملك سنة تسع وأربعين . وقُتل فى دهليز القصر بالقاهرة سنة ست وخمسين وخمس مائة . فانكشفت شمس الفضائل .. ورخص سِعْر الشِّعر ، وانخفض عَلَم العلم .. وغدا الفضل فضولا ، والعقل عَقولا (١) » .

التاريخ

وأنشد له من قصيدة خاطب بها مؤيد الدولة بن منقذ (٢) :

[من الطويل]

١٣ و / ٦

/هى البدرُ لكنّ الثريا لهـا قُرْطُ ... ومن أنجم الجوزاءِ فى نحرِها سِمْط

وما اخضرّ ثوبُ الروض إلا لأنهـا ... عليه — إذا زارت — بأقدامها تخطو (٣)

ولا طاب نَشْر الزهـرِ إلا لأنـه ... يجُرّ عليـه من جَلابيبها مِـرْط (٤)

ومنها :

إذا أرسلت فرعا من النقع فاحمـا ... أثيثا ، فأسنانُ الرماح له مُشْط (٥)

كأنّ القَنا فيهـا أنامل حاسب ... أجدّ بهـا فى السرعة الجمعُ والنّقط

وقـوله (٦) :

[من الكامل]

ومُهَفْهَف ، ثَمِل القوام ، سَرَتْ إلى ... أعطافه النَشَـوات من عينيـه (٧)

ماضى اللّحاظِ كأنمـا سَلّتْ يدى ... سيفا غداةَ الروع من جفنيـه (٨)

---

(١) الخريدة : وعد .

(٢) ديوانه ٦٤ . الخريدة ١ : ١٧٦ . الروضتين ١ : ١١٩ . ديوان أسامة بن منقذ ٧٨ ، ١٧٤، ٢١١ .

(٣) الديوان والخريدة : فما . الديوان : ترب الأرض . الخريدة : ثوب الأرض .

(٤) الديوان : نشر الروض . الخريدة : نشر الأرض .

(٥) الديوان والخريدة والروضة : لها .

(٦) الديوان ٣٦ . الخريدة ١ : ١٧٧ . الوفيات ١ : ٢٣٨ . شذرات الذهب ٤ : ١٧٧ .

(٧) غير المغرب : النشوات من عينيه .

(٨) غير المغرب والخريدة : سيفى .

الناس طَوْعُ يدى، وأمرى نافــذٌ فيهم، وقلبى الآن طوع يديه

فاعجبْ لسلطان يَعُــمُّ بعــدله ويجــور سلطان الغــرام عليــه

قد قلتُ إذ كَتَبَ العــذار بخــده في ورده أَلِفَيْــه لا لامَيْــه (١)

ما الشّعر لاح بعــارضيه ، وإنمــا أصــداغه نَفَضت على خــديه (٢)

وأبيهِ : لولا اسمُ الفــرارِ وأنــه مُسْتَقبَحٌ لَفرَرتُ منــه إليــه (٣)

وقوله (٤) : [من الطويل]

/تواتَتْ علينا في الكتائب والكُتْبِ بَشائرُ من شرق البلاد وفي الغربِ (٥)

ففى كبدٍ من حرها النــار تلتظى وفى كبد أحــلى من البارد العذب

وأبطال حرب من كُتامةَ دَوَّخــوا بلادَ الأعادى بالمُسَــوَّمة القُبِّ (٦)

وعادوا إلينــا بالرءوس على القَنا وأَغناهُم كَسْبُ الثناء عن الكسب

وإنا بنــو رُزِّيكَ ما زال جارُنا يحل لدينــا بالكرامــة والخصب

وننتهك بالأموال في السلم دائمــا كما نحن بالأعداء ننتك في الحرب

وقــوله (٧) : [من البسيط]

وفاترِ الطَّرْفِ في الخــدّ الأَسيل له وَرْدٌ جَنِيٌّ حَمَتْــه أَسهُم المُقَــل

نَهَبْتُه بفمى لَثْمــا ، وقد غَفلتْ عينُ الرقيبِ وكَلَّتْ أَلْسُنُ العَذْل

١٣ظ / ٦

(١) غير المغرب والخريدة : خط العذار بمسكه في خده .

(٢) الديوان والوفيات : دب بعارضيه .

(٣) غير المغرب : والله .

(٤) الديوان ٤٧ . الخريدة ١ : ١٧٨ .

(٥) غير المغرب : ومن غرب .

(٦) المسومة : الخيل المعلمة . القب : جمع أقب ، وهى الضامرة من الخيل .

(٧) الديوان ٣٣ . الخريدة ١ : ١٨١ .

وخاف أن يفطن الواشى بنـا وبه ... فعـاد يخلف ما قد منّ بالخجـل

فرجت ضنك الوغى فى كل معركة ... بحد سيفى وضاقت فى الهوى حيلى

وقوله فى غلام سابَق على فرس أشقر[1] : [من الطويل]

ولمـا حضرنا للسـباق تبـادرت ... خيولٌ ، ومَنْ أهواهُ يَقدُمها سَبْقا[2]

على أشقرٍ شـبه اللهيب توقـدا ... ولونا ، فقلنا : البدر قد ركب البرقا

وقـوله[3] : [من الكامل]

١٤ ر / ٦

/وإذا تُشَبُّ النـار بين أضـالعى ... قابلتُهـا من أدْمُعى بسـيول[4]

فأنا الغَريق بل الحريق أموت فى ... هـذا وذا كذُبالة القنـديل[5]

وآخر شعر قاله قوله ، ومات بعده بقليل[6] : [من الخفيف]

نحن فى غفـلة ونوم ، وللمـو ... ت عيـونٌ يَقْظانة لا تنـامُ

قـد رحلنا إلى الحِمام سنينـا ... ليت شِعْرى ، متى يكون الحِمام ؟[7]

الحكاية

ومن الكامل لابن الأثير[8] : أن الوزير عباسا الصِّنْهاجى لمـا قتل الخليفة الظافر ، استنجد أهل القصر بالصالح طلائع ، وكان شهما . فوصل من مُنْيَة ابن خَصيب ، وكان واليا عليها . وفرّ أمامه عباس . وملك وزارة القصر ، واستبد بأمر الفائز ، ثم قدّم العاضد ، وزوّجه ابن رُزِّيك بنته ، واستولى على أمره ، وعاشت بعد العاضد ، وتزوجت .

---

(١) الديوان ٣٢ . الخريدة ١ : ١٨٢ . (٢) الخريدة : أقدمها .

(٣) الديوان ٣٥ ؛ الخريدة ١ : ١٨٢ . بدائع البدائه ١٣٣ .

(٤) البدائع : من عبرتى . (٥) البدائع : الحريق بل الغريق .

(٦) الديوان ٤٢ . النكت العصرية ٤٧ . الخريدة ١ : ١٨٠ . الكامل ٩ : ٧٦ . البداية والنهاية ١٢ : ٢٤٤ . النجوم الزاهرة ٥ : ٣٦٠ .

(٧) النجوم : قد دخلنا الحمام عاما ودهرا . (٨) ٩ : ٤٤ .

ولما تحكّم طلائع بن رزيك فى الدولة هذا التحكم وداخل أمور القصر بمصاهرته له ، وَتَرَ الناس ، وأَحْقد من فى القصر ، وأشدُّهم فى ذلك عمة العاضد .

١٤ظ / ٦ / وأرسلت عمة العاضد إلى الأمراء الأموال على قتله . فوقف له جماعة فى دهليز القصر وضربوه بالسكاكين على دَهَش . فحُمل وفيه حياة . فأرسل إلى العاضد يعاتبه على الرضا بقتله . فأقسم أنه لم يعلم بذلك فقال : « إن كنت بريئا فسلِّم لى عمتك حتى أنتقم منها » . فوجهها إليه قهرا فقتلها . ووصى بالوزارة لابنه رُزِّيك ، ولُقِّب بالعادل .

قال : وكان الصالح كريما ، فيه أدب ، وله شعر جيد ، ولأهل العلم عنده نَفاق . وكان إماميا على غير مذهب المصريين .

ولما ولى العاضد الخلافة وركب ، سمع الصالح ضجة عظيمة . فقال : « ما الخبر ؟ » فقيل : « إنهم يفرحون بالخليفة » . فقال : « كأنى بهؤلاء الجهلة يقولون : ما مات الأول حتى استخلف هذا . وما عندهم خبر أنى كنت من ساعةٍ أستعرضُهم كما تُستعرض الغنم » . وأُخرج له شيخ من جملة من استعرض من العلويين . فأراد تقديمه ، فقال له/ فى أذنه أحد أصحابه : ١٥و / ٦ « لا يكن عباس أحزم منك حين ولى على الخلافة صبيا ، وتولى أنت شيخا» فحينئذ ولّى العاضد .

وأنشد له ابن الأثير[1] : [من الطويل]

أبى اللهُ إلا أن يَدينَ لنا الدهرُ ... ويخدمَنا في مُلْكنا النفعُ والضرُّ[2]

علينا بأن المالَ تَفْنَى أُلوفُه ... ويَبْقَى لنا من بعده الأجر والذكر[3]

خلطْنا النّدى بالبأس حتى كأننا ... سحاب لديه البرق والرعد والقَطْر

(١) الكامل ٩ : ٧٥ ، الديوان ٦٢ ، البداية والنهاية ١٢ : ٢٤٤ ، ديوان أسامة بن منقذ ٢٠١ .

(٢) الكامل والبداية : يدوم لنا . غير المغرب : ملكنا العز والنصر .

(٣) غير المغرب : علمنا بأن .

ومن كتاب مرتع الرّوّاد فى حلى الرؤساء والقوّاد

الأمير أبو الطاهر قمر الدولة جعفر بن دوّاس الكُتامى[1]

النسب — من أمراء المصريين وأصحاب الألقاب فى تلك الدولة العبيدية . أنشد له صاحب الجنان[2] : [من مجزوء الخفيف]

النظم —
أنا مِمّن إذا أتى ... صاحبُ الدار للكِرا[3]
تتجافَى جُنوبُهم ... كلَّ وقتٍ عن الكَرَى

وكرر ترجمته فى مكان آخر ، وأنشد له[4] : [من المنسرح]

١٥ظ / ٦

/ لمّا رأيتُ البياضَ فى الشعرِ الـ ... أسودِ قد لاح صحتُ : واحَزَنِى[5]
هذا — وحقِّ الإله — أحسبُه ... أولَ غَزْلٍ سُدِّى من الكَفَنِ[6]

(١) الخريدة ٢ : ٢١٨ ، فوات الوفيات ١ : ٢٠٠ عنوان المرقصات ٦٤ ، الدوادارى ٥٩٣ : جعفر بن على بن دواس ، وسماه الأخير ابن دواس القنا .

(٢) الخريدة ٢ : ٢٢٠ ، الفوات ١ : ٢٠٠ .

(٣) الفوات ، صاحب البيت .

(٤) الخريدة ٢ : ٢١٩ ، عنوان المرقصات ٦٤ ، الدوادارى ٥٩٣ ، الفوات ١ : ٢٠٠ .

(٥) الخريدة والفوات : رأيت المشيب ، ورواية البيت فى العنوان :

لما رأيت البياض حين بدا * فى أسود الشعر صحت : واحزنى

(٦) غير المغرب : أول الخيط .

وقوله[1] : [من الطويل]

وإنى من المولى الذى أنا عبدُه طَريفان فى أمر لـه طَرفان[2]
قريبا تَرانى منه أَبْعَدَ ما ترى كأنّىَ يَومُ الفطر من رمضان[3]

ومن الخريدة : أنه مصرى ، وكان عمره بالعراق[4] . ووصفه بالظرف ، وضَرْب العود ، والشطرنج ، وأنه اجتمعت فيه أسباب المنادمة . وكان ينادم قَسيم الدولة البُرْسُقى[5] . ووصفه بالنظم المطبوع ، والنثر والنوادر المضحكة :

وأنشد له فى ابن أفلح الشاعر[6] ، وكان أمرد مشوه الخَلْق[7] : [من مجزوء الكامل]

هـذا ابنُ أفلَح كاتبٌ متفـرِّدٌ بصفـاته
أقـلامُه من غـيره ودواتُـه من ذاتـه

وقوله[8] : [من الوافر]

أرانى الله نعمتـه سريعـا تزول وعيشه عنـه يولِّى
وما من بغضـه أدعو عليـه ولكن أشتهيه يكون مثـلى

/ وقـوله : [من الخفيف] ١٦ و ٦

لا يظنّ العـدو أن انحنـائى كبَرٌ عنـدما عَدِمتُ شـبابى
ضاع منى أعـز ما كان منى فأنا ناظر لـه فى التراب

(١) الخريدة ٢ : ٢٢٠ .
(٢) الخريدة : أرانى والمولى ... طريفين .
(٣) الخريدة : قريب ... يوم العيد .
(٤) الفوات : بطرابلس الشام .
(٥) أبو الفتح مولى ملكشاه ، ناب عنه فى حكم حلب فى ٤٨٠ وقتل فى ٤٨٧ .
(٦) جمال الملك أبو القاسم على البغدادى ، وأصله من الحلة ، اختلف فى وفاته بين سنوات ٥٣٣ و٥٣٥ و٥٣٦ و٥٣٧ .
(٧) الخريدة ٢ : ٢١٩ .
(٨) الخريدة ٢ : ٢٢٠ ، الفوات ١ : ٢٠٠ .

قال : وكان حيًّا سنة ثمان عشرة وخمس مائة . وعاش بعد ذلك سنين كثيرة :

وذكره الحظيرى فى كتاب « زينة الدهر » وأنشد له ما هو فى ضمن ما تقدم ، وغير ذلك مما يخرج عن الغرض.[1]

١٨٨ظ
٦
النسب

/ القائد صفى الدولة أبو عبد الله محمد بن وزير الوزراء على بن جعفر بن فَلاح الكُتامى

التعريف
الترصيع
التوشية
التاريخ

من قواد مصر وأعلام أمرائها ، وراثة عن أبيه وجده . وجده جعفر ابن فلاح صاحب الشام للمعز ، ممدوح محمد بن هانى الأندلسى . وهو ممن ذكره المسبحى[2] فى تاريخ مصر فى الفضلاء الموجودين سنة خمس عشرة وأربع مائة . وأنشد له قوله : [من منهوك المنسرح]

النظم

قرنت بالورد خَدًّا أرقَّ منه وأندَى
فضارع النور نورا وعانق الورد وردا

وقوله : [من الوافر]

فديتُك : لو يكون بقَدْرِ وَجْدِى وما ألقى من الشوق الشديد

---

(١) أورد المؤلف بعد هذا ترجمة " القائد أبو الخير مفضل بن سعيد بن عمرو العزيزى " معتقدا أنه منسوب إلى العزيز بن المعز . ثم عدل عنه وقال فى الهامش : « تسقط هذه الترجمة من هنا وتنقل إلى الشام . والصحيح أن هذا الشاعر معرى منسوب إلى خدمة عزيز الدولة فاتك صاحب حلب » .

(٢) الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد ، الحرانى الأصل ، المصرى المولد ، ولد فى ٣٦٦ ، واتصل بالحاكم ، وولى البهنسا ثم ديوان الترتيب ، وألف نحو ٣٠ كتابا أشهرها تاريخه لمصر ، ومات فى ٤٢٠ — الوفيات ١ : ٥١٥ ، النجوم ٤ : ٢٧١ .

وما فعلت جفونُك فى فؤادي | مضافرةً لسالفـةٍ وجيـد
وريقـةُ مَبْسِم بردا وشـهدا | يُريك تألّق الدُّرّ النضيـد
وقدٌّ قـدَّ من نظري إليـه | هوًى ألهـاه عن وصف القـدود
جعلتَ بعيدَ وصلك من قريبٍ | كما جعلوه جورا من بعيـد
/أنا العبـدُ المُقِرُّ بمُلْك مـولًى | يُعـدُّ لَدَىَّ فى جُمـل العبيـد (١)

١٨٩ و / ٦

/ الأمير أبو الثريا (٢)

١٨١ و / ٦

من أمراء مصر فى مدة الأفضل شاهنْشاه بن أمير الجيوش . وهو ممن مدحه أبو الصلت ، وبينهما مُشاعَرة . وأنشد له صاحب الخريدة : [من الطويل]

ولستُ بمَنّانٍ لدى السخطِ والرضا | بمـا أنا أُسديه من النّائل الجزْل (٣)
ولا حاملا حِقْدا على ذى حَفيظةٍ | ولو أنّ ما يأتيـه فى ضِمْنه قتلى
ألا ارْجِعْ إلى الفضل الذي أنت أهله | وخذ بيدى عَفْوا وإن زَلّ بى نَعْلى

(١) أورد المؤلف بعد هذا ترجمة «الأمير حظى الدولة أبو المناقب عبد الباقى» عن كتاب الجنان . ولكنه عدل عنها وقال فى الهامش : "تسقط هـذه الترجمة من هنا وتنقـل إلى الشام ، والصحيح أن صاحبها من المعرة" . والغريب أن الخريدة وضعتها فى التراجم المصرية أيضا ٢ : ٥٢ .

(٢) عثرت على رجلين بهذه الكنية ، فى هذه الفترة ، هما : أبو الثريا بن مختار ، فقيه الإسماعيلية ، الذى ذكر ابن ميسر ٦٦ أنه كان له دوره فى تنصيب المستعلى بدلا من أخيه نزار ؛ وأبو الثريا سراج الدين نجم الدين بن جعفـر : الذى تولى قضاء القضاة والدعوة فى ٥٢٦ وقتـل فى ٥٢٨ . فلعل الشاعر أحدهما . وانظر الخريدة ٢ : ١١٧ .

(٣) الخريدة : مسديه .

وقوله : [من الخفيف]

يارسول الحبيب ، بالله، قُلْ لى أرأيت الحبيب يعنى بذكرى

فلقد شفنى وأسهر طرفى منه هجر أقام مدة شهر [(1)]

١٨١ظ / ٦

/ الأمير أبو فراس يحيى بن علم الملك المعروف بابن النحاس [(2)]

النسب — اسمه جعفر [(3)] . وهو من ولد تميم بن المعز الصِّنْهاجى صاحب المهدية .

الترصيع التعريف — كان من أمراء الدولة المصرية فى دولة ابن رُزِّيك وولده ثم فى دولة شاور ثم خدم السلطان صلاح الدين .

التاريخ — وتوفى سنة تسع وثلاثين وخمس مائة [(4)] . [من البسيط]

الحكاية والشعر — وذكره صاحب الخريدة ، وأخبر أنه وصل مع صلاح الدين إلى الشام فى خدمة تقى الدين . وأنشد له فى السلطان :

لقد بُعثتَ صلاحا للوجود فما أصبحتَ إلا محلَّ الروح فى البدن [(5)]

وذكر أنه لما تولى شاور مصر أخذ جماعة من آل رزيك وحبسهم فى بيت . فدخل عليه ابن النحاس ، فأنشده قصيدة فى شأنهم ، منها :

[من الوافر]

همُ أسروا كمال الدين صُبْحا فها همُ فى يديك اليوم أسرى [(6)]

فإنْ جاءوك واعتذروا بعذر فلا تَقبل من الطاغين عذرا

---

(١) الخريدة : هجر أصابنى منذ شهر . (٢) الخريدة ٢ : ١٢١ .

(٣) كذا فى الأصل ، وكأنه له اسمان يحيى وجعفر ، ولعل أحدهما لقب له ، أو اختلف المؤرخون فى اسمه .

(٤) كذا فى الأصل . وهو خطأ لا يتفق مع بقية أقوال المؤلف ، ولعله يريد : تسع وثمانين وخمس مائة .

(٥) الخريدة : لإصلاح الوجود . وذكر صاحب الخريدة أنه كتبها فى ٥٧١ هـ .

(٦) الخريدة : فى يديه .

فقال أحد المحبوسين لابنه : « ما الذى تسمع ؟ فقال « واحد / يُرقِّق قلب السلطان علينا .

١٨٢ ر ٦

وأنشد له من شعر فى طى بن شاور : [من الخفيف]

غَرِّد الطيرُ حين لاح الصباحُ وطربنا فدارتِ الأقداحُ

ومنه :

يا ابنَ من خَلَّص الخلائقَ من ظُلْـ ـمٍ عنيفٍ فَفَكُّهم فاستراحوا[1]
وغزا فى ديارهم آلَ رُزِّيـ ـكٍ فلم يُغْنِ جمعهمُ والسلاحُ
أين وردٌ ويابس وحسام رأَوُا الذل قد أحاط فراحوا[2]
فَرَّ بدرٌ فى البحر خوفا وولَّى قل له : لا اهْتدَى بك الملاحُ

الأمير جعفر بن شمس الخلافة المصرى[3] :

النسب والترصيع التعريف والتوشية

من الخريدة[4] : من بيت معروف بالكرم موصوف . ووالده شمس الخلافة[5] خدم الدولة الأَسَدية والمملكة الصلاحية ، وحظى منها بنباهة القدر ، وتولى الأعمال السنية . ووالده هذا قد تميز بطرف من الأدب وطرف ، وهو يَمُتُّ بحسب وسَلَف .

(١) الخريدة : وعسف وفكهم .
(٢) الخريدة : وبائس . وذكرت أن حساما وبدرا وفضة من آل رزيك أو أولاده .
(٣) الوفيات ١ : ١١٣ . العبر ٥ : ٨٩ . الروضتين ٢ : ٢٢٤ . المرقصات ٦٩ . الغصون اليانعة ٢٢ . المسالك ١٢/١/١٩ . حسن المحاضرة ١ : ٥٦٦ . وهو مجد الملك أبو الفضل جعفر بن أبى عبد الله محمد بن مختار الأفضلى . وكان حسن الخط مرغوبا فيه ، وله تصانيف جمع فيها أشياء لطيفة دلت على جودة اختياره . واتصل أيضا بغازى بن العزيز . ولد فى ٥٤٣ ، ومات فى ٦٢٢ .
(٤) لم أجد هذه الأخبار فى الخريدة المطبوعة .
(٥) ولد فى ٥٢٠ ومات فى ٥٦٩ — الوفيات فى ترجمة ابنه .

١٨٢ظ / ٦

وأنشد له قصيدة غير طائلة، ولم ينصفه، وهو أنبه مما وصفه / به . وصحب السلطان العزيز ونادمه . وكان مولعا باختيار الدواوين والتصانيف ورفعها بخطه إلى الملوك ووجوه الدول ووقع إلىّ ديوانه فاخترت منه قوله : [من منهوك المنسرح]

النظم

كَنِّى وعِرْضى إذا ما سألت عن أخبارى

هذا من الكاس كاسٍ وذا من العـارِ عارِ

وقوله[1] : [من الكامل]

هى شدةٌ يأتى الـرخاء عقيبَها وأسى يبشّر بالسرور العاجـلِ

وإذا نظرت : فإن بؤسا زائـلا للمرء خـيرٌ من نعـيمٍ زائل

ومن قصيدة فى صلاح الدين ، بمرج عكا : [من الرمل]

لا يُجلِّى الكربَ إلا ماجـدٌ يمـلأ الدلو إلى عَقْـد الكَرَبْ[2]

جَـوْدُ كفّيْه عـلى أمواله لم يزل يُنقذ من جـور النُّوبَ

ومن قصيدة عادلية : [من الرمل]

خلَتِ الارضُ من الناس وإنْ مُلِئَ السهلُ بهـم والوَعِـر

ومضى الأَجْـوادُ إلا نَفَـرا وبنـو أيوبَ ذاك النـفر

كيف أخشى حادثا من زمنى وليَ العـادل منـه خَفَـر

١٨٣ و / ٦

/ يغتـدى الوفد إلى مـنزله زُمَرا فى الإثْرِ منهـا زمر

فتُرى منـه ومنهم أبـدا مِنَنٌ تُطْـوَى وشكرٌ يُنْـتشر[3]

(١) الوفيات ١ : ١١٤ ، المسالك ١٢/١/١١٩ .

(٢) الكرب : الحبل الذى يشد على الدلو بعد المنين (الحبل الأول) فإذا انقطع المنين بقى الكرب ، وهو يثنى ويثلث .

(٣) فى الأصل : وشكرا ، ولا تتسق مع رفع (منن) ولعلها هفوة قلم .

ومن أخرى فى مدح الملك المظفر تقى الدين : [من الطويل]

فغيرُ جَميلٍ فى الهوى أن تُهينَنى وأنت أعزُّ الناسِ كُلُّهمُ عندى

ورُبَّ جهولٍ عابنى بمحاسنى ويَقْبحُ ضوء الشمسِ فى الأَعْيُنِ الرُّمْدِ

وقوله : [من الطويل]

فأفعالُهم لم تَتْلُ للحمد سورةً ولا قرأت أبوابُهم سورةَ الفتحِ

ومن أخرى عزيزية : [من الخفيف]

قلتُ للدهرِ حين حاول رغمى ورمانى بكل خطب جليل

لا تَمُدَّنَّ لى يدا باهتضام إنّ جار العزيزِ غير ذليل

ملكٌ فى يديه ضر ونفع هو ليث النزال، غيثُ النزيل

وقوله : [من الخفيف]

أين ذاك الوصالُ والإلمامُ ؟ غَيَّرتك الأيامُ والّوّام

إنما كنتَ نعمةً حُسد الدّهْـ ـرُ عليها، فاذهبْ عليك السلام

يا بديع الجمال : أبدعتَ فى الهجـ ـر كما أبدعت فىَ الأسقام

إن هذا الهوى لَمَوْردُ حتفٍ ولورّاده عليه ازدحام

/ طلبوا منه راحةً وقديما عَدمتْها الأرواحُ والأجسام

١٨٣ظ
٦

وقوله من أخرى كتب بها إليه من قوص : [من البسيط]

ليلى بليلَى مُعينٌ لى على سَهَرى أَشتاقُها وهو مشتاقٌ إلى السحر

أقمتُ فى قُوص أبكى المحسنين بها ناء عن الوطنِ المألوف والوطر

أرضٌ بها كدتُ أَنسى الجود من عَدمٍ والبِشْر من كَمَد، والحلم من ضجر

أشكو إلى الله : أنى مُذ حللتُ بها قطَعَتُ فى شرّ أرضٍ أرذلَ العُمُر

وليس يَجْمــع شملى بعــد فُرقته إلا مُفــرّق شمل المــالِ والغيرَ

لُطْفُ العزيز وإحسانُ العزيز هما يُقَصِّرانِ الذى قد طال من سفر

ومن أخرى عزيزية : [من مجزوء الوافر]

هواك أذاب جثمانى وحــلّ عقود سلوانى

وكادتْ لوعتى تبْــلَى فجَدّدها وأبْــلانى

ومنهــا :

كريمٌ عنــده ما زا ل للقُصّــاد حالان

فإمســاكٌ بمعــروفٍ وتَسريحٌ بإحســان

ومن قصيدة أفضلية : [من الطويل]

يُقَصِّر عن أدْنَى مواليــه قيصرُ ويَصْغُر فى أتبــاعه شأنُ تُبَّعِ

/ وقــوله :

١٨٤ ر
٦

أقول لنفــس عاث فيهــا قنوطُها وأَصْدرَها باليأْس عن كل مَنْهلِ

ثِقِى واصبِرِى ، فالصبر يُحمَدُ غِبُّه ولا تجهلى للصبر قــدرا فتجهلى

وقــوله : [من الطويل]

إذا قال لى فَرْطُ الحياء منكّبا : أَقِــمْ . قال لى حسنُ الرجاء : تقدَّمِ

وقــوله : [من الطويل]

وما المرءُ ــ لولا العُرْفُ ــ إلا بَهيمةٌ وما العُود ــ لولا العَرْف ــ إلا من الحَطَبْ

وقــوله : [من الكامل]

أبدا تُخَبِّرنا عيونُ العِــين بمواقف الصِّفّيْنِ من صِفِّين

وقـــوله[1] : [من مجزوء الكامل المرفل]

يارُبَّ ليلٍ قـــد طَرَقْـ ـتُ به وساد الحب سِرّا[2]
فَفَشَشْتُ قُفْـــلا من عقيـ ـقِ أحمـــرٍ وسرقت درا[3]

التاريخ

وكانت وفاته بالقاهرة سنة اثنتين وعشرين وستمائة .

الأمير سيف الدين على بن سابق بن قزل[4]

١٨٤ظ
٦
النسب

بيته من بيوت العجم المشهورة بالقاهرة . منهم فخر الدين / عثمان[5] الذى ساد عند السلطان الكامل ، وله المدرسة المشهورة بالقاهرة . ومنهم الأمير جمـــال الدين بن يغمور[6] ، الذى هو الآن وجه الديار المصرية .

التوشية
التعريف

وهذا الأمير سيف الدين هو ريحانة هذا الروض . وله الإشارة فى الفضل إذ له حظ وافر من علم التنجيم ويد طولى فى علم الحساب . وقُدِّم وتَقـــدَّم فى فنون الأدب . وقدمه صاحب مصر على أعمالها ثم على أعمال دمشق ، وهو الآن عليها .

(١) عنوان المرقصات ٦٩ ، المسالك ١٢ : ١١٩ .

(٢) المسالك : طرقت وسادة الحب . (٣) فش القفل : فتحه بغير مفتاح .

(٤) ذيل الروضتين ١٩٨ ، العبر ٥ : ٢٣٣ ، المسالك ١٢ : ١٧٤ ، عنوان المرقصات ٦٩ ، حسن المحاضرة ١ : ٥٦٧ ، ٢ : ٣٩٥ ، ٣٩٧ . وورد اسمه على بن عمر بن قزل سيف الدين المشد . ولد بمصر فى ٦٠٢ ، ومات بدمشق فى ٦٥٦ على رأى الذهبى ، وفى ٦٥٥ على رأى أبى شامة . وله ديوان مشهور .

(٥) أبو الفتح عثمان بن قزل البارونى ، ولد بحلب فى ٥٥١ أو بمصر ، وتقدم فى الخدم حتى انتقل إلى مصر وصار أستادار الملك الكامل ، وإليه أمر مملكته وتدبيرها . ومات بحران فى ٦٢٩ . وكان خيرا كثير الصدقة — الخطط ٢ : ٣٦٧ .

(٦) أبو الفتح موسى بن يغمور بن جلدك ، ولد بإحدى قرى قوص فى ٥٩٩ ، وصار من جلة الأمراء ، ولى نيابة مصر ودمشق ، ومات فى ٦٦٣ هـ — الطالع السعيد ٦٦٨ ، والعبر ٥ : ٢٧٤ وذيل الروضتين ٢٣٤ .

وهو فى الشعر من أفراد العصر . وقد أقول : إنى ما وجدت مثل غوص فكرته مشرقا ولا مغربا . اجتمعت به فى القاهرة والفسطاط . وكتبت عنه ما أورده . فمن ذلك قوله : [من الكامل]

ولقد شربتُ مع الحبيب مدامة   عذراءَ إلا أنها شمطاءُ
والروض فيه تكبر وتواضع   شمخ القضيبُ وخرّ الماء

وقوله : [من الكامل]

ما لى وللبستان هيّج لوعتى   يومَ النّوى؟ ما لى وللبستان ؟
/قد غازلتْنى فيه أعينُ نرجس   وتمايلتْ نحوى قدودُ البان
ويغيرنى ثغرُ الأقاح بلثْمه   خدَّ الشقيق وعارضَ الريحان
وأكاد أقضى حسرةً وصبابة   لما رأيتُ تعانُقَ الأغصان

النظام ١٨٥ ر ٦

وقوله : [من السريع]

وبى غزالٌ زار فى خفية   عن أعينِ الواشين والحرس
مهفهفٌ حلو اللّمَى ألْعَس   يا حبّذا من أهيف ألْعس
عارٍ من العار ، ولكنه   بحُلة من حسنه مكتَس
يغضّ عينيه لفَرْط الحيا   ما أحْسن الغض من النرجس
فى وجهه جَنّةُ مأوى الهوى   عذارُه فيها من السُّنْدس

وقوله : [من منهوك المنسرح]

مات الصباحُ بليل   أُحْيِيه حين عَسْعَس
لو كان لليل صبحٌ   حىٌّ لكان تنفّس

وقوله : [من الوافر]

ولم أرَ مثلَ شمعتنا عروسا تجلتْ في الدُّجى ما بين جمعِ (١)

نَصبْناها لخفْضِ العيشِ جَزْما فأذَّن ليلُنا منها برفعِ

كأن سُلوك أدمعِها عليها سلاسلُ فضةٍ أو قُضْبُ طَلْعِ (٢)

١٨٥ظ / ٦

/ وقوله : [من الرجز]

يَلَذُّ لي شُرْبيَ بالدَّوْرِ على تسلسل الماءِ ببطن الجدولِ

مدامةٌ دامتْ بها أفراحُنا مشمولة مثل نسيم الشَّمْأل

أنا الذي تسمع عنه في الورى يقول بالدَّوْر والتسلسل

وقوله : [من السريع]

والورد قد فتَّح أزراره وشمَّر النرجس عن ساقه (٣)

وقوله في عامل مصروف محبوس : [من منهوك المنسرح]

لئن صُرِفتَ وحاشا ك فالدنانير تُصَرَّفُ

وما اعتُقِلت كريما إلا وأنت مُثقَّفُ (٤)

وقوله : [من الوافر]

وأسلمني الهوى لذؤابتيه فبتُّ بها كما بات السَّليمُ

وقوله وقد تاب عن الشرب : [من المتقارب]

تركت المُدام لشُرَّابها وأعرضتُ عنها وأربابها

(١) المسالك ١٢ : ١٧٤ .

(٢) المسالك : عقود أدمعها .

(٣) المسالك : فالورد .

(٤) المثقف : الرمح المسوّى .

جُننتُ بهـا غير ما مرةٍ ونلتُ سَـقاما بأسبابهـا
تَداويتُ منهـا بتركى لها وهذا – لَعَمْرىَ – أًذى[(١)] بهـا
لكى يعلم الناس أنى امرؤ أتيتُ المروّةَ من بابهـا

(١) الأصـل : أذابها . وكثيرا ما يكتب الألف المقصـورة ممدودة . وأثبت الأصـل على حاله وقد تكون : أولى بها ، أى المداواة بالترك أولى بها .

١٨٦ و / ٦

/ ومن كتاب الياقوت فى حلى ذوى البيوت

النسب

أبو على الحسن بن زيد بن إسماعيل المعروف بابن الأنصارى[(١)]

التوشية والتعريف

بيت بنى الأنصارى معروف إلى الآن بالديار المصرية . وأبو على هـذا نخبته ، ذكره صاحب الجنان وقال : هو عريق النسب فى صناعة الأدب ، يمتّ إليها بأوفى ذمام ، ويضرب فيها بأخوال وأعمام . جده لأبيه المعتمد الأنصاري[(٢)] ، ولأمه المجيد بن أبى الشّخْباء[(٣)] العسقلانى .

وكان طموح النظر إلى الرتب العلية ، والمنازل السنية ، تريه همته انه بعبء الرئاسة مستقل ، فهولكل ما ناله مستقل . ولو فسح العمر له بامتداده ، وسمح له الدهر بمراده ، بلغ بما ظهر من أدبه إلى غاية مطالبه ، إلا أن الزمان دفع فى صدر أمله ، وقصّر خُطا أجله . فترامت به الأحوال إلى أن قُتِل فى الاعتقال السلطانى لأمر/ نما عنه إليه ، وهجاء زور عليه . وكأنما خبّر عن

١٨٦ ظ / ٦

حاله بمقاله : [من البسيط]

(١) الخريدة ٢ : ٦٧ . عنوان المرقصات ٦٥ . وكان من الكتّاب ، قتله حسن بن الحافظ ببيتين هجاه ابن قادوس فيهما ودسهما على الرجل .

(٢) معتمد الدولة إسماعيل بن على بن محمد ، ولى قضاء الأردن ، وله شعر فائق ، وقتله بدر الجمالى — معجم السلفى ٤٤٨ .

(٣) أبو على الحسن بن عبد الصمد ، كان بديوان الرسائل ، ويقال إن جل اعتماد القاضى الفاضل كان على رسائله ، وكان شاعرا ، وقتل فى ٤٨٦ — ابن ميسر ٢٩ .

النظـم مَنْ لى بعَوْدِ زمانٍ كنت أكرهه وكيف للمَيْتِ بالرُّجْعى إلى الألم

فمن شعره الذى نطق به عن لسان تلك الهمة قوله : [من الطويل]

مَنالُ الثريا دونَ ما أنا طالبُ فــلا لومَ إنْ عاصتْ علىَّ المَطالبُ

وإنى إذا لم يسمح الدهرُ بالمُــنى فلى فى كَفالات الرِّماح مآرب (1)

تُقــرِّب لى مُسْــتَبْعدات مآربى جيادى وعَزْمى والقَنــا والقَواضب (2)

فما أنا ممن يقبض الفخرُ خَطْــوَه وتعْمَى عليه فى البــلاد المَــذاهب (3)

لقيت من الأيام كلَّ عجيبــة فلم أر شيئا أبدعتــه التجارب

وكلُّ خليــل أرْتجيــه مُمــاذق وكلُّ صديق أصطفيــه مُوارب

إذا ما كساك الدهر ثوبا من الغنى فعجِّلْ بلاه فالليــالى سَــوالب

وإياك سمَّ الأصدقاء إذا سَــرَى فأكثرُ خلان الزمان عَقــارب

ولا تغــترِرْ ممن صفا لك عهــده فكم غَصَّ بالمــاء المصفَّق شارب (4)

وقوله يعزى حيدرة بن فاتك بولد توفى له : [من البسيط]

إذا بقيتَ فذنبُ الدهر مغتفــر وكل ما تفعــل الأيام مُحتقَــر

١٨٧ و / ٦ / بقيتَ مُقتبــلا للسعد راغبــةً عنك الحوادثُ ممتدًّا لك العُمُــر

فالأصل ما دام فى زاكى مَنابتــه إذا انقضى ثمــرٌ عنــه أتَى ثَمَــر

---

(1) الخريدة : وإنى وإن .

(2) الخريدة : مستبعدات مطالبى .

(3) الخريدة : يقبض العجز .

(4) المصفق : المصفى .

وقوله من أخرى ـ قال : وقد أبدع فيها : [من الكامل]

كم للخيال يدا لو اعتمد الندى يُولى ولكنْ قد أنال وما درَى

ما زلتُ أشكرُ كلَّ مُولِي نعمةٍ حتى شكرتُ على السُّرى طيفَ الكرَى

وقوله يمدح الأفضل ويصف خيمة له تسمى بخيمة الفرج ، وهو من بدائعه : [من البسيط]

مجدا فقد قصَّرتْ عن شأوك الأممُ وأبْدت العجزَ عنها[1] هذه الهممُ

أخيمة ما نصبتَ اليوم أم فَلَكٌ ! ويقظةٌ ما نراه[2] منك أم حُلم !

ما كان يخطُر فى الأفكار قبلَك أنْ تسمُو علوا على أفق السُّها الخِيَم

حتى أتيتَ بها شمَّاءَ شاهقة فى مارن الدهر من تيهٍ بها شَمَم

إن الدليل على تكوينها فلكا أن احتوتْك وأنت الناسُ كلهمُ

ترى الكناسَ وآرامَ الظباء بها أضحتْ تجاورها الآسادُ والأَجَمُ

إذا الصَّبا حركتْها ماج موكبُها فمُقدِم منهم فيها ومنهزِم

أخيلُها خيلُك اللاتى تغير بها فليس يُنزع عنها الحزْم واللُّجُم

/ كأنها جنة فالساكنون[3] بها لا يستطيل على أعمارهم هرم

علت فخلنا لها سرا تحدثه للفرقدين وفى سمعيهما صمم

إن أنبتت أرضها زهرا فلا عجب وقد همت فوقها من كفك الديم

يا خيمة الفرج الميمون طائرها أصبحت فألا به تستبشر الأمم

١٨٧ظ / ٦

---

(١) الخريدة : منها .

(٢) الخريدة : نصبت الآن .

(٣) المرقصات : والساكنون . الخريدة : فالقاطنون .

ومنها :

ماقال : «لا» ، قطُّ مُذْ شُدَّت تمائمُهُ وكم له « نَعَم » فى طَيِّها نِعَمُ

لوكنت شاهدتَ شعرى حين أنظمه إذًا رأيتَ المعانى فيك تختصم (١)

له النجوم الدَّرارِى فيك حاسدة تودُّ لو أنها فى المدح تنتظم (٢)

وقوله : [من الطويل]

وبيضاءَ يجلو وجهُها الصبحَ مُشرقا وإنْ أسبلتْ من شعرها الليلَ مُظلما

ترى قدَّها مثل القناة قويمةً وقد أشرعت فيها من اللحظ لَهذَما (٣)

وقوله (٤) : [من الوافر]

أضاء جبينُها والشعرُ داجٍ كذاك البدرُ يحسنُ فى الظلام

وقوله (٥) : [من البسيط]

إذا أردتَ دفاعَ الحادث الجَلَلِ فما مُقامُ شِفارِ البيض فى الخِلَلِ

لولا مخافةُ حملِ الضَّيمِ ما طُبعتْ ظُبا السيوف ولم تُرهَف شَبا الأَسَلِ (٦)

١٨٨ و / ٦

وأنشد له العماد فى ذيل الخريدة (٧) : [من البسيط]

أطاع أمرك فى أعدائك القَدَرُ ولا دَنَتْ أبدا من مُلكِك الغِيَرُ

أخملتَ ذكرَ ملوكٍ كنتَ خاتمهم وأنجمُ الليل فى الإصباح تستتر

---

(١) الخريدة : شاهد : المعالى .

(٢) الخريدة : ترى النجوم للفظى فيك حاسدة .

(٣) اللهذم : القاطع من الأسنة .

(٤) الخريدة ٢ : ٨١ .

(٥) الخريدة ٢ : ٨١ . والخلل : أجفان السيوف .

(٦) الخريدة : ظبا الأسل .

(٧) بل توجد فى الخريدة المطبوعة ٢ : ١٧ .

أين الذى [أنت] تبديه مُعاينَـــةً   من الفضائل ممـــا تنقل السِّـــير[1]

وما يُدانيك فى العَلْيـــاء من أحدٍ   هيهاتَ لايَستوى التَّحْجيل والغرَر[2]

يَلْقَى الكتائبَ فَرْدا وهو مبتسِم   ويبذُل الأرضَ رِفْدا وهو محتقِر

النسب

الأشرف بن الفاضل بن الأشرف البيسانى[3]

الترصيع
التاريخ
التوشية والتعريف
والحكاية

مولده بالقاهرة ، ودام بها سُكْناه إلى أن مات فيها سنة أربع وأربعين وستمائة . وكان — سامحه الله — من عجائب الدنيا . فإنه قرأ وروى ، وكتب من الحديث ما لم يظفر به كثير ، واجتمع عنده من خزائن كتب أبيـــه . وما استفاده من الكتب ما هو مشهور فى البلاد . ووفر الله له من الأموال التى ورثها عن أبيه ونمّاها بتجارته وتثميره ما لم يكن لأحد فى بلده مثله . ورزقه الله من ...[4]

١٠١ ر
٦

/ شرف الدين أبو عبدالله محمد بن الوزير أبى على الحسن ابن أحمد الدِّيباجى[5]

النسب
الترصيع والتعريف

كان أبوه فى محل الوزارة عند السلطان الكامل بن العادل بن أيوب[6] . وساد هو عند العادل بن الكامل[7] حتى كان أيضا فى ذلك المحل ، إلى أن فتكت

(١) سقطت (أنت) من المؤلف .

(٢) التحجيل : بياض فى قوائم الفرس . والغرر : بياض فى الوجه .

(٣) أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم بن على ، حصل له فى الكهولة غرام بطلب الحديث ، فسمع الكثير ، وكتب واستنسخ ، وكان رئيسا نبيـلا ، قال الذهبى إنه مات فى ٦٤٣ عن سبعين سنة — العبر ٥ : ١٧٥ . الذيل على الروضتين ١٧٦ .

(٤) سقط ما بعد هذا .

(٥) المسالك ١٢ : ١٤١ . الوافى ٢ : ٣٥٥ . حسن المحاضرة ١ : ٥٦٦ .

(٦) ولى من ٦١٥ — ٦٣٥ .   (٧) ولى من ٦٣٥ — ٦٣٧ .

التاريخ الأيام فى تلك الدولة . فوزر بعدها للملك الصالح إسماعيل بن العادل صاحب دمشق[(١)] . وتقلبت الأحوال وأخذت دمشق من أيديهم ، وهو الآن فى صحبته وخدمته بالعسكر الحلبى ، أيده الله :

التوشية ولم أظفر من شعره إلا بأبيات كنت ألتقطها من مشافهته عند ملاقاته . والعنوان يدل على ما فى الكتاب . وأنا ممن يستحسن مقاصد هذا الرئيس الفاضل فى جده وحسن لقائه وظرفه وذكائه وغوصه على المعانى .

فمما اخترته من نظمه فحفظته قوله : [من الكامل]

١٠١ظ / ٦

/ قالت ذؤابته لمائس قدّه … سبحان خالق غصنك الفينان

خنقت ورنّح عطفه قال[(٢)] : انظروا … حسنَ القضيب يَميس فى الأغصان

وكأنما تلك الذؤابة حية … تسعى من الأرداف فى الكثبان

ومنها فى المدح :

شهر الحُسامَ وكالأقاحِى خدُّه … ثم انثنَى كشقائقِ النُّعمان[(٣)]

لو لم يكن طربا براحته لمَا … غنَّى بضربِ مَثالثٍ ومَثانى

بَطل يُثير من العَجاجةِ غيهَبا … يجلو دُجاه بأنجم الخرصان[(٤)]

وصَبا إلى عَطْفِ الوَشيجِ يهزه … فحَلا له المُرّان بالعَسَلان[(٥)]

(١) ولى من ٦٣٤ — ٥ ، ومن ٦٣٧ — ٦٤٤ .

(٢) الأصل : قالا ، وأعتقد أنها هفوة قلم أو خطيئة إملاء .

(٣) عنوان المرقصات ٧٠ : وكالأقاحة .

(٤) الغيهب : الظلمة . والخرصان : جمع خرص ، وهو الرمح اللطيف ، والسنان .

(٥) الوشيج : شجر الرماح : والمران : رماح القنا . والعسلان : الاهتزاز الشديد .

وقوله : [من الخفيف]

عاد قلبي من الحِمى ما بدا لَهْ يومَ مالت غصونُه الميّالَه
حدثت عن معاطف الحب لكن ما حكت لين قدّه واعتداله[1] .

ومنها :

رَشَأٌ مائل القوامِ رشيق أنا وَقْفٌ له لتلك الإماله
كاتبُ الحسن مُنْشِئٌ من عذاريـ ـه إلى ملّة الغرام رساله

وليس هذا القَدر بمُقنِع من شعره ، فله محاسن جمة .

(١) في الأصل : لان قده ، وأظنها هفوة قلم .

١٠٢ و / ٦

/ومن كتاب أردية الشباب فى حلى الكتاب

ولى الدولة بن خيران[1]

النسب

أبو محمد أحمد بن على بن أحمد بن خيران .

الترصيع التعريف والتوشية

من كتاب القرطى : إمام أئمة كتاب الديوان الإمامى بالديار المصرية الذى نسج كل على منواله ، وسُلِّم له فى المرتبة العلية . كتب عن الإمام الحاكم وعن الإمام الظاهر وعن الإمام المستنصر . ونظمه ونثره قد دُوِّنا إذ هما أعلى ما يدون .

وذكره صاحب الجنان . ومما أنشد له قوله : [من البسيط]

النظم

أمُرُّ بالقمر الغربىّ مَطْلعُه ... فيَعْترينى — إذا أبصرتُه — صَرَعُ

وكم هممتُ بترك الافتتان به ... فلم يَدَعْنى جنونُ العشقِ والطمع

أشكو إلى الله قلبا عزّ مطلبه ... ما إنْ له عن سوى الغايات مُرْتَدَع

وقوله : [من السريع]

يا مَنْ إذا أبصرنى أَعْرَضا ... إذ ليس فعْلى عنده مُرْتَضَى

١٠٢ ظ / ٦

/ قد كان ما كان بجهل الصِّبا ... فلا تؤاخذْنى بما قد مضى

لى حُرْمةُ الإخلاص لا غيره ... وهى التى تطمعنى فى الرضا

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٥ . ابن الصيرفى : الإشارة ٣٤ ، ٣٥ . الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية . عنوان المرقصات ١٠ . صبح الأعشى ١ : ٩٦ .

وقوله : [من البسيط]

إذا لسانُ المعالى كان يمدحنى فما أبالى بمن قد ظل يهجونى

وقوله — وقد روى لابن هندو الأصفهانى[1] : [من المنسرح]

عابوه لما التحى فقلنا : عِبتم وغبتم عن الجمال

هذا غزالٌ ، وما عجيبٌ تولّدُ المسك فى الغزال[2]

ووقع إلىّ ديوان شعره . وله مدح فى أئمتهم على مذهبهم ، وتيل ممن نزّه الله ذكرهم . فمما اخترته من ديوانه قوله : [من الكامل]

وافتنىَ الدنيا تجرُّ ذيولَها فرفضتُها وعصيتُ طاعتَها لى

وحلمت عن جهل الجهول تنزُّها والحلم يُخرس ألسُن الجهال

وأمدنى صُنْعُ الإلهِ بخاطر كالسيف ، مصقول بغير صِقال

/ أهدى إلى الآفاق كل بديعة وأفاد عنى الملكُ كلَّ جمالِ

وصنعتُ من غُرر الكلام قلائدا منظومةً بمفاخرٍ ومَعالى

ونشرتُ فى الدنيا محاسنَ جمّةً تبقى على الأيام من أقوالى

وطلعتُ فى سنّ الصُّبوّة للورى بالفضل والحسنى طلوعَ هلال

وقوله[3] : [من الكامل]

خُلقتْ يدى للمكرمات ، ومَنطِقى للمُعجزات ، ومَفْرِقى للتاج

وسموتُ للعَلْياء أطلب غايةً يَشْقَى بها العادى ويَحْظَى الراجى[4]

١٠٣ د / ٦

---

(١) على بن الحسين الكاتب الشاعر المتفلسف ، أحد كتّاب الإنشاء فى ديوان عضد الدولة ، مات بجرجان فى ٤٢٠ . فوات الوفيات ٢ : ٩٥ — ٦ ، عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ١ : ٣٢٣ — ٥ .

(٢) فى المغرب : ولا عجيب .

(٣) معجم الأدباء ٤ : ١٠ .

(٤) معجم الأدباء : بها الغاوى .

وقوله : [من الكامل]

ولقد بلوتُ النـاسَ مختبرا فوجدتُ سادَتَهم ذوى الكرمِ

لو أن روح الجود فى صنم عكفتْ عليه بصائرُ الأمم

وقوله : [من السريع]

يا قمرَ الرَّوْشَنِ ، يا طلعةً أنوارها تحجب نورَ القمرْ

أمَا اتقيتَ الله فى عاشق واقفْتَه للحَتْف لما عَبَرْ

قل لىَ لِمْ عَرَضتَ - لما بَدا - له ولِمْ أعرضت لما نظر

وقوله على ألسنة العلويين فى مخاطبة العباسيين (١) : [من الطويل]

١٠٤ و ٦ /بنى عمّنا ، والقولُ شتى فنونُه ولله فيما قد حَبانا به الشكرُ

غَصبتم ذوى عَصْبٍ قضيبا وبُردة بنا شَرُفا قِدْما وقلتم : لنا الفخر

ونحن ورثنا عن أبينا مقامه الْـ ـلذى نَصّه خيرُ الورى جَدُّنا الطُّهر

وكان ظلامُ الظلم قد طال ليلهُ فلما أتانا حقُّنا طلع الفجر

ويُنطقنا فَضْلُ البِدارِ عليكمُ ويُخرسكم عن ذكرِ فضل لكم بدر (٢)

ومن طَوْلنا أنا اصطنعنا أباكمُ وأعمامكم برًّا ، وعادتنا البر

وقد كانت الشورى علينا غَضاضةً ولو كنتمُ فيها استطاركمُ الكِبْر (٣)

وقوله : [من الكامل]

إنى لأعذر حاسدى كرما منى وأرحمه على كَمَده

مَنْ شَرّفَ الدنيا بمنطقه أيلامُ حاسدُه على حَسَدِه ؟

(١) معجم الأدباء ٤ : ٨ .

(٢) معجم الأدباء : البدار إلى الهدى ... فضل لنا . يشير إلى صبق على إلى الإسلام وغزوة بدر.

(٣) معجم الأدباء : وما كانت .

وقوله[1] : [من الرمل]

أنا شيعىٌّ لآلِ المصطفَى غير أنى لا أَرى سبَّ السَّلَف

وقوله : [من الطويل]

دَعينى أذُدْ بالشرِّ عنىَ أهلَه وإنْ كان طبعى لا يميل إلى الشرِّ

فإنى أرى الشرير تُقضَى حقوقُه ويُهمَل حقُّ الماجدِ الخـيِّرِ الحرِّ[2]

١٠٤ظ ٦ النثر

/ ووقفت على رسائله فى مجلدين . وأكثرها من طبقة المغسول المسبوع[3] ، لا تقف منها على غريبة ، ولا تظفر بنادرة . ويكفى منها عنوانا عن طبقته قوله فى كتاب يحض فيه على الجهاد .

« من عبد الله ووليه أبى الحسن الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين إلى كافة أولياء الدولة ، وطوائف رجالها ، وقبائل عربها ، والمطوّعة من رعاياها ، بالحضرة وسائر أعمالها .

سلام عليكم ،

فإن أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمد جده خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسلم تسليما .

أما بعد ، فالحمد لله جبّار الجبابرة ، وقهّار الملوك القاهرة ، ومنّاح النّعم السابغة المتظاهرة ، وفتّاح أبواب الخير على المخصوصين به فى الدنيا

(١) معجم الأدباء ٤ : ١٠ .

(٢) يحيت الراء من الأصل .

(٣) المغسول المسبوع : المغسول سبع مرات .

١٠٥ و / ٦ والآخرة . كافى عظائم الأمور ، / وشافى وحاوح الصدور . وقاهر الباطل إذا تسلطت منه المطلوب ، وناصر الحق إذا ضعف الطالب والمطلوب ، الذى أعزّ الملة بالسيف ، وحاطها من عوادى الضيم والحيف ، وأثنى على من له فى الجهاد فضل مخصوص ، فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾ (١) » .

وأحسن ما وجدته من نثره ما نقلته من خط الصاحب كمال الدين بن أبى جرادة فى فصل يخاطب به الدِّزْبِرى (٢) صاحب دمشق عن الحضرة : « وكان قلمك يُوجِف ولا يَجِف ، وسيفك من ذوى العناد يَكِف ولا يَكُفّ ، ووزنك فى سَدّ ثلم الفساد يَرجَح ولا يخف » .

وكانت وفاة ابن خيران فى رمضان سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة .

وقال بعض الكتاب : كنت عند ولى الدولة بن خيران كاتب الحاكم وهو كالمترقب للمكروه والدواة بين يديه . فعمل هذين البيتين : [من البسيط]

يا أحمد بن علىّ : لا تَضِق حَرَجا ... فضيقةُ الهمّ مقرونٌ بها الفَرَجُ

١٠٥ ظ / ٦ / كم من أمورٍ قد انسَدّت أوائلُها ... ظلّت أواخرُها بالصبر تنفــرج

فمـا جفت الكتابة حتى رضى عنه الحاكم وأعاده إلى رَسْمِه .

ابن سُورِين (٣)

وجدته مكتوبا هكذا فى خط بعض المصريين ، منسوبا إلى أنه كان كاتبا عن الحاكم . وأنشد له شعرا فى مدح أحد الملوك أوله : [من الوافر]

---

(١) سورة الصف ، الآية ٤ .

(٢) منتخب الدولة أنو شتكين أمير الجيوش ، بعثه الوزير الجرجرائى إلى الشام لقتال حسان بن جراح وصالح بن مرداس ، فهزمهما وبقى فى دمشق ، ففسد ما بينه وبين الوزير فلجأ إلى حلب ، ومات بها فى ٤٣٣ أو ٤٣٥ .

(٣) صبح الأعشى ١ : ٩٦ : أبو المنصور بن سوردين النصرانى .

سلامٌ أيهـــا الملكُ اليمـــانى على أخلاقك الغُـــرِّ الحسان

ولم أجد له ذكرا إلى أن وقعت على كتاب « مَنائح القَرائح » لابن الصيرفى المصرى فوجدته يقول فيه : « إن الناس بالغوا فى استحسان قول ابن سورين فيما كتب به عن الإمام الحاكم إلى عامل القدس : « وقد خرج الأمر عن حضرة الإمامة ، بأن تسير إلى قُمامة[1] ، فتجعل طولها عرضا ، وسماها أرضا » فذكر ابن الصيرفى أن أخْصَر من هذا ما قاله : « سِرْ إلى قمامة فعجل لهـــا القيـــامة[2] » .

/أبو الرضا سالم بن على بن أسامة[3]

١٠٦ ر
٦
النسب

أجرى القرطى ذكربنى أسامة ، وأعلم أن بيتهم بمصر من أشرف البيوت القديمة ، يتوارثون الشرف كابرا عن كابر إلى أسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأعلم أن خلفاء مصر اشتملوا عليهم وحظوهم ورعوا لهم حق ولائهم .

(١) كنيسة القدس .

(٢) علق المقريزى على هامش هذه الترجمة قائلا : « عفا الله عنك — مؤلف هذا الكتاب — ابن سورين هذا شهير ذكره ، خطير فى كتاب الدولة الفاطمية قدره . وعهـــدى بك تنقـــل عن المسبحى . وهو قد ذكر ابن سورين فى عدة مواضع من كتابه الكبير فى أخبار مصر ، وأورد جملة كثيرة من إنشائه ، وهو أبو منصور بشر بن عبيد الله بن سورين كاتب السجلات ، كان نصرانيا ، توفى فى سابع عشر صفر سنة أربعمئة . وكان يتصدق فى كل سنة بثلاثمئة دينار يزعم أنها كفارة عن ذكر الصلاة على سيدنا محمد صلى الله وعليه وسلم فيما يكتبه من الإنشاء فى آخر السجلات وكان متشددا فى دينه ، ولقد وقعت له على عدة سجلات من إنشائه ، فما رأيت كاتبا ولا منشئا أكثر استحضارا منه فيما يكتبه من آيات القرآن المنـاسبة للحال . وقد ذكرته فيما أنا جامعه من التعريف بمن ولى وظيفة الإنشاء وكتابة السجلات فى مصر إن شاء الله . يسر الله فى إتمامه وأعان على تبييضه . وكتبه أحمد بن على المقريزى لطف الله له ... » . وانظر الخطط ٢ : ١٤ .

(٣) كذا عند المؤلف وفى أصـــل الخريدة ٢ : ٦٥ ، وأصلحه محققها إلى أبى أسامة ، تبعا لصبح الأعشى ١ : ٩٦ ، والنجوم ٧ : ٢٣٧ .

وقال صاحب الجنان : بنو أسامة بنو رياسة ، وأهل نباسة ، ومعـادن سماحة ورجاحة .

وكان أبو الرضا واسطة عقدهم ، وتاج مجدهم ، وله أشعار كثيرة ، لا يوجد منها فى أيدى الناس إلا اليسير ، لكونه اخْتُرِم[1] قبل أن يدونها :

كان له مركب أَوْقَرَه حطبا فغرق . فقال فيه ويسمى القرافة :

[من مجزوء الرجز]

قرافتى قـد غَـرِقتْ وفُرِّقتْ أيدى سَـبَا

والنـار فى قلبىَ لِمَـ ـمَا أنْ عَـدِمتُ الحطبـا

١٠٦ظ / ٦ وذكره صاحب الخريدة ، وزاد على ما تقدم أ[نه] / كان بنو أسامة أصحاب الديوان فى زمان الحافظ .

التعريف ووجدت بخط أحد المصريين أن أباه كان كاتب ديوان الإنشاء فى مدة الآمر ، وخَلَفه ابنه أبو الرضا .

أحمد بن الحسن الكاتب

أنشد له صاحب الجنان من قصيدة يمدح بها المسبحى صاحب تاريخ مصر :

[من الطويل]

إليك ــ أبا عبد الإله محمدا ــ تَدرَّعت هَوْلَ الليل والليل أُدْرَع[2]

تخوض بىَ البحرَ الخِضَمَّ رفيقةٌ تصول على أمواجه حين تشرع

من الدُّهْم تَهدى ربها فى ظلامها وتطلع نحو الشرق والشمس تطلع

---

(١) اخترم : مات .

(٢) تدرعت : لبست . والأدرع : ما اسود رأسه وابيض سائره .

على بن ظفر الأزدى الكاتب

أنشد له صاحب الجنان فى الوزير الجرجرائى[1]، وكان الحاكم قد قطع يديه:

[من مجزوء الكامل]

إن كنت قد قُطعت يدا ... ك على مساعيك القباح

فغدا تُعنَّر أم رأ ... سك فى التراب من الصِّفاح

يا مانعَ النزرِ اليسيـ ... ـر وباذلَ الوجهِ الوقاح

/ ماذا لطُلَّاب الندى ... فى أن تموت، من الصلاح

١٠٧ ر / ٦

الحسن بن عمران الكاتب

انشد له صاحب الجنان من قصيدة فى المعز خليفة مصر :

[من الوافر]

دعوتُهم بحدِّ السيف لما ... عَصوا فَغَدَتْ رؤسهمُ الجوابا

وعادوا بالعقاب فقد أرتْنا ... وِهادَ الأرض قتلاهم هِضابا

أبوا لثمَ التراب فخالفتهم ... رءوسُهم فقبَّلت الترابا

وقوله من أخرى : [من الطويل]

همُ طارقوا مصرا، فما لرءوسهمُ ... وقد رحلوا — لم ترتحل عن رُبا مصر

همُ نظروا النُّعمى التى غمرتهمُ ... وقد تُفسد الأرضون بالوابل الغَمْر

وقوله : [من المنسرح]

أقول بالحسن حيث كان ولا ... أهجر للشمس غُرَّة القمر

---

(١) أبو القاسم على بن أحمد، من جرجرايا من قرى العراق، وفد إلى مصر وتقلب فى الخدمة إلى أن قطعت يداه فى ٤٠٦ ثم ولى الوزارة من ٤١٨ إلى ٤٢٧ هـ — الإشارة ٣٧٨ ابن ميسر.

وقوله : [من الطويل]

فؤاد بأيدى النائباتِ أسـيرُ وحظٌّ كربَّاتِ الحجال يَنـور (١)

متى أبلغ الشأوَ البعيـدَ ومركبى إليك زمانٌ بالكرام عثـور

ومنهـا :

فلا تَخلني من خمـرةٍ عنبيةٍ فعندىَ من خمـر العيون كثير

حسين بن عيسى الكاتب المصرى

١٠٧ظ / ٦

/ ترجم عليه صاحب الجنان ، ولم ينشد له إلا هذا البيت : [من الكامل]

فى كل مُقْـمرة كأنَّ ضياءَها وأنيسَها للسامرين نهـارُ

علم الرؤساء بن الصَّيْرفى أبو القاسم على بن مُنجِب (٢)

التعريف والتوشية

كاتب إمامهم الآمر وغيره من خلفاء المصريين . وقعت على ترسله فى مجلدات عدة ، فوجدت الفاضل البيْسانى ينسج على منواله وينزع منزعه ، ولكنه زاد رشاقة ولطافة وغوصا . وإن فى الخمر معنى ليس فى العنب . وقد تقدم من مختار ترسله فى صدر كتاب المغرب ما يدل على علو طبقته .

وله تصانيف مشهورة صغار ظراف ، منها كتاب « منائح القرائح » . صنفه للأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش . وأورد فى هذا الكتاب أمداحا فى خلفائهم .

---

(١) ينور : ينفر .

(٢) ولد بمصر فى ٤٦٣ ومات فى ٥٤٢ ، وله تصانيف عدة فى الأدب والتاريخ والترسل — ابن ميسر ٨٧ وغيرها . ومعجم الأدباء لياقوت ١٥ : ٧٩ . مقدمة كتابه الإشارة . صبح الأعشى ١ : ٩٦ .

وله كتاب « الإشارة إلى من نال الوزارة »(١) ذكر فيها وزراء مصر إلى عصره .

١٠٨ و / ٦

ومنها كتاب « مُلَح الملاح » أورد فيه من / نثره قوله : « جرت العادة فى الغُطاس(٢) بإعمال الكاس والطاس . وهذه الآلة — إذا فُقدت الراح — بمنزلة أجسام عَدمت الأرواح . فداو بإحيائها قلبا لى قريحا ، وإذا كانت عازر(٣) فكن لها مسيحا » .

النثر

وقال فى صدر كتاب « منائح القرائح » الذى صنفه للأفضل : « أولى ما تُقرّب به إلى الله تعالى الإكثار من تحميده ، والإقرار بربوبيته وتوحيده ؛ والصلاة على نبيه محمد الذى عضده بتأييده ، وخصّه من الشرف بما لا سبيل إلى تجديده ، وعلى آله الممنوحين من الفضل ما يعجز الواصف عن تعديده ؛ ثم التوسل إلى ملوك كل وقت بشكر نعمتهم ، ومواصلة خدمتهم ، وشهر خصائصهم التى امتازوا بها عن العباد ، وذكر مناقبهم التى سارت فى الأقطار ونقبت فى البلاد ، والاجتهاد فيما نفقت بشريف مقاماتهم سوقُه ، والاعتماد على ما ظهر سوقه / فى البلاغة وبسوقه(٤) ، ولا خلاف أن سلطان هذا العصر ، والمخصوص من الفضائل بما لا يدخل تحت الحَصْر ، مالكنا السيد الأجلّ الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام » . وأخذ فى الإطناب عليه .

١٠٨ ظ / ٦

ثم قال : « فيجب على كل من صفت فكرته ، وصحت فطرته ، وأمكنه استنباط معنى غامض ، واستدل على المحاسن ببرقها الوامض ، وعرف موضع

(١) حققه عبد الله مخلص ، وطبعه بمطبعة المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩٢٤ .

(٢) الغطاس : عيد للنصارى فى الحادى عشر من طوبة ، احتفل به الفاطميون احتفالا كبيرا — الخطط ١ : ٤٩٤ .

(٣) عازر : الميت الذى أحياه المسيح .

(٤) السموق والبسوق : العلو والطول .

الفضيلة فيما يصنفه من تصنيف ، وعلم موقع الوسـيلة به إلى كل موقف شريف : أن يُظْهر كامن قوته ، ويُعمل مَطايا رَويّته ، فيما يخدم محله العالى به مما يطرب مورده ومسموعه ، ويعجب مؤلفه ومجموعه » .

ثم قال(١) : [من البسيط]

النظم

لما غدوتَ مليكَ الأرضِ أفضلَ من جَلّت مَفاخرُه عن كل إطـراءِ
تَغايرتْ أدواتُ النُّطق فيك عـلى ما تصنع الناسُ من نظمٍ وإنشاء

١٠٩ ر / ٦

ثم عمل تغييرا لرويّ هذين البيتين على جميع حروف / المعجم .

وأورد لنفسه فى السيف على جهة اللغز : « يُبَالغ فى شكره إذا أفسد وجرّح وتُقبل فى تزكيته شهادة المُجرَّح » .

الجليس المكين أبو المعالى بن الحباب عبد العزيز بن الحسين(٢)

من ذرية بنى الأغلب التميميين سلاطين إفريقية . ولهذا البيت مجد مؤثّل إلى الآن فى مصر . وارتفع شأن أبى المعالى إلى أن صار جليس الخليفة الفائز وكان الصالح بن رُزّيك ير [وِ](٣) ى له كثيرا ، ويكثر من مجالسته . وبنوه إلى الآن يعرفون ببنى الجليس .

وذكر عمارة فى كتاب « تاريخ اليمن » أنه تولى ديوان الإنشاء للفائز مع الموفق أبى الحجاج . وأطنب صاحب الجنان فى الثناء عليه وقال : « وارى زناد الفهم ، زاكى ثمار القريحة » .

(١) معجم الأدباء ١٥ : ٨٠ .

(٢) الخريدة ١ : ١٨٩ . فوات الوفيات ١ : ٥٧٧ . النجوم ٥ : ٢٩٢ ، ٣٧١ ، حسن المحاضرة ١ : ٥٦٣ . ابن ميسر ٩٥ . المسالك ١٢ : ١٢ ، ٢٣ . البداية والنهاية ١٢ : ٢٥١ . بدائع البداءة ١٣٣ .

(٣) الأصل : يرى له ، هفوة قلم .

ومما اختاره من شعره قوله : [من الطويل]

إذا أُنشِدت أصغتْ قلوبُ رُواتِها إليها فما تحتاج من أُذُن إذْنا

وقوله : [من الطويل]

يُرنِّح كالنَّشوان عند سماعِها وما هزَّه سُكْرٌ ولكنه شكرُ

وقوله (١) : [من الخفيف]

/ رب بيض سَلَلْن باللَّحظ بيضا مرهفات ، جفونهن الجفون (٢)

وخدود للدمع فيهـا خدودٌ وعيون قد فاض منها عيون (٣)

وقوله (٤) : [من الطويل]

أَلَمَّتْ بنا والليل يُزهَى بلُمَّة دَجُوجيَّة لم يكتمل بعدُ فَوْداها (٥)

فأشرقَ ضوءُ الصبح وهو جبينُها وفاحتْ أزاهيرُ الرُّبا وهْىَ ريَّاها

إذا ما اجْتَنتْ من وجهها العينُ روضةً أسالتْ خلالَ الروض بالدمع أمْواها (٦)

وإنى لأستسقى السحاب لربْعها وإن لم يكن إلا ضلوعىَ مأواها

إذا استَعرتْ نارُ الأسى بين أضْلُعى نضحتُ على حرِّ الحشا بردَ ذكراها

وما بىَ أن يَصْلَى الفؤادُ بحرِّها ويضْرم لولا أنّ فى القلب مثْواها (٧)

وقوله : [من الطويل]

إليك – أميرَ المؤمنين – ولم تكن لتنجح إلا فى رجاك المطالب

بعثت بآمالى وكانتْ مَطامعا فعادتْ بما أرجوه وهْى مَواهب

ولى منطقٌ باقٍ على الدهر خالدٌ وحمْدٌ على كرِّ الجديدَيْن راتب

٩ ١٠ ظ / ٦

(١) الخريدة ١ : ١٩٤ ، الفوات ١ : ٥٧٨ .

(٢) الفوات : جفون .

(٣) الفوات : فيها عيون .

(٤) الخريدة ١ : ١٩٤ ، الفوات ١ : ٥٧٩ .

(٥) الخريدة : لم يكتحل .

(٦) الخريدة : سفحت خلال .

(٧) الخريدة : مأواها ، الفوات : سكناها .

غرائبُ مدح فيك أحكمتُ نظمَها   لها من عطاياك الكرام رَغائب

فقد أصبحت أيامُكم وكأنمــا   حَبتْها بساعاتِ الوصال الحَبائب

/ وبينه وبين ابن الزبير[1] مشاعَرة ، منها قوله يخاطبه :   ١١١ ر / ٦

[من الطويل]

ولفظٌ هــو الدُّر اجتبيتُ ثَمينَه   وما مُنكَر للبحر أن يَلفظ الدُّرّا

وقوله :   [من الخفيف]

أذنبَ الدهرُ فى مسيرك ذنبـا   ليس منــه إلا إيابَك عــذرُ

وكتب له مع طيب أهداه إليه فى ليل[2] :   [من المتقارب]

بعثتُ عشاء إلى سـيدى   بمـا هو من خُلْقــه مقتَبَس

هـدية كلِّ صحيح الإخاء   جَرى منــه وُدُّك مجرَى النفس

فَجُــد بالقبول وأَيْقِنْ بأن   لفَرْط الحيـاء أتتْ فى الغَلَس

ومن الخريدة : « فضله مشهور ، وشعره مأثور ، وكان أوحد عصره ومِصْره نظما ونثرا ، وترسلا وشعرا . مات سنة إحدى وستين وخمس مائة ، وقد أناف على السبعين ».

ومما أنشده له[3] :   [من الكامل]

لا تَعْجَبى من صَــدِّه ونفارِه   لولا المشيبُ لكنتُ من زُوّاره

لم تترك الستون إذ نزلتْ بــه   من عهد صَبْوته سـوى تذكاره

(١) أحمد بن على بن الزبير القاضى الرشيد ، ولد بأسوان ، واتصل بكبراء مصر ، وأرسله الحافظ إلى اليمن داعياله فى ٥٣٩ فحاول أن يدعو لنفسه ، فقبض عليه وأرسل إلى مصر ، فعفى عنــه . وقتله شاور فى ٥٦٢ أو ٥٦٣ وكان شاعرا كاتبا مؤلفا — معجم الأدباء ٤ : ٥١ . الوفيات ١ : ٥١ الطالع السـعيد ٩٨ . الخريدة ١ : ٢٠٠ .

(٢) الخريدة ١ : ١٩٨ .   (٣) الخريدة ١ : ١٨٩ .

وقوله[1] : [من المنسرح]

حَيّا بتفاحة مخضَّبة ... مَنْ شفَّنى حبُّه وتيَّمنى

فقلت : ما إنْ رأيتُ مُشبِهَها ... فاحمرَّ من خجلة فكذَّبنى

/ قال ابن سعيد : هذه غاية اللطافة والرشاقة ، فلله درُّه .

١١١ظ
٦

وقوله[2] : [من مجزوء الكامل]

وسحابُ كفِّ الحافظِ الـ ... ـمنصور عنا المَحْلَ كفَّا[3]

أبداهُمُ كرما وصا ... ن حَريمَهم فعفا وعفَّا[4]

وقوله من قصيدة يحرض فيها الصالح بن رُزِّيك على عباس الوزير حين قتل الخليفة الظافر وأخويه[5] : [من الطويل]

ففرق جموع المارقين فإنها ... بقايا زُروع آذنتْ بحصاد

وقوله في ذلك[6] : [من الطويل]

ولما ترامى البربريُّ بجهله ... إلى فتكة ما رامها قطُّ رائمُ

ركبتَ إليه مَتْنَ عَزْمَتِك التى ... بأمثالها تُلْقَى الخطوبُ العظائم

وقُدْتَ له الجُرْدَ الخفاف كأنما ... قوائمها عند الطراد قوادم

فما غالبٌ إلا بنَصْرك غالب ... وما هاشم إلا بسيفك هاشم

---

(١) الخريدة ١ : ١٨٩ ، الفوات ١ : ٥٧٧ .
(٢) الخريدة ١ : ١٨٩ .
(٣) الخريدة : وسما بكف .
(٤) الخريدة : آراهم كرما .
(٥) الخريدة ١ : ١٩٠ .
(٦) الخريدة ١ : ١٩٠ .

وقوله يشكو طبيبا أساء معالجته فى مرضه إلى الصالح طلائع بن رزيك[(١)]:

[من الوافر]

طبيب طبُّه كغراب بَينٍ يُفَرِّق بين عافيتى وبينى

/ أتى الحُمَّى وقد شاخَتْ وباخَتْ فأَلْبَسها الشباب بنُسْختين[(٢)]

١١٢ ر ٦

ودبَّرها بتدبيرٍ لطيف حكاه عن سنان أو حُنين[(٣)]

وكانت نَوْبةً فى كل يومٍ فصيَّرها بحذقٍ نوبتين

ومن كتاب تاريخ اليمن لعمارة أنه ورد من مصر على اليمن فى أيام مفلح وزير آل نجاح أصحاب زَبيد[(٤)]. فهرب له وصيف حبشى وتعلق بغلمان الوزير مفلح، فكتب له ابن الحباب:

[من الطويل]

وأنت سحاب طَبَّق الأرض صَوْبُه وعاقَته عن سُقياى إحدى عَوائقه

فإن لم تجُدنى هاطِلاتُ غمامِه فلا تَدْنُ منى مُحرِقات صَواعقه

فرد إليه الغلام ودفع له خمس مائة دينار.

وله البيتان المشهوران اللذان يُكتَبان على السيوف من قصيدة فى مدح الصالح بن رزيك[(٥)]:

[من الطويل]

(١) الخريدة ١: ١٩٢ . الفوات ١: ٥٧٨ .

(٢) الخريدة: فرد لها الشباب . الفوات: فعاد لها . وباخت: سكنت .

(٣) الفوات: عن حنين . وأراد سنان بن ثابت بن قرة وحنين بن إسحاق، من الأطباء المشهورين .

(٤) زبيد: بين تعز والحديدة باليمن، على خط عرض ١٠ ً ١٤° شمالا، وطول ١٨ ً ٤٣° شرقا .

(٥) الخريدة ١: ١٩٠ . عنوان المرقصات ٦٤ . المسالك ١٢: ١٢ . الدوادارى ٦: ٥٩٢ — الفوات ١: ٥٧٧ . البداية والنهاية ١٢: ٢٥١ .

ومنْ عجبٍ أن السيوف لديهمُ تَحيضُ دماء والسيوفُ ذكورُ(1)

وأعجبُ من ذا أنها فى أكفهم تأجّج نارا والأكفُّ بحور

الأثير أبو الطاهر محمد / بن ذى الرياستين محمد بن بنان(2)

١١٢ظ

النسب
النوشية
التعريف

من الخريدة(3) : مرموق بالوجاهة ، معذوق بالنباهة ، لقيته بمصر متوليا للقصر ، وهو من أرباب مناصبها الكبار ، وذوي مراتبها الخيار ، له رواء وبهجة ، ورواية ولهجة ، وطول وطائل ، وقبول وفضائل ، وله شعر كالسحر ونثر كالدر.

وذكره فى الذيل بهـذا الوصف بعينـه . وكرر ما أنشده له . وزاد فى الذيل : فمما أنشد له قوله من قصيدة فى السلطان صلاح الدين عند غزوه فى الفرنج وعوده من فتح برج أيلة وغزو غزة وعسقلان : [من البسيط]

النظـم

ما كُلُّ من سار يبغى مَغْنما غَنِما كذا تُعاود آساد الشَّرى الأَجَما

ويُحرز النصرَ من كانت عَزائمه تُرى نجوما وإن قال العدى هِمَما

عـزائمٌ بهـرت بَدْءا ومُخْتتما وأَرْضتِ الله إعـلانا ومكتتما

لم تُبق فى ثغـر ثغر يَمّمت شَنَبا ولا بمارن حصنٍ حاولت شَمما

---

(1) المرقصات :

ومن عجب أن الصوارم والقنا * يحضن دماء والسيوف ذكور

والمسالك والفوات :

ومن عجب أن الصوارم والقنا * تحيض بأيدى القوم وهى ذكور

والدوادارى :

ومن عجب أن الصوارم فى الوغى * تحيض دما والسيوف ذكور

(2) ولد بمصر فى ٥٠٧ ومات بها فى ٥٩٦ . وتولى ديوان النظر بمصر ، وخدم بتنيس والإسكندرية وكان عالما أديبا كاتبا يقول الشعر الجيد ، وله تفسير القرآن المجيد ، وكتاب المنظوم والمنثور — الوافى ١ : ٢٨١ . الفوات ٢ : ٣١٩ . العبر ٤ : ٢٩٤ . النجوم ٦ : ١٥٩ . الشذرات ٤ : ٣٢٧ . حسن المحاضرة ١ : ٣٧٥ . صبح الأعشى ١ : ٩٦ .

(3) لم أجده فى الخريدة المطبوعة .

وقوله : [من الرّجز]

١١٣ د / ٦ وجفنــةٍ رحيبــة الأكنافِ / بعيــدة الأرجاءِ والأطــراف

أضحى لها الوجودُ كالغِلاف

وقوله من قصيدة صلاحية : [من الكامل]

عن نور فعلِك تُسـفِرُ الأيامُ وبشكر سَعْيك يَنْطــق الإسلامُ

أمّا وقد جَرّدْتَ عزما دونه فليرقُصِ الخَـطِّىُّ والصَّمْصام

ومن نثره : « وصل الكتاب الكريم الصادر عن المجلس المفضّلى النّجمى ، لا زالت رئاسته فى بروج السعادة ثابتة ، ودوحة عزه على أفلاك الجلالة ثابتة ، والآفاق تُباهى به الأفق شرفا ، والأيام تتهادى من محاسن أخلاقه تحفــا ، فتنشّط من عقال الكروب نفسا لا ترتاح إلا بذكره ، ولا تسر إلا بما تطالعه من طلائع برّه ، ولم تحل قبله روضة تثمر بالفضل والإفضال ، ولا حديقة تزهر باللفظ الحرام والسحر الحلال . فانتهبتْه الجوارح ، والتهمته الجوانح . فأما العين فأخذت بحظها من خطه البديع ، وترصيعه الصنيع . وأما السمع والفكر فاستوفيا قسمتهما من ألفاظه الرائقة ، ومعانيه الفائقة » .

١١٣ ظ / ٦ / وقوله من كتاب صلاحى فى تهنئة بفتح : « لو تهلل وجه الدهر من فتح عظمت أنباؤه ، واتسع فى نطاق الفخر أرجاؤه ، وأخذ بنَواصى الكواكب افتخارا ، وبسماء السمو علوا واستظهارا ، وزاد الإسلام تمكنا وتوطدا ، وأفاد طريق الدين المتوعّرة تذللا وتعبدا ؛ لعاد هذا الفتح الجليل ، والمغــنم الجزيل ، فى وجه الأيام بشرا يَقْطر ماؤه ، ويروى رواؤه ؛ وفى مارنها شمما ينيف أنفه ، ويتسع فى مجال العز كنفه ؛ وفى عطفها غَيداً يُهتَصر بناظر

الإجلال لا بيد الإدلال ؛ وفى ضمائرها ارتياحا تتضاعف مسرته ، وتشرق بخاطر الابتهاج أسِرَّته ، لا جرم أن منعطف الدهر خطر بالفخر منه فى بُرود الجمال ، وناظر الإسلام رنا به عن ناظر التِّيه والاختيال » .

الموفق أبو الحجاج يوسف بن محمد (١)

النسب ١١٤ ر / ٦

قال صاحب الخريدة : يعرف بابن الخلال ؛ وهو صاحب/ ديوان الإنشاء بمصر ، وإنسان ناظره ، وجامع مفاخره .. وله قوة على الترسل يكتب كما شاء . عاش كثيرا ، وعُطِّل فى آخر عمره وأُضِرّ ؛ ولزم بيته إلى أن تعوض منه القبر . وتوفى بعد مُلْك الناصر مصر بثلاث أو أربع سنين .

مختار ما أنشده له صاحب الجنان (٢) : [من مجزوء الكامل]

وأَغنّ سيفُ لِحاظه ... يَفْرِى الحُسامَ بحَدِّه
فَضَح الصَّوارمَ والقَنا ... ن بقَدِّه وبقَدِّه
عَجِب الورى لما بقيـ ... ـتُ وقد مُنيت بصَدِّه
وبقاءُ جسمى ناحِلا ... يَصْلَى بوَقْدة صَدِّه (٣)
كبقاء عنبر خاله ... فى نار صفحة خَدِّه

وقوله فى شمعة (٤) : [من البسيط]

وصَعْدة لَدْنة كالتِّبر تَعْبَق فى ... جنح الظلام إذا ما أُبْرِزت فلقا (٥)
تدنو فَيَخْرِق بُرْدَ الليل لَهْذَمُها ... وإنْ نأت رَتَق الإظلامُ ما فُتِقا (٦)

---

(١) مات ٥٦٦ ، الوفيات ٢ : ٤٠٧ ، الخريدة ١ : ٢٣٥ ، العبر ٤ : ١٩٤ ، نكت الهميان ٣١٤ ، حسن المحاضرة ١ : ٥٦٣ . (٢) الخريدة ١ : ٢٣٥ ، الوفيات ٢ : ٤٠٧ .
(٣) الخريدة والوفيات : لما حييت ... ببعده . (٤) الخريدة ١ : ٢٣٦ ، عنوان المرقصات ٦٥ ، الدرادارى ٥٩٤ ، نكت الهميان ٣١٥ . (٥) غير المغرب : تفتق فى . وهما بمعنى السنان الدقيق ، الخريدة : فإن . (٦) الدرادارى : لهزمها .

وتستهلّ بمـــاء عند وَقْدتهـــا كما تألّق برقُ الغيثِ فاندفقـــا[1]

كالصَّبِّ لونا ودمعا والتظا وضنى وطاعةً وسهادا دائمـــا وشَقا

والحِبِّ لينا وأنسا واسْتوا وشذا وبهجةً وطُروقا واجْتلا ولقا[2]

١١٤ظ
٦

وفيها : [من الكامل]

وصحيفة بيضاءَ تَطْلُعُ فى الدُّجَى صبحا ، وتشفى الناظرين بدائها

شابتْ ذوائبُها أوانَ شـــبابها واســـودّ مَفْرِقُها أوانَ فنائهـــا

كالعين فى طبقاتها ودموعِهـــا وســـوادها وبياضِها وضيائها

وقوله[3] : [من البسيط]

أصبتُمُ بسهام اللّحظ مُهجتَـــه فهل يُلام إذا أجْرى الدموع دما ؟

قد صار بالسُّقم فى تعذيبكم عَلَما ولم يَبُحْ بالذى من جَوركم عَلما[4]

فمـــا على صامت أبْدَى لصـــدكُمُ فى كل جارحة منه السَّقام فمـــا ؟

جعفر بن زبيد الكاتب المصرى[5]

ذكره صاحب الجنان : وأنشد قوله فى صدر رسالة كتبها إلى بعض المصريين من بغداد : [من المتقارب]

(١) الدوادارى : واندفقا .

(٢) الخريدة : أنساولينا . والنكت : والحب أنسا ولينا واستواوسنا . ورواية المرقصات والدوادارى :

والحب حسنا ولينـــا واستوا وشـــذا * وبهـــجة وطروقا واجتنا ولقـــا

(٣) الخريدة ١ : ٢٣٦ . الوفيات ٢ : ٤٠٩ .

(٤) الخريدة والوفيات : من تعذيبكم .

(٥) الخريدة ٢ : ٦٧ : جعفر بن أبى زبيد .

وكم قائل لىَ : سافرْ إلى بلاد العـراق تقعْ فى الرخاء
لعمرى ،لقد صدقوا ، فى الرخاء وقعتُ ، ولكن بتقـديم خاء [(١)]

قال : وفيه يقول بعض المصريين : [من السريع]

١١٠/٦

/ لابن زبيد لذةٌ فى اسمه وكلّ بَغّـاء وصَنْعانِ
فنصفهُ الأَولُ فى دُبْرِهِ وفى قفاه نصفُه الثـانى

ومن رسالته المذكورة : [من الطويل]

«وما قَصْدُنا بغدادَ شوقا لأهلها ولا خَفِيتْ مذ قَطُّ أخبارها عنا
ولا أننا اخترْنا على مصرَ بلدةً سواها ، ولكنّ المقادرَ ساقتْنا [(٢)]

كتابى ـ أطال الله بقاء مولاى ـ من بغداد : عن سلامة باطنُها عَطَب ، وعافية ضِمْنها وَصَب » .

ثم أخذ فيما يشبه ذلك . ووصف البلدان التى فى طريقها إلى أن قال فيها « صيفُها فى شدة الحر عُمانى ، وشتاؤها فى كثرة البرد هَمذانى ، واليبس مقصور عليها ، والأمراض السوداوية مسرعة إليها. وقلما يمضى بهـا شهور من الزمان إلا وقد حُمِل إلى المارستان فقيه أو فقيهان . وليس بها مكان يطيب فيه الجلوس ، ولا لها منظر ترتاح إليه النفوس ، سوقها ليس للغريب فيه بقعة ، ومسجدها الجامع لا يُفتح إلا كل جمعة »

١١٠ظ/٦

/ محمد بن سلامة الكاتب القاهرى [(٣)]

لم أجد له فيما أورده صاحب الخريدة والجنان ما هو من غرض هـذا الكتاب . وأنشدنى له الرشيد بن عبد العظيم صاحب تاريخ مصر: [من المتقارب]

خُلعتُ من اسمىَ فى حبـه وفارقتُ حتى أبى فى هواه

---

(١) الخريدة : وقعنا .
(٢) الخريدة : المقادير .
(٣) الخريدة ٢ : ١١٠ .

سعيد بن يحيى الكاتب (١)

أنشد له صاحب الخريدة : [من مجزوء الرمل]

عبدُك المسكينُ قد أصبـ ـح لا يملك شيّا (٢)
غيرَ ثوبٍ ذى دُروسٍ قد كَواه الدهرُ كيّا (٣)
إبَرُ الرَّفاءِ فيه أبدا تَكْدَح هَيّا (٤)
كلما غَيَّب نجما طلعتْ فيه الثريا (٥)

المؤتمن بن كاسيبويه على بن محمد (٦)

من الخريدة أنه من صدور كتاب مصر وأثنى على براعته، ونبّه على تمكنه من الدولة المصرية / ومكانته، وأن القاضى الفاضل آواه لما انقرضت تلك الدولة ودافع عنه. واستوزره الملك عزالدين فَرُّخْشاه بن شاهَنْشاه بن أيوب (٧) وأغناه. قال: وهو الآن ذو جاه عريض، وروض قشيب أريض.

١١٦ ر
٦

ومما أورد له قوله من قصيدة فى عز الدين المذكور : [من الكامل]

وسمتْ محاسنك الزمانَ فلم تَدَعْ وقتا من الأوقات إلا مَوْسِما
أزْرتْ خلالُك بالحسام إذا مضى عند الضَّريبة ، والغمامِ إذا همَى
لا غروَ أنْ جرَّ الجيوشَ مقدَّما من كان مذ شهد الوقائع مُقْدِما

(١) الخريدة ٢ : ١١١ .
(٢) الخريدة : عبدك النظام .
(٣) الخريدة : ثوب وقميص .
(٤) الخريدة : أبدا تقدح .
(٥) الخريدة : كلما سدد نجم .
(٦) الخريدة ١ : ٥٤ . ابن ميسر ٩٥ . صبح الأعشى ١ : ٩٦ .
(٧) استنابه صلاح الدين عنه بالشام ، وكان متواضعا سخيا ، مات بدمشق فى ٥٧٨ .

وقوله من أخرى : [من الكامل]

لا زلت منصور اللواء مظفّرا والسعدُ يرحل إن رحلتَ وينزلُ
وإذا قفلتَ فواجهتك ميامنٌ تبدو بشائرها وجدٌّ مُقبِل (١)
وبألسن الأغماد خاطبتَ العدا فأجابها فتحٌ أغرُّ مُحجَّل

وذكره في ذيل الخريدة ، وأنشد له من قصيدة وجهها إلى الفاضل يذكر فيها ماكابده بالشام في أسفاره المتواترة ومصاعبه : [من الطويل]

/ ومستطلعٍ كيف المُقامُ مع النوى وهل راحةٌ بالشام تُعدى على البعد؟ ١١٦ظ ٦
فقلتُ لـه : إن المقيم بأرضه على كل حال في عناءٍ وفي جهد
لنا كلَّ يوم رحلةٌ بعد رحلةٍ وليس لنا قصدٌ إلى مَنْهجٍ قَصْد
فإنْ فات بردٌ يُجمِد الماءَ لم يَفُتْ سمومُ هجيرٍ لفحُه مُضرَم الوقد
فإن كنتَ في حال عن الشام سائلا حَفِيّاً فإني قد بَثثتُك ما عندي
وأحسب أنّا لو يقوّم سيرُنا بلا أَوَدٍ فيه بلغنا إلى السدّ (٢)

ويقول في نثرها : « وحُقّ لقطرٍ قَرُب من عدو الدين جواره ، واستمرّ منه عَوارُه ، أن يتعذر فيه سكون الجأش واستقراره . فبهذا العزم عزّ أمر الشام ، وحُمي ذمار الإسلام ، وصينت البلاد من كيد الأضداد ، وضُرب بينهم وبينها بالأسداد ، وقامت للمجاهدين سوق الجهاد . وعلى الجملة فالدهر مشكور ، والصلاح موفور ، والجناب خصيب ، والكنف رحيب ، والخدمة المولوية تغفر للأيام كل ذنب ، ويسهل معها كل صعب ، والبلاد

---

(١) قفلت : رجعت .

(٢) يريد سد ذي القرنين المذكور في القرآن .

١١٧ و / ٦ على عادتها / مجبولة، ومنافع الإسلام باتصال هذه الحركات من الله موصولة، ومن سخائه[1] نستمد الإعانة على تكاليفها، ومن ألطافه نرجو السلامة فى تضاعيفها.

السديد علم الرؤساء أبو القاسم عبد الرحمن ابن هبة الله بن حسن بن رفاعة المصرى[2]

من الخريدة أنه يعرف بكاتب الأمير ناصر الدولة، وأن الفاضل البَيْسانى أثنى عليه، وقال: إنه أفضل من بمصر نظما ونثرا. وقد جمع من رسائله عشر مجلدات، وأثبت له رسالة يخاطب بها الفاضل، وقصيدة فى مدحه، وأثنى على القصيدة. والكل من طبقة المغسول الذى لافائدة فى إثباته. وأشبه ما فى الرسالة قوله: «ولم يزل إقباله على المملوك يريه وجه الإقبال وَسِيما، ويُعيد عنده سَموم اليأس بأرواح النجاح نَسِيما». وفيها من تكلف الصنعة ما يثقل.

وأحسن ما أنشد له قوله فى القطائف: [من البسيط]

١١٧ ظ / ٦ / وافى الصيامُ فوافتْنا قطائفُه ... كما تَسنَّمت الكثبان من كَثَبِ

ما بين محشوةٍ صُفَّت إلى أُخَرٍ ... حُمْرٍ من القَلْىِ تَشْفى جِنَّةَ السَّغَبِ[3]

كأنهن خُروزٌ ذاتُ أغْشية ... من فضة وتعاويذٌ من الذهب

وذكر أنه اجتمع به لما دخل القاهرة فى سنة اثنتين وسبعين فى دار السلطان فأنشده من شعره ما منه قوله فى الثغر: [من الطويل]

وحُقَّ له إذ كان حُقَّ جواهرٍ ... إذا صِينَ من مِسْك اللَّمَى بختامه

---

(١) فى الأصل: ومنه. وأظنها هفوة قلم. (٢) الخريدة ١: ٥٦.

(٣) الشطر الأول فى الخريدة: ما بين محشوة صفت إلى أخر. وجنة السغب: شدة الجوع وما تؤدى إليه.

وقوله :

وكيف أضاءتْ أنجمٌ من كؤوسِه   وقد أشرقتْ ما بينها شمسُ جامِه؟

وتوفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة .

ابن الأنصارى السديد أبو القاسم هبة الله بن حاتم

من كتاب القاهرة ، أخبرنى الفاضل الأجل بدر الدين بن أبى جرادة أنه اجتمع به فيها سنة إحدى وأربعين وستمائة ، وأنشده لنفسه :

[من البسيط]

/ ياسيدا : إن يغبْ غابتْ مسرتُنا   وإنْ لمحْناه عاد البِشْرُ والفَرَحُ ١١٨ د / ٦

وكلُّ حالاتِنا فى بُعْـــده نَصَبٌ   وكل أوقاتِنــا فى قُرْبه مُلَحُ

إذا بقيتَ فثغر الجــودِ مبتسِمٌ   لطالبيــه وصدرُ المجدِ مُنشرِح

وقوله : [من الطويل]

وقد كنتُ أرجو من زمانى لقاءَه   وأهواهُ من قَبْلِ اللقاء سَماعا

فلما تلاقيْنا وقرَّتْ بنــا النوى   برؤيتِــه كان الســلامُ وَداعا

ابن الصَّنيعة الكاتب عبد الرحيم بن سعيد بن مؤمل الأنصارى

لقيته بالقاهرة وهو يكتب عن الأمير جمال الدين بن يَغمور ، وأنشدنى لنفســه : [من مجزوء الكامل]

إن قيل : أسرف فى الذى   لا يأمنُ الذنبَ العظــيمْ

وغــدا بسُخط ِ فعــاله   يرجو رِضا البَرِّ الحليم

ماذا يكون جــوابه   عنــد القُدوم على الكريم ؟

فأقولُ : من أنا ؟ عبد من ؟   فيقالُ لى : عبد الرحيم

١١٨ظ / ٦

ومن كتاب بلوغ الآمال / فى حلى ولاة الأعمال

الخطير مهذب بن زكريا المعروف بابن مَمَّاتى [(١)]

بنو مَماتى كانوا نصارى متعلقين بالعمل وبكتابة الخراج . وقد ذكر صاحب الخريدة أن الخطير وجماعة نصارى أسلموا فى ابتداء الملك الصلاحى ، وحصلوا على الجاه والحرمة الوافرة والعيش الرخى . وذكر أن الخطير سايره مرة فأنشده لنفسه [(٢)] : [من البسيط]

إذا انبرت من فم الإبريق تحسَبُها … شهابَ ليل رمى فى الكأس شيطانا

وأنشده قوله : [من البسيط]

وأكتُم السرَّ حتى عن إذاعتِه [(٣)] … إلى المُسِرِّ به ، عن غير نسيان

وذا كأن لسانى ليس يُعلِمه [(٤)] … سَمِعى بسرِّ الذى قد كان ناجانى

---

(١) أبوسعيد مهذب بن مينا بن زكريا ، مات فى ٥٧٧ ، وأصله من نصارى أسيوط ، أسلم هو وأولاده على يد أسد الدين شيركوه . الوفيات ١ : ٦٨ . معجم الأدباء لياقوت ٦ : ١٠٠ الخريدة ١ : ١١٣ .

(٢) الخريدة ١ : ١١٣ .

(٣) الخريدة والوفيات : عن إعادته .

(٤) الخريدة والوفيات : وذاك أن لسانى .

وقوله : [من الكامل]

وأغنّ معسول الثّنايا أشنبٍ ... ألمَى المَراشِف كالقَضيب الآس

لولا توقّد جمر نار خدوده (١) ... فى ماء وجنته حَساه حاسى

/ من خدّه وعذاره ورُضابه ... وردى وريحانى الجَنِىُّ وكاسى

١١٩ ر
٦

وقوله : [من الطويل]

ولما بكتْ عينى دماءً لفقْدكم ... تيقنتُ أن القلبَ فيه كلوم

وقوله (٢) : [من السريع]

وشادن لما بدا مُقبِلا (٣) ... سبّحتُ ربَّ العرش باريه

ومذ رأيتُ النمل فى خده ... أيقنتُ أن الشهد فى فيه

وذكر العماد أنه لقيه بالقاهرة وهو متولى ديوان الجيش للملك الناصر .
قال : وكان فيه أدب .

ابنه الأسعد أبو المكارم أسعد

من كتاب الخريدة أنه أحد الكتاب بالديوان الفاضلى (٤) .

التعريف
التوشية

ذو الفضل الجَلى ، والنثر العَلى ، والنظم السَّوِىّ ، والخاطر القوى . ومرّ
على عادته فى تتبع الفِقَر .

---

(١) الخريدة : نار وجنته . (٢) الخريدة ١ : ١١٦ .

(٣) فى الأصل : مقتبلا ، ثم أصلحت إلى : مقبلا ، مثل رواية الخريدة . وعند ياقوت : أتى مقبلا .

(٤) ياقوت : معجم الأدباء ٦ : ١٠٠ . الخريدة ١ : ١٠٠ . الوفيات ١ : ٦٨ . المسالك ١٢ : ٥٨ . حسن المحاضرة ١ : ٥٦٥ ، ٢ : ٣٨٦ ، ٤٣٦ . البداية والنهاية ١٣ : ٥٣ . شذرات الذهب ٥ : ٢٠ . عنوان المرقصات ٦٩ . بدائع البداءه ١٥٠ ، ١٥٢ ، ٢٢٠ . خلف أباه ، وحظى عند القاضى الفاضل . فلما ولى العادل مصر واستوزر الصفى بن شكر ، نكبه لخصومة بينهما ، فهرب إلى الشام حيث مات بحلب . وترك مؤلفات كثيرة .

الترصيع

وذكر أنه اجتمع به فى القاهرة .

ومما أورد من شعره قوله فى كسر خليج القاهرة : [من الوافر]

النظم

خليجٌ كالحُسام له صِقالٌ ولكنْ فيــه للرائى مَسَرّه
/ رأيت به الصِّغار تُجيد عوما كأنهمُ نجــومٌ فى المجــرّه (١)

١١٩ ظ
٦

وقوله فى غلام نحوى (٢) : [من السريع]

وأهيف أَحدثَ لى نحوُه تَعجُّبا يُعرب عن ظَرْفه
علامةُ التأنيثِ فى لفظــه وأحرُفُ العِلّة فى طَرْفــه

وقوله فى غلام خياط (٣) : [من مجزوء الوافر]

وخياطٍ نظرتُ إليـ ـه مفتــونا بنظرتـه
أسيلِ الخــدّ أحمره بقلبى ما بوجنتــه
وقد أمسيتُ ذا سَقَم كأنى خيطُ إبرته
وأحسُد منــه ذاك الخيـ ـط فازَ بِرِىِّ رِيقَتــه

وذكر أن هذا البيت الأخير قاله السديد أبو القاسم بن رفاعة .

وقوله (٤) : [من البسيط]

أراكمُ كحَبابِ الكأس منتـظما فما أرى جمعكم إلا على قَدَح

وقوله : [من اليسبط]

ما صرْتُ أجسرُ أن أبكى لفرقتهم لأنهــم زعَموا أن البكا فَرَج (٥)

(١) الخريدة ١ : ١٠١ : رأيت به الملاح .
(٢) الخريدة ١ : ١٠١ . الوفيات ١ : ٦٨ . الشذرات ٥ : ٢٠ .
(٣) الخريدة ١ : ١٠١ . (٤) الخريدة ١ : ١٠٢ . المسالك ١٢ : ٦٠ .
(٥) الخريدة ١ : ١٠٢ . وفى المسالك ١٢ : ٦٠ : أحسن أن أبكى .

وقوله : [من الخفيف]

١٢٠ و / ٦

/ أنا صبٌّ بغادة تشبه الطا ووس إذ كان حسنُها يتنوَّعْ

ذات لفظٍ كأنه ثغـرُها الأشـ ـنَبُ لو أن دُرَّه يتجمع (١)

قلت : ألَّا وقفتِ ياشمسُ للصَّبْـ ـبِ ! فقالت : هيهات ! ماأنت يُوشع (٢)

وقوله : [من الخفيف]

لا تُصِخْ للحسودِ فى تَدبِيه النعـ ـمةَ من كونه المَشوقَ إليها (٣)

فهْو مثل السحابِ إذ تسفر الشمـ ـس عن العين ثم تبكى عليها (٤)

وأحسن ما أَورد من نثره قوله : « فَصلت عنه فى أخريات النهار ، وقد ظهر فى أطراف الجدران لفَرَقِ فراق الشمس اصفرار . فلما ذُهِّب ذَهَبُ الأَصيل بنار الشفق ، ولبست المشارقُ السواد لمـا تم فى المغارب على الشمس من الغرق ، وأقبلت مواكب الكواكب فى طلب الثأر كدراهم النُّثـار (٥) ، وتشابهت زَواهرها وإن اختلفت فى الأسحار (٦) بالأزهار فى الأشجار ، وتكلف القمر الموافقة فظهر على وجهه الكلف . ومرت به طوالع النجوم فلم يستخبرها حسدا ، فأعرب عن غدر الخلف بالسلف . / وظهر الوجوم فى وجوه النجوم ، وعيل صبر النَّسْرَين (٧) : فواحد طائر يحوم ، وآخر واقع لا يقوم . ولم تزل

١٢٠ ظ / ٦

(١) فى الأصل : ذات ثغر ، وأعتقد أنها هفوة قلم ، والتصحيح عن الخريدة ١ : ١٠٤ .

(٢) يوشع : صاحب موسى عليه السلام ، وفى الأخبار أن الشمس تأخرت عن مغيبها له .

(٣) الخريدة ١ : ١٠٩ : مع كونه العجول .

(٤) الخريدة : إذ يستر الشمس . وهى الرواية الصحيحة ، وقراءة المؤلف لا معنى لها .

(٥) دراهم النثار : ما ينثره الأمراء من دراهم على قاصديهم .

(٦) الخريدة : الأشجان .

(٧) النسران : نجمان : يدعى أحدهما الطائر ، والثانى الواقع .

متلاحقة متسابقة لتقفو الأثر ، وتسمع الخبر ، إلى أن بدا سوسن الفجر ولاح وابتسم ثغر الصباح عن الأقاح ، وكاد ثعلبه يأكل عنقود الثريا ، وبرزت الغزالة من آس الكناس طلقة المحيا[(١)]، وتراءت الوجوه ، وزال مازاد بعينها من المكروه ، وأخذت النجوم بحظها من الطرب ، بمقدار ما قدمته من الحضر[(٢)] فى الطلب ، وانخرطت فى مسلك[(٣)] شعاعها نظاما ، وزاد خوفها منها على رجائها فيها ، فذابت إكبارا لها وإعظاما » .

وأنشدنى له بدر الدين بن أبى جرادة ، عن الشريف الإدريسى ، عنه :

[من الطويل]

نعم ، عاذلٌ لى فى هواك وعاذرُ ... وقلبى لفعل العين شاكٍ وشاكرُ

جمعت إلى الأتراك حسنَ بداوةٍ ... فحظك فى الحالين باد وحاضر

لئن لم تكن فى بيت شعر تحلّه ... فإنك فى بيتٍ من الشعر سائر

وتذاكرتُ فى شأنه مع الرشيد بن عبد العظيم صاحب / تاريخ مصر ، فأخبرنى أنه كان له أملاك بالقاهرة ، وبها كان سكناه .

١٢١ و
٦

وأملى علىّ من رسالة له فى النيل : « وأما النيل المبارك فإنه عمّ اليفاع[(٤)] ، وطبق[(٥)] البقاع ، وانتقل من الإصبع للذراع[(٦)] ، حتى لم يلف بمصر قاطع طريق سواه ، ولا موهوب مرهوب إلا إياه » .

وكانت وفاته بحلب سنة ست وستمائة .

(١) الخريدة : وزال ما زال بغيبتها .
(٢) الحضر : الجرى . وفى الخريدة : الحصن .
(٣) الخريدة : سلوك .
(٤) اليفاع : المرتفع من الأرض .
(٥) طبق : عم .
(٦) يشير إلى فيضان النيل ، الذى كان يقاس بالإصبع دلالة قلته ، فصار يقاس بالذراع أمارة كثرته .

السعيد بن سَناء المُلْك

أبو القاسم هبة الله بن الرشيد جعفر [١]

صاحب الخزانة السلطانية بالقاهرة وهى إلى الآن فى هذا البيت

النسب والتعريف والترصيع

من الخريدة : كنت عند القاضى الفاضل بخيمته فى مرج الدلهمية ، فأطلعنى على قصيدة له كتبها إليه من مصر ، وذكر أنه لم يبلغ عشرين سنة [٢] ، فأُعجبت بنظمه .

قال ابن سعيد : لم يزد على هذا شيئا من التنويه والتنبيه ، لا فى الخريدة ولا فى ذيلها ، بل أورد له شعرا مجردا مما ينبغى / له من الثناء ، وما يوجبه تقدُّمه فى طريقة الغوص على المعانى الرفيعة ، الطيارة فى الآفاق ، الأَرِجة فى جميع الأَرْجاء . ولعله حَقَّره لصغر سنه فى ذلك الأوان . وقد برز وامتد طلْقه فى ميدان الإحسان امتدادَ عمره ، فلم يكن منه بالقاهرة فَرَسا رهان . بل ظهر سابقا فى حَلْبته ، وأئمة الشعراء خلفَه ؛ وشاهدُه ما أنشد له .

٥ ر / ٣

وكان غاليا فى التشيع [٣] . وتوفى سنة ثمان وستمائة . وله من الموشَّحات الأندلسية ما اشتهر وبهَر ، وهو المتفرِّد بالإحسان فى ذلك ما بين فضلاء مصر .

---

(١) الخريدة ١ : ٦٤ . الروضتين ٢ : ٤٣ ، ٢٤٣ . المرقصات ٦٩ . المفرج ٢ : ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٦٠ ، ٢٣٤ ، ٣ : ٤٩ ، ٧٧ . الوفيات ٢ : ١٨٨ . ياقوت : معجم الأدباء ١٩ : ٢٦٥ . النجوم ٦ : ٥٩ ، ٢٠٤ . حسن المحاضرة ١ : ٥٦٥ . المسالك ١٢ : ٦١ . شذرات الذهب ٥ : ٣٥ . محمد نصر : ابن سناء الملك . جودة الركابى : دار الطراز .

(٢) كان ذلك فى سنة ٥٧٠ هـ .

(٣) لم أجد مثل هذا القول عند أحد .

وله فى هذه الصناعة كتاب « دار الطراز » . ومدح السلطان صلاح الدين ، والعادل والكامل والفاضل وابن شكر . وهجاه ابن الساعاتى[1] وغيره .

الغرض من ديوانه

النظم

من قصيدة صلاحية[2] : [من الطويل]

بشوك القنا يحمون شهد رضابها ... ولا بد دون الشهد من إبر النحل

تطلع من بدر السماء إلى أخ ... وتنظر من زهر النجوم إلى أهل

٥ ظ / ٣

/ وقوله من أخرى[3] : [من البسيط]

لست الملوم بما تجنى على بصرى ... أدميت بالدمع ما أدماك بالنظر[4]

أجفان عينى ما خيطت على سنة ... هذا وقد غدت الأهداب كالإبر

ومنها فى المدح :

دمى النجيع فأبقى الجرد عاطلة ... برغمها من حلى التحجيل والغرر[5]

وقوله[6] : [من البسيط]

ليل الحمى : بات بدرى فيك معتنقى ... وبات بدرك مرميا على الطرق

زار الحبيب وبدر التم من حسد ... مربد وجه وغصن البان فى قلق[7]

يمشى على خد من يهوى وأدمعه ... تهمى فسبحان منجيه من الغرق

---

(١) بهاء الدين على بن محمد بن رستم الدمشقى ، المتوفى ٦٠٤ وصاحب الديوان المطبوع بدمشق .

(٢) الديوان ٥٦٠ . (٣) الديوان ٢٧٧ ، المسالك ١٢ : ٧٦ .

(٤) الديوان : من أدماك . وفى إحدى نسخه كما هنا .

(٥) النجيع : الدم إلى السواد أو دم الجوف . والتحجيل : أن تبيض أقدام الفرس . والغرر : أن تبيض رءوسها . (٦) الديوان ٤٩٦ ، المسالك ١٢ : ٨٩ .

(٧) الديوان والمسالك : وبدر التم فى كمد باد عليه .

ومنها فى المدح :

إن السحائبَ جارَتْــهُ فأتْعبها ... وذلك القَطْرُ بعد الجهد كالعرَق

وقوله (١) : [من البسيط]

وخاطرِي إنْ يُوفَّق مع بلادتــه ... فالمــاءُ ينبع أحيــانا من الحجرِ

وقوله (٢) : [من الطويل]

رمانِى ومن أجفانِه سهمُ حَتْفِــه ... ومن حاجبيْه القوسُ والقَصَبةُ البَلَجْ

/ وقوله من قصيدة فى الأفضل بن السلطان صلاح الدين (٣) :

٦ و
٣

[من الكامل]

باتتْ مُعانقتِى ولكنْ فى الكَرَى ... أَتُرَى دَرَى ذاك الرَّقيبُ بما جَرَى

ونعم دَرَى لما رأى فى بُرْدتى ... رَدْعا وشَمَّ من الثياب العنــبرا

طيفٌ تخطَّى الهول حتى يشترِى ... بيتَ الحَشا فقد اجْتَرا وقد اشْترَى (٤)

ما زار إلا فى نهــار جبينِــه ... فأقول سارَ ولا أقول لــه سَرَى

بأبى وأمى من حَلَمتُ بذكرِها ... لمــا انتبهت ومذ رقدتُ تَفسرَّا (٥)

ومن العجائبِ أن ماءَ رُضابِهــا ... حُلْوٌ وتُخْرِج حين تَبْسم جَوْهرا (٦)

إنى لأَعشقُها وما أبصرتُهــا ... والشمسُ يَمْنَعَ نورُها أن تُبصرا (٧)

---

(١) الديوان ٣٤٣ . المسالك ١٢ : ٨٠ .

(٢) الديوان ١٣٨ . (٣) الديوان : أجفانه السهم صائبا .

(٤) الديوان ٣٥١ . وأعلن فيه أن القصيدة فى مدح القاضى الفاضل . المسالك ١٢ : ٨١ .

(٥) الديوان : فقد اشترى وقد اجترا .

(٦) الأصل : حملت . وأظنها هفوة قلم .

(٧) الديوان : ويخرج . (٨) الديوان : فالشمس .

أشكو إليهـا رقّى لتَرِقَّ لى فتقول : تطمع بى وأنت كما ترى
وإذا بكيتُ دما تقول : شمتَّ بى يوم النّوى فصبغتَ دمعَك أحمرا
وفتحت أبواب السهاد لناظرى وجعلت ليلى بالنجوم مسمرا (١)

تأمل هذا البيت وإنها من عجائب المُرقصات ، والعجب أنه يقول فى هذه القصيدة مثله ، ويقول فيها :

يا عينُ صرتِ بمن هَويتِ مَدينةً ولكم مضى زمنٌ وأنتِ من القُرى (٢)

فانظر ما أقبح هذه الاستعارة ، وما أرك هذهّ العبارة !

٦ ظ / ٣ / وقوله من قصيدة فاضلية (٣) : [من الطويل]

سَرَى طيفُه لا بل سرى بى سَرابُه وقد طار من وكرِ الظلام غُرابُه
أتت مع نفْس الليل صفحةُ وجهه فقلتُ : حبيبٌ قد أتانى كتابُه
وأملى عتابا يُسْتطَابُ فليتنى أطلتُ ذنوبا كى يطولَ عتابه (٤)

هكذا يكون السحر .

وقوله من قصيدة تعدى فيها إلى مالا يجب ، وتحامَق فوق الغاية (٥) :

[من الطويل]

سواى يخاف الدهر أو يرهب الردى وغيرىَ يَهْوَى أن يكونَ مُخلدا (٦)
ولو مَدّ نحوى حادثُ الدهر طَرْفَه لحدّثتُ نفسى أن أمدَّ لـه يدا
وفرطُ احتقـار للأنام لأننى أرى كلَّ عارٍ من حُلى سُوددى سُدى (٧)

(١) المسالك : وتركت ليلى .
(٢) الديوان : حويت .
(٣) الديوان ٣٩ . المسالك ١٢ : ٦٤ .
(٤) الديوان : ذنوبى .
(٥) الديوان ١٦٥ . المسالك ١٢ : ٧١ . ياقوت ١٩ : ٢٦٩ .
(٦) المسالك : أن يعيش مخلدا .
(٧) الديوان : احتقارى .

ولو كان إدراك الهدى بتـــذلّل رأيتُ الهدى ألا أميلَ إلى الهدى

ولو علمتْ زُهْرُ النجوم مكانتى لخرّت جميعا نحوَ وجهى سجَّـــدا

ومنها :

وقال: لقد أنستُ نار الخده، فقلت: وإنى قـــد وجدتُ بهـــا هُدى[1]

وقوله فى غلام محموم[2] : [من الكامل]

/ وكأنّ حُمّاه لشـــدة وقدها خلعتْ عليـــه حرارةَ الأكبادِ[3]

لـــا توقّد صحّ إذْ سمّيتُـــه ودعوتُـــه بالكوكب الوقّاد

٧ د ٣

وقوله من قصيدة فاضلية[4] : [من الطويل]

إذا قتلوها بالمـــزاج تبسّمتْ كشاربها يرتاح وهـــو مُصابُ

ومنها فى المدح :

تجُذّ معانيه الرّقاب فقـــد غدتْ يُخيّلُ لى أن الكتابَ قرابُ[5]

وقوله من أخرى فاضلية[6] : [من الكامل]

إن كنتَ ترغبُ أنْ ترانا فالقَنـــا يومَ الهياج إذا تشاجرتِ القَنـــا

تلْقَ الأولى تُجْنيهم ثمـــرُ العُلَى كلٌّ يَطيبُ له الجَنَى مِن جنىً[7]

(١) الديوان والمسالك : وقالوا . ياقوت والمسالك : ما وجدت .

(٢) الديوان ١٦٤ . (٣) الديوان : ألقت عليه .

(٤) الديوان ٤٦ . المسالك ١٢ : ٦٦ . الخريدة ١ : ٧٢ .

(٥) الديوان : تحز . غدا . الخريدة : معانيها . . غداء وتجذ : تقطع . والقراب : الغمد .

(٦) الديوان ٧٩٦ . الخريدة ١ : ٦٨ . المسالك ١٢ : ١٠١ .

(٧) الأصل : تلق ، وأظنها هفوة قلم . الشطر الثانى فى الديوان والمسالك : قضب يطيب بها الجنى من جنى . والخريدة : يجنيهم . . . قضب يلذ بها الجنى .

لا يشربون من الدماء مُدامةً ... أو يَنْشَقون من الأسنّة سوسنا (١)

وإذا الحسامُ يُحَرِّكِ غَنَّاهمُ ... خلعوا نفوسهمُ على ذاك الغِنا (٢)

ومنها

كالبدر إلا أنها لا تُجتَلى ... والغصن إلا أنها لا تُجتنَى

وقوله (٣) : [من الكامل]

يا أيها البستانُ إن حَصَّلتَ لى ... من صِرتُ مخمورا بكأس مِكاسه (٤)

لأُجَلِّيَنَّك من حُلِّى وجَناته ... ولأَخْلَعَنَّ عليك من أنفاسه (٥)

ظ٧/٣

وقوله من شعر (٦) : [من الكامل الأحذ]

تأتى حَماةَ وتشتكى كَدَرا ... أوَ ما علمتَ بأنه كَدرُ (٧)

ومنه :

فالخد ميدانٌ صوالجُهُ ... هُدْبٌ لها من دمعه أُكَرُ (٨)

وقوله من قصيدة فى الفاضل (٩) : [من البسيط]

وقصر البحر عنه [فهو] مكتئب ... أما تراه بكفّى موجه التطما (١٠)

وولت السحب إذ جارته باكية ... أما ترى الدمع من أجفانها انسجما

---

(١) غير المغرب : سوى الدماء ... إذ ينشقون . وهى أوضح .

(٢) الديوان والخريدة : غنى لهم . (٣) الديوان ٤٤٨ . الخريدة ١ : ٩٥ .

(٤) المكاس : الاختلاف والمشاحة فى البيع .

(٥) الديوان والخريدة : من بهاء جبينه . الديوان : ولأخلفن ، وفى إحدى نسخه كما هنا .

(٦) الديوان ٣٠٨ . المسالك ١٢ : ٧٩ . الخريدة ١ : ٨٨ .

(٧) غير المغرب : بأنها . (٨) غير المغرب : فالخد .

(٩) الديوان ٦٧٦ . الخريدة ١ : ٩٧ .

(١٠) لم يهتد المؤلف إلى وجه قراءة الشطر الأول فوضع أمامه ثلاث نقط علامة التوقف ، ودونه هكذا : وقصر البحر عنه مكتئب .

وقوله في رثاء[1] : [من الطويل]

فيا أسفى أن كنت قبلى ماضيا ... ويا خجلتى إذ صرت بعدك باقيا[2]

أقل اكتئابى أننى خافق الحشا ... وأيسر وجدى أن أرى الطرف باكيا[3]

وناص فؤادى فى بحار همومه ... فألقى على جفنى الدموع لآليا[4]

وقد كان إحسان الليالى وحسنها ... فقوموا بنا حتى نعزى اللياليا

وقوله[5] : [من البسيط]

وما مررتُ بربْع كان منزلكم ... إلا ظننتُ صَداهُ بعدكم شاكيا

/ وقوله[6] : [من الكامل] ٨ و / ٣

وعجبت للكاسات حين تبسَّمتْ ... فى مجلس ما أنت فيه حاضر[7]

ما كنت أعلم أن مِصْرا بابلٌ ... حتى علمت بأن طرفك ساحر

وقوله[8] : [من الطويل]

وبتنا كجسم واحد من عناقنا ... وإلا كحرف فى الكلام مُشدَّدِ

وقوله[9] : [من البسيط]

يا ساقىَ الراح بل يا ساقى الفرح ... ويا نديمى بل يا كلَّ مقترح

لا تخشَ من قَصر ليل فى تواصلنا ... أما ترانى شربتُ الصبحَ فى قَدحى[10]

(١) الديوان ٨٧٧ ، المسالك ١٢ : ١٠٦ . (٢) الديوان : إذ كنت .. نجلى .

(٣) الديوان : أقل اكتئابى أن أرى القلب جازعا .

(٤) الديوان : إلى جفنى . (٥) لم أجده فى ديوانه . (٦) الديوان ٣٣٤ .

(٧) الديوان : كيف تبسمت . (٨) الديوان ١٨٢ ، المسالك ١٢ : ٧٢ .

(٩) الديوان ١٥٠ ، المسالك ١٢ : ٧٠ .

(١٠) أتى المؤلف بالشطر الأول مختلا على الصورة التى أثبتها ، والصواب روايتا الديوان والمسالك . ففى الديوان : لا تخش فى ليل لهوى من تقاصره ... القدح . وفى المسالك : فى ليل همى من تقاصره .. القدح .

وقوله (١) : [من الكامل الأحذ]

أوردْتُه قبلى على عطشٍ ... منها ولم أعْزِم على الصَّدَرِ

أرجو بكثرة لَثْم وجنتِه ... أنى أسُدُّ مَنابتَ الشعَرَ

قوله (٢) : [من الطويل]

بأيديهمُ سُمْرٌ طِوالٌ كأنما ... أرادوا بها تثقيبَ دُرِّ الكواكبِ (٣)

/ وقوله (٤) : [من المنسرح]

٨ ظ / ٣

يبدو عليها الحَباب إنْ مُزِجتْ ... مثلَ عيون بغير أهداب

وقوله (٥) : [من مجزوء الرمل]

إنما ثَغْرُ سليما ... نَ كعقدٍ مِلْء سِلْكِهْ

مَلَكَ الخلقَ، وهَذا ... فَمُه خاتمُ مُلْكِه

وقوله (٦) : [من الوافر]

كسرتَ الجفنَ حين أردتَ قتلى ... وكسرُ الجفنِ من فِعْلِ الشجاع

وقوله (٧) : [من البسيط]

ولا تقل : دَرَستْ منه محاسِنُه ... فطالما شُغِف العشاق بالطَّلَل (٨)

وقوله (٩) : [من السريع]

بجمْر هجرٍ قد صَلِينا به ... عرقتُ حتى كدت أُطفيه (١٠)

يهرب ظلُّ الشخص من حَرِّه ... حتى تراه كامنا فيه (١١)

---

(١) الديوان ٣٥١ . (٢) الديوان ٣٤ ، المسالك ١٢ : ٦٥ .

(٣) الديوان والمسالك : رماح بأيديهم طوال كأنما . (٤) الديوان ٣٤ .

(٥) الديوان ٥٣٩ . (٦) الديوان ٤٧٤ . (٧) الديوان ٣ : ٣٥ .

(٨) الديوان : وإن تقل . (٩) الديوان ٨٨٣ . (١٠) الديوان : مذ صلينا .

(١١) الديوان : حرها .

وقوله فى غلام هرب من الوالى خوفا على نفسه (١) :

[من السريع]

ليس بعـار أن تُرَى هاربا   فإنهـا عادةُ رِئْم الفَـلا

ولا بعيبٍ أن تُرَى غائبـا   فعـادةُ الأقمارِ أن تأفـلا

أو أن ترى من فَـرَقٍ شاحبا   فالسيف قد يَصْدأُ بعد الجلا (٢)

ما أحسن الصـبر ، وأما عـلى   ألا أرى وجهك يوما فـلا

وقوله (٣) :

[من الوافر]

/ ملكتَ الخافقَيْن فتِهْت عُجْبا   وليس هُما سوى قلبي وقُرْطِكْ

٩ و
―
٣

وقوله (٤) :

[من الكامل]

خَجِل الحبيبُ وقد خلعت لِثامَه   فخلعتُ من قُبَلٍ عليه لِثـاما (٥)

وقوله فيمن كان يهواه ثم رآه قد شاب (٦) :

[من الكامل]

ما شاب من كِبَرٍ ولكن شيبُـه   من ماءِ وردِ الريق معْ مِسْك اللَّمى (٧)

وقوله (٨) :

[من مجزوء الكامل]

قالوا : لقـد شابَ الحبيـ   ـبُ وشابَ فيـه كلُّ عزمِ

وأراك تظلـم فى هـوا   ه النفسَ ظُلْما أىَّ ظلم

فأجبتُ من شَرَهِى عليـ   ـه أذوقُه فى كل طعم (٩)

---

(١) الديوان ٥٨٩ ، المسالك ١٢ : ٩٣ .   (٢) الديوان : وأن .

(٣) الديوان ٤٦٣ ، الخريدة ١ : ١٠٠ .

(٤) الديوان ٦٨٥ .

(٥) الديوان : وقد حسرت لثامه فجعلت من قبلى .

(٦) الديوان ٧٤٦ .   (٧) الديوان : عن كبر .

(٨) الديوان ٦٨٥ .   (٩) الديوان : فقلت .

وقوله (1) : [من الطويل]

تَقنَّعتُ لكنْ بالحبيب المُعمَّم ... وفارقتُ لكنْ كلَّ عيش مُذمَّم

وباتتْ يدى فى طاعة الحب والصِّبا ... وِشاحًا لخصرٍ أو سِوارًا لمِعصم (2)

ومنها :

رأيتُك بحرًا طبَّق الأرض فيضُه ... فلم تُبقِ عندى رُخصةً للتيمُّم (3)

وقوله (4) : [من الطويل]

/يغنّى عليها حَلْيُها طربًا بها ... وفاحتْ فقلنا : هذه الروضةُ الغنّا (5)

وقوله ، وقد سرقه غيره من شعراء مصر (6) : [من مجزوء الكامل]

والمرءُ لا يَنْفكُّ ذا ... كَدَرٍ لأن الأصلَ طِين (7)

وقوله (8) : [من مجزوء الكامل]

عالى منارِ المجدِ مرتفع الذُّرا ... يدعو الوفودَ بألسُنِ النيرانِ (9)

أخذتْ بمجلسه المَهابةُ حقَّها ... فترى البريءَ لديه مثلَ الجانى

وقوله (10) : [من الكامل]

قالوا : بدا البَرَقانُ مِلْءَ جفونه ... وبدونه يبدو سلوُّ الأنفسِ (11)

فأجبتهم : كيف السلوُّ وإنما ... فى اليومِ قد كَملتْ صفاتُ النرجسِ

(1) الديوان ٦٩٦ . معجم الأدباء ١٩ : ٢٦٥ . وفيات الأعيان ٢ : ١٨٩ .
(2) الديوان والمعجم : الحب والهوى .
(3) الديوان : الأرض مده فلم يبق .. فى التيمم .
(4) الديوان ٧٥٥ . المسالك ١٢ : ١٠٠ .
(5) المسالك : تغنى . (6) الديوان ٧٧٣ .
(7) الديوان : من كدر لأن المرء . (8) الديوان ٧٧٧ . المسالك ١٢ : ١٠٣ .
(9) المسالك : المجد يدعو للقرى وفد النوال .
(10) الديوان ٤٥١ . (11) الديوان : وبدونه يدنو .

٩ظ / ٣

وقوله (١) : [من مجزوء الكامل]

خدُّه مسَغ ماءِ رونــقِه مُجْدِبٌ من خُضْرة الشَّــعَرِ

وقوله (٢) : [من الكامل]

لــما بكيتُ ضحكتَ من طربٍ فنظمت ما كان المحبُّ نــثر

وقوله (٣) : [من الكامل]

الدهرُ معتــذرٌ بيوم لقــائِه ممّــا جَناه بيومه التّفــريق (٤)

والصبحُ فى ثغــرِ الظلام تبسُّمٌ والشمسُ فى ثوب السماء خَلوق (٥)

وقوله (٦) : [من السريع]

١٠ و / ٣

/ إن الذى يضحك من أدمعى وهْى عليــه أبدا تُسفَكُ

قد صح عنــدى أنه روضةٌ والروض من دمع الحَيا (٧) يضحك

وقوله فى غلام كان يهواه فحضر مع جماعة كلُّهم مُحِبٌّ له فجرى بينهم ما أوجب ضربه وسجنه (٨) : [من الطويل]

بنفسىَ مَنْ لم يضربوه لريبةٍ ولكنْ ليبدو الوردُ فى سائرِ الغُصْنِ (٩)

ولم يودعوه السجنَ إلا مخــافةً من العين أن تعدو على ذلك الحسن

وقالوا له : شاركتَ فى الحُسن يوسفا فشاركه أيضا فى الدخول إلى السجن

(١) الديوان ٣٤٨ . (٢) الديوان ٣٤٩ .

(٣) الديوان ٥١٥ . المسالك ١٢ : ٩٠ .

(٤) الديوان : فالدهر .

(٥) الديوان : شفة الظلام . المسالك : شفة... ثوب النهار .

(٦) الديوان ٥٢٩ . (٧) الديوان : ماء الحيا .

(٨) الديوان ٧٨٣ . المسالك ١٢ : ١٠٣ . الوفيات ٢ : ١٨٩ . الشذرات ٥ : ٣٥ .

(٩) المسالك : بروحى .

وقوله فى غلام أصاب ثغره حجر نثر أسنانه[1] : [من الخفيف]

نثر الدهرُ عقْدَ ثغْــرِ حبيبى ... فدموعى عليــه تحكى انتثاره

كلُّ سنٍّ كالأقحوانة كانتْ ... فغــدَتْ بالدماء كالجُلَّنــاره

كيف يسلو الفؤاد ذكر حبيب ... حسدتْنى عليــه حتّى الحجاره

وقوله من قصيدة صلاحية[2] : [من الكامل]

نظرالحبيبُ إلىّ من طَرْفٍ خَفِى ... فأتى السَّقامُ لمُدْنَف من مُدْنَفِ[3]

ودنا يُسكِّن نار قلبى خــدُّه ... أسمعــتمُ نارا بنــارٍ تَنطفى؟[4]

وقوله[5] : [من الخفيف]

/ بعثتْ لى على فمِ الطيفِ قُبْله ... فأتتنى بعضُ المسرةِ جُمْــلَه[6]

شعرُها كثرةٌ لنا بيت شِــعْرٍ ... فهْى فى القصر وهْى فى وسْط حِلَّه[7]

من رآها تسطُو علىَّ وتعطُــو ... قد رأى عَنْــترا وأبصر عَبْــلَهْ

وقــوله[8] : [من مجزوء الرمل]

نَصب الفــخُّ عــذارا ... تحتَــه الحَبَّــةُ خَالا

وقــوله[9] : [من البسيط]

والغصن يُعرَف فى البستان مَنْبِتُه ... وقد رأينا بلك البستانَ فى غُصُنِ

١٠ ظ / ٣

(١) الديوان ٣٦١ .

(٢) الديوان ٤٧٥ . المسالك ١٢ : ٨٨ .

(٣) الديوان والمسالك : فأتى الشفاء .

(٤) الديوان ٢٩٥ . المسالك ١٢ : ٩٤ .

(٥) المسالك : فسكن ... أرأيتم .

(٦) المسالك : تلك المسرة .

(٧) الديوان : وهى فى البيت .

(٨) الديوان ٨٢١ .

(٩) الديوان ٦٠٩ . المسالك ١٢ : ٩٥ .

وقوله [(١)] : [من الخفيف]

صدنت خمر الألحاظ فى كسر جفن فيه كسرٌ لقد أتيتَ بسحر [(٢)]

وجهه البدرُ فى الحروب ولا تعـ ـجبْ إذا كان يومُه يومَ بدر [(٣)]

وقوله [(٤)] : [من الطويل]

فلا تُنكِرا منها الخضابَ فإنما هى الغصنُ فى أطرافه الورقُ الخضْرُ [(٥)]

وكم سائلٍ قد قال لى : هى روضةٌ فقلت : وعِقْدُ الدُّرِّ فى جِيدها نهر [(٦)]

وقوله [(٧)] : [من الكامل]

يهوِى الحُسامَ من الضِّراب مُفلَّجا ويراه خَدًّا بالدماءِ مُورَّدا

وقوله [(٨)] : [من الخفيف]

طَلع الشيبُ فى عِذارى نجوما فرأيتُ النجومَ منها نهارا [(٩)]

/ وقوله من قصيدة فى الأفضل بن صلاح الدين [(١٠)] : [من مجزوء الكامل]

١١ د / ٣

سافرْ فوجهُ النصرِ سافـرْ فلَتَرجِعَنَّ وأنت ظافـر [(١١)]

ولتَظْهَـرَنَّ على عـدوِّك إنّ حِزْبَ اللهِ ظاهـر

ولتَقْصُـرَنَّ بك القيـاصر حـين تنكسر الأكاسـر [(١٢)]

---

(١) الديوان ٣٧٥ . (٢) الديوان : خمر الحاظ فى كأس جفن ؟

(٣) الأصل : إذ ، وبها ينكسر الوزن .

(٤) الديوان ٣٨٠ . المسالك ١٢ : ٨٣ .

(٥) الديوان : فلا تنكروا . المسالك : أطرافها .

(٦) الديوان : هل هى روضة ... النهر . (٧) الديوان ١٥٥ .

(٨) الديوان ٢٩١ . المسالك ١٢ : ٨٥ .

(٩) الديوان والمسالك : أطلع الشيب . الديوان : منه .

(١٠) الديوان ٣٩٣ . (١١) الديوان : فوجه العهد .

(١٢) الديوان : حين تكسر والأكاسر .

وقــوله[1] : [من الخفيف]

سألتني : مــا حالُ قلبك بعدي ربةُ البيت : أنتِ بالبيت أخبر[2]

وقــوله[3] : [من المتقارب]

أراهُ وما لى سبيلٌ إليه فراحــةُ قلبى ألا أراهُ

وقــوله[4] : [من الرجز]

يفخر من يقتــله بســيفه إذ كان يُحييــه بذاك القتلِ[5]

وقــوله[6] : [من مجزوء الوافر]

وقــد أفــنى الدنانيـ ـرَ وجــوهٌ كالدنانير

وقــوله[7] : [من مجزوء الوافر]

أحلّ الخمــرُ بعدكمُ سأشربُ غيرَ مكترثِ
فنــارُ القلبِ بعدكمُ تُصيّرها عــلى الثلثِ[8]

وقــوله[9] : [من مجزوء الكامل]

فى وجهـه بِشْرٌ ومن ألفاظه فى السمع بشرى[10]
والغصن يَحْسُن حين يُكـ ـسى وهو يَحْسُن حين يعرى

(١) الديوان ٣٩٨ . المسالك ١٢ : ٨٣ .
(٢) المسالك : قلبى .
(٣) الديوان ٨٧٠ .
(٤) الديوان ٦٠١ .
(٥) الديوان : يحيى ذكره بالقتل .
(٦) الديوان ٤٠٩ .
(٧) الديوان ١٣٢ .
(٨) الديوان : تصيره .
(٩) الديوان ٣٣١ .
(١٠) الديوان : للسمع .

١١ظ / ٣

وقوله (١) : [من المتقارب]

/ أيا عاذلى فيه لما رآه ... لئن كنت أعمى فإنى أصمّ

وقوله متغزلا فى عمياء (٢) : [من السريع]

شمسٌ بغير الليل لم تختفِ ... وفى سوى العينين لم تُكسَفِ (٣)

مغمدةُ المُرهَفِ لكنّها ... تَقتُلُ بالغِمْدِ بلا مُرْهَفِ (٤)

رأيتُ منها الخُلْدَ فى جُؤذرٍ ... وناظرَىْ يعقوب فى يوسفِ (٥)

وقوله (٦) : [من المديد]

عَدِّ عنى لستَ من أَرَبِى ... كان هذا حين كنت صَبِى (٧)

وَجْنَةٌ كانت أَبَا لَهَبٍ ... فغَدَتْ حَمّالةَ الحطبِ (٨)

وقوله (٩) : [من الخفيف]

أىُّ كفٍّ ما سَوَّرَتْها عَطايا ... هُ وعُنْقٍ ما قَلَّدَتْه عقودُهْ

إنّ يوما قابلتُ فيه مُحَيّا ... كَ لَيومٌ قد قابلتْنى سعودُه (١٠)

وقوله (١١) : [من المنسرح]

خاصمنى من سكتُّ عنه ... فظَنَّ أنْ ليس لى لسانُ

فقلتُ : ما أنت لى بخصمٍ ... وإنما خصمىَ الزمان

---

(١) الديوان ٧١٧ . المسالك ١٢ : ١٠٠ .

(٢) الديوان ٤٨٤ : المسالك ١٢ : ٨٩ . الوفيات ٢ : ١٨٩ . الشذرات ٤ : ٣٥ . نكت الهميان ٨١ .

(٣) الوفيات والشذرات : شمس بغير الشعر لم تحتجب . المسالك والنكت: تحتجب . الديوان : تحجب .

(٤) الشذرات : تجرح فى الجفن بلا مرهف . النكت : تفتك بالغمد .

(٥) الشذرات : الجلد... ومقلتى يعقوب . والخلد : حيوان أعمى يعيش فى باطن الأرض .

(٦) الديوان ٣ : ٢ . (٧) الديوان : لست من شغلى ولا أربى * كنت شغلى حين كنت صبى

(٨) الديوان : رجعت حمالة . (٩) الديوان ١٦١ ، ١٦٣ .

(١٠) الديوان : رأيت فيه . (١١) الديوان ٨٤٨ .

وقوله [(١)] : [من السريع]

١٢ و ٣

أثّر تقبيلى على خدّه (١) فهل رأيتَ العُشْرَ فى المصحف

وقوله [(٢)] : [من المنسرح]

يا ليلُ أمسيتَ بَرْدَ دارى (٣) إياك أن يدخلَ الصباحْ

وأنشد له صاحب الشعراء العصرية فى حكيم تاب عن الشرب عند ماقارب دخول رمضان [(٤)] : [من الطويل]

سمعتُ حديثا ليتنى ما سمعتُه (٥) فعندىَ منه مُقْعِدٌ ومُقيم

بأنّ الحكيمَ الآنَ قد هجر الطّلا (٦) وتاب ، فقلنا : ما الحكيم حكيم

وكم من يد عند الحكيم لكأسه (٧) غَدتْ ولها حقٌّ عليه عظيم

أنامتْ لهَ مَن لا ينام وربما أقامت له مالا يكاد يقوم

على الكوب من بعد الحكيم كآبةٌ (٨) وللجام من دون الحكيم وجوم

ومن بعده زوج الخلاعة طاعةٌ (٩) ومن بعده أم السرور عقيم

وطمننى إبليس حين عتبته بأن قال : هذا الأمر ليس يدوم

إذا ما انقضى شهر الصيام فإننى (١٠) بتحليل ناموس الحكيم زعيم

---

(١) ديوانه ٤٨٦ . (٢) لم أجده فى ديوانه . وهو فى بدائع البدائه ١٥١ .

(٣) بردار : معربة من الفارسية پرده دار ، بمعنى الحاجب . وفى البدائع : أن يهجم الصباح .

(٤) الديوان ٦٩٤ . المسالك ١٢ : ٩٨ .

(٥) الديوان : سمعت بأمر . الديوان والمسالك : لا سمعته .

(٦) الديوان : ترك الطلا .

(٧) الشطر الثانى فى المسالك : تقلده الإحسان وهو جسيم .

(٨) الديوان : وفى الجام من بعد الحكيم .

(٩) الديوان : الخلاعة طالق ، وطاعة : طائعة .

(١٠) الديوان : إذا ما خبا وهج المصيف .

وقوله[1] : [من البسيط]

أعاطلَ الجيدِ إلا من محاسنه عَطِلْتُ فيك الحشا إلا من الحزن[2]

في سلك جسمي خيطُ الدمع منتظِمٌ فهل لجيدك في عقد بلا ثَمَن[3]

لا تخشَ مني فإني كالنسيم ضنًى وما النسيمُ بمخْشِيٍّ على غُصُن[4]

١٢ظ / ٣

وقوله[5] : [من السريع]

يا رُبَّ علْق قال لي عاتبـا : يا هاجري ظلمـا ولم أهجرِ[6]

مُعْتَزِليًا صرتَ ، قلتُ : اتئـدْ واعتبْ على مَبْعَـرك الأشعري[7]

وقوله[8] : [من الطويل]

يُعانقها من دونيَ العقـدُ وحدَه فيا عجبًا يا قومُ لِمْ يَقْلَق العقدُ ؟[9]

شرف الدين حسن بن موسى بن سناء المُلك[10]

الترصيع التوشية التعريف

هو الآن صاحب الخزانة السلطانية بالقاهرة ، وهو أحد أجواد العصر وفُضلائه ، ولو لم يكن له من المكارم إلا اشتماله على أديب الديار المصرية وشاعرها الزكي بن أبي الإصبع ، فإنه آخذ بيـده . ومن شعره ما كتب لي بخطه :

النظم

[من مجزوء الكامل]

---

(١) الديوان ٨٥٥ ، الخريدة ١ : ٩٤ ، الوفيات ٢ : ١٨٩ ، المسالك ١٢ : ١٠٢ ، عنوان المرقصات ٦٩ .

(٢) غير المغرب : يا عاطل .

(٣) غير المغرب : در الدمع .

(٤) الديوان والوفيات : الغصن .

(٥) المسالك ١٢ : ٧٩ ، وليس في الديوان .

(٦) المسالك : لي مرة .

(٧) المسالك : معتزلي .

(٨) الديوان : ٢٢٥ .

(٩) الديوان : لم يلتق ، تحريف .

(١٠) المسالك ١٢ : ٢٤٥ : أبو محمد .

أفدى الذى ودعتُه والشمسُ تجنح للغُروبْ

بـدران خبَّر همـا لدى ـك عن العيون إلى القلوب

قمـرٌ رأى قمـرا نوى سَفَرا فوافق فى المغيب

/عهدى بـه ودموعُه فى الخـد كالدرّ الرّطيب

ومدامعى مثـلُ العقيـ ـق جرَتْ، كذا دمعُ الكئيب

فضممته حتى خشيتُ عليه من نَفَسى المُـذيب

وجعلتُ ألثمـه فيَلْثمنى عـلى رغـم الرقيب

ويقول، وهْو ملاحظى بلواحظ الرّشأ الرّبيب

لا كانت الدنيـا التى تُنْئى المحبَّ عن الحبيب

وقوله : [من الكامل]

كُتبى لكم بدم النواظر سُطِّرَتْ لا تحسبوها سـطرت بمِداد

لكنّ نارى أحرقتْ أجزاءه حتى أحالت لونـه لسـواد

وقوله (١) : [من الوافر]

وساقية نزلتُ بهـا وإنِّى أودِّعـه كتوديع المَـرُوعِ

فصوتُ حنينها يحكى أنينى وفيضُ مياهها يحكى دمـوعى

الناظر الأشرف أبو القاسم حمزة بن عثمان المخزومى المصرى

بنو عثمان إلى الآن بالقاهرة مشهورون، يتقدمون على الدواوين السلطانية.

وأبو القاسم عميدهم / وسيدهم. ولمـا غَصَّ به الصاحب بن شُكْر وخاف على الوزارة منه، نصب له حبائل العداوة. ففر أمامه، وعاد من إربل (٢) إلى القاهرة

(١) المسالك. (٢) إربل: من مدن شمال العراق، إلى الجنوب الشرقى من الموصل، على خط عرض ١٢َ ٣٦ْ شمالا، وطول ١َ ٤٤ْ شرقا.

بعد ما أقام بحلب مدة . فلم يزل يقاسي من عداوة ابن شكر شدة إلى أن حضر يوما مجلسه ، فصاح عليه ابن شكر في أثناء نزاع وكلام ، فخرجت نفســه في ذلك المكان . وكان ذلك من أعجب وقائع الزمان ، في سنة ست عشرة وســتمائة .

وذكره ابن المستوفي (١) وأخبر أن أبا الخطاب بن دحية (٢) قال لمــا رآه بإربل : يا لله ، ابن عثمان على شرف منصبه يَرِد إربل ! وأنشد قوله : [من الكامل]

النظم

إني لأعجبُ من تَعدّي طَوْرِه حتى يَضيق عليَّ منــه المجلسُ

وقوله : [من الطويل]

مَطايا الليالي بالأنام تســيرُ وعارضُ شيبِ العارضَيْن نذيرُ

وقد حَدَّثتْ خمسون عاما قطعْتُها بأن الذي من بعــدهن يَسير

العماد بن السلماسي / عثمان بن إسماعيل بن خليل (٣)

١٤ ر
٣
النسب
الترصيع
التاريخ
التعريف
الحكاية والتوشية

أبوه من سَلَماس إحدى مدن أذربيجان ، انتقل منها إلى القاهرة . ووُلد له بها العماد على ما ذكر لي سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وبها نشأ . وتنقــل في البلاد الشامية والجَزرية كاتب دَرْج تارة وكاتب ديوان أخرى . وكان

(١) شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمــد بن المبارك اللخمي الإربلي ، وزير اربــل وقاضيها ومؤرخها ، ولد في ٥٦٤ ومات في ٦٣٧ بالموصل ، وخلف ديوانا وعدة كتب في الأدب والتاريخ — الوفيات ١ : ٤٤٢ . العبر ٥ : ١٥٥ .

(٢) عمر بن حسن بن علي الكلبي الداني ، الحافظ اللغوي ، جال في مدن الأندلس ثم حج في الكهولة فسمع بمصر والعراق ، وعينه الكامل شيخا لدار الحديث بالقاهرة ، ومات في ٦٣٣ عن ٨٧ سنة . وله عدة مؤلفات — العبر ٥ : ١٣٤ .

(٣) عقد في المسالك ١٢ : ٢٤٣ ترجمة لمن سماه « أبو بكر محمــد بن عثمان بن إسماعيل السلماس » غير أنه نسب له البيتين القافيين التاليين . وليس من البين أيعني ذلك أن البيتين لابن هذا الرجل أم يعني أن الشاعر الذي أراد المؤلف الترجمة له صواب اسمه محمد لا عثمان .

لقائى له فى القاهرة وهو ناظر على البيمارستان السلطانى الذى بها . فوجدت به أنسا أنسانى كل صديق ، ومعونةً على الغربة فى بعض الأحيان لم يخرج فيها — إلى أن توفى رحمه الله — عن الطريق .

ووصلت فى بعض الأحيان رسالة من الأخ المخلص أبى العباس الغسانى كاتب سلطان إفريقية ، وفيها فصل يلتمس فيه لطائف من أشعار المشارقة . فأعجب العماد بالرسالة نظما ونثرا وخطا . فحثَّثه على أن جمع تصنيفا فى جوابها ، وبعث به إليه ، وكتب لى منه نسخة بخطه . وفى أثنائها ما أورد هنا من نظمه / ونثره ، وهو عالى الطبقة فى النوعين .

١٤ظ / ٣

وكانت وفاته رحمه الله بالقاهرة ، وحضرتُ جنازته ، وذلك فى سنة أربع وأربعين وستمائة .

فمما اخترته من نظمه قوله يخاطب الصاحب الفاضل جمال الدين ابن مطروح[1] : [من البسيط]

النظم

يا سيِّدا ملأ الدنيا على سعةٍ ... قصائدا قد سرتْ فى العُجْم والعَرَبِ
لولا الحَمامُ على الأغصان تُنْشِدها ... ما اهتزَّ مائدُها من شدّة الطَّرَب
والخمرلو عَدِمت أوصافَها لَغَدتْ ... وما على كأسها دُرٌّ من الحَبَب
قد شاكَلَتها الصَّبا فى رقةٍ فغدَتْ ... تشفى النفوس من الأدواء والوَصَب
كالأنجمُ الزُّهْرِ فى طَىِّ الطُّروس فهل ... تناولتْ كفُّك الجَوْزاءَ من كَثَب ؟
وناجِمُ الزَّهرِ فى أرض الرياض فهل ... جادالحَيا ذهنَكَ الصافى بمُنسكِب؟[2]

---

(١) أبو الحسن يحيى بن عيسى ، ولد بأسيوط ٥٩٢ ، ونشأ بقوص ، ثم اتصل بالملك الصالح وتنقل معه حتى صار وزيره ، واعتزل الخدمة فى آخر حياته ، وتوفى فى ٦٤٩ ، وكان شاعرا مجيدا — الوفيات ٢ : ٢٥٧ . العبر ٥ : ٢٠٤ .

(٢) نجم : ظهر وطلع .

مسافة البعد فيما بيننا قُربت ... وبيننا أدب يُغني عن النسب
وبي افتقار إلى تعليق فائدة ... من دُرّ نظمك تُروى عند مُنقلبي
فاكتُبْ بسهمي ولا تبخل فقد وجبتْ ... على عُلاك زكاةُ الشعر والأدب

وقوله في رثاء صبي اسمه سيف: [من الطويل]

/ ستُذرف أجفاني عليك دموعها ... ولا غروَ أن تبكي على السيف أجفانُ

١٥ ر / ٣

بكتْك عيون الشُّهْب إذ كنتَ بدرها ... وغالك من قبل التتمة نقصان
وناحتْ عليك الوُرْقُ إذ كنت غُصنها ... وقد قطعوه وهْو أخضر ريّان
وشقتْ يمينُ الصبح فيك عن الدجى ... قميصا فأضحى وهو للحزن عريان
بكتْ فَقْدَك الدنيا قديما بدمعها ... فكان به في سالف الدهر طُوفان
تَهلهل ثوبُ الصبر بعدك وامّحتْ ... رسوم التّسلي وانحنى الرّنْد والبان

وقوله: [من مجزوء الكامل]

يا نجمُ أين زمانُنا ... والعيشُ مقتبِلُ الشبابْ
ويدُ الصّبا مني ومنـ ... ـك تجرّنا نحو التصاب
فنطيعها ونود لو ... طرنا بأجنحة السحاب
أيام لا يجد العذو ... ل لنا طريقا في العتاب
ونكاد نَلْحَى من نرا ... ه يردنا نحو الصواب
أيام أرفُل في الريا ... ض وأمترى صفو الشراب
صفراءَ عند بزالها ... كالنّصْل سُلّ من القِراب

وقوله من قصيدة يمدح بها الوزير ابن شكر : [من الطويل]

١٥ ظ / ٣

/دعانى من ذكر العذيب وبارق(١) فقد شاب من ذكر العذيب مفارقى

أروح بقلب للهموم مواصل وأغدو بجفن للرقاد مفارق

أحن إلى برق على الغور لامع وأصبو إلى طيف من الشام طارق

وكم قلتُ لما همّ قلبى بسلوة : أتغترّ يا قلبى بصبر منافق؟

وتطمع أن تبقى على البعد بعدهم وذلك فى حكم الهوى غير لائق؟

ومستعذب الألفاظ قاس فؤاده حماه التجنّى أن يلين لعاشق

حوى وجهه روضا فأصبحتُ فى الهوى أهيم بأحداق له وحدائق

سقى الله ساعات أخذنا اجتماعنا بها من يد الأيام إخذة سارق(٢)

وحيّا ديارا إن تزرها تجد بها طبيبا لأسقام وطيبا لعاشق

وقوله : [من السريع]

مرّ بنا فى وجهه عبسة مزرورة الجيب على بشر

تحسبه من تيهه كارها وهو مريد لك لو تدرى

أما تراه عندما نلتقى يرمقنى بالنظر الشزر

وإنما الواشى سعى بيننا واستحسن التشنيع فى أمرى

فاحتاج أن يظهر لى جفوة وهو لعمرى واضح العذر

---

(١) العذيب وبارق : موضعان فى شبه الجزيرة العربية ، غير أن المتأخرين من الشعراء استخفوهما فأكثروا من ذكرهما تقليدا .

(٢) البيت والذى بعده فى المسالك ١٢ : ٢٤٤ .

١٦ و / ٣

/ وقوله : [من الوافر]

سلامٌ من أخى كَلَفٍ ووَجْـد عليكم ، جيرَتى وأهَيْلَ وُدّى

ذكرتُ العيشَ فى تَلَعات نجـد وأين العيش فى تلعات نجـد ؟ (١)

زمانا كنت من طربٍ ولهـو أتيـه بصبوتى وأجـرُّ بُرْدى

ولا دمعى يَسـيل أسى لبَـيْنٍ ولا قلبى يذوب جَوًى لوجـد

وقوله من مرثية فى جارية : [من البسيط]

ما خلتُ قبلك أن الشمسَ مغربها لَحْدٌ ولا أنّ غيمَ البـدر أكفانُ

وقوله ، وهو من حسناته : [من الخفيف]

بحياتى عليك خـذها فإنى واثقٌ منك أن تَبَرَّ حيـاتى

لا تلمنى على انعطافى إليها مع ما فى الحَباب من واوات

وقوله : [من المتقارب]

ألمّ بنا عنـد وقتِ المغيبِ فكادتْ به الشمسُ أن تظهرا

حبيب حبيب لكل امرئ لمن قـد رآه ومن لـم يَرَا

رأيت الغزال ، رأيت الهلال رأيت القضيب إذا أثمـرا

ولو لم يكن غُصُنا ناضـرا لَمَـا كان ملبسُـه أخضرا

١٦ ظ / ٣

/ وقوله من قصيدة : [من الطويل]

وصَوَّح نَبْتُ الجود من قلة الندى وأعْوَزَ من يشكى إليه ويَسمع (٢)

وقوله : [من الكامل]

ما حدّثتك نُسَـيمةٌ بالأجْـرَع عما لقيتُ من البـدور الطُّلَّعِ (٣)

(١) التلعة : مسيل الماء .

(٢) صوح النبت : يبس .

(٣) الأجرع : الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها .

هب أنهـا ما حدثتك بمـا جرى ... أفَـا سَقامى شاهـد وتوَجُّعى؟
فخُذا بنـا نحو الأُثَيل لعلَّه ... يَشْفِى الجَوَى شكوى الذى صنعوا معى
أنزلتُهـم بين الضلوع بمنـزل ... لا يهتدى السلوان فيـه لموضع
فأضاع ودى خائن عهـدَ الهوى ... وُدِّى الفـداءُ لخائنٍ ومُضَـيِّع
وأبيك ، ما صَرَّعتُ درَّ تغـزُّلى ... إلا لدرٍ فى الثغـور مرصَّـع
طُبِعت به عينى فبدّد جفنهـا ... ياقوتُ دمعى فى رسوم الأَرْبُـع

وقوله : [من مجزوء المنسرح]

قالتْ وجادتْ بوصل ... وقرطُهـا يَتَـلالا
وجهي هو البدر لكنْ ... زِدْناك فيـه هلالا

وقوله : [من الوافر]

أَلمَّ بنـا وجنحُ الليـل داجٍ ... فلاح الصبحُ من ذاك المُحَيَّـا
/ وكان بقـرطه حبـاتُ در ... فقلت : الفجرُ يَطلعُ بالثُّريا

١٧ ر / ٣

وقوله : [من الطويل]

ولمـا ترامت أعينُ الناس نحوَه ... تلاحظه كيف اسـتقلَّ وسارا
تمثّلت الأهدابُ فى ماء خدِّه ... فظنّوا خيال الشَّعْر فيه عِذارا

وقوله : [من السريع]

فاعجبْ لليلٍ طال من شـعره ... وفَرْقُه خيطُ سَـنا الفجرِ

وقوله : [من الطويل]

ولمـا بدا للناظرين كأنمـا ... على وجهه للحسن ثوبُ شَقيق (١)
تخيلت خالا فوقَ صفحة خده ... بقيـةَ مسكٍ فى إناءِ عقيـق

(١) الشقيق : ورد أحمر ، شبه به الخد .

وقوله من قصيدة فى رثاء : [من مجزوء الكامل]

شَقَّت عليــه يدُ الأسى ثوبَ الدموعِ إلى الذيول

وقوله : [من الكامل]

كانتْ ليالينــا ونحن بجِلَّق أشهى لأَعْيُنِنا من الأيــام(١)

إذ نجتلى من حسن وجهك روضة ونَعُلُّ من شفتيك كأسَ مُدام

يابرقُ إنْ سَفَحت غيومك بالندى فعلى أراكٍ يانع وبَشــام

/ وعلى قدود البــان فى أغصانه وعلى روابٍ بالحمى وإكام(٢)

حَيِّا الحيَا تلك الطلولَ وإن عفَتْ فصبابتى وَقْفٌ لهــا وغرامى

١٧ظ / ٣

وقوله : [من المتقارب]

إذا ماجفــا صاحبٌ صاحبا إذا غاب عنــه ولا يسألُ

فــذاك دليــلٌ على أنــه متى جاءه زائرا يثقُــل

وقوله فى رئيس عندما قَدِم عليه : [من البسيط]

اليومَ أولُ أعيــادى وأفراحى فاشربْ هنيئا وحُثَّ الراحَ بالراح

وعاطِ أسمرَ خمــرى من مَراشفه ومن سَنا وجهه صبحى ومصباحى

أما ترى الروض قدحاكت غلائلهُ أكُفُّ غيثٍ من الوَسْمِىِّ سَحّاح

والدهرَ أعطاك أمنا من حوادثه بوجهِ أبلجَ بادى البشر وَضّاح

هَشٌّ فليس بعباس وإن شُرِفتْ منــه الملوكُ بمنصورٍ وسَــفّاح

(١) جلق : دمشق .

(٢) الأراك : شجر من الحمض يستاك به . والبشام : شجر عطر الرائحة ، ورقه يسود الشعر ، ويستاك بقضبه .

جَمُّ النوال بلا مَنٍّ يكدّره رَحْبُ الفناء لمحتاج ومُجْتاح
يعفو عن المذنب الجانى وإن كثرتْ منه الذنوب ولا يُصغى إلى اللاحى

وقوله من قصيدة فى الملك الأشرف لما هزم الخوارزمية على سلطنة أرمينية ، وورَّى باسم الغُراب ، وهو : [من الطويل]

وأشبعتَ من قتلاهمُ الطير فى الفَلا إلى أن غدا يُثنى بجودك حاتم

١٨ و / ٣ / ومن رسالة كتب بها إلى الصاحب تاج الدين بن الصفى بن شكر :

النثر « يقبِّل اليد الكريمة ، بسطها الله بالإحسان ، وجعلها حاكمة على جِيد الزمان ، مستعبدة بجودها كل إنسان ، راقمةً ببَنانها عَلَمَ كل طِرْس من علْم البيان ، هاميةً على أوليائها بوابل كرمها الهَتّان . . . .

ويستسقى سحائبها ، ويستهدى غرائبها ، ويستخرج مكنون دُرِّها من صدرها ، ويتعلم من هاروت نثرها ونظمها ، عجائب سحرها ، ليجلو عرائسها المجلوَّة ، ويكرر آيات سور محاسنها المتلوَّة . فيجمع الفوائد الجمة بمفصَّلها ، ويُحرِز الفرائد بمحصَّلها ، ويرصد طوالع السعود من فلك طِرْسها ، ويهتدى بأنوار البلاغة فى ظلمات نفسها . فلولا أنها موروثة لحلناها سُوَرا ، ولو أنها لدينا لا تُطْوَى ظنناها حِبَرا . وقد جمع نِقْسُها وطرسها بين آيتى الليل والنهار ، وأبان فيها مرارا عن بلاغة لا يعرفها ابن آكل المُرَار[1] . فلله مُدبِّر إكسير تبرها

١٨ ظ / ٣ / ومدير كؤوس خمرها ، وناظم درِّ نثرها ، وجالب درها ، وحالب دَرِّها .

(١) يريد امرأ القيس ، شاعر الجاهلية المعروف .

لقد أنس المملوك بآياتها التى تُنْسَخ ولا تُنْسَى ، وعَرَف لها عَرْف حُرّية لا تَنْسَخ ولا تَنْسَى ، وادخر منها الذخر الثمين ، وعلم أنها يتناولها كما يتناول كتابه باليمين .

فخر القضاة بن بصاقة[1]

سلم له الملك الناصر[2] بن الملك المعظم بن العادل بن أيوب أعمال دولته ، واتصلت به صحبته بعد صحبة أبيه إلى أن لم يبق بيد الملك المذكور إلا حصن الكرك . واقتضى ضيق الوقت تقلبه بين شدة ورخاء إلى أن قوّض خيامه عن تلك الأرجاء . وأُخبرت أنه الآن بحضرة الخلافة : بغداد ، حماها الله .

وذكر لى جماعة ممن يعرفه أنه جليل القدر عظيم البلاغة . ولم أقف له على نثر ، وإنما أخبرت أنه كتب مع العماد السلماسى المتقدم الذكر إلى السيف الآمدى[3] العالم المشهور ، وقد رغب إليه العماد فى الاستفادة من مشافهته / فأحاله على مطالعة الكتب . فشكا ذلك إلى فخر القضاة وأراد تنبيهه عليه .

١٩ ر
٣

[من البسيط]

ولا تَكِلْه إلى كُتْبٍ يُطالعها (فالسيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ)

وذكره السَّلَماسى فى الرسالة التى وجهها إلى إفريقية . وأنشد له فيها :

[من المتقارب]

وعلق تَعَشّقْتُه بعد ما غَدا وهو من سَقَطاتِ المتاع

ولم يبقَ فى المُرْد إلا كما يقال على أكلة والوداع

---

(١) الشذرات ٥ : ٢٠٢ . وهو أبو الفرج نصر الله بن هبة الله الحنفى الكاتب ، ولد بقوص ٥٧٧ ومات بدمشق فى ٦٤٦ أو ٦٥٠ . (فوات الوفيات ٢ : ٥٩٧ . بدائع البداية ١٤٦ . حسن المحاضرة ١ : ٥٦٧) . (٣) صاحب الكرك ، ولد فى ٦٠٣ ، وملك دمشق بعد أبيه ، ثم أخذها منه عمه الأشرف ، فتحول إلى الكرك ثم أخذها منه الملك الصالح ، ومات بدمشق فى ٦٥٦ — العبر ٥ : ٢٢٩ .

(٣) أبو الحسن على بن محمد بن سالم التغلبى ، ولد فى ٥٥١ ، وتنقل بين العراق والشام ومصر ، واشتغل بالتدريس والتأليف فى أصول الدين والفقه والمنطق والحكمة والخلاف إلى أن مات بدمشق فى ٦٣١ — الوفيات ١ : ٣٢٩ .

فعاجلتُه عن دخول الكَنيفِ بشُحٍّ مُطاع ورأى مُضـاع
فأغرقنى منـه نَوْءُ البُطَيْنِ ورَوّاه منّى تَـوْءُ الذّراع

الزين بن جبريل المصرى

هو وأبوه من المشتغلين بالدواوين . لقيته بالقاهرة وهو ما خط عذاره ، لطيف الشمائل ، حسن الخلق والخلق ، يحفظ من الشعر البديع . فأنشدنى له ولغيره ما تطيب به محاضرته ، وتحسن مناظرته . وبالجملة فهو على صغر سنه كبير القدر فيما يسمع ويقول . / فمما أنشدنى من شعره ، فاستحسنته قوله :

١٩ظ / ٣

[من البسيط]

إذا تـذكرتُ أيامى بكاظمـة تهزّنى نحوَها الأشواقُ والطّـرَبُ
ولى على الرمل من وادى الحمى قمرٌ ممنّـعٌ حولَه من سـرِّه شُهُب
إن ماس فالغصنُ بالأوراق مستتر أو لاح فالبدرُ بالأنواء محتجب (١)
عذارُه بسـواد القلب منتقِش وخـدُّه بدم العشـاق مُختضب

وقوله : [من الخفيف]

وشموع مثـل المَعاصم بيض رَفعتْ أكؤُسا من الصّـهْباءِ
وكأن المقطوطَ منهـا احمرارا لونُ خـدٍّ مضرَّج بالحنـاء
وإذا ما انطفَتْ تُحاكى عيانا قطعــةً من ذؤابة سـوداء

وقوله : [من الكامل]

يا ربَّ ليل بتُّ فيـه مسهّدا قد طال حتى خلتـه أحقابا
لمـا بدا فيـه الصباح حسبتُه من طول عمر ظلامه قـد شابا

(١) فى الأصل (ملتبس) وفوقها (مستتر) دون أن يحذف إحداهما .

وقوله فى وصف نظم : [من البسيط]

لو تفهم الراحُ معنى لفظِه خَلعتْ عليه ما لبِستْ من جوهرِ الحَبَبِ

وقوله : [من الكامل]

٢٠ ر / ٣

/ الياسمينُ البِكْرُ فى أغصانه ورؤوسُه محمــرّةٌ كالعنْــدَمِ

يبدو لنــا كخناجرٍ مصقولة قد خُضِّبت أطرافُهن من الدم

وقوله فى صبى أسود مستحسن الصورة : [من البسيط]

وأسود قد حباه القلبُ حَبَّته حُبًّا له وكسته صِبْغَها المُقَلُ

كأنما هو فى خد الجمال لمن يراه خال وفى أجفانه كَحَل

تاج الملك إسحق بن أبى الثناء المعروف بابن كاتب قيصر

من أعيان النصارى المصريين ، الساكنين بالقــاهرة ، المتصرفين فى عصرنا فى الأعمال السلطانية . له فى الياسمين الأبيض : [من البسيط]

يا حبّذا ياسمينُ الروضِ حين غدا يهدى من الطِّيب ريحا غير مُنكتِم

كأن زَهْرَته فى كفّ لاقطهــا والروضُ منتثر فى إثر منتظِمِ

فراشةٌ هُجرت حتى إذا وُصِلت تلازمتْ مع من تهوَى فمـًا بفم

أخوه علم الملك إبراهيم بن أبى الثناء

٢٠ ظ / ٣

لقيته بالقاهرة وهو مشتغل بشغل سلطانى ، فشاهدت / منه نصرانيا لطيف المحاضرة ، ظريف المحاورة ، جيد الفكرة والبديهة . أنشدنى لنفسه فى الياسمين المحشو بالأحمر : [من المتقارب]

أرى ياسمينا مُحَشًّى غدا إلى النَّدِّ فى نَشْره ينتمى
كشِبل فُضاضةِ نَضْفيّةٍ تلوَّثَ أطرافُها بالدم

وحاضرته يوما فى رسالة ارتجلت فيها : [من الكامل]

لله روضةُ خاطرٍ قد جادها صَوب العقول فأينعتْ زَهَراتُها
أشطارها شَجَراتها ، وغصونُها أَلِفاتها ، وحمامها هَمَزاتها

ومن كتاب الإحكام فى حلى الحكام

أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل[1]

قال صاحب الخريدة : كان داعى الدعاة بمصر للأدعياء ، وقاضى القضاة لأولئك الأشقياء ، يلقبونه بفخر الأمناء ، وهو عندهم بالمحلة العلياء . وذكر أن السلطان صلاح الدين صلبه لكونه أراد عود الدولة ،ومبايعة أحد ولد العاضد ، فى غرة رمضان سنة تسع وستين / وخمسمائة . وذكرأنه سمع السلطان صلاح الدين يذكره ، وأنه أنشد له هذين البيتين فى غلام رَفّاء :

٢١ ر
٣

[من المنسرح]

يا رافيا خَرْقَ كلِّ ثوبٍ ويارَشًا حبُّه اعتمادى[2]

عسى بخيط الوصال تَرْفو ما مَزَّق الهجرُ من فؤادى[3]

قال ابن سعيد : الصحيح أنهما لابن القابلة السَّبْتى . وأنشدنى الزكى بن أبى الإصبع لهذا القاضى :

[من الطويل]

---

(١) الخريدة ١ : ١٨٦ ، الروضتين ١ : ٢٢٤ ، العبر ٤ : ٢٠٩ ، الشذرات ٤ : ٢٣٥ .

(٢) الخريدة والروضتين : اعتقادى .

(٣) الخريدة والروضتين : بكف الوصال .

لئنْ كان حكمُ النجم لاشكَّ واقعا فما سعْيُنا فى دَفْعه بنَجيح
وإن كان بالتَّخييل يُمكن دفعُه علمنا بأنّ الحكم غيرُ صحيحِ

وأنشدنى له الرشيد بن عبد العظيم : [من مجزوء الرمل]

آه من عُمْرٍ تَولَّى وزمانٍ لا يُرَدُّ
وأناسٍ ليس فيهم مع بحْثى من أَوَدّ
أصبحوا غُلّاً وقد كا ن بهم للدهر عِقْد

ومن كتاب الريحانة فى حلى ذوى الديانة

عمـــــر بن الفـارض[1]

٢١ ظ / ٣

/ أخبرنى من كان يصحبه أنه من فضلاء القاهرة، لطيف الشمائل، حسن الزى، على شكل الفقراء الصوفية، قد رفض أمداح الناس، وأراح فكره من الوسواس، وانقطع إلى طريق الآخرة، واعتمد القناعة والمسرة بالحالة الحاضرة. وكانت وفاته بالقاهرة. وأنشدنى له مُلْغِزا فى النوم، وهو من حسنات الألغاز[2]:

[من السريع]

ما اسمٌ بلا جسمٍ بلا صورةٍ[3] ... وهْو إلى الإنسان محبــوبه

حاشيتا الإسمِ إذا أُفــردا ... أَمْرٌ به، والأَمْنُ مصحوبه

حروفُــه أنَّى تهجَّيتَهــا ... فكلُّ حرفٍ منــه مقلوبه

---

(١) عمر بن على بن المرشد، الحموى الأصل، المصرى المولد والوفاة، ولد فى ٥٧٦، ومات فى ٦٣٢، مخلفا ديوانا من أجمل شعر العشق الصوفى — الوفيات ١ : ٣٨٣، العبر ٥ : ١٢٩، حسن المحاضرة ١ : ٥١٨.

(٢) ديوانه (دارا صادر و بيروت ١٣٧٦ / ١٩٥٧) ٢٠١.

(٣) ديوانه : يرى صورة.

وقوله[1] : [من السريع]

أخـذتَ قلبي ثم صَبّرتَنى ... بأىّ قلبٍ بعـده أصـبرُ؟

توريدُ خَدّيك إذا أخجلا ... من لحظِ عيني مَوْتَى الأحمر

لا تُنكروا موتىَ من طَرْفه ... فالمـوتُ بالصارم لا يُنكَرُ

وا بأبي حُلو اللَّمَى أسمـر ... يفتك فينـا وكذا الأسمـر

إنْ كان فى وجنتـه جنة ... فثغـرُه من تحتها كوْثر

وكانت وفاته سنة خمس وثلاثين وستمائة .

شهاب الدين أبو عبد الله محمد ابن عبد المنعم الخيمى[2]

٢٢ د / ٣

الترصيع : التوشية والتعريف التاريخ

من أفضل من لقيته بالقاهرة ، شاب السن ، شيخ العقل والعلم والدين ، له دكان يشتغل فيه بالخيَم ، سَتَر وجهه عن الناس ، وألبسه عن مدحهم رداء العز والياس ، وهو مشهور عند الناس بالتزام طريقة الخير ، وأبوه كذلك . وهو الآن على مافى علمى حى يرزق ، وكذلك أبوه . ولمكانه من الدين وطريقة الخير ، عدّ له قاضى القضاة بالقاهرة ، وخلع عليه تلك الحلة الرفيعة الباهرة . وكثيرا ما كنت آنس به ، وأستنشده مليح شعره .

فمما أنشدنيه لنفسه قوله من قصيدة مشهورة[3] : [من البسيط]

النظم

يا مَطْلبا ليس لى فى غـيره أَرَبُ ... إليك آلَ التقصّى وانتهى الطَّلَبُ

(١) لم أجده فى ديوانه .

(٢) المسالك ١٢ : ١٩١ . فوات الوفيات ٢ : ٤٥٨ . شـذرات الذهب ٥ : ٣٩٣ . حسن المحاضرة ١ : ٥٦٩ ولد فى ٦٠٣ ومات فى ٦٨٥ .

(٣) الفوات ٢ : ٤٥٩ . وادعى ابن إسرائيل هذه القصيدة فأثار خصومه بينه وبين الخيمى .

ومنها قوله :

بالله إنْ جُزْتَ كُثبانا بذى سَلَم … فقفْ عليها وقل لى : هذه الكثب [1]

وملْ إلى البان من شرقىّ كاظمة … فلى إلى البان من شرقيها طَـرب [2]

/ يا بارقا بأعالى الرّقمتين بـدا … لقد حكيتَ ولكن فاتك الشّنَب

ويا نسيما سَرَى من جـو كاظمة … بالله قل لىَ : كيف البان والغَرب؟ [3]

وكيف جيرةُ ذاك الحىّ هل حفظوا … عهدا أراعيه إن شَطُّوا وإنْ قربوا

٢٢ظ / ٣

وذكر نجم الدين بن إسرائيل [4] فى البلاد حيثما توجه أن البيت الذى أوله * يا بارقا بأعالى الرقمتين بدا * من شعره. واشتهر ذلك وبلغ الشهاب فاغتاظ وصنع قصيدة يعرِّض به فيها ، ويذكر القضية ، منها :

[من البسيط]

لله قومٌ بجَرْعاء الحمَى غُيُبُ … جَنَـوا علىّ ولمـا أن جنوا عَتَبوا [5]

يارَبِّ هم أخذوا قلبى فلِمْ سخطوا ؟ … وإنهم غَصَبوا عيشى فلِمْ غضبوا ؟

همُ العُـرَيْبُ بنجدٍ مذ عرفتهمُ … لم يبـقَ لى مَعْهمُ مال ولا نَشَب

شاكُون للحرب ، لكن من قُدودهمُ … وفاترات اللّحاظ السمرُ والقُضُب [6]

وما ألمّـوا بحَىّ أو ألمَّ بهـم … إلا أغاروا على الأبيات وانتهبوا [7]

من مُنصفى من مليح منهمُ غَنِجٍ … حلو الدلال لإسرائيلَ ينتسب؟ [8]

---

(١) الفوات : قف بى عليها .

(٢) الفوات : أرب .

(٣) الفوات : حى كاظمة ... العذب .

(٤) أبو المعالى محمد بن سوار الشيبانى ، ولد بدمشق ٦٠٣ ، ومات بها ٦٧٧ ، مدح الرؤساء والقضاة ثم تصوف — فوات الوفيات ٢ : ٤٣١ .

(٥) المسالك : بجرعاء اللوى .

(٦) المسالك : اللحظ والسحر .

(٧) المسالك والفوات : فما .

(٨) المسالك والفوات : من لطيف منهم غنج لدن القوام .

مُبدّل القول ظلمًا لا يفى بمــوا … عيد الوصال ومنه الذنب والغضب
فى لثغية الراء منــه صدقُ نسبتِه … والمَينُ منه بزُور الوعد، والكذب (١)
/ حلو الأحاديث والألفاظ ساحرها … يُلْقِى –إذا نطق– الألواحُ والكتب (٢)
لم يُبْقِ منطقهُ قولا يَروق لنــا … لقد شكتْ ظلمهُ الأشعارُ والخطب (٣)

وقــوله : [من السريع]

يا صاحِ يا صاحِ البدارَ البدارْ … فقد صحا الشرقُ وصاح الهـَـزار (٤)
وهبَّ مِسْكىُّ نســيم الصَّــبا … فانهضْ نُباكرْ لــذةَ الإبتكار (٥)
وقُمْ بنــا نحوَ ابنــةِ الكَرْمِ أمْ … مِ الدهر زوج الماء أخت النهار (٦)
ثم اجْلُهــا عذراءَ من ذاتِهــا … صيغتْ حُلاها والحَبَاب النُّثــار
صهباءُ خمرٌ قرقفٌ سَلْسَــلٌ … مُــدامةٌ راحٌ سُلافٌ عُقَــار
كوجنة الساقى فــلا غَرْوَ أنْ … يخلع –إذْ تُجلى– عليها العــذار
/ حمــراء ما أملك فى حبها … مالا ولا أعرف عنها اصطبــار (٧)
ولا أخاف النــار فى حبهــا … لأننى أشربهــا وهْى نــار (٨)

وقوله : [من الرمل]

هل إلى بردِ الثّنايا من سبيــلِ … لمَشُوقٍ ذاب من حر الغليــلِ
أو إلى الوصــلِ وصولٌ خلسة … لمحب بــين واشٍ وعَــذول

(١) الفوات : تبين لثغته بالراء نسبته * والمين منه مزور الوعد والكذب
(٢) الفوات : والألحاظ . المسالك : تلغى إذا نطق .
(٣) الفوات : لم تنف ألفاظه معنى يرق لنا .
(٤) المسالك ١٢ : ٢٠١ والفوات ٢ : ٤٦٨ : فالشرق قد أضحى وصاح الهزار .
(٥) الفوات : فانهض شكورا زمن الابتكار . (٦) الفوات : أم الزهر .
(٧) الفوات : صفراء لا . . ولا أملك . (٨) الفوات والمسالك : النار من شربها .

تعب الواشى ولو شاء اكتفى بوُشاةٍ من دموع ونُحول (١)

/وبواشٍ من كثير الطِّيبِ إنْ سمح المحبوبُ بالوصل القليل

٢٣ ظ
٣

وعذولى لج فى عذلىَ إذ لم ير الخالَ على الخدِّ الأسيل (٢)

لو رأى وجهَ حبيبى عاذلى لَتفاضلْنا على وجه جميل (٣)

حبذا وجهُ حبيبى جنةٌ ذاتَ ظلٍّ مُدٍّ بالصدغ ظَليل

لحظُه فيها مُديرٌ خمرةً مُزجت من ريقه بالسَّلسبيل

أنا مقتول كما شاء الهوى بالقَوام اللَّدْن والطرف الكَحيل

متُّ بالحب شهيدا فعسى فى جنان الوصلِ أنْ يقضى دخولى (٤)

(١) الفوات : دموعى ونحولى .

(٢) الفوات : وعذولى .

(٣) الفوات : لتفارقنا على .

(٤) الفوات : جنان الخلد .

ومن كتاب نجوم السماء فى حلى العلماء

أبو عبد الله محمد بن بركات بن هلال[1]

من كتاب الجنان : كان عالى المحل فى النحو واللغة وسائر فنون الأدب ، منحطا فى الشعر إلى أدنى الرتب ، إلا أن علو قدره لم يُجِز إهمال ذكره .

ولم أقف له على ما يخلو من الغثاثة والتكلف ، وتبدو عليه الركاكة والتعسف ، سوى قوله : [من السريع]

٢٤ ر / ٣

/ يا عُنُقَ الإبريقِ من فضة ٍ ويا قَوامَ الغُصُن الرطبِ
هَبْكَ تجافيتَ فأقصيْتَنى[2] تَقْدِر أنْ تخرُجَ من قلبى

وقال صاحب الخريدة : هو نحوى مصر والمغرب ، كان فى عصرنا الأقرب ، وأنشد البيتين . وذكر أن الفاضل قال : ليس له أحسن منها .

قال ابن سعيد : وأخبرت أنه مات سنة عشرين وخمسمائة ، ومولده سنة عشرين وأربعمائة .

---

(١) الخريدة ٢ : ٤٢ . معجم الأدباء ١٨ : ٣٩ . العبر ٤ : ٤٧ . بغية الوعاة ١ : ٥٩ . الوافى بالوفيات ٢ : ٢٤٧ . شذرات الذهب ٤ : ٦٢ . حسن المحاضرة ١ : ٥٣٢

(٢) الوافى : فأبعدتنى . وغيرهما : وأقصيتنى .

الفقيه النسناس (١)

أنشد له صاحب كتاب الجنان : [من المتقارب]

خلعتُ رداء الشباب المُعــارا وكان بفَوْدِى غرابٌ فَطــارا (٢)

وكم خُضتُ باللهو ليلَ الشبابِ إلى أن أرانى المشيبُ النهــارا

لئن كَدَّر الشيبُ صَفْوَ الشباب فإن لكلِّ مَســيل قَرارا (٣)

النحوى مسعود الدولة خلف بن طازَنّك (٤)

من كتاب الجنان أنه مقدَّم الشعراء فى أيام الأفضل بن أمير الجيوش .

وأنشد له أبياتا يجاوب بها ظافرا الحداد ./ وأعاد صاحب الخريدة ما ذكره. ٢٤ظ ٣

وذكره أيضا فى ذيل الخريدة . وأنشد له : [من الخفيف]

ما أطاقوا تأمُّلَ الجيش حــتى كُحِلتْ كلُّ مُقلة بســنان

غَنَّتِ البيضُ فى طُلاهم غناء ما سمعنــاه فى كتاب الأغانى (٥)

هو ضَرْبٌ من السُّرَيْجى لكنْ جَسُّه فى الرِّقاب لا فى المَثانى (٦)

---

(١) الخريدة ٢ : ٥٨ .

(٢) الخريدة : رداء التصابى .

(٣) لفق المؤلف هذا البيت من بيتين للشاعر ، وردا فى الخريدة كما يلى :

لئن كدر الشيب صفو الشباب * وبات برغمى ديارا ديارا

فلا بأس إن مدلج البعاد * فإن لكل مسيل قــرارا

(٤) الخريدة ٢ : ٥١ بغية الوعاة ١ : ٥٥٥ .

(٥) الطلا : الأعناق .

(٦) السريجى : نسبة إلى ابن سريج ، المغنى الأموى المشهور .

النحوى حَبْطَق الحسين بن محمود

ذكره صاحب الجنان ، وأنشد له فى شعر : [من البسيط]

يا حبذا قمر بالشام مَطلعُــه يَسْبي العقولَ وأرضُ الشام مَغْرِبُه

ودعتُــه وغُروبُ العين سابحةٌ بالدمع أمسحه جُهدى وتسكبُه

وكم تصديتُ من خوف الفراق له وللمقادير حكمٌ فيــه يوجبه

تُضرِّب الظبيَ فى أشراك صائده لو كان يُنقذه منــه تَضَرُّبه

جاسوس الفلك على بن مظفر المنجّم(١)

أخبرنى الرشيد بن عبد العظيم أنه لقب بجاسوس الفلك لكثرة اعتنائه بأسرار الفلك والقول بهـا . وأنشد له صاحب الجنان فى أمين الأمناء أبى عبد الله بن طاهر لمـا مات : [من الطويل]

١٢١ ر / ٢

/ تَعاز لهـا ثغرُ المكارم يَبْسَمُ فقولى : عثارا لا لَعًا يا جَهَنَّمُ

قضى نحبهَ من كان يقعد عن قضا الـ ـحقوق ويُقصى سائليــه ويَحْرم

وفُتِّحت الأبوابُ بعــد انغلاقها فــلا رحم اللهُ امرءا يَترحَّــم

مضى رجلٌ لم يقض حاجةَ قانطٍ ولم ينتصفْ عن بابه متظــلم

فلا طَهَّر الرحمنُ روحَ ابن طاهر لقد عاش — لما مات — فينا التكرُّم

وقوله فى بعض الكتاب : [من البسيط]

سيوطُ منزلُك الأدنى ولفظك من نَقْش العراق وهذا غايةُ العَجَبِ

لا تَفخرنَّ بدنيـا نلتَها غالبـا فالكلبُ كلبٌ ولو حَلَّوه بالذهب

والله لا طلعتْ رجلاك مرتبـةً من بعد ما نلته إلا على الخشب

(١) الدوادارى ٣١٣ .

التاريخ محمد بن إسماعيل (١)

كان يعرف بالتاريخ لكثرة اشتغاله به . وهو ممن ذكره صاحب الجنان وأنشد له :

[من البسيط]

لك المفاخرُ والعَلياءُ والرُّتبُ ... لحاسديك الشّقا والوَيلُ والحَرَبُ

هم كالفراش رأوا نارا تُضىء لهم ... فيمّموها فلا بِدْعٌ إذا التهبوا

وقوله :

[من مجزوء الكامل]

/ لاهٍ بغانيةٍ وراح ... ناهٍ لعاذلِه ولاح (٢)

مازال يشرب كأسَه ... صِرْفا على شَدْوِ الملاح (٣)

ما بين زمزمة العقو ... د وبين وَسْواس الوِشاح (٤)

حتى مضى مسكُ الدَّجى ... فأنار كافورُ الصباح (٥)

١٢٢ ر
٢

وقوله :

[من الكامل]

يا جنةً للقاصدين تزخرفتْ ... لهمُ وطاب الخلدُ فى رِضْوانه

فلذاك لما اخضرّ دَوْحُ نواله ... غنت طيور الحمد فى أغصانه

وكان فى زمن الأفضل بن أمير الجيوش . وأنشد له صاحب الخريدة ما تقدم .

الطبيب حسين بن أبى زفر الأنصارى (٦)

ذكر صاحب الخريدة أنه لقيه بمصر ، ومما أنشده قوله :

رقصتْ فى كأسها طَرَبا ... قهوة تدعو إلى الطربِ

فأرت فى الكأس شمس الضحى ... قلدت بالأنجم الشهب

---

(١) الخريدة ٢ : ٩٥ ، الوافى بالوفيات ٢ : ٢٢٠ ، القفطى : المحمدون ٤٢ .

(٢) الخريدة : لعاذلة .   (٣) الخريدة والوافى : ضرب الملاح .

(٤) الوافى : زمزمة البنود .   (٥) الوافى : وأنار كافور .   (٦) الخريدة ٢ : ١٣١ .

المعلم النظام المصرى (١)

ذكر صاحب الخريدة أنه لقيه بدمشق معلّما على باب جيْرُون . ثم عاد إلى مصر عند المملكة الناصرية بها ، / ودارت رحى رجائه بالنجح على قُطْبها ثم قصد اليمن عند افتتاح الملك المعظم لها ، وكان وعده بألف دينار ، فقبضها منه وحصّلها . وآل حاله إلى أن نُسب له والى قوص أنه واطأ الخارج بها في آخر سنة اثنتين وسبعين فصلبه بعدما سلبه ، وذلك فى المحرم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة بقوص .

١٢٢ظ ٢

وأنشد له قصيدة فى السلطان صلاح الدين عند خروج الكنز بأسران وقتاله والفتك بالسودان ، منها : [من الطويل]

ومن ذا يُطيق الترك فى الحرب إنهم ... بنوها ، وكلّ الناس زُور وباطلُ؟

حُماةٌ كُماةٌ كالضراغم ، خيلُهم ... معاقلهم ، والخيلُ نِعْمَ المعاقلُ

ومنها :

بجيش يضيعُ الليلُ فيه إذا سرى ... وتُخفى نجومَ الجوِّ منه القساطل

وتَطَّرِدُ الراياتُ فيه كأنها ... أفاعٍ إلى أوكارهن جوافلُ

وقوله : [من المتقارب]

أحبُّ وأقتلُ نفسى ولا ... أفوز من الحب بالطائلِ (٢)

/ ولى كلّ يوم وقوفٌ على ... حِمًى وسلامٌ على راحل

١٢٣ر ٢

(١) الخريدة ٢ : ١٤٠ . التجريد لابن جهر ٩٩ .

(٢) الخريدة : فلا .

المهندس ابو على المصرى (١)

أنشد له صاحب الخريدة : [من الطويل]

تَقَسَّمَ قلبى فى محبة معشرٍ بكلٍّ فتى منهم هَوایَ مَنوطُ
كأن فؤادى مركزٌ ، وهمُ لـه محيطٌ ، وأهوائى إليه خطوط

وقوله : [من الكامل]

إقليدسُ العلم الذى يَحْوِى به ما فى السماء معا وفى الآفاق
هو سلّم ، وكأنما أشكاله دَرَجٌ إلى العلياء للطُّرّاق
تزْكو فوائده على إنفاقه ياحبذا زاك على الإنفاق (٢)

وأخبر أنه مات فى هوى جارية .

أبو الحسن الملحن ابن الطَّحّان (٣)

ذكر القرطى أنه كان آية فى صنعة الالحين ، وأن أكثر التلاحين المصرية صنعته . ووجدت ذكره فى « روزنامج الحادثة» للشريف محمد بن الحسن الحسينى الأَقساسى ، قال : غُنِّيت بمصر لابن الطحان فى صنعته :

/ لقد عرَّض بالحب كما عرضتُ بالحب ١٢٣ظ / ٢
فكانت أعينٌ رُسْلا مكانَ الرُّسل والكُتْب
عيون تنقل الأسرا ر من قلب إلى قلب

قال : شاهدته بمصر عند دخولى إليها فى آخر سنة تسع وأربعين وأربعمئة . وكان شيخا جميل البِزّة واللِّبسة ، راكب حمارٍ من الحُمُر المصرية

(١) الخريدة ٢ : ١٩٩ .
(٢) الخريدة : تركوا فوائده . تحريف .
(٣) مصادر الموسيقى العربية لفارمر ، من ترجمتى ١٠٢ .

بسرج محلى ثقيل ، وبين يديه مملوك . وله تقدم عند الوزير اليازورى ،وكان يعلم جواريه . وله كتاب « جامع الفنون ، وسلوة المحزون فى ذكر الغناء والمغنين »[1] .

الفقيه المعدّل ابن قتادة المصرى
أبو الفتح منصور بن إبراهيم الأنصارى[2]

ذكره صاحب الخريدة ، وأخبر أنه من فضلاء من فى عصره . وأنشد له : [من الكامل]

نَظرى إليك يزيد فى بصرى ... فعلى مَ تحجبنى عن النظرِ
يا جملةَ الحسن التى اقتسمتْ ... منها المحاسنَ جملةُ الصور
لهواكِ بين جوانحى كتب ... قد عُنْوِنت بالدمع والسهر

١٢٤ ر / ٢ / وقوله فى المُكَرْبِل الهجّاء العَسْقلانى[3] : [من مجزوء الرجز]

ما نال خَلْقٌ فى الهجا ... ما ناله المكربلُ
كلٌّ الهجاء آخِر ... وهو الهجاء الأول
لأنه يأخذه ... من عِرْضِه ويعمل

وأنشد له صاحب الجنان عنه : [من الكامل]

قالوا : المكربلُ قد قَضَى ، فأجبتُهم ... مات الهجاءُ وعاش عِرضُ العالَمِ
ما تسمعون ضجيجَ مالكَ مُعْلِنا ... وجنودُه : لا مرْحَبا بالقادم

---

(١) مصادر الموسيق : حاوى الفنون .
(٢) الخريدة ٢ : ٢٢٨ . التجريد ٢٤١ .
(٣) أبو على حسن بن سعيد ، كان لسانه مقراض الأعراض ، بلغ من العمر مئة سنة — الخريدة : شعراء عسقلان .

الشيخ الأديب أبو محمد عبد الله بن عتيق المصرى[1]

وصفه صاحب الخريدة بالظرف، ولطف العبارة، والانطباع فى النظم وأخبر أنه أقام باليمن أربعين سنة. وأجْفَل عنها عند غلبة ابن مهدى على زَبيد، وأقام ببغداد، واجتمع به فيها، واستفاد منه. وأنشده كثيرا من شعره، منه هذا البيت : [من السريع]

تفعلُ بى ألحاظ هذا الغزالْ فعلَ الحُمَيّا بعقـولِ الرجالْ

وكان اجتماعه به سنة اثنتين وستين وخمسمائة .

١٢٤ ظ / ٢

/ حسين بن مهذب المصرى[2]

صاحب كتاب « السبب فى حَصْر لغات العرب » . أنشد له صاحب الجنان : [من المنسرح]

كأنمـا الليلُ والـثُّرَيا تسبح فى جَوْزه وتجـرى
زنجيةٌ جُرِّدتْ فأبـدتْ فى صفحة الصدر عِقْدَ دُرِّ

ولده : **أبو القاسم عبد الرحمن**

أنشد له صاحب الجنان فى الثريا : [من الكامل]

وكأنها لمـا بدتْ لوداعهـا بَازٌ تَصوَّب هابطا من مرقب[3]
وكأنها والجـوُّ أزرقُ أخضرٌ أُدْحِىُّ صَعْلٍ وسط روض مُعْشِب[4]

ولده الآخر :

(١) الخريدة ٢ : ٢٢٩ : و يعرف بابن الرفا .
(٢) بغية الوعاة ١ : ٥٤٠ .
(٣) الأصل : نار ، ولعلها هفوة قلم .
(٤) الصعل : النعام ، لدقة رأسه . والأدحى : حيث يبيض .

عبد العزيز بن حسين

أنشد له صاحب الجنان : [من البسيط]

لله درُّ غلام جاء يخدمنا بسفرة من رفيع الصوف قَرْراءِ
بفَرْوَزٍ أزرقٍ من حول دارتها تحار فيه وفيها مُقْلة الرائى

زكى الدين بن أبى الإصبع

١٢٥ د ٢

عبد العظيم بن عبد الواحد / بن ظافر بن عبد الله بن محمد بن جعفر[1]

النسب
الترصيع

هكذا أملى علىّ نسبه بالقاهرة فى منزله . وأخبرنى أنه من ولد ذى الإصبع العَدْوانى[2] ، وأن مولده سنة ثمان وثمانين وخمسمائة[3] بالقاهرة . وهو الآن حى ، وذلك فى سنة ست وأربعين وستمائة[4] .

التاريخ
التوشية والتعريف

وهو أديب الديار المصرية ، لم ألق فيها[5] مثله ، معرفةً بالتاريخ والنظم ، والنثر والكلام على البديع ، وغير ذلك مما يتعلق بفنون الأدب .

وله تصنيف فى البديع ، فى نهاية من الحسن ، طَرَّزه باسم الصاحب كمال الدين . وله كتاب صنعه لوزير الجزيرة الصاحب محيى الدين بن سعيد ابن ندى ، جمع فيه أمثال القرآن العزيز ، وكتب الحديث المشهورة : مسلم والبخارى والنَّسائى والتِّرْمذى والسُّنن والمُوَطَّأ ، وغير ذلك من عيون الأمثال نظما ونثرا .

(١) مسالك الأبصار ٦ : ٢٣٠ . عيون التواريخ ٢٠ : ٠٧٣ حسن المحاضرة ٢ : ٥٦٧ . النجوم الزاهرة ٧ : ٣٧ . المنهل الصافى ٣ : ٤٠٥ . فوات الوفيات ١ : ٦٠٧ . شذرات الذهب ٥ : ٢٦٥ . معاهد التنصيص ٤ : ١٨٠ . مقدمة بديع القرآن لحفنى محمد شرف .

(٢) حرثان بن حارثة ، الشاعر الجاهلى الذى يعد من حكماء العرب ومعمريها — المؤتلف والمختلف ١٧٠ . المفضليات ١٥٣ .

(٣) وقيل : فى ٥٨٩ .

(٤) مات فى ٦٥٤ .

(٥) فى الأصل : فيه ، هفوة قلم .

وكان فخر الترك أيدمر عتيق وزير الجزيرة قد شرع فى تصنيف كتاب فى فضلاء هذا العصر، الذين شُهروا بمصر، فابتدأ بذكر ابن أبى الإصبع . ١٢٥ظ/٢
وقال فى وصفه : « هو أشهر من أن يُنَبَّه عليه، وأجل من أن يُعرَّف بالإشارة إليه . لا يُجاذَب رداء فضله، ولا تدور العين فى أصحابه على مثله . كبير شعراء عصره غيرَ مُدافَع، وحامل لوائهم غيرَ مُنازع . مبرز فى حلبة العلوم الأدبية، حائز قصبات السبق فى الأدوات الشعرية، وآداب الصناعة البديعية. وشعره أسْيَرُ فى الآفاق من مَثَل، وأوضح من نار رُفعت للسارى فى ذروة جبل. سارت به الركبان، وتَهادتْه البلدان . وله بالملوك صحبة وصلت أسبابهم بسببه، واختصاص بالملك الأشرف اختصاصَ نَدْمانى جَذيمةَ به . وليست لى به معرفة تُوقفنى على حقائق شؤونه، وتسلك سبيل الاطلاع على دقائق فنونه، ولم أزل — منذ عزمت على ذكره، وأردت فى هذا الكتاب إثبات شعره — مترددا بين أن أكتفى بشهرة فضله، وبين أن / أقول فيه ما يقال فى مثله، حتى عَثَرْتُ إلى ضوء أدبه، فاستدللتُ عليه به » . ١٢٦و/٢

فمما أختاره من شعره قوله فى بعض الزهاد، وقد لبس جُبَّة صوف مسهمة(1) ببياض وسواد :

[من الطويل]

قطعت الضحى والليلَ صوما وعفة ... لهـا أثرٌ، منه مُحَيَّـاك نَـيِّرُ

فقـد خلعا لونيهما برضاهما ... عليك، ففى بُرْدَيْهمـا تَتَبَخْتَرُ

وقوله من قصيدة :

[من الطويل]

فديتُ التى إذ ودعتْـنىَ أَوْدَعَتْ ... من اللفظ سمعى ساعةَ البين جَوْهرا

(1) مسهمة : مخططة .

فلمـــا اعتنقنا رد دمعى لنحرها ... وديعتها فهى اللآلى التى تــرى(1)

بكت ورنّتْ نحوى فجرّد لحظُها ... من الجفن سيفا بالدموع مجوهرا(2)

ومن أخرى فى الملك الأشرف : [من الطويل]

فضحتَ الحيَا والبحر جودا ، فقد بكا الـ ... حيا من حياء منك والتطم البحرُ

عيونُ معانيها صحاحٌ ، وأعينُ الـ ... ـملاح مِراضٌ فى لواحظها كَسر

هى السحرُ ، فاعجبْ لامرئ جاء يبتغى ... عواطف من موسى ، وصنعته السحر

وقوله فى قيّم حمام : [من البسيط]

وقـيم كلّمتْ جسمى أناملــه ... بغـير ألسنة تكليم خُرْصـان(3)

/ إن أمسك اليدَ منى كاد يخلعهـا ... أو سرّح الشعر بعد الغَسل أبكانى(4)

فليس يُمسك بالمعـروف منه يدا ... ولا يُسرّح تسريحا بإحسـان(5)

وقوله فى تضمين قول المتنبى(6) : [من الطويل]

إذا الوهمُ أبْدَى لى لمـاها وثغرها ... (تذكرتُ ما بين العُذَيب وبارق)(7)

ويُذكرنى من قـدّها ومَدامعى ... (مَجرّ عَوالينا ومَجرَى السوابق)(8)

وقوله فى فرس أدهم محجّل : [من الطويل]

وأدهمَ جارَى الشمسَ فى مثل لونه ... من المغرب الأقصى إلى جانب الشرق

فوافَى إليـه قبلَها متمهـلا ... فأعطاه من أنواره قَصَب السـبق

١٢٦ ظ / ٢

(1) الفوات : فلما التقينا .
(2) الفوات : بكت ودنت .
(3) الفوات : تكليم خرسان . والخرصان : الرمح اللطيف .
(4) الفوات : من فودى أو مانى .
(5) الفوات : يمسك إمساكا بمعرفة .
(6) ديوان المتنبى (طبع البرقوقى) ٣ : ٦٠
(7) الفوات : إذا ما سقانى ريقه وهو باسم .
(8) الفوات : من قده .

وقوله من قصيدة : [من الطويل]

يَنُمُّ عليها ثغرُها وتَبَسُّمٌ بى — دموعى ؛ فواشى حبِّنا النظمُ والنثرُ

أيا عبلةَ الأرداف : لحظُك عنترٌ — ومالى على غاراته فى الحشا صبر

وقوله من قصيدة فى الملك المعظم بن العادل : [من الطويل]

تَصدَّقْ بوصلٍ ، إن دمعىَ سائلٌ — وزوِّدْ فؤادى نظرةً فهو راحلُ

جعلتُك بالتمييز نُصْبا لناظرى — فهلّا رفعت الهجرَ ، والهجرُ فاعل (١)

أتجحدنى إن القوام مُثقَّفٌ — وناظرك الفتّان بالسحر عامل؟

/ غدا القدُّ غصنا منك تعطفه الصَّبا — فلا غروَ أنْ هاجتْ عليه البلابل

١٢٨ ı
٢

وقوله من قصيدة : [من الطويل]

رأيتُ بفيه إذ تبسَّم أدمعا — فقلت : رثى لى إذ بكى فه حزْنا

أجاد له فى النظم شاعرُ ثغره — ولكنه من مُقلتى سرق المعنى

وقوله : [من الطويل]

تخيل أن القِرْنَ وافاه سائلا — فعاجله طَلْقَ الأَسرَّة بالبِشْرِ

ونادى فرند السيف : دونك نحره — فأحسن ما تُبدى اللآلى إلى النحر

وقوله : [من مجزوء الرجز]

وكلما فاق عُلا — فاض ندى للمُرْمِلِ (٢)

وليس فى ذا عَجبٌ — فالسيلُ يأتى من عَلِ

ومما أنشدنى لنفسه قوله : [من المتقارب]

ولما رأيتُك عند المديـ — ـح جَهْمَ اللقاءِ لنا تنظرُ

تيقنتُ بخلك لى بالندى — لأن الجهامة لا تمطر

---

(١) الفوات : فلم لا رفعت .

(٢) المرمل : المحتاج .

جلال الدين مكرم بن أبي الحسن بن أحمد بن أبي القاسم /ابن حَبَقة الخَزْرَجي

١٢٨ظ / ٢

النسب

هكذا أملى عليّ نسبه في منزله بالقاهرة . وأخبرني أن أباه من باجة إفريقية وولد هو بالقاهرة . وكان قد بلغ عند السلطان الكامل مبلغا جليلا ، وبوأه من كرامته محلا رفيعا . واختبره في الحفظ الذي شُهِر به ، فوجده ربما حفظ أحد عشر بيتا من سَمْعة واحدة . فسماه بملك الحُفّاظ . وأبصره في فنون الأدب رئيسا مقدما ، فعرّفه برئيس الأدباء . وهو الآن في نِعَم طائلة مما اكتسبه من الكامل . وله خزائن كتب في فنون شتى ، مكّنني منها ولم يبخل عليّ بشيء منها ، فوجب ذكر ذلك في هذا المكان . وتركته بمصر وقد أضَرّ ، وهو مع ذلك لا يفارق الخِدَم السلطانية . وقد اشتغل الآن لسلطان مصر بتذييل كتاب الكامل لابن الأثير في التاريخ ، مساعدا لعبد الظاهر الأعمى ٥

الترصيع / التوشية والتعريف / التاريخ

النظم

وأنشدني من شعره ما أثبت منه قوله : [من الكامل]

١٢٩و / ٢

/ياساكني الإسكندرية : عندكم ... بات النزّيلُ بليلة الملسوعِ
تَقْرونه بالأسطُقسّات التي ... هي أصلُ كلِّ مؤلَّفٍ مجموعِ
بترابها وهوائها وبمائها ... والنارُ في أحشائه بالجوعِ

ما أحسن ما كَمُل له مقصده ، إذ أهل الإسكندرية كثيرا ما يذكرون للغرباء على جهة الافتخار ببلدهم رمل الجزيرة المعروفة بجزيرة الرمل ، فيها كروم إذا جلس الشخص في أرضها بثياب نظيفة لا تتوسخ ، وهواؤها المعروف بالمثن رطب ينوّم الإنسان من لذته ، وماء صهاريجها المبرّد ٥

وفيهم يقول أيضا : [من الوافر]

نزيلُ سَكَنْدريةَ ليس يُقْــرَى ... بغير المــاء أو نظر السَّوارى

ويُتحَفُ حين يُكْرَم بالهواء الـ ... ـمَلائن والإشارة للمنــار

ونعت الرمل والأعناب فيــه ... ووصف مواكب الروم الكبار

ولا تطمعْ برؤية لون خبـز ... فما فيها بذاك الحَرْف قارى

وقوله ، وكتب به للسلطان الكامل : [من الخفيف]

لاتقل ، إنشكرتُ شوقَ : هل غيـ ... ـرُ ثلاث أو أربع من ليالى؟

/ فهْى لو أنهــا دقائق لم يَقْ ... وَ عليهــا تجلدى واحتمالى

أنا أشتاقكم ونحن قــريب ... كيف لا أشتكى مع البعد حالى ؟

كنت أفديكُم بروحى ، وقدصر ... ت بإنعامكم أقول : ومالى ؟

١٢٩ظ
٢

أبو محمد حسن بن مكرم

ابنه

مشتغل بطريقة أبيه إلا أنه غوّاص فى طريقة النظم ، لا يرضى منه إلا بالمعانى العلية . صاحبْته بالقاهرة ، وأخبرنى أن مولده بها سنة ثلاث عشرة وستمائة . وأنشدنى لنفسه : [من السريع]

انظرْ إلى عارضــه فوقه ... أجفــانُه تُرْسَلُ منها الحُتوفْ

تعاين الجنــة من خــده ... باديةً تحت ظــلال السيوف

وقوله : [من الخفيف]

خُذْ نسيمَ الألفاظ يأَرَجُ إذ مَــرْ ... رَ عقيبَ النــدى بروض الثناء

فاضل بن راجى الله العطار المصرى (١)

خبرت أنه كان عطارا، وكان دكانه مجمعا للأدباء. وكان معتنيا بتقييد نكت الأدب من / الحكايات وطُرف الأشعار. وصنف للسلطان العزيز ابن صلاح الدين بن أيوب صاحب مصر كتاب «الشعراء العصرية بالديار المصرية» الذى نورد منه فى هذا الكتاب:

١٣٠ و / ٢

وأُنشدت له قصيدة يمدح بها العزيز، أولها: [من الرجز]

ما صَدَحَ الطائرُ فوق بانـة   إلا طوى القلب عـلى أحزانه

ولا كتمتُ الحب من عُذّالـه   إلا وكان الدمع من عنـوانه

ومنها فى المدح:

وكيف أشكو الدهر فى أحكامه   وقد دنتْ دارىَ من سلطانه ؟

فى الحسن أفنى كلّ ما مَلّكْتُهُ   لأننى كَلٌّ عـلى إحسـانه

وهو ممن ذكره ابن المستوفى فى تاريخه، وأنشد له: [من الوافر]

وفى الشِّطْرَنْج تَقْـدِمةٌ لشاه   على ما فيـه من فَرْزٍ وفيل

كذاك الدهر يرفع كل نذل   ويخفض صاحب المجـد الأثيل

الأديب الخطيب أبو القاسم على بن أبى المكارم بن فتيان الأنصارى (٢)

١٣٠ ظ / ٢

وجدت بخط الصاحب كمال الدين بن أبى جرادة: / ذكر عمـاد الدين أبو حامد محمد بن محمد الأصفهانى قال: أنشدنا الفقيه بهاء الدين أبو القاسم على بن أبى المكارم خطيب القاهرة لنفسه ببغداد، وكتب بها إلى، وكنت فى السجن إذ ذاك: [من الوافر]

(١) بدائع البدائه ٩٥: المنبوز بعداد.

(٢) مات ٥٧٩. طبقات الشافعية ٤: ٢٨٤. حسن المحاضرة ١: ٤٠٦.

لئن قصّرتُ في الإلمام دهرا ... فما عندى قصور في الولاء

ويمنعني الزيارةَ وهي عندى ... من المفروض إفراطُ الحياء

وأنى لا أُطيق أرى بسجن ... عِداىَ ، فكيف عن الأصدقاء

تأسّ بيوسفَ الصِّدّيق لما ... سُجِنتَ ، وذاك بعضُ الأنبياء

ابنه: الأديب الخطيب بهاء الدين أبو حفص عمر بن علي بن أبي المكارم

ذُكر لى بالقاهرة أنه من المتميزين في الأدب والخطابة ، وأنه الآن خطيبُ المَقْس ، خارج القاهرة . وأُنشدت له : [من الطويل]

وقد عذلوني أنْ غدوتُ مُتيَّما ... بردفٍ ، وعَذْلي من غرامىَ أعجبُ

ألستُ خطيبا ، حيثما لاح منبر ... علوتُ عليه بالعصا ثم أخطب؟

ضياء الدين موسى بن ملهم بن أبي زيد

١٣١ ر / ٢

/ صحبته بالقاهرة. وإليه الإشارة في حسن الخط ، وهو ينسخ في خزانة السلطنة ، وله إحسان مستمر على ذلك . وله مَنازع في الشعر مستحسنة. نقلتُ من خطه ، وقد وقف على قصائد الزكي عبد العظيم بن أبي الإصبع في مدح النبي — صلى الله عليه وسلم: « يقول فلان : لله دَرُّ هذه القصائد ، لقد أحسنت إلى قائلها كما أحسن فيها ، وأورثته على القائلين كِبْرا وتيها ، كأنه أشجار طابت ثمرا وراقت أغصانا ، أو قلوبٌ مُلئتْ حكمة وإيمانا. وحسبها أن بيتا واحدا منها يشفع في ألف علة ، وأن راويها راوٍ يوم الغُلّة . ولقد يجب على كل شاعر عاقل أن يمدح من يُجيزه الجنةَ ، وأن يمدح مادحه ليشفع الفَرْض بالسنة . فأقول بعد مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

حَكى البحرَ زكىٌّ الديـ ـنِ فى علم وتحصيل
وقد زاد على البحر بمعقول ومنقول
وقيل : ابن أبى الإصبـ ـعِ ، لكنْ إصبع النيل

١٣١ ظ / ٢

/ وله مصنفات فى الأدب .

أبو الحسن نَفْطَويه على بن عبد الرحمن النحوى المصرى[١]

يروى عنه ابن الزبير صاحب الجنان . أنشدنى له الرشيد بن عبد العظيم صاحب تاريخ مصر : [من مجزوء الخفيف]

سَطا علىّ بجفنٍ يُسَلُّ منه حُسامُ[٢]
وقال : من ذا وشى بى حتى يطول المَلامُ ؟[٣]
فقلتُ : خَدُّك سلْهُ ففوقه نَمّامُ

ابن نفطويه أبو القاسم عبد الرحمن بن على

ذكره ابن أبى المنصور فى كتاب « البداْئه[٤] »، وأخبر أنه أنشده لنفسه فى فانوس السَّحور : [من البسيط]

ياحبّذا رؤيةُ الفانوس فى شرف لمن أراد سحورا وهْو يَتّقدُ[٤]
كأنما الليلُ والفانوسُ مرتفعٌ فى الجوِّ أعورُ زنجّى به رمدُ[٥]

(١) بغية الوعاة ١ : ١٧٤ .
(٢) البغية : قد سل .
(٣) بدائع البداْئه ١٤٢ ، ١٤٩ .
(٤) فوات الوفيات : ٢ : ١١٠ : لمن يريد .
(٥) البدائع : والفانوس متقد .

/ الشـــعراء

١٣٢ و
٢

مبارك بن جعفر بن أبي الكرام

أنشد له صاحب الجنان، وهو ممن ذكره المسبحي : [من المتقارب]

إذا ما الحبيبُ صَفا وُدُّه وبَلَّغك الدهرُ منه الأمَلْ
فَنقِّلْ فؤادك عن حبه وبادِرْه من قبل أن ينتقل
فلا بُدَّ للحي من رحلة فكنْ أنت أولَ من يرتحل

أبو تراب النوبختي

أنشد له صاحب الجنان : [من مجزوء الكامل]

يا من كتمتُ صبابتي بجماله ، حذرا عليْهْ
وجعلتُ حظي من نعيـ ـم وصاله نظري إليه
ما بال قلبك لا يَرِقْ قُ ، ورِقُّ قلبي في يديه

أبو محمد عبد الله بن محمد التُّجيبي الأصغر (١)

أنشد له صاحب الجنان : [من مجزوء الكامل]

يا من لساني بالذي يُوليه من خير يبوحْ

(١) التجيبي : غير واضحة في الأصل .

ما بال حاجبتَى العليـ ـلة دهرَها ما تستريح ؟
هذا ، وجاهك ضامنٌ بُرْءًا لها ، وهْو المسيح

٢٥ و / ٣

/ أحمد بن عبدون الوراق

أنشد له صاحب الجنان : [من الخفيف]

قلتُ ممـا بَرِمت ممـا أُلاقِى من زمانى من شدة الإملاقِ
ليت شـعْرى ، ما بالُ رزقى فإنى لا أراه يُعَـدُّ فى الأرزاق؟
قد جَلَوْنا عليك بِكْرَ القوافى هل تَحِـلُّ الجـلا بغير صَداق؟

عمار بن بديع

أنشد له صاحب الجنان : [من الرمل]

صاحِ انفِ الهمَّ عنا بالفـرحْ ما ترَى الفجر تبـدَّى ووَضَحْ
واغمُـرِ الراحَ براحٍ مُـزَّةٍ إنمـا الأعمار كالبرقِ لمَـحْ
يَقْدَح الساقى إذا خالطَهـا بلسانِ المـاء نارا فى القـدح
وترى للمـزج فى حافاتها من حصى الدر عُقـودا وسُبَحَ
لونُهـا من لونىَ ابـنُزٍّ كما طِيبُها من طيب ريّاك نفَـح

محمد بن القاسم بن عاصم
المعروف بصَنّاجة الدَّوْح

٢٥ ظ / ٣

أخبر صاحب الجنان أنه شاعر خليفتهم الحاكم ، وأنشد / له فى زلزلة حدثت بمصر (1) : [من البسيط]

(1) الدوادارى ٢٩٥ .

بالحاكم العَدْل أضحى الدينُ معتليا   نجلُ الحُلى وسليل السادة الصلحا
ما زُلزِلَت مصرُ من كيدٍ يُراد بها   وإنما رَقصتْ من عدله فرحا[1]

قال : وروى أنه قالها في كافور الإخشيدي . وأنشد له بعدهما ما هو منسوب إلى ابن رشيق[2] .

علي بن أحمد الطائي

أنشد له صاحب الجنان :   [من الطويل]

وأقعد عما سرّني وهْو ممكنٌ   إذا كان لي فيه وللذلّ مقعد
ولست أبالي من يُذَمّ لقاؤهُ   إذا كان لي في النائبات محمّد

ابن حبيش المصري

أنشد له صاحب الجنان :   [من السريع]

لا أشتكي سَبْلك لي ظالما   وهْو الذي أبدى ثناياكا
سَبْلُك لي يا ظالمي قُبْلة   قد قبّل اسمي عندها فاكا

أبو العباس أحمد بن مفرج[3]

تلميذ ابن سابق

أنشد له صاحب الجنان قوله ، وقد أمر الشعراء في مدة الحافظ أن يختصروا ما ينشدونه في موقف الإمامة من الأمداح :   [من البسيط]

(١) حسن المحاضرة ١ : ٥٦٢ : من سوء يراد بها لكنها .

(٢) أبو علي الحسن القيرواني ، ولد ٣٩٠ ومات ٤٦٣ بصقلية ، وله كتب في الأدب واللغة أشهرها العمدة .

(٣) الصقلي الأصل ، كان فاضلا ذكيا ، يتصرف في فنون شتى ، وله رسائل حسنة ، وشعر فائق ، وكان من شيوخ الصناعة الفلكية الذين نقلوا الرصد من الجبل المطل على راشدة إلى علو باب النصر في عهد الآمر ، ومات في ٥٣٦ — ابن ميسر ٦٤ ، ٨٥ . الخريدة : ٢ : ٦٤ . الدواداري ٥٩٧ . عنوان المرقصات ٦٥ ؛ معجم السلفي ٨ .

٢٦ و / ٣

/ أمرتنا أن نَصُوغَ المدحَ مختصرا   لِمْ لا أمرتَ ندى كفَّيك يختصر؟

والله لابد أن تجرى ســوابقُنا   حتى يَبين لهــا فى مدحك الأثر

فأمروا بالعود إلى ما كانوا عليه ، وجُعــل لهم الرسم يوما كاملا . وهو ممن ذكره صاحب الخريدة .

الناجى المصرى (١)

أخبر صاحب الجنان أنه هجا الأفضل بن أمير (٢) الجيوش بعدة مقاطيع شاعت عنه ، فكادت تأتى عليه ، ووصل بها مكروه كثير إليه ، منهــا قوله : [من المنسرح]

قُلْ لابن بدرٍ مقالَ مَنْ صَــدَقه   لا تفــرحنْ بالوزارة الخَلَقــهْ

إن كنت قــد نلتَها مُراغمــةً   فهىْ على الكلب بعــدكم صَدقهْ

فأدبه ونفاه إلى واح . فهجا صاحب واح وســار إلى اليمن . ومدح بها الأمير المقدّم فضل بن أبى البركات (٣) الحميرى بقصيدة منها : [من الخفيف]

أنا بالتَّعْكُر المصــون مقــيمُ   عند مَلْكٍ سامى الخلائق نَــدْبِ (٤)

من على يَشْرَتى خزانةُ خمــر   وعلى يمْنتى خزانةُ كُتب (٥)

٢٦ ظ / ٣

/ فإذا ما طربتُ أعملت كأسى   وإذا ما صحوتُ أعملت قلبى

وهجا قاسم بن أحمــد (٦) فقال : « لأبذلن فى رأسه وزنه حتى يؤتى به إلى وأنصبه بين يدى » ، فقال الناجى : « لو بذل لى من زنة رأسى وزن أذنى لاستراح من هجائى وربح مدحى » .

---

(١) الخريدة ٢ : ١٠٢ .
(٢) الأصل : الأمير . هفوة قلم .
(٣) الخريدة : مفضل .
(٤) تعكر : قلعة حصينة باليمن مطلة على ذى جبلة .
(٥) الأصل : وعلى يسرتى ، هفوة قلم .
(٦) من أمراء اليمن (الخريدة) .

وأنشد له أبو الصلت فى الرسالة المصرية[١] : [من الكامل]

حمّامنا هـذا أشدُّ ضرورةً ... ممن يحلّ به إلى حَمّام

تبيضُّ أبدانُ الورى فى غيره ... ويُعيرها هـذا ثياب سُخام[٢]

قد كنتُ من سام فحين دخلتُه ... لشقاء جَدّى رَدّنى من حام

وهو ممن ذكره صاحب الخريدة .

أبو عبدالله بن مسلّم المصرى[٣]

ذكر صاحب الجنان أنه اجتمع به ، وأنشده لنفسه من قصيدة فى سبأ ابن أحمد[٤] باليمن : [من الكامل]

لا تُطمعَنّك صَبْرتى وتغزُّلى ... أنا عن هوى البيض الحسان بمَعْزِل

أنا كالحُسام بصفحتَيْه رقّةٌ ... فى العين ، وهْو يَحُزّ حَدّ المَفْصِل

لوساعدتْنى من زمانى خُطّةٌ ... وهى الغنى أدركتُ كلّ مؤمَّل[٥]

/ أو كان لى حظُّ الجهول فإنه ... رأسُ الفضيلة فى الزمان الأرْذَل

٢٧ ر
٣

وذكره أبو الصلت فى الحديقة ، والعماد فى الخريدة .

الوضيع الكُتبى[٦]

أنشد له صاحب الجنان : [من مجزوء كامل]

أنا نائبُ الشَّرْع النُّراسى ... دَعْنى وباطيتى وكاسى

أهوَى الغَزالة كاعبا ... وأهيم بالظبى الخُماسى

(١) ٥٤ . (٢) الرسالة : ألوان الورى .

(٣) محمد بن مسلم بن سلاح الكاتب — الخريدة ٢ : ٤١ . الرسالة المصرية ٥٣ .

(٤) المنصور أبو أحمد ، ولى اليمن ٤٨٤ الى ٤٩٢ .

(٥) الخريدة : من زمان خلة ... أقصى المأمل .

(٦) يحيى بن على اشتهر بالمجون — الخريدة ٢ : ٥٦ . تجريد الوافى ٢٥٩ .

من كل معتـدل رشيـ ـق القـدّ ممشوق خُلاسى
مُتعكرِشٌ فإذا اختـبرْ تَ وجدتَ مُنْحَلّ الأَساس
لكن لإفـلاس حبيـ ـبى السامرىُّ بلا مِساس (١)
لى منـزلٌ لا شىءَ فيـ ـه كأنه كيسى وراسى

وذكره صاحب الخريدة .

الكاسات أبو محمد عبد الله بن أبي سعيد المصرى (٢)

ذكر صاحب الجنان أنه كان خفيف الروح ، كثير المجون ، يُضْحك بنوادره وسخفه المجنون . وأنشد له : [من البسيط]

/يا من يُعاديه لاتَحْلُلْ بساحتـه فليس يُؤْمَن فى آجامه السَّـبعُ (٣)

٢٧ظ / ٣

ومنها قوله فى صفة دار الملك :

شمّاءُ كالجبل الراسى يُجاورها بحران : نِيلٌ ونَيل ليس ينقطـع
كأنهـا كعبةٌ ، والقاصدون لها مثلُ الحَجيج ، إذا طافوا بها ركَعوا
لاترضى لى بسوى الإكرام جائزةً فليس مثلى بكسبِ المـال ينتفع

البزار أبو المعالى بن كليب

أنشد له صاحب الجنان : [من السريع]

وا بأبى أسمـرُ عُلّقتُـه مهفهَفٌ كالغُصُن الرَّطْب
سلوتُه إذ نكتُه واحدا كأن عشـقى كان فى زُبّى

(١) الخريدة : حبيت السامرى .
(٢) الخريدة ٢ : ٦١ : ابن أبي سعد .
(٣) الخريدة : من يجاوبه .

أبو القاسم على بن سليمان

أنشد له صاحب الجنان فى طبيب الحضرة : [من السريع]

سَدِيدُنا فخرُ الأطباء ... فى كفّه البُرْءُ من الداء
أغناه حسنُ الفهم عن شاهد ... يُبيّن العلّةَ فى الماء
جس يدى ، والروحُ قد فارقت ... مُغْضَبةً تطلب إقصائى
فردّها راضيةً جسّه ... وأسكن الصحةَ أعضائى

٢٨ د / ٣

/ ابن خاقان (١)

أنشد له صاحب الجنان فى الوزير القَلاحى : [من الطويل]

حجابٌ وإعجاب وفَرْطُ تخلفٍ (٢) ... ومَدُّ يدٍ نحوَ العُلى بتكلف
فلو كان هذا من وراء كفاية ... عَذرتُ ولكنْ من وراء تَخلُّف (٣)

أبو سعد بن خلف

أنشد له صاحب الجنان : [من الكامل]

مولاىَ عبدُك من هواكَ بحالٍ ... فارْدُدْه قبلَ شماتة العُذّالِ
أحبابُنا فى الناس مثلُ حَبابنا ... فى الكأس أسماءٌ بلا أفعال

الوجيه بن الذِّروى أبو الحسن على بن يحيى (٤)

قال صاحب الخريدة : شاب نشأ فى هذا الزمان ، موصوف بالإجادة والإحسان . وأنشد له فى أحدب (٥) : [من الخفيف]

---

(١) الحسن بن خاقان : حسن المحاضرة ٢ : ٢٠١ . (٢) حسن المحاضرة : وفرط تصلف .
(٣) حسن المحاضرة : عذرنا . (٤) الخريدة ١ : ١٨٧ ، الروضتين ١ : ١٥٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢ : ٦ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٨٢ ، ١٢٥ ، بدائع البدائه ١٣٨ ، ١٤٤ ، ٢٣٠ النجوم ٦ : ٩٥ ، الفوات : ٢ : ١٨٨ ، حسن المحاضرة ١ : ٥٦٥ ، ٢ : ٤١٦ ، المسالك ١٢ : ١٠٦ : على بن الحسين بن الحسن بن أحمد وجيه الدين ، ولقب الذروى نسبة إلى ذروة من بلاد اليمن ، وكانت وفاته فى ٥٧٧ . (٥) الخريدة ١ : ١٨٧ ، الروضتين ٢ : ٢٧ .

يا أخى : كيف غيّرتك الليالى ... وأحالت ما بيننا بالمحـال[1]

حاشَ لله أنْ أُصافى خليلا ... فتراني فى ودّه ذا اختلال[2]

زعموا أننى أتيتُ بهجوٍ ... مُعربٍ فيك عن شنيع المقال[3]

/ كذبوا إنما وصفتُ الذى فيـ ... ـك من النُّبل والسّنا والكمال

لا تظنّنّ حَدْبةً للظهر عيْبا ... فهْى للحسن من صفات الهلال

وكذاك القسىُّ محْـدودباتٌ ... وهْىَ أنكى من الظُّبَا والعَوالى

ودَنانى القُضاةِ وهْى كما تعـ ... ـلمُ كانتْ موسـومةً بالجلال[4]

وأرى الإنحناء فى مَنْسِر الكا ... سرِ يُلْفى ومِخْلَبِ الرِّئبـال

وأبو الغصن أنت لا شك فيه ... وهْو رب القوام والاعتدال

كوَّن الله حَدْبةً فيك إن شئـ ... ـتَ من الفضل أو من الإفضال

فأتت ربوةً عـلى طَوْد حلمٍ ... منك أو موجة ببحر نـوال

ما رأتْها النساءُ إلا تمنت ... لو غَدَتْ حِلْيَةً لكل الرجال

عُدْ إلى ودنا القـديم ولا تُصْـ ... ـغِ لقيلٍ من الوُشاة وقال

وإذا لم يكن من الهجرِ بُـدٌّ ... فعسى أن تزورنى فى الخيـال

وهذه الأبيات لم يُقَل مثلها فى أحدب ، وهى فى ابن أبى حُصينة ، الذى أصله من المعرة .

ووقفت على ديوان ابن الدّرْوى ، فوجدته دون ما كنت أسمع به . ولم أجد فيه من عيون الشعر التى أرتضيها لهذا الكتاب / إلا النزر اليسير .

٢٨ ظ / ٣ — ٢٩ و / ٣

(١) الروضتين : غيرتنا الليالى كيف حالت ما بيننا . (٢) الروضتين : خلا فيرانى .

(٣) الشطر الثانى فى الروضتين : فيك نمقته بسم حلال .

(٤) غير المغرب : بالجمال . ودنانى القضاة : قلانسهم ، جمع دنية .

وأنشد له صاحب الخريدة في المهذب جعفر المعروف بشَلْعلَع : [من الكامل]

لا تَصْحَبَنَّ سوى المهذَّبِ جعفرٍ ... فالشيخُ في كل الأمور مُهــذَّبُ

طَوْرا يغــنى بالرَّباب وتارة ... تأتى على يده الرَّباب وزَيْنَب

وذكره أيضا في ذيل الخريدة . وأخبرني الرشيد بن عبد العظيم أنه توفى قبل سنة ثمانين وخمسمائة . وقرأت في ديوانه أنه مدح العاضــد في صباه ، ومدح الفاضل وابن شكر ، ومدح السلطان صلاح الدين وأخاه العادل .

وأنشد له صاحب الشعراء العصرية : [من الخفيف]

إن عيشَ الحَـمَّام أطيب عيش ... غــيرَ أنَّ المُقامَ فيــه قليلُ (١)

فهو مثلُ المَلول يُصفى لك الودْ ... دَ قليــلا لكنه يستحيــل (٢)

جنــة تكرَه الإقامة فيهــا ... وجحيمٌ يَلَذُّ فيــه الدخــول (٣)

فكأن الغريق فيــه كَليــمٌ ... وكأن الحــريقَ فيــه خليــل (٤)

ومن ديوانه قوله : [من الخفيف]

هو في الفقه ماهرٌ لا يبارَى ... وأديبٌ في جُمــلة الشعراءِ

/ لا إلى هؤلاء — إنْ طلبوه — ... وجــدوه ولا إلى هــؤلاء

٢٩ظ / ٣

وقوله في ابن قلاقس الشاعر ، وكان أثَّط : [من الخفيف]

لك وجهٌ — أبا الفتوح — أثَــطٌّ ... ما على لعين مثــله من جُنــاح

أَنِف الشَّعرُ أن يلوحَ عليــه ... وهْو يبدو على القِحاح القِبــاح

(١) المسالك ١٢ : ١١٦ : فيها . وبدائع البدائه ١٣٨ : الحمام عيش هنيء ... فيها .

(٢) المسالك : هى ... تصفى .. لكنها . الفوات : فهى مثل الملوك تصفى لك الود . ولكن وده مستحيل .

(٣) المسالك : فيها . الفوات والبدائع : وجحيم يطيب .

(٤) الفوات والبدائع : فيها .

وقوله : [من المتقارب]

أتانا الغلامُ ببطيخـــة (١) وسكينة قد أُجيدتْ صقالا

فقسّم بالبرق شمسَ الضحى (٢) وأعطى لكل هلال هلالا

وقوله : [من السريع]

يدفــعُ عن أجنــاده فى الوغى كذلك السِّنُّ أمــامَ القَنــاهْ

ابن الصياد المفيد هبة الله بن بدر المَذْحِجى (٣)

ذكره صاحب الخـــريدة قال : ووجدت له فى مجموع ألفه الجليس ابن الحباب من مدائح شعراء ابن رُزِّيك قوله من قصيدة فى ابن رزيك :

[من الطويل]

كأن اختطافَ الهام عندك بالظُّبا ابـ ـتهاجا به يومَ الوغى ثَمرٌ يُجْــنَى

/ ومن أخرى : [من الكامل]

٣٠ و / ٣

شرّدتهم حتى لقـــد قاسوا على (٤) تلك العِقابِ ألــيمَ كلِّ عِقابِ

هابوك فانْذعروا وحــقٌّ ذعرُهم (٥) إن السَّوامَ تهابُ ليثَ الغـــاب

وقوله من أخرى : [من الكامل]

لله أنت على أقبَّ مُطهَّـــمٍ (٦) نَهْدٍ بجوزاءِ السماءِ مُشَنَّـفِ

---

(١) المسالك ١٢ : ١١٦ : وسكينة بجودها .

(٢) المسالك : فقطع بالبرق ... وناول كل .

(٣) الخريدة ١ : ٢٤٢ .

(٤) العقاب (الأولى) : جمع عقبة ، وهى المرقى الصعب .

(٥) الخريدة : فانذعروا ومن أعذارهم .

(٦) الأقب : الفرس الضامر . المطهم : عظيم الوجنات . النهد : الجسيم . المشنف : ذو القرط .

وذكر أن الصالح بن رزيك كان يغريه بهجو جلسائه . وكان ابن الحباب كبير الأنف ، فكان ابن الصياد مولعا بهجوه ، له فى كبر الأنف أكثر من ألف مقطوعة ، حتى انتصر له أبو الفتح بن قادوس[1] فقال فيه : [من مجزوء الكامل]

يا من يَعيب أنوفَنا الشُّـ ـمَّ التى ليست تُعابُ
الأنف خلقـةُ ربنـا وقُرونك الشم اكْتساب

ابن الضَّيف

حَيْدَرة بن عبد الظاهر بن الحسن الرَّبعى[2]

ذكره صاحب الخريدة ، وأخبر أنه كان من دُعاة الأدعياء ، الغُلاة لهم فى الولاء ، فى حدود سنة خمسمائة فى عهد / آمرهم . ووقع إليه ديوانه ، فاختار منه ما يُعفِّى على مَساءته ، ويُغضِى به عن هفواته .

٣٠ظ
٣

قال ابن سعيد : وهو كثير المعارضة لطريقة ابن هانئ الأندلسى فى الغلو وصقل الألفاظ وقَعْقعتها . فمن ذلك قوله : [من الكامل]

هَزَّت كثيبا بالقـوامِ مَهيـلا وثَنَتْ قَضيبا فوقـه مجْدولا
ورنت بمُقلةِ جُؤْذَر هاروتها بالسحرِ ينفث بكرةً وأصيلا
ومضتْ مودعةً فعطَّرتِ الربا أرجا تجُرُّ به الرياح ذُيـولا
تُهدى الصَّبا منها لَطيمةَ عنبرٍ ونسيمَ أنفاسِ الرياح شَمولا

(١) كافى الكفاة محمود بن إسماعيل بن حميد الدمياطى ، من أماثل المصريين وكتابهم وشعرائهم ، مات فى ٥٥٣ — ابن ميسر ٩٧ ، الروضتين ١ : ١٠٣ ، الدواداری ٥٩٦ ، مجموعة الوثائق الفاطمية ١٤٢ .

(٢) الخريدة ١ : ٢٨٥ .

من ذم أيامَ الفراق فإن لى ... صبرا على يوم الفـــراق جميلا
إذ ودّعتْ فلثمتُ ثغرا أشنَبا ... ورشفتُ ريقا باردا معســـولا (١)

وقوله : [من الكامل]

تلك المنازلُ لو هتفتُ بها سَرى ... بعَليلهـــا نَفَسُ الرياح مُطيَّبـــا (٢)
فبها تُهزُّ قَنـــا بأشباه النَّقـــا ... وبهـــا تُسَلُّ ظُبا بأجفان الظِّبـــا
وبها كواعبُ لو تَسنَّمت الرُّبا ... طلعتْ لنـــا الأقمارُ من تلك الربا (٣)
بتْنا بها نجلو عروسَ زجاجةٍ ... قد أُلبست ثوبَ الرحيق المُـــذْهَبا
/ ونَشَمُّ ريحـــانَ الشعورِ مُطيَّبـــا ... ونَعَلُّ خمـــرا بالثغور مُشنَّبـــا (٤)

٣١ و
٣

وقوله : [من الخفيف]

كنتَ حَيّا فى المُـــرْدِ حتى إذا عَنْـ ... ـدَرَتَ جاء المَماتُ والتعـــذيرُ
مثل ســـطر العنوان يبدو ويُطْوَى ... منـــه فى باطن الكتاب ســـطور (٥)

وقوله : [من الكامل]

كم سابح أعددتُه فوجـــدتُه ... عند الكريهةِ وهْو نسر طائرُ
لم يرم قطّ بطَرْفِه فى غاية ... إلا وسابَقَهُ إليهـــا الحافـــر

سالم بن مُفرّج بن أبى حُصَينة (٦)

أصله من المعرة ، وهو من أرباب البيوتات ، فله مدخل فى كتاب الياقوت فى حلى ذوى البيوت . ذكره صاحب الخريدة ، وأنشد له : [من مجزوء الرجز]

(١) الخريدة : إن ودعت . خطأ . (٢) الخريدة : بها يرى .
(٣) الخريدة : تسنمن . (٤) الخريدة : وأشم . . وأعل . (٥) الخريدة : وتطوى .
(٦) الخريدة ٢ : ١٠٧ . الدواداری ٣٤٠ . ويتضح منه أنه كان من مداح الظاهر . وفى بدائع البدائه ١٥٤ : الرضى بن أبى حفصة الأحدب ، تحريف .

خُذْ ما صَفا من فَرحِ واستَجْلِ وجهَ القَدَحِ
فالعيشُ فى مُدامـةٍ تضم شمل الفرح[1]
كالشمس لونا وهى كالـ ـمسك متى ما نفح[2]

ابنه يحيى بن سالم بن أبى حُصَينة[3]

/ ذكر صاحب الخريدة أنه من مصر ، وجدُّه من المعرة ، من نسب الشاعر المعروف . قال : لقيته بمصر . وأنشد له من شعر : [من البسيط]

٣١ ظ
٣

وما تغزلتُ أنى مغرمٌ بهوى لكنَّها سُنَّةٌ فى الشعرِ للأوَّل
لأننى بك — عزَّ الدين — مُفتخِر فما أَضلُّ ولا أُعْزَى إلى الزَّلل

على بن نَدَا الكنانى

وجدت فى تقييد أنه كان شاعرا عَطَّارا بالقاهرة فى المائة السادسة بالتقدير ، منسوبا له : [من البسيط]

إنَّ الكريمَ إذا ما مَسَّ جانبَه فقرٌ مُمضٌّ وفَرَّت عنه عادتُه
يَلقاك وهو قريرُ العين مبتسم كالبرد يبلى ولا تبلَى نَضارتُه

أبو المظفر بن أحمد المصرى[4]

ذكر صاحب الخريدة أنه من مصر ، وأنه كان فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة . وأنشد له : [من المتقارب]

وقالوا : الأثير أبو طاهر يلوط جهارا ولكنَّه[5]
يحبّ الغلامَ إذا ما الْتَحَى وذاك دليل على أنه[6]

(١) الخريدة : تجمع شمل .
(٢) كذا فى الأصل ، وهو خطأ ، صوابه ما فى الخريدة : إذا لم تفح ، ليصح جزم الفعل .
(٣) الخريدة ٢ : ١٥٧ ، التجريد ٢٥٧ ، وهو الأحدب الذى تحدث عنه ابن الذروى .
(٤) الخريدة ٢ : ١٢٣ : الرقدلى . (٥) الخريدة : الأمير أبو طاهر . (٦) الخريدة : وهذا دليل .

أبو عبد الله محمد بن على القاهرى

أنشد له العماد فى ذيل الخريدة : [من الرمل]

٣٢ و / ٣

/ وبغـير الجرد لا تُرْقَى العلى   من يُسامى بسـواه يَتْعَبُ

لا يَنال المجـدَ إلا من غدا   جودُه بين الـوَرَى يُنْتَهَبُ

النجيب بن وزير المصرى

هبة الله بن وزير بن مقلَّد أبو المكارم (١)

ذكره صاحب الخريدة فيها وفى ذيلها . وقال : لقيته بمصر سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة . وأنشد له من قصيدة فى مدح سيف الإسلام بن أيوب :
[من السريع]

ظبىٌّ ظُبا أجفانه تُشْـهَرُ   لقتل صَبٍّ دمُـه يُهْدَرُ

لو لم يكن ظبيا لمـَا كان عمـ   ـمن رام أن يصطاده يَنْفِـر

أشكو ضلالا من غرامى به   والبدر من غُرَّتـه يظهر

ومنهـا :

فى كل حفلٍ ذكرُه طَيِّب   كأنمـا النادى لـه مجْمر

رماحه تُسقَى دماء العـدا   فهْى بهـاماتهـمُ تُثْمِر

وأكثر من إنشاد شعره وليس فيه طائل . وقال ثم عدت إلى مصر سنة ست وسبعين فأخبرت أنه قد مات . وأحسن ما أنشد له قوله : [من السريع]

٣٢ ظ / ٣

/ انظرْ إلى الأحدب مع عِرْسه   وهْى على الرَّبْطة مَبْطوحهْ (٢)

كأنه لمـا علا ظهـرَها   فارةُ نجـارٍ على شُـوحَهْ

(١) الخريدة ٢ : ١٤٣ ، بدائع البدائه ١٣٨ .   (٢) الخريدة : على الجبهة .

وله استعارات باردة وعبارات ركيكة ، كقوله في قصيدة يمدح بها شمس الدولة أخا صلاح الدين : [من الكامل]

بحرٌ جواهرُه مَناخرُه الْـ ـحسنى ونحن بلُجّه سمكُ

وقال في صفة حمام : [من البسيط]

لله يـوم بحمّام نعِمتُ بهـا والماءُ من حوضها ما بيننا جار (١)

كأنه فوق شقاتِ الرخام ضُحى أوائلُ المـاء في أثوابِ قَصّار (٢)

فلما سمع ابن الذروي ذلك قال : [من البسيط]

وشاعر أوقد الطبعُ الذكاءَ له فكاد يحرقه من فرط إذكاء (٣)

أقام يُعمِل أياما قريحتـه وشبه المـاء بعد الجهد بالماء (٤)

هبة الله بن عبد الغافر بن الصوّاف (٥)

أنشدله صاحب الخريدة : [من الطويل]

فياليتنا لمـا بلُينا بسُخْطِكم كَشَفْتُم لنـا قبل العقوبةِ ذَنْبَنا

ومنهـا :

/ كريمٌ رأى الدنيا تزولُ وأهلَها فأيقنَ أنّ الحمد أحمد ما اقْتَـنى

فكنْ واثقا يا من أتاه مُؤمِّـلا فقد وصلتْ يُمْناكَ منه إلى المُنى

٣٣ و
٣

محسِّن بن إسماعيل (٦)

[من الطويل]

أسهدَنا : مازال فعلُك مذهبـا وعن مذهب الإحسانِ غيرُك عادلُ

إذا فعل الناسُ الجميـلَ تكلُّفا فإنك للمعروفِ بالطبعِ فاعـل (٧)

(١) بدائع البداهة ١٣٩ : نعمت به . فوات الوفيات ٢ : ١٩١ : ما بيننا من حوضها .

(٢) البدائع والفوات : شفاف الرخام . . ماء يسيل على أثواب .

(٣) الفوات : الطبع الذكى . والبدائع : أركاد . (٤) البدائع : أقام يجهد أياما قريحته .

(٥) الخريدة ٢ : ١٠٨ . (٦) الخريدة ٢ : ١٠٩ . (٧) الخريدة : لئن فعل .

إبراهيم بن على التمتام (١)

أنشد له صاحب الخريدة : [من الكامل]

للحمدِ ما تُخفيـه أو تُبـديهِ ولنور وجـهِ اللهِ ما تُسْديه (٢)

أنت الذى شَرُف الزمانُ بفخره وغدا يَجرُّ بـه ذيولَ التيـه

الله يكفى المجدَ فى أفعاله الـ ـحسنى ويكفينا المكارِه فيه

أوليتنى ما لا أقـوم بشكره ومن المطيق لشكر ما توليه ؟ (٣)

عبد الرحمن بن عيسى الكتانى التمتام

أنشد له صاحب الشعراء العصرية قوله فى راقصة : [من البسيط]

رَقْراقةٌ لو مشتْ فى جفن ذى رَمدٍ لمَـا أحسَّ بـه من لُطفها أَلَمَـا

خفيفةُ الوَطْء لو مَرّتْ إذا رَقصت فى صفحة المـاء ما نَدّى لها قدما

/ شلعلع المهذب

٣٣ظ / ٣

أبو الفضل جعفر بن المفضل بن زيد بن خلف القرشى (٤)

قال صاحب الخريدة : هو من أهل عصرنا هذا بمصر ، وهو شيخ أثط ، وأنشد له : [من الكامل]

يامُولِىَ الإحسانِ والمِنَنِ إنْ لم تكن لمقاصدى فمن؟

ماخلتُ أنى بعدَ معرفتى إياكِ أشكو حادثَ الزمن

وأنشد له شعرا يودعه به فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة ، منه :

---

(١) الخريدة ٢ : ١٠٩ .

(٢) الخريدة : للجد ماتبديه أو تخفيه .

(٣) الخريدة : ومن القويم .

(٤) الخريدة ٢ : ١٢٤ . بدائع البدائه ١٠٧ ، ١٣٩ ، ١٥٠ ، ٢٣٠ .

[من مجزوء الكامل]

يا مُوجِفاً نحو الشآ ... م ومزعجنا بالبين مِصرا (١)

خَلِّف لقلبي إن تخـ ... ـلف للحوادث عنك صبرا

الجهجاه (٢)

ذكر صاحب الخريدة أن عضد الدولة مرهف بن أسامة بن منقذ (٣) أخبره أنه شاعر بمصر ، له في ابن بَرّى النحوى (٤) : [من الخفيف]

صَيَّر اللهُ ليلة الهجر وجهـا ... لابن بَرِّى وليلةَ الوصل قَدَّا

ذو حديث يُطفى جهنَّم بَردا ... ومُحيّاً كالقرد قُرباً وبُعْدا

أحمد بن بلال الكتبي دنقلة (٥)

/ ذكر صاحب الخريدة أنه من أهل مصر ، وقال : أنشدني لنفسه في غلام نصراني يعرف بالنحال (٦) : [من وافر]

٣٤ و
―
٣

نُحولي من بني النَّحال باد ... ببدر لَقَّبوهُ بالسعيد (٧)

تَقلَّد بالصليب ومرَّ يسعى ... إلى قُربانه في يوم عيد

ولاثَ بذلك الزُّنّار خَصْرا ... حكى في سُقْمه جسم العَميد

---

(١) الموجف : المسرع .

(٢) الخريدة ٢ : ١٣٢ .

(٣) ولد ٥٢٠ ومات ٦١٣ وكان مقربا من صلاح الدين والملك الكامل — الخريدة (قسم الشام) ١ : ٥٧١ . ذيل الروضتين ٩٣ .

(٤) أبو محمد ، النحوى اللغوى ، ولد ٤٩٩ ومات ٥٨٢ ، وكان يصحح الرسائل الصادرة عن ديوان الرسائل ، وألف كتبا أشهرها حواشيه على الصحاح — الوفيات ١ : ٢٦٨ . العبر ٤ : ٢٤٧ .

(٥) الخريدة ٢ : ١٥٦ .

(٦) الخريدة : بابن النحال .

(٧) الخريدة : لقبوه أبا سعيد .

سألتُ وصالَه فأبى دَلالا ... علىّ ومرّ كالظبي الشَّرود[1]

وقال: إذا عشقتَ البدرفاقْنَعْ ... إليه بَرْعى طرفٍ من بعيد[2]

عبد العزيز بن فادٍ[3]

ذكر صاحب الخريدة أنه من مصر، له نظم مقارب. قال: أنشدنى له فى سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بدمشق بعض المصريين، وذكر لى أنه يعيش: [من مجزوء الكامل]

ومُعَرْبِد الألحاظ صا ... حى الوعد سكران المطالِ

يرنو بأجفان كأنْ ... نَ لحاظها رشقُ النبال

قال: سألت الفاضل عنه فقال: ماهو من المعدودين. فقلت له: هذا شعره. وأنشدته البيت الذى فيه:

٣٤ ظ / * صاحى الوعد سكران المطال * فقال: «هذا غاية، وعهدى به لايصل إليها».

مسعود الدولة بن حريز الشاعر[4]

هكذا ذكره صاحب الخريدة، وأنشد له: [من الكامل]

أيامَ عيسى تشتكى سلمى وما ... تشكو سوى تصحيف أحرفِ سينِها

حَلفتْ لَتَرْقَينَّ السماءَ فمُذْ أتتْ ... قصرَ الخلافة برَّ عَقْدُ يمينِها

ابن جبر شرف الدولة يحيى بن حسن[5]

أخبر صاحب الخريدة أنه من شعراء صاحب مصر. وأنشد له من قصيدة فى ابن رُزّيك: [من البسيط]

(١) الخريدة: ومرعلى. (٢) الخريدة: طرفك. (٣) الخريدة ٢: ٢١٥.

(٤) الخريدة ٢: ٢٢٥. وانظر ٥١. (٥) الخريدة ٢: ٢٣١.

ما بزَّ من عزّ إلا البيضُ والأسَلُ ... ولا اجتنى الحمدَ إلا الحازمُ البطلُ (١)

ولا اقتنى المجـدَ إلا من له هِمَمٌ ... بعيـدةٌ بمحلّ النجـم تتّصل

كفارس المسلمين الأ ذُل الملك الثبـ ... ـتِ الهمام الذى تحيى به الدُّوَل (٢)

أبو الحسن بن شمول المصرى (٣)

ذكر صاحب الخريدة أن الغالب عليه إقراء القرآن . فيجب أن يكون فى كتاب نجوم السماء فى حلى العلماء قال : /وتوفى بعد سنة خمسمائة . وأنشد له، وهو رفيـع الطبقة : [من منهوك المنسرح]

٣٥ و
٣

تبسّمتْ إذ رأتنى ... وشيبُ رأسى يحومُ

فقلتُ : شَعْرِىَ ليلٌ ... والشيبُ فيه نجوم

فاستضحكتْ ثم قالت ... كما يقولُ الظلوم :

يا ليتها من نجوم ... غطّت عليها الغيوم

نشءُ الدولة بن المنجم على بن مُفرّج (٤)

وصفه صاحب الخريدة بالتبريز فى الشعر والبديهة ، وأن حاله بمصر أفسدها كونُه ضمن الملاهى ، وارتكب فى عسف الناس المناهى . وأخبر أنه نُفى إلى عَيْذاب (٥) . ثم وصل إلى الشام فى خدمة شمس الدولة بن أيوب. فلقيه العماد ، وأنشده كثيرا من شعره ، فمن ذلك قوله : [من الطويل]

---

(١) الخريدة : الفارس البطل . (٢) الخريدة : الملك الندب .

(٣) الخريدة ٢ : ٢٣٢ ، غاية النهاية ١ : ١٠٩ .

(٤) الخريدة ١ : ١٦٨ ، المسالك ١٢ : ١١٧ ، المغرب ٢ : ٤٨ ، النجوم ٦ : ٥٦ ، ٥٩ ، حسن المحاضرة ١ : ٥٦٥ ، بدائع البدائه ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ . ومات فى ٦١٦ .

(٥) عيذاب : ميناء مصرى على البحر الأحمر ، على حدود السودان .

وما خَضَب الناسُ البياضَ لقُبحِه فأَقبحُ منه حين يظهر ناصِلُهْ
ولكنّه ماتَ الشبابُ فسُخِّمتْ على الرسم من حزنٍ عليه منازله (1)

وأنشد له صاحب الشعراء العصرية : [من الوافر]

/ وظبي فوقَ وجنتِه ضِرامٌ وفى قلبى له أثرُ الحريقِ
وقد دبَّ العِذارُ به فلما أحسَّ النارَ عاجَ عن الطريق

٣٥ ظ / ٣

وقوله فى ابن الدَّوْرِيّ الشاعر : [من المنسرح]

كم قلتُ إذ قيل لى الوجيهُ كسا بُرْدتَه عبدَه على سَقَطهْ
والله ما لفَّه ببردته إلا لأخْذ القضيب من وسطه

وقوله وقد احترقت دار ابن صُورةَ الكُتُبى : [من الطويل]

أقول وقد عاينتُ دار ابن صورة وللنارِ فيها مارجٌ يتضرم (2)
كذا كلُّ مال أصلُه من تهاوش تراه سريعا فى نَهابرَ يُعدَم (3)
وما هو إلا كافرٌ طال عمرُه فجاءته لما استبطأتْه جهنم

وقوله فى مظفر الأعمى الشاعر : [من منهوك المنسرح]

قالوا : يقود ظُفُرٌ فقلت : هذا عنادُ
أعمى يقود ، وعهدى بكلِّ أعمى يُقادُ

وقوله فيه : [من المتقارب]

أبا العنز قل لى ولا تجحد : أحقًّا نَفَوْكَ عن المسجد ؟
وحقًّا رأوك على جبهة تُناطح فَيْشَلَةَ الأسود ؟

(1) النجوم : فسودت . (2) المسالك : قد ماج فيها مارج .
(3) التهارش : مقصور من التهاويش ، جمع تهواش ، وهو تفعال من الهوش بمعنى النصب والسرقة . والنهابر : المهالك ، وجهنم .

لقد كَذَبوا وتجنَّوا عليـ ـكَ بما سوف يلقَوْنه فى غد

/ وحاشاك من سجدة للعبيـ ـد وأنت لربِّك لم تسجد

٣٦ و
٣

وأخبرنى الرشيد بن عبد العظيم أنه كان كثير الهجاء ، وأكثر من هجاء ابن سناء الملك والفاضل البيسانى . وفى الفاضل يقول : [من الكامل]

مدحتْك ألسنةُ الأنام مخـافةً وتطابقتْ لك بالثنـاء الأحْسن

أتُرى الزمان مؤخِّرا فى مدتى حتى أعيش إلى انطلاق الألْسُن؟

عمران بن عمر الأنصارى

ذكره العماد فى ذيل الخريدة ، وأنشد له من قصيدة فى مدح الفاضل [من الطويل]

أحاجيكمُ : من قلَّد القمرَ القُرْطا ؟ وأسألكم : من ألحَفَ الغُصُنَ المِرْطا؟

سَلوا عنهمُ وادى الأراك فكَوْنُهم بأرجائه أبْقى الربيعُ لـهُ شَطا

وإلا فمـا بالُ الحمام صوادحا بأدْواحه والغيث فيهن قد حَطَّا ؟

فقـد بَثَّ فيها أُقْحوانا منوَّرا تخال بـه شُمَّ الربا لمـا شُمْطا

أبو العز مصطفى بن طرخان

ابن عبد الأعلى السعدى المصرى

٣٦ ظ
٣

/ ذكره العماد فى ذيل الخريدة ، وأنشد له من قصيدة يمدح بها السلطان صلاح الدين سنة سبع وثمانين وخمسمائة بمرج عكا : [من الخفيف]

مَلِكٌ من غرامه بالمعـالى كفُّه كلَّ ساعـة فى غَرَامَهْ

فاتكٌ والحسامُ فيـه نُبُـوٌّ مُسْفِر والسحابُ فيـه جهامه

وقوله من قصيدة فى الملك المظفر تقى الدين : [من الوافر]

صَحوتُ فرُحْ على بكأس راح فقـد لاحتْ تَباشيرُ الصباح

وفاح بذى الأَراك عَرارُ نجـد[1] فعطَّر عَرْفَ أنفاس الرياح

وقَبَّل صحنَ خدِّ الورد وَجْدًا على شغفٍ به ثغـر الأَقاح

وقوله من أخرى فاضلية : [من الرمل]

هـزَّه وجـدُ سليمى غُصُنا نَثَـر المَدْمَعَ عنه زَهَـرا

وقوله : [من الكامل]

ومن العجائب أنْ أصوغَ مدائحا لفتى ولستُ بمـدحه أرجوهُ

فإذا رأى وجهى تقطَّب وجهُه فكأننى بمـديحه أهجوه

أبو العز مظفر الأعمى بن إبراهيم العَيْلانى المصرى[2]

/ شاعر مشهور بالديار المصرية مذكور، ارتقى به الشـعر على كونه محجوب البصر حتى جالس السلطان الكامل، وصار عنـده معدودا فى الصدور الأماثل، وبينه وبينه مُشاعرَة تَرِد فى ترجمة الكامل . وأنشد له صاحب الشعراء العصرية : [من البسيط]

٣٧ ر
٣

مولاى مالك لا تحنو على دَنِف هَواك من هذه الدنيا وظيفتُه؟[3]

ما اسودَّ خَدُّكَ إلا ابيضَّ عارِضُه[4] مما يُقاسيه واسودت صَحيفتُه

---

(١) ذو الأراك : موضع ببلاد العرب . والعرار : بهار البر، وهو طيب الرائحة .

(٢) موفق الدين، الأديب العروضى : ولد ٥٤٤ ومات ٦٢٣ — الوفيات ٢ : ٩٨ . بغية الوعاة ٢ : ٢٨٩ . المسالك ١٢ : ١٢٠ . معجم الأدباء ١٩ : ١٤٨ . الشذرات ٥ : ١١٠ . نكت الهميان ٢٩٠ . بدائع البدائه ١٤٢، ١٤٩ . فوات الوفيات ٢ : ١١١ . حسن المحاضرة ١ : ٥٦٦ .

(٣) المسالك : جفاك من هذه .

(٤) المسالك : حتى ابيض مفرقه .

وقال الرشيد : أنشدنى لنفسه ، وقد خرج الناس إلى لقاء الوزير ابن شكر وتأخر هو ، وكان لقاؤهم له فى موضع يقال له الخَشَبِى : [من البسيط]

قالوا : إلى الخَشَبِى سِرْنا على مَهَلٍ (١) ... نلقى الوزير جموعا من ذوى الرتبِ

ولم تَسِرْ ؟ قلت : والمولى ونعمته ... ما خفتُ من تعبٍ ألقى ولا نَصَبِ (٢)

وإنمـا النارُ فى قلبى لغيبته ... وكيف أجمع بين النار والخَشَبِ ؟ (٣)

قال : وأنشدنى أيضا لنفسه (٤) : [من مجزوء الكامل]

قالوا : عشقتَ وأنت أعمى ... ظبيا كَحِيلَ الطرف أَلْمَى !

/ وحُلاه ما عاينتها ... فتقول : قد شَغَفَتْكَ وَهْما (٥)

فأجبتُ إنى مُوسَوِىُّ ... العشقِ إنصاتا وفهما

أهوَى بجارحة السما ... ع ولا أرى ذاتَ المُسَمَّى (٦)

٣٧ ظ / ٣

أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح الأشترى

ذكر البِرْزالى (٧) صاحب ذيل تاريخ ابن عساكر أنه من ولد الأَشْتَر النخعى (٨) ، مصرى المولد والمنشأ ، وأنشد له : [من الكامل]

---

(١) المسالك : على لهف . الوفيات والنكت : على مهل . وفيها : جمعها .

(٢) المسالك : تعب كلا ولا . الوفيات والنكت :

ولم تسر أيها الأعمى ، فقلت لهم : ... لم أخش من تعب ألقى ولا نصب

(٣) النكت : لوحشته . الوفيات : لوحشته لخفت أجمع . المسالك : نخفت .

(٤) نسبها فى فوات الوفيات ١ : ٢٦٥ لعز الدين أبى بكر الحسن بن محمد الاربلى . وهى فى نكت الهميان ٧٣ لظافر . (٥) الوفيات : فتقول . المسالك : هما . ياقوت : فكأنها شغفتك .

(٦) الوفيات والمسالك : ذاك المسمى . وفى الأصل : ذاك ، ثم كتب (ت) فوق الكاف ، ولم يحذف إحداهما . (٧) الزكى أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الإشبيلى ، محدث الشام ومفيده : سمع بالحجاز ومصر والشام والعراق وفارس ، مات فى ٦٣٦ عن ستين سنة — العبر ٥ : ١٥١ .

(٨) مالك بن الحارث بن عبد يغوث ، من كبار أنصار الإمام على ، ولاه مصر فى ٣٧ ، غير أن عمرو بن العاص دفع من دس له السم فمات على حدودها — ولاة مصر للكندى ٤٦ . الخطط ١ : ٣٠٠ . النجوم ١ : ١٠٢ . حسن المحاضرة ٢ : ٦ .

لا تعجبنّ إذا دهتْك مصيبةٌ ... من صاحب عكفتْ عليك ذئابُه
واحذر مُصافاة الصديق فربما ... أدّت إلى غرق الغريق ثيابُه

وقوله : [من المتقارب]

يقولون لى : جلّقٌ جنةٌ ... مزخرفةٌ للورى مُفتِنه[(1)]
فقلت : وما إنْ بها محسنٌ ... يُرى للغريب ولا محسنه
إذا قُطع الماءُ منها غدتْ ... كأربابها جيفةً مُنْتِنه

العميد يوسف المصرى المعروف بصهر يعقوب

أنشد له صاحب الشعراء العصرية : [من الكامل]

/ أتُراه ما حسِب الظلامَ البحرَ والزْ ... زَهرَ الحَباب ولا السماءَ العرْمضا[(2)]

٣٨ ر / ٣

الجمال بن الخشاب

أبو الحجاج يوسف بن أبى الفضل بن عبد الله

من أشهر شعراء القاهرة الآن ، وأحظاهم عند أمرائها بالصِّلات ، وأنواع الإحسان ، وله إقدام يُعينه على ذلك . اجتمعت به فى القاهرة ، وأنشدنى لنفسه على لسان مِجْمَرة طِيب : [من مجزوء الكامل]

أنا من أظرف ما يتْ ... تخذُه الناسُ لطيبِ
للندامى فلكٌ فيـ ... ـه شروقى وغروبى
أتغطى بذيول الـ ... ـقوم من عين الرقيب[(3)]
حظ من يملكنى الجنْ ... نةُ والنارُ نصيبى

---

(١) جلق : دمشق .
(٢) العرمض : الطحلب .
(٣) فى الأصل : خوف الرقيب ، ثم كتب فوقها : عين الرقيب ، ولم يحذف أيهما .

وقوله : [من البسيط]

حَيَّتْ بصبح بَنان قَمَّعَتْه دُجًى … يُزْهَى على كل حسن رَيِّق بهج

فقلت إذ كَشفتْ منها أناملُها : … يا حُسْنَ ما طُعِّم البلُّور بالسَّبج

وقوله : [من البسيط]

أصاب لما رمى عن قوس حاجبه … قلبى ، فحكَّم فيه أسهمَ النظَر

/والبدرُ فى القوس يبدو فى السماء ، وذا … فى الأرض تُبصر منه القوسَ فى القمر

٣٨ ظ
٣

على بن شاهِنشاه الحدّاد

من شعراء العصر ، تركته بالقاهرة ، ووقفت له على قصيدة يمدح فيها جلال الدين مكرم بن حَبَقة المتقدم الترجمة ، منها : [من الوافر]

يُسلم طرفُها مهما التقينا … وليس لنا مدى الدهر اتّصالُ

فواحُرقى بوجه مثل شمس … تَنوءُ عليه من شَعَر ظلال

ومنها قوله :

وعاذلة تلوم على سَماحى … وما تدرى بما ضمن الجلال

دَعينى أبذلُ الدنيا جميعا … فلى أبدا على يده اتكال

أبو الحسين بن عبد الخالق الكنانى البراد

لقيته بالقاهرة برادا فى دكان ، مكثرا من الشعر على مر الزمان ، مادحا به لفلان وفلان ، وشعره من نوع الشعر البراد . وبلغنى أنه مات . وقد تقدم له شعر فى صدر هذا الكتاب . ومما أنشدنى لنفسه : [من الوافر]

جُننتُ به إلى أن لاح قُفْلٌ … بعارضه كليل فى صباح

وما أبصرتُ قفلا قبل هذا … يكون لمرتَق سببَ السَّراح

٣٩ ر / ٣

/ البَدْر بن المُسَجِّف
أبو محمد عبد الرحمن بن أبي القاسم ابن غنائم الكِنَانى [١]

ذكره ابن المستوفى فيمن ورد على إرْبِل. وأخبر أنه مدح ملكها مظفر الدين وخلع عليه ، وأنه عَسْقلانى الأصل ، مصرى المولد، دمشقى المَنْشأ .

وأنشد له قصيدة فى مدح بدرالدين ملك الموصل ، منها : [من الطويل]

دَعَوْهُ ببدر الدين ، وهْو حقيقةً ... أجلُّ وأبهى من سَنا الشمس والبدرِ

لأنّ كمالَ البدر فى الشهر ليــلة ... وذا كاملٌ فى كل يوم من الشهر

وقوله : [من السريع]

إربلُ دارُ الفسق حقا فــلا ... يعتمدُ العــاقلُ تَعْزيزَها

لو لم تكن دارَ فسوقٍ لمــّا ... أصبح بيتُ النار دهليزهــا

وحسنت له هذه التورية لأن بيت النار مكان يقرب من إربل .

قال : وكانت صنعة أبيه تسجيف الفراء .

قال ابن سعيد : كان ابن المسجف ــ سامحه الله ــ صاعقة / ثانية لابن عنين [٢] ،

٣٩ ظ / ٣

له أهجاء شائعة وأذاية خالدة . وقد مات ــ رحمه الله وغفر له ــ وأنشدنى له أحد من كان يصحبه بدمشق ، وأخبر أنه كان بها حين مَلكها السلطان الصالح ابن الكامل بن العادل بن أيوب : [من البسيط]

عاينت أحمد لمــا جاء من سفرٍ ... والشمسُ قد أثّرت فى وجهه أثَرا

فاعْجبْ لما أثّرته الشمسُ فى قمرٍ ... والشمسُ لا يَنْبغى أن تدرِك القمرا

(١) فوات الوفيات ١ : ٥٣٧ وقد ولد فى ٥٨٣ ومات فى ٦٣٥ . وكان أديبا ظريفا خليعا ، أكثر شعره فى الهجاء .

(٢) شرف الدين أبو المحاسن محمد نصر الله بن مكارم الأنصارى الدمشقى ، مات فى ٦٣٠ عن إحدى وثمانين سنة ، وديوانه مطبوع بدمشق ــ العبر ٥ : ١٢٢ .

الحلة من زينة العروس القاهرية

من كتاب تلقيح الآراء فى حلى الحجاب والوزراء

وزراء مصر الحلّة الذين ظهروا ودُوِّنت أخبارهم إنما كانوا فى زمان خلفائها المصريين . وأوّل من وَزَر لهم بالقاهرة ابن كِلِّس الإسرائيلى . وهو أوّل من ذكره ابن الصَّيْرَفى فى كتاب الوزراء له[1]. وقد تقدّمت ترجمته فيمن له نَظْم / من الوزراء . وتقدمت ترجمة الأفضل شاهنشاه، وترجمة طَلائع ابن رُزِّيك . وهؤلاء فُضَلاء وزراء مصر فى النِّظام .

40 و
3

وللجَرْجَرائى واليازُورى نثر حسن . ولكنهما مذكوران فى البلدين اللذين يُنسبان إليهما من العراق والشام .

وأعظم هؤلاء الوزراء المصريين الذين ليس لهم نظم ولا نثر، ولهم أخبار دُوِّنت، الأفضل أبو على بن الأفضل شاهنشاه . وعباس الصِّنْهاجى والمأمون البَطائحى وشاوَر . وقد تقدم من ذكر هؤلاء فى أثناء تراجم الخلفاء وترجمة السلطان صلاح الدين ما تقدم. وليست أخبارهم هنا مما نطيل فيها فنحتاج لهم تراجم . ولكن رأيت أن أفرد لهم فصلا أورد فيه من كتاب ابن الصيرفى المذكور ما يكون فيه فائدة باختصار مريح من التكرار والتطويل.

(1) الإشارة إلى من نال الوزارة 19 .

فصـــل

ذكر أن ابن كلّس كان يهوديا، وأسلم على يد كافور، وترقّى إلى أن ولى وزارة العزيز . وقد تقدمّت ترجمته .

٤٠ظ / ٣

/ ووَزَر للعزيز أيضا جَبْر بن القاسم[1]، وكان من وزراء الدولة الذين وصلوا مع المعز من إفريقية .

ووزر له على بن عمر العَدّاس[2] .

وذكر أن الخليفة الحاكم كان يباشر الأمور بنفسه، ويتولى النظـــر والتدبر . وكل الوزراء الذين اصطفاهم لم تطُل أيامهم، فتظهر فيها غرائب من أفعالهم ولا نوادر من آثارهم ، وإنما أُوردوا حفظا لذكر من نال هـــذه الرتبـــة .

فأول من وَزَرَ له ابن عَمّار أمين الدولة أبو محمد الحسن[3] . وآل أمره إلى أن استولى على الدولة ثم حُبس ثم قتل . وكُتب فى شأن قتله كتاب فيه : « الحمدُ لله قاطع الإنسان بقاطع الأسباب[4] » . وعُدِّدت ذنوبه .

---

(١) الإشارة ٢٣ . ولم يذكره ابن ميسر فى وزراء العزيز .

(٢) الإشارة ٢٤ . (٣) الإشارة ٢٦ . (٤) الإشارة : الأسباب .

ثم استولى على الدولة الأستاذ برْجُوان[١] . وتاه وصار لاينظر إلا إلى السماء فقتله الحاكم وأخذ له من الذخائر مالا يحصَى .

ووزرله قائد القوّاد الحسين بن القائد جوهر[٢] . أبوه جوهر الذى فتح لهم مصر . واشترك معه فى الوزارة أبو العلا فهد بن إبراهيم[٣] إلى أن قُتل فهــد وأحرق . وأقام الحسين منفردا بالوزارة إلى /أن خاف وهرب ثم أمّن ثم قُتل .

٤١ ر / ٣

ووزر للحاكم زُرْعة بن عيسى بن نَسْطُورس[٤]، ولُقِّب بالشافى . ومات حتف أنفه .

ووزر له أمين الأمناء أبو عبد الله الحسين بن طاهر[٥] ، وضرب الحاكم عنقــه .

وولى الوزارة ابنا أبى السيِّد الحسن وعبد الرحمن[٦]، ثم قتلهما الحاكم بعد ستين يوما ويومين .

ووزرله أبو العباس الفضل بن الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات[٧] . ثم قتله بعد خمسة أيام من جلوسه .

ووزرله زين الوزراء ذوالرئاستين أبو الحسن على بن جعفر بن فلاح[٨] . وأبوه جعفر هو ممدوح ابن هانئ الأندلسى ، وكان واليــا على الشام[٩] للمعز . ومرض على بن جعفر فعاده الحاكم ، وحمل إليه تحفا ، وركب من داره إلى

(١) الإشارة ٢٧ . (٢) الإشارة ٢٨ .
(٣) الإشارة ٢٨ . ابن ميسر ٤١ . ابن القلانسى ٥٠ ، ٥٩ .
(٤) الإشارة ٢٨ . (٥) الإشار ٢٩ .
(٦) الإشارة ٣٠ . وفى الدوادارى ٢٨٩ : عبد الرحيم .
(٧) الإشارة ٣٠ . الدوادارى ، ٢٩٠ .
(٨) الإشارة ٣٠ . (٩) ابن القلانسى ٧–٥٨ ، ٦٦ .

القاهرة . فلما صار بقرب البرك التي تلي الخليج ، لقيه فارسان متنكران فرماه أحدهما برمح ، وولى هاربا ولم يُدْرَك . فمات من تلك الجَرْحة غد يومه ؛ وصلى عليه ولي العهد ؛

ووزر له تاج المعالي صاعد بن عيسى بن نسطورس[(١)] فأناف به الحاكم على رتبة / أخيه ، وسمّاه بقسيم الخلافة . ثم قتله بعد ثلاثة أشهر ؛ ‏٤١ظ ٣

ووزر له الأمير أبو الفتح مسعود بن طاهر[(٢)] ثم عزله ؛

ووزر له الأمير زين الرؤساء أبو الحسن عمار بن محمد[(٣)] . ولم يزل إلى أن قُتل الحاكم وأخذ البيعة لابنه الظاهر . فقُتل عمار في خلافة الظاهر .

ووزر له يد الدولة أبو الفتوح موسى بن الحسن[(٤)] ، واعتُقل ثم قُتل عن قرب .

ووزر له الأمير مسعود بن طاهر[(٥)] ، الذي وزر للحاكم ، ثم عُزل .

ووزر له ناصح الدولة الحسن بن صالح الرُّوذباري[(٦)] ، ثم صرف .

وولي أبو القاسم علي بن أحمد الجَرْجَرائي[(٧)] ، من أهل جَرْجَرايا قرية من سواد العراق. ومات الظاهر فتولى أخذ البيعة لابنه المستنصر . ومات في مدة المستنصر وهو وزير .

ووزر له صَدَقة بن يوسف الفلاحي[(٨)] ، وكان يهوديا فأسلم . ثم قُتل ؛

ووزر أبو البركات الحسين بن محمد أخي الجَرجرائي[(٩)] إلى أن عُزل وتوفي .

---

(١) الإشارة ٣٣ . الدواداري ٢٩٦ . (٢) الإشارة ٣٣ . الدواداري ٢٩٦ ، ٣١٧ .
(٣) الإشارة ٣٣ : أبو الحسين . (٤) الإشارة ٣٤ . الدواداري ٣١٥ .
(٥) الإشارة ٣٤ . (٦) الإشارة ٣٤ . وفي ابن القلانسي ٦١ ، والدواداري ٣٢١ : أبو الحسن علي بن صالح بن علي الروذباري . (٧) الإشارة ٣٥ .
(٨) الإشارة ٣٧ . ابن ميسر ١ ، ٢ . ابن القلانسي ٧٣ ، ٧٤ . الدواداري ٣٥٦ — ٧ .
(٩) الإشارة ٣٨ . ابن ميسر ٢ ، ٥ ، ١٤٩ — ٥ ، ٣١ . ابن القلانسي ٨٤ . الدواداري ٣٥٧ .

ووزر صاعد بن مسعود . ثم صُرِف .[١]

ووزر قاضى القضاة وداعى الدعاة أبو محمد الحسن بن على اليازُورى[٢] ، من يازور / من عمل الرملة . وعظم أمره . وفى مدّته خُطب للمستنصر ببغداد ، وتسلطت العرب على إفريقية من قبله لكون سلطانها المُعز بن باديس قَصَّر به فى المخاطبة . وآل أمره بعدما صنع هذين الأمرين العظيمين بالمشرق والمغرب إلى أن قُبض عليه وقُتل .

٤٢ د ٣

وولى الوزارة للمستنصر أبو الفرج عبدالله بن محمد البابلى[٣] . وُلّى وعُزل ثم ولى وعزل ثم اعتُقل إلى أن مات .

ووزر الكامل أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المغربى[٤] ، من البيت المشهور ببنى المغربى ، الذين منهم أبو القاسم الشاعر الفاضل وصُرف أبو الفرج ، فرَغب أن يُولَّى ديوان الإنشاء . وهو أول من سن هذه السنة ونبّه على ما فيها من المصلحة .

ووزر عبد الله بن المُدبِّر[٥] ، من البيت المشهور بالعراق . ثم صُرف ثم وُلّى .

وولى الوزارة عبدالكريم بن عبد الحاكم الفارقى[٦] . وتوفى بعد ما صرف .

وولى ذو الكفايتين أبو عبد الله بن سديد الدولة[٧] ثم صرف وتوفى .

---

(١) الإشارة ٣٩ . ابن ميسر ٥ . (٢) الإشارة ٤٠ .

(٣) الإشارة ٤٦ . ابن ميسر ١٠ ، ١٢ — ٤ ، ٣٢ . الدوادارى ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ .

(٤) الإشارة ٤٧ . الدوادارى ٣٧٢ .

(٥) الإشارة ٤٨ . ابن ميسر ١٢ ، ١٤ ، ٣٢ . الدوادارى ٣١٧ ، ٣٧٥ : عبد الله بن يحيى ابن المدبر .

(٦) الاشارة ٤٨ . ابن ميسر ١٢ ، ١٣ ، ٣٢ . الدوادارى ٣٧٥ — ٧ .

(٧) الاشارة ٤٩ . ابن ميسر ١٣ — ٤ ، ٣٢ — ٣ . الدوادارى ٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٨٢ : الحسين بن على .

ووزر دفعتين أبو أحمد بن عبد الكريم بن عبد الحاكم (١)، وصُرف ونُكب وتوفى بالشام .

٤٢ ظ / ٣ / ووزر عبد الظاهر بن فضل بن العجمى (٢). وأعيدت له الوزارة مرات . وقتله تاج الملوك شاذى (٣) .

ووزر قاضى القضاة أحمد بن أبى دُرَيْنة (٤) . قال : تولى الوزارة خمس دفعات ، وكان وزيرا وقاضيا ، وكان قاسى القلب . ويقال : إنه من ولد عبد الرحمن بن مُلْجِم (٥) ، لعنه الله . وصَيَّره أمير الجيوش إلى دمياط فقُتل بها . وقيل : إنه ضُرِب عند القتل بسيف كليل إحدى عشرة ضربةً قبل أن بان رأسُه ، وهذه عدة الدفعات التى وَلى فيها الوزارة والقضاء . وهذا من عجيب الاتفــاق .

ووزر العادل أبو المكارم [بن] أسعد (٦) . قال : ولى وزارة المستنصر دفعتين ، وقتله أمير الجيوش .

ووزر العميد أبو على الحسن بن إبراهيم بن سهل التُّسْتَرى (٧) ، وكان يهوديا فأسلم . أقام فى الوزارة عشرة أيام ثم استعفى .

(١) الإشارة ٤٩ ، ٥٠ ، ابن ميسر ١٠ ، ١٢ ، ١٥ — ٩ ، ٣٢ الدوادارى ٣٧٢ ، ٣٧٥ — ٧ . وذكر ابن الصيرفى وزيرين باسم أحمد بن عبد الكريم ، كنى أولهما أبا على ، والآخر أبا أحمد ، ويبدو أنهما شخص واحد كما فى التواريخ الأخرى . وإذن فاسم الوزير عند المؤلف ناقص . وتتمته : أبو [على] أحمد بن عبد الكريم ... (٢) الإشارة ٥٠ . ابن ميسر ١٤ — ٥ ، ٢٢ ، ٣٢ . الدوادارى ٣٧٩ .

(٣) أحد القواد الأتراك — ابن ميسر ١٨ — ٩ ، ٢١ ، ٣٢ .

(٤) فى غير المغرب : كدينة . الإشارة ٥١ . ابن ميسر ١٥ ، ٣٢ .

(٥) قاتل الامام على .

(٦) العادل أبو المكارم المشرف بن أسعد بن عقيل . الإشارة ٥١ . ابن ميسر ١٥ — ٦ ، ٢٣ ، ٣٢ . ابن القلانسى ٣٢٠ . الدوادارى ٣٧٩ .

(٧) الإشارة ٥٢ . ابن ميسر ١٥ ، ٣٢ . الدوادارى ٣٧٩ .

ووزر أبو القاسم هبة الله بن محمد الرَّعْيانى[1] ، من الطارئين على مصر ، ولى وزارة المستنصر دفعتين ، أقام فى كل مرة منهما عشرة أيام وانصرف .

ووزر له الأمير كافى الكفاة أبو الحسن على / بن الأنبارى[2] ، أقام أياما ، وانصرف . (٤٣ و ٣)

ووزر له أبو على الحسن بن سديد الدولة[3] ، ولى وقد اختل الأمر وسقطت الهيبة . فأقام أياما وانصرف إلى الشام بعدما تلاعب به الكُتاميون .

ووزر له أبو شجاع محمد بن الأشرف[4] ، من رؤساء العراقيين ، قتله أمير الجيوش .

ووزر له فخر الملك أبو غالب محمد بن على بن خلف[5] ، وكان وزيرا لبهاء الدولة بن عضد الدولة بن بُويه[6] ببغداد .

ووزر له طاهر بن وزير[7] ، من طرابلس الشام ، وانصرف بعد أيام .

ووزر له أبو عبد الله محمد بن أبى حامد[8] ، من أهل تِنِّيس[9] . أقام فى الوزارة يوما واحدا ثم صُرف وقُتل .

---

(١) الاشارة ٥٢ . ابن ميسر ١٦ . الدوادارى ج ٣٨ — ١ .

(٢) الاشارة ٥٢ . ابن ميسر ٤ ، ١٦ ، ٣٣ . الدوادارى ٣٨١ — ٢ .

(٣) الاشارة ٥٣ . (٤) الاشارة ٥٣ . ابن ميسر ١ ، ٢٣ ، ٣٣ الدوادارى ٣٨٢ ، ٣٨٦ .

(٥) كذا فى الأصل . وهو خطأ ، صوابه كما فى الاشارة : وأبوه فخر الملك أبو غالب بن الصيرفى ... لأن الفخر لم يتول وزارة المستنصر فى القاهرة ، بل وزارة بهاء الدولة البويهى وابنه سلطان الدولة فى بغداد ، وقتل فى ٤٠٧ هـ . وكان جوادا ممدحا — الوافى بالوفيات ٤ : ١١٨ . وانظر ابن ميسر ٣٣ .

(٦) أبو نصر فيروز وقيل خاشاد ، تولى فى ٣٧٩ وخلع الخليفة الطائع فى ٣٨١ ومات فى ٤٠٣ وكان ظالما غشوما سفاكا للدماء .

(٧) الاشارة ٥٣ . ابن ميسر ١٦ ، ٣٣ . وفى الدوادارى ٣٨٦ : طاهر بن زبر .

(٨) الاشارة ٥٤ . ابن ميسر ١٦ ، ٣٣ ، الدوادارى ٣٨٦ .

(٩) تنيس : فى الشمال الشرقى من بحيرة البرلس .

ووزر له أبو سعد منصور بن زنبور[(١)] . كان نصرانيا فأسلم ، ثم هرب من طلب أرزاق الجند وبطل أمره .

ووزر له أبو العلاء عبد الغنى بن نصر بن سعيد[(٢)] ، قتله أمير الجيوش ؛

قال ابن سعيد : إنما كثر وزراء المستنصر لطول مدّته فى الخلافة ، ولتساط والدته السيدة / عليهم بالمصادرة والاستبدال إلى أن سلط الله عليها ناصر الدولة بن حمدان[(٣)] الثائر بالإسكندرية ، دخل القاهرة ، واستولى على الدولة ، وصادر أم الخليفة حتى لم يبق لها شيئا . ووقع التخبيط . وآل الأمر إلى أن قُتل ناصر الدولة ووصل من الشام سلطانها أمير الجيوش بدْر الأرمنى[(٤)] من مماليك الدولة . فأصلح الأحوال ، وقتل من خاف منه باطنه أو ظاهره حتى استقرت الأمور على يده ، وصارت الوزارة سلطنة . ومات فى مدة المستنصر[(٥)] ، وأمره قائم ، وسلطانه ظاهر .

٤٣ ظ
٣

فولى الوزارة ابنه الأفضل شاهنشاه[(٦)] . وقد تقدمت ترجمته فى الوزراء الفضلاء . ومات المستنصر والأفضل وزيره . فعدَل الأفضل عن أخذ البيعة لولى عهده نزار بن المستنصر إلى أخيه المستعلى بن المستنصر . واستولى على الدولة إلى أن مات المستعلى ، فأخذ البيعة لابنه الآمر . فوضع الآمر عليه من قتله أو قتلته النِّزارية كما تقدم .

(١) الاشارة ٥٤ . ابن ميسر ١٣ ، ١٦ . الدوادارى ٣٨٦ .
(٢) الاشارة ٥٤ . ابن ميسر ١٦ ، ٢٣ ، ٣٣ . الدوادارى ٣٨٦ ، ٤٠٠ .
(٣) الحسين بن الحسن — ابن ميسر ٣ ، ٥ ، ٩ — ١٢ وغيرها .
(٤) الاشارة ٥٥ . (٥) فى ٤٨٧ هـ . (٦) الاشارة ٥٧ .

٤٤ د / ٣

وولى الوزارة بعده للآمر / المأمون البطائحى[(١)] . وله صنف ابن الصيرفى كتاب الوزراء المذكور ، وعنده انتهى . وآل أمره إلى أن قتله الآمر . وما زالت الوزارة مضطربة فى مدة الآمر إلى أن استبد ولم يستوزر أحدا ، وقتله النزارية .

وولى الخلافة الحافظ ، واستوزر الأفضل أبا على بن الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش . فاستولى على الدولة ، وسجن الخليفة ، ثم أسقط اسمه وصار يخطب لأئمة الإمامية إلى أن فتك به غلمان الحافظ فى الميدان ، وهو يلعب بالأكرة فقتلوه .

وعاد الحافظ إلى خلافته ؛ واستوزر ابنه ولى عهده . ثم اتهمه فى طلب الأمر والاستبداد فسمه ودبر الأمور بنفسه . وقد تقدم ذكر ذلك وما يغنى عن الإطالة فى أخبار الوزراء فى تراجم الخلفاء المذكورين .

وكان الذى استولى على خلافة الظافر عباس الصنهاجى ، من ولد تميم ابن المعز سلطان إفريقية بعدما قتل زوج أمه العادل بن السلار .

٤٤ ظ / ٣

ثم قتل الخليفة وأخوين له ، فوصل طلائع بن رزيك الغسانى / من منية ابن خصيب — وكان واليا عليها — طالبا للثأر واستولى على الدولة ، وقد بويع الفائز بن الظافر بالخلافة ، وهو صغير السن . وآل الأمر إلى أن فر عباس فقتله الفرنج . ومات الفائز فأخذ طلائع البيعة للعاضد ، وصاهره بابنته كما تقدم .

---

(١) الاشارة ٦٢ .

وقُتل طلائع فى دهليز القصر ، وولى الوزارة ابنه رُزِّيك :

ثم جاء من الصعيد شاور الجُذامى — وكان واليا عليه — ففتك برزيك ، واستولى على الدولة .

وكان من اضطراب أمره ما ذُكر فى ترجمة السلطان صلاح الدين إلى أن قتله السلطان صلاح الدين ، ووزر عمُّه أسد الدين شيركوه بن شاذى للعاضد .

ومات عن قُرْب فوزر السلطان صلاح الدين بن أيوب ثم استبـد وخلع العاضد وخطب للمستضىء العباسى . فصارت سلطنة مصر متوارثة فى بنى أيوب ، وانقرضت منها الخلافة ووزارتها .

ومن كتاب نجوم السماء فى حلى العلماء

45 و / 3

/ ابن مهذّب أبو العلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن بن حسين[1]

أصل هذا البيت من القيروان، يتوارثون خطة الخزانة، وكان وصولهم مع المعز.

ولأبى العلاء كتاب سيرة الأئمة، مخصوص بأئمتهم من المهدى إلى آخر دولة الحاكم. وقد نقلت منه فى هذا الكتاب.

الرُّوذبارى أحمد بن الحسين بن أحمد

أصل هذا البيت من العجم، ووُلد أحمد بالقاهرة. وأخبر فى كتابه الذى صنفه فى تاريخ خلفاء مصر، وسماه «بَاشْكَر الأدباء» أن مولده فى ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة، وسماه مولاه المعز. وذكر أنه شاهد أكثر أيام العزيز. وكان موجودا لمامات العزيز وذكر من سيرة الحاكم عجائب، وقد نقلت منه إلى هذا الكتاب.

جمال المُلْك الأمير أبو على موسى بن الوزير المأمون البَطائحى

45 ظ / 3

وزر أبوه للآمر خليفة مصر وقتَله، ونشأ ابنه أديبا / فصنف فى تاريخهم كتابا، وقفتُ عليه فلم أر أجمع للهذيان منه، وهو فى أربع مجلدات لا يقدر المنتقى يختار منه شيئا إلا ما ندر، ولعل ذلك أقل من القليل.

(1) بغية الوعاة 2 : 101 . ونقل عن مقفى المقريزى أنه صنف كتابا كبيرا فى اللغة .

ابن سند المنجم[1]

ذكر القرطى أنه لم يكن بالقاهرة فى صناعة النجوم مثله . وهو الذى صنع الرصد للحاكم والزيج الحاكم، وكان آية فى زمانه، وخرج على يده كنوز كثيرة.

الرشيد أبو بكر محمد بن عبد العظيم بن عبد القوى

من ولد النعمان ابن المنذر ملك الحيرة . كان هو الذى صنف تاريخ مصر على حروف المعجم، ونحا به مَنْحى كتاب الخطيب فى بغداد . وعاجلته المنية وهو لم يُبْرز من كمامه ولا انتهى إلى تمامه ، فمات شابا. وكان سبب موته أنه استُدعى إلى جُبّ فيه فرنج ، قد مات أحدهم ليشهد بموته ومعاينته ، فدلوه فى الجب. فلما طلع منه مرض من حينه ومات . وأبوه[2] الآن عالم القاهرة فى الحديث ومعرفة رجاله. وكنت بالقاهرة لما مات ،/ وذلك فى سنة أربع وأربعين وستمائة .

٤٦ و / ٣

(١) ابن ميسر ٦٤ .

(٢) زكى الدين أبو محمد المنذرى الحافظ الشافعى ، ولد ٥٨١ ، وولى مشيخة الكاملية ، وكان ثبتا حجة عارفا بالفقه والنحو ، مات فى ٦٥٦ — العبر ٥ : ٢٣٢ .

ومن كتاب الأحكام فى حلى الحكام

ذكر القرطى : أن أوّل قاض حكم بالقاهرة من قضاة خلفائها :

النعمان بن محمد الكامى[1]

وكان قد وصل مع المعز .

ثم ابنـــه :

محمد بن النعمان[2]

حكم فى خلافة العزيز ، وتوفى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، وصلى عليه الحاكم .

وكانت ولايته أربع عشر سنة وستة أشهر وإحدى وعشرين يوما .

ثم ولى .

---

(١) مات ٣٦٣ . وكان عالما بوجوه الفقه والخلاف واللغة والشعر وأيام الناس ، ترك عدة مؤلفات — الوفيات ٢ : ١٦٦ . ابن ميسر ٤٤ ، ٤٦ . النجوم ٤ : ٣٦٣ . الدوادارى ١٥٩ .

(٢) ولد بالمهدية ٣٤٠ ومات بالقاهرة ٣٨٩ ، وكان جيد المعرفة بالأحكام ، متفننا فى علوم كثيرة ، حسن الأدب والدراية بالأخبار والشعر وأيام الناس ، شاعرا . وجعل غير المؤلف أخاه عليا يلى القضاء بينه وبين أبيه ، وعندما مات على فى ٣٧٤ استقل هو بالقضاء الذى كان ينوب فيه عن أخيه — الوفيات ٢ : ١٦٧ . الدوادارى ١٧٤ ، ٢١٤ ، ٢٦٤ . ابن ميسر ٤٧ . رفع الإصر ٢ : ٤٠٧ .

الحسين بن على بن النعمان[١]

ولاه الحاكم على جميع بلاده . وفى ذيل كتاب ابن زولاق[٢] : أنه جرحه رجل من العامة بمنجل القَنَّاصين ، فقتلته الرعية . فأمر الحاكم أن يكون فى خدمته عشرون رجلا بسيوف حلى يكونون بين يديه . ووجدت فى تاريخ معلم الفتيان : وفى سنة ست وتسعين وثلاثمائة قتل الحاكم قاضيه حسين بن على بن النعمان / وأحرقه بالنار لمـا رُفع إليه من أكله أموال الناس .

٤٦ ظ
٣

أبو القاسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان[٣]

فى ذيل كتاب ابن زولاق أن الحاكم ولاه القضاء بعد ابن عمه حسين . ومن تاريخ معلم الفتيان : وفى سنة إحدى وأربعمائة أمر الحاكم بقتل وزيره قائد القواد حسين بن جوهر ، وقتل معه صهره القاضى عبد العزيز بن محمد ابن النعمان .

أبو الحسن مالك بن سعيد[٤]

أصله من مَيافارقين[٥] . وفى الذيل أنه كان نائبا عن عبد العزيز ، فقلده الحاكم القضاء ، وكان عادلا رفيقا . وقتله الحاكم وهو يسير فى الموكب ، وقد تقدم ذلك فى ترجمته .

---

(١) ولد بالمهدية ٣٥٣ وتولى القضاء بعد عمه فى ٣٨٩ وكانت محاولة قتله فى ٣٩١ وعزل فى ٣٩٤ وقتل فى ٣٩٥ — الوفيات ٢ : ١٦٩ . العبر ٣ : ٥٤ . رفع الإصر ١ : ٢٠٧ .

(٢) أبو محمد الليثى ، ولد فى ٣٠٦ ومات فى ٣٨٧ ، وكان فاضلا فى التاريخ المصرى . والكتاب المشار إليه "أخبار قضاة مصر" الذى ذيل به على كتاب محمد بن يوسف الكندى (الوفيات ١ ، ١٣٤) .

(٣) ولد فى ٣٥٤ أو ٣٥٥ وناب فى القضاء عن أبيه وابن عمه إلى أن استقل به ثم عزل فى ٣٩٨ وقتل فى ٤٠١ — الوفيات ٢ : ١٦٩ . رفع الإصر ٢ : ٣٥٩ . العبر ٣ : ٧٥ . الدوادارى ٢٦٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢ ،

(٤) الوفيات ٢ : ١٦٩ . الدوادارى ٢٧٧ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٣٢٥ .

(٥) ميافارقين : أشهر مدن ديار بكر .

القضاعى أبو عبد الله محمد بن سلامة [1]

ذكر القرطى أنه من القضاة العلماء الذين تفخر بهم الديار المصرية . وله كتاب الشهاب الذى طار فى الآفاق ، وكتاب التاريخ الكبير ، وكتاب الإنباء فى قصص الأنبياء . وأخبر أنه لما ولى الوزير اليازورى /القضاء بالقاهرة ، فسمت به حاله فى أيام المستنصر إلى الوزارة ، قدمه على القضاء مرة بالقاهرة ومرة بالفسطاط . وأخبر أنه من أعلام المتزهدين ، وقبره خارج الفسطاط مشهور مزور يتبرك به ، ويجاب الدعاء عنده ؛

٤٧ و / ٣

(١) الفقيه الشافعى ، الأشهر أنه تولى القضاء نيابة ، وسفر عن المستنصر فى القسطنطينية فى ٤٤٧ ، ومات فى ٤٥٤ ، وكان مفتنا فى عدة علوم ، وله مصنفات فيها — ابن ميسر ٧ ، ١٤ . الوفيات ١ : ٤٦٢ . العبر ٣ : ٢٣٣ . الوافى ٣ : ١١٦ . طبقات الشافعية ٣ : ٦٢ . حسن المحاضرة ١ : ٤٠٣ ؛

الأهـداب

نادرة

حكى القرطى أنه كان يقعد عند باب الخرق بالقاهرة منجم يعرف برزق الله النحاس ، وكان ظريفا مطبوع النوادر . وحكى عن نفسه قال : سألتنى امرأة مصرية أن أنظر لها فى مسألة حُمْلية تخصها . فأخذت ارتفاع الشمس للوقت ، وحققت درجة الطالع والبيوت الاثنى عشر ومراكز الكواكب ، ورسمت ذلك كله بين يدى فى تخت الحساب . وجعلت أتكلم على العادة ، وأنا فى خلال ذلك أتحسس لها ، وهى ساكنة لا تنبس . فوجمت لذلك وأدركتنى فترة . وكانت قد ألقت إلىّ درهما. قال : فعاودتُ الكلام / وقلت : « أرى عليك قَطْعا فى بيت مالِك ، فاحتفِظى واحترزى » . فقالت : « الآن أصبت . قد كان والله ما ذكرتَ » . قلت : « وهل ضاع لك شىء » . قالت : « نعم الدرهم الذى ألقيته إليك » . وانصرفت .

٤٧ ظ
٣

التوشيح

المشار إليه بالقاهرة فى هذا الشأن ابن سناء الملك السعيد. وقد تقدمت ترجمته . وله كتاب دارالطراز فى صنعة التوشيح . ومن أشهر موشحاته وأحلاها قوله :

البدر يحكيك   لولا تثنيك

وأنت جنة الصديق   لولا تجنيك

لم يلق نعمى ونعيم   من لم يلاقك

حملتني كل عظيم   يوم فراقك

وإن لي ذنباً قديم   على عناقك

بالضم أجنيك   للصدر أدنيك

لأن لي قلبا رقيقا   عساه يعديك

٤٨ ر / ٢

/ رأيت ربعا من بعيد   قد كنت تأويه

ثوى به الحسن الجديد   إذ كنت ثاويه

وزهره الدر النضيد   لا بل دراريه

فحرت نشكيك   فهل معانيك

خلعتها روضا أنيق   على مغانيك

أهداك معسول القبل   تحلو وتحلي

يملأ عينيك الكحل   من غير كحل

وانت روضة الأمل   فكيف قل لي

أتُرك حبيبك   وعاذلي فيك

بفمه مسك فتيق   حين يسميك[1]

يعذلني وما درى   بكنه حالي

وانى فيك أرى   كل الخبال

(١) في الأصل : رحيق ، وفوقها : فتيق ، دون أن يضرب على إحداها .

بكل شيء تشتري فلست غـــال
بالنفس يشريك من ليس يدريك
فكيف من ذاق الرحيـ ق والشهد من فيك

٤٨ ظ / ٣

لمـــا أتى وقد أبى يعطى وصَـــالَهْ
جرَّدتـــه من التّبا مـــعَ البغـــلالَهْ
فقال: خلِّ ذا الصِّبا فقلتُ: لا لَه
على اش نخليـــك والّش نداريـــك
نافى الهوى قاطع طريـ ق لابُدْ نعرّيك (١)

ولمظفّر الأعمى الذى تقدمت ترجمته، موشحة رفيعة الطبقة مما يجب أن تكتب بالذهب، وتجعل طرازا للأدب، منها (٢):

تَكـــلّلى يا سُحْبُ تيجانَ الرُّبا بالحُـــلى
واجعـــلى سوارها (٣) بمنعطف الجَـــدْول
ياسمـــا فيك وفى الأرض نجوم وما
كلمـــا أطلعتِ نجما أطلعت أنجمـــا (٤)
وهْى مـــا تهطـــل إلا بالطِّلى والدِّما
فاهْمـــلى (٥) على قُطوف الكرم أو تمتلى (٦)
وانْقـــلى للدَّنّ طعم الشَّهـــد والقُلْفُـــل (٧)

(١) نا: مختصرة من: أنا. (٢) المعروف أن الموشح لابن سناء الملك — انظر المستطرف ٣: ٢٠٩. (٣) الأصل: سوارك، وكتب فوقها: سوارها، دون أن يحذف إحداهما. وفى المستطرف: سوارها المنعطف. (٤) المستطرف: أخفيت نجما أظهرت أنجما. (٥) المستطرف: فاهطلى. (٦) المستطرف: كى تمتلى. (٧) المستطرف: الشهد القرنفل.

٤٩ ر
٣

تتقـــد كالكوكب الدرى للمرتصد

تعتقـــد فيها المجوسيّة ما تعتقـــد (١)

فاتئـــد يا ساقى الراح بهـا واعتمد

وامل لى حتى ترانى عنك فى معـزل

قـــلل فالراح كالعشق إن تزد تقتل (٢)

قصـــرت ليلتنا بالوصـــل إذ قصرت (٣)

واعـــترت بطلعة المحبوب إذ أسـفرت (٤)

وانـــبرت فقلت للظلماء إذ شمـــرت (٥)

طـــولى يا ليلة الوصل بنا واجمـــلى (٦)

وافضـــلى (٧) علىّ فالمحبوب فى مـــنزلى (٨)

الدوبيتى

كثير من أهل القاهرة من يقوله ، ولكن المرضى قليل . ولم أسمع بهـا من شعرائها أحسن مما أنشدنيه لنفسه الزكى بن أبى الإصبع :

قبلت ثنايا كجمان العقـــد منه وعدلت عن نضار الخـــد

نادانى : ماذا ؟ فقلت طبع عربى يشتاق أقاح الروض دون الورد

(١) المستطرف : يعتقد فيها المجوس بما يعتقد .

(٢) المستطرف : يزد يقتل .

(٣) المستطرف : أزهرت ليلتنا بالوصل مذ أسفرت .

(٤) المستطرف : أصدرت بزورة المحبوب إذ بشرت .

(٥) المستطرف : أخوت فقلت للظلماء مذ قصرت .

(٦) المستطرف : الوصل ولا تنجلى .

(٧) المستطرف : واسبلى .

(٨) المستطرف : ستزك فالمحبوب فى منزلى .

كان وكان

٤٩ ظ / ٣ كنت راكبا مرة فى خليج القاهرة / فمررت على منظرة وجارية تغنى :

استنبهت وأنبهتنى قالتْ : حبيبى كم تنامْ؟

قُم أمسك اللوز الأخضرْ وعانق الرُّمانَ

وسمعت الذين يطوفون بالحُمّيز على هذا الخليج يغنون :

السُّود مسك وعنبر والسُّمر قضبان الذّهبْ

والبيض ثوباً دبيقى ما يحتمل تمعْييك

البُليق

أظرف من كان فى هذه الطريقة بالقاهرة فى عصرنا القادوس : وله الزجل المليح المشهور الطائر فى الآفاق بجناح الاستحسان :

المليح قلبى عليه يَخْفق

لا يمون من يَبصُر يَعْشق

قد بُلى القادوس بهمّ طويل ممتلى للراس وقعرُ يسيل

فالقَرا قس قد رُبط بالسّحيل

وجميعُ بالحبال موثق

ألفَ مَرّا فالنهارْ يَغْرَقُ

٥٠ و / ٣ / عبدُك القادوس سَيَكُن كبيرا صَرْ شَقفْ من عُظم ما قد هُجر

إن تجُدْ لُو بالوصالْ ينْجَبرْ

ويعود نَوْمُ الذى طَلّق

ويصيرْ غصن السُّرُر مورِق

ما تــراهْ نازِلْ على قمّــةْ وحُبَيل لا شُوش على رَقبَتُــو

قد فرَغْ واستناقَصت قُوةْ !

لْ رفيق يشوى يتَشْــنقْ

لْ سنين يجرى وما يُلْحَــقْ

المجارى من دُمُوعْ جَــرتْ والأراضى من جفُونْ ارتوت

واللواحى من جنُونْ شكت

وقميص صــبر الغرام مَزّقْ

فعسَى رفّا الوِصَــلْ يلْفقْ

ضمائم

١

عين شمس

٥٩ظ / ٣

/ بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله

أما بعد حمد الله ، والصلاة على سيدنا محمد نبيّه وآله وصحبه ، فهذا الكتاب الأوّل من الكتب التى يشتمل عليها :

كتاب لَذَّة اللَّمْس فى حُلَى كورة عين شَمْس

وهو :

كتاب مُنْيَة النَّفْس فى حُلَى مَدينة عَيْن شَمْس

لهذه المدينة : مِنَصَّة ، وتاج :

المِنَصَّة

قال الكندى [(١)] : وبالديار المصريّة مدينة عيْن شمْس ، وهى هيْكل الشّمْس وعجائبها وملاعبها وأبنيتها . وبها العَمُودان اللذان لم يُرَ أعجب منهما ولا من

(١) أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب التجيبى ، ولد ٢٨٣ ، ومات ٣٥٠ ، وألف عدة كتب فى تاريخ مصر ، والنص الآتى أورده ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ١٥٠ عن الكندى ، وياقوت ٣ : ٧٦٢ عن الحسن بن إبراهيم المصرى ، والمقريزى : الخطط ١ : ٢٣٠ عن القضاعى .

شأنهما[1] . وإنهما محمولان على وجه الأرض ، ليس لهما أساس . وطولهما في السماء نحو خمسين ذراعًا . بينهما صورة إنسان على دابة ، وعلى رأسه شبه الصومعة[2] من نحاس . فإذا جرى النيل قطـ[ـر من رأس][3] كل صورة ماء تستبينه وتراه منهما [واضحا ينبع حتى يجرى من أسافلهما] .

٦٠ و / ٣

/ ومن كتاب الكمائم : ومن معالم المدائن المنوه بذكرها في الديار المصرية الحائزة من خلود الذكر في الكتب والألسن الدرجة العلية : مدينة عين شمس ذات الآثار العجيبة البديعة ، والأعمدة المنيفة الرفيعة . منها العمودان اللذان هما مقلتا العجائب ، المشاد بذكرهما في المشارق والمغارب . وكانت في قديم الزمان عظيمة الطول والعرض ، متصلة البناء بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط الآن . ومسلة فرعون المرتفعة التي تظهر الآن من ظاهر القاهرة من آثارها المتصلة بأبنيتها .

وذكر لي حمدان الأبلي أنه مر عليها ، وقد محت الأيام آثارها وطمست أقطارها ، فقال :

يا عين شمس أجيبي	مسائلا ذا اعتبار
أين الأولى أشرقوا فيـ	ـك كالنجوم الدرارى
[مروا] سراعا وأبقوا	نـوائب الآثـار
. . . . على إثـ	ـرهم بقايا الديار

(١) ياقوت وابن ظهيرة : بناؤهما .

(٢) غير المغرب : وعلى رأسهما شبه الصومعتين .

(٣) ما بين قوسين عن الخطط وتمزق من الأصل .

٦٠ ظ
٣

/كانَتْ جُسُوماً رِمَتْهـا أَرْواحُهـا بنِفـار

فتابَعتْهـا وأمسـتْ نَهْبـاً لحُكْمِ البَوار

وبَانيها «الريّان بن الوليد بن دُومغ»[1] من العَمالقة، وهو العزيز، سلطان مصر المذكور فى القرآن، فى قصة يوسف عليه السّلام — المشهور بصاحب مدينة عين شَمْس.

(١) ابن ظهيرة ١٥: ذومع. الخطط ١: ١٤١: دومع.

التّـــاج

الأنبياءُ عليْهم السَّلام

يُوسف عليْــه السَّــلام

من كتاب المعارف[1]: يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم بن آزر ابن ناحُور بن أشرغ[2] بن أرْعُو[3]بن فَالَغ[4] بن عَابَر بن شالخ بن أَرْفَخْشَد بن سام ابن نوح بن لَمْلك بن مُتَوشلخ[5]بن إدريس بن يَرْد[6] بن مهْلائيل[7] بن قَيْنن[8] بن أنوش[9] ابن شيث بن آدم .

النسب

من قصص الكسائى : كان يعقوب يسكن أرض كَنْعان من الشام . وبها وُلد له يوسف ... ... الأسباط[10] .

الترصيع

(١) لم يورد ابن قتيبة هـذا النسب جملة واحدة ، كما هو هنا ، وإنما تتبعه المؤلف والتقطه من ترجمة ابن قتيبة ليوسف وإبراهيم عليهما السلام ، وغيرهما من ولد آدم .

(٢) المعارف : أمرغ . والسيرة النبوية ١ : ٢ : ساروغ .

(٣) المعارف : أرعوا . والسيرة النبوية ١ : ٣ راعو .

(٤) السيرة : فالخ . (٥) ضبط فى السيرة بفتح الميم والشين واللام ، وضم التاء مع تشديدها .

(٦) السيره : يرد . والمعارف : اليارد .

(٧) السيرة : مهليل . (٨) المعارف : قينان .

(٩) السيرة : يانش . (١٠) لعلها : وسائر الأسباط .

٦١ و / ٣

ومن الكمائم أن يوسف وُلد فى . . . . (١) / حيث قبر الخليل المعروف الآن بهذا الاسم. وحمله الذى اشتراه من إخوته — لما أخرج من الجُبّ — إلى مصر . وحصل بيد العزيز صاحب مدينة عين شمس. وراودته امرأتُه فسجنه بسجن هو معروف بأرض مصرَ مزور . ثم آل أمره بعد الرؤيا التى رآها العزيز إلى أن مَلك أرض مصر نيابة عن العزيز ، وسكن حاضرة السلطنة مدينة عين شمس، ودَبّر بُنيان الفَيّوم ، ومات بمصر . وقبره الآن إلى جانب قبر الخليل بأرض كنعان ، حمله موسى — عليه السلام — إلى هنالك .

التاريخ

من كتاب المعارف لابن قتيبة (٢) : كان بين دخول يوسف مصر ، إلى أن دخلها موسى — عليهما السلام — أربع مائة عام . وعاش يوسف بعد موت أبيه ثلاثا وعشرين سنة . ومات وهو ابن مائة وعشرين (٣) سنة .

التوشية

وبحسن صورته يضرب المثل .

الحكاية

من كتاب حديث يوسف : كان يعقوب عليه [السلام . . . (٤)] راحيل وولدها يوسف وبنيامين . . . . ليوسف . ولما ظهر عليه حُبُّ / يوسف لسائر إخوته كان ما قصه الله — تعالى — فى القرآن ، من إرادة الراحة منه بأن أخرجوه ليلعب معهم ورمَوْه فى الحب وادّعوا أن الذئب أكله ، وجاءوا على قميصه بدم كذب . فقال يعقوب (٥) : ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ، فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

٦١ ظ / ٣

(١) لعلها : ولد فى أرض كنعان . (٢) ٤١ . (٣) المعارف : وعشر .
(٤) لعلها : يحب راحيل . (٥) سورة يوسف ، الآية ١٨ .

ويقال : موضعان في القرآن ، كذب في أحدهما الأنبياء، وصدق في الآخر اليهود والنصارى، وهما قوله — تعالى — عن الأسباط إخوة يوسف (١) ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ وقوله سبحانه : (٢) ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ : لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى : لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ .

ومن الكتاب المذكور، ومن قصص الكسائي : أخرجه الله من الجب بعدما رماه فيه إخوته، فحصل في الرِّق بالثمن البخس . واستخلصه العزيز لأن يجعله ولدا ، فراودته زوجه زليخا عن نفسه . وكان ما قصّه الله — تعالى — في القرآن . فسجنه العزيز إلى أن رأى العزيز الرؤيا التي ذكـ[ـرها الله] — تعالى — ففسرها يوسف . فعظم في عينه و . . . . (٣) / النبـــوة

٦٢ ر
٣

فدفع له خاتمه واستخلفه على أرض مصر . فأغاث الله — بتدبيره في اختزان الطعام — أهلها وأهل غيرها من الأقطار، وأخرج إليه إخوته حتى وفدوا يمتارون منه، و(٤) ﴿ قَالُوا : يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ وقال لهم بعدما جعل الكيل في رحل أخيه مظهرا لهم أنه سرقه ليجعل ذلك سببا لإمساكه : (٥) ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ (٦). وعجّل لهم بالاستغفار وقبول التوبة فقال : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ . ولما رجعوا إلى أبيه بقميصه ارتد بصيرا بعدما ابيضت عيناه من الحزن والبكاء عليه . وسألوه الاستغفار كما

(١) سورة يوسف ، الآية ١٨ . (٢) سورة البقرة : الآية ١١٣ .
(٣) لعلها : وتحقق منه النبوة . (٤) الآية ٨٨ . (٥) الآية ٨٩ .
(٦) الآية ٩٢ .

سألوا يوسف . فقال لهم : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ ﴾ (١) . قالوا : والنكتة فى تعجيل يوسف بالاستغفار لهم عند السؤال ، وتأخير يعقوب له ... ... الشباب والشيخوخة من التأنى والنظر (٢) ... ... وقالوا : إن يعقوب انتظر بالدعاء لهم / فى الغفران وقت السحر ، وهو من مظانّ الإجابة .

٦٢ ظ / ٣

ومات العزيز فاستولى يوسف على سلطان مصر ، وتزوج زليخا زوجته وردّ لهـا الله شبابها . وبقى نَسل يوسف بمصر . ومن ولده يوشع بن نُون ابن أفْرايم بن يوسف الذى استخلفه موسى — عليه السلام — بعد موته .

ومن كتاب ابن عبد الحكم (٣) : لمـا رأى الرَّيان بن الوليد بن دُومَـغ صاحب أرض مصر رؤياه التى رأى وعبَّرها يوسف — صلى الله عليه وسلم — أرسَل إليه فأخْرَجه من السجن . قال : أتاه الرسول فقال : ألْقِ عنك ثياب السجن والبس ثيابا جددا وقُم إلى الملك . فدعَا لَه أهل السجن ، وهو يومئذ ابن ثلاثين سنة . فلما أتاه رأى غلاما حَدَثًا فقال : « أيعلم هذا رؤياى ولا يعلمها السحرة ولا الكهنة ؟ ! » وأقعده قُدّامه وقال له : « لا تخف » . فلما نطقه استيقظه وسأله عظم فى عينه وجال أمره فى قلبه (٤) . فدفع إليه خاتمه وَولّاه ما خلف بابه . وفى رواية : وأل[ـبسه طوقا] من ذهب وَثياب حَرير وأعطاهُ دا[بة مسرجة مزينة] / كدابة الملك ، وضُرب بالطبل بمصر أن يوسف خليفة المـلك .

٦٣ و / ٣

(١) الآية ٩٨ .
(٢) لعل الضائع : ما يقتضى الشباب ... وانظر قصص الأنبياء للثعلبى ٣٦ .
(٣) فتوح مصر وأخبارها ١٣ .
(٤) كذا فى الأصل ، ويبـدو أن العبارة اضطربت على المؤلف . وعبارة ابن عبد الحكم : فلما استنطقه وساءله عظم فى عينه وجل أمره فى قلبه .

وعن عِكْرِمة أن فرعون قال ليوسف : « قد سلطتُك على مصر غير أنّى أريد أن أجعل كرسى أطول من كرسيِّك بأربع أصابع » . قال يوسف : « نعم » . قال : فأجلَسه على السرير . ودخل الملك بيته مع نسائه . ففوض أمرَ مصر كله[1] إليه .

وعن اللَّيث بن سَعْد قال : اشتد الجوع على أهل مِصر فاشتروا الطعام بالذهب حتى لم يجِدوا ذهبا ، فاشتروا بالفضة حتى لم يجِدوا فِضّة ، فاشتروا بأغنامهم حتى لم يجدوا غَنَماً . فلم يزل يَبيعهم الطعام حتى لم تبق لهم فضة ولا ذهب ولا شاة ولا بقرة فى تلك السِّنين[2] . فأتوه فى الثالثة فقالوا له : « لم يبق لنا إلا أنفسنا وأهلونا وأرضونا » . فاشترى يوسف أرضهم كلها لفرعون ثم أعطاهم يوسف طعاما يزرعونَه على أن لفرعون الخُمس .

وقد تقدم [ذِ] كر تدبيره للفيوم عند ذكرِها .

قال : وأول من قاس [النيل بمصر يو] سف — صلى الله عليه وسلم — وضع مقْياسًا / بمدينة مَنْف ثم وضعت العَجُوز دُلوكَة[3] صاحبة حائط العجوز مقياسًا بأنْصِنا[4] وهو صغير الذرع ومقياسا بإخميم[5] . ووضع عبد العزيز بن مروان[6] مقياسا بحُلْوان وهو صغير . ووضع أسامة بن زَيد التَّنوخى[7] فى خلافة الوليد ابن عبد الملك[8] مقياسا بالجزيرة ، وهو أكبرها .

قال ابن سعيد : وعليه العملُ الآن .

(١) الفتوح : كلها .
(٢) الفتوح : السنتين . وهى أوضح .
(٣) انظر أخبارها فى فتوح مصر ٢٦ .
(٤) أنصنا : كانت فى مركز ملوى من محافظة المنيا .
(٥) إخميم : من محافظة سوهاج بالصعيد .
(٦) ولى مصر من ٦٥ إلى ٨٦ . انظر ولاة مصر ٧٠ — ٧٩ .
(٧) ولى خراج مصر — فتوح مصر ٩٩ .
(٨) ولى الخلافة من ٧٦ إلى ٩٦ .

قال ابن عبد الحكم : وفى زمان الريّان بن الوليد بن دُومَغ دخل يعقوب — عليه السلام — ما بين عين شَمْس إلى القَرما . وهى أرض ريفيّة برية .

وعن ابن عباس قال : دَخل مصر يعقوب وولده ، وكانوا سبعين نفسًا ، وخرجوا وهم ستمائة ألف .

وعنه : أدخل يوسف أباه وخمسةً من إخوته على الملك ، فسلّموا عليه . وأمر أن يُقَطع لهم من الأرض . وكان يعقوب لما دنا من مصر أرْسل يهوذا إلى يوسف . فخرج إليْه يوسف فلقيَه فالتزمه وبكى . قال : ولمّا دَخَل يعقوب على فرعون كَلّمه ، وكان يعقوب —[صلى الله]عليه وسلّم — شيخا كبيرا حليما حسن الـ[ـوجه واللحية]/ جهير الصوت. فقال له فرعون: « كم أتَى عليك أيها الشيخ ؟ » قال : « عشرون ومائة سنة » . وكان يمين[1] ساحر فرعون قدْ وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى — عليهم السلام — فى كتبه وأخبر أن خرابَ مصر وهلاك أهلها يكون على أيديهم ، ووضع البرابايات ، وصفات من تخرب مصْر على يديه . وكان أول ما سأل يعقوب أن قال له : « من تعبد أيها الشيخ ؟ » قال له يعقوب : « أعبد الله إله كل شىء » . فقال له : «كيف تعبد مالا ترى؟» قال له يعقوب : «إنه أعظم وأجل من أن يَراه احد » . قال يمين : « فنحن نرى آلهتنا » . قال يعقوب : « إن آلهتكم من عمل أيدى بنى آدم : من يموت ويبلى ، وإن إلهى أعظم وأرفع ، وهو أقربُ إلينا من حَبْل الوَريد » . فنظر يمين إلى فرعون فقال : « هذا الذى يكون هلاك بلادنا على يديه » . قال فرعون : « فى أيامنا أوْفى أيام غيرنا ؟ » قال :

٦٤ و
٣

(١) الفتوح : يمين .

«ليس فى أيامك ولا أيام بنيك [أيهـ]ـا الملك » . قال يعقوب[1] : « هل تجد هذا فيما قضى به إلهكم ؟ » [قال : « نعم » .] . قال : « فكيف تريد أن تقتل من يريد الله هلاك / قومك على يديه ؟ » .

٦٤ ظ / ٣

وعن كعب أن يعقوب عاش فى مصر ست عشرة سنة . فلما حضرته الوفاة قال ليوسف : « لا تدفنى بمصر ، وإذا مت فاحملونى فادفنونى فى مغارة حبرون » . قال : وحبرون مسجد إبراهيم — صلى الله عليه وسلم — اليوم ، وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا . قال : فلما مات لطخوه بمر وصبر وجعلوه فى تابوت من ساج . فكانوا يفعلون ذلك به أربعين يوما حتى كلم يوسف فرعون وأعلمه أن أباه قد مات ، وأنه سأله أن يقبره فى أرض كنعان فأذن له وخرج معه أشراف أهل مصر حتى دفنه وانصرف .

وقيل : قبر يعقوب — صلى الله عليه وسلم — بمصر . فأقام بها نحوا من ثلاث سنين ثم حمل إلى بيت المقدس . وأوصاهم بذلك عند موته .

قال : ثم مات الريان بن الوليد فملكهم بعده ابنه دارم بن الريان . وفى زمانه توفى يوسف — عليه السلام — فلما حضرته الوفاة قال : إنكم ستخرجون من أرض مصر إلى أرض آبائكم فاحملوا عظامى معكم . فمات فجعلوه فى تابوت ، / ودفن فى أ [حد جانبى النيل] فأخصب الجانب الذى كان فيه وأجدب الآخر . فحولوه إلى الجانب الآخر فأخصب الجانب الذى حولوه إليه وأجدب الآخر . فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها فى صندوق من حديد . وأقاموا عمودا على شاطئ النيل ، وجعلوا فى أصله سكة

٦٥ و / ٣

(١) الفتوح : قال الملك ، وهو خطأ .

من حديد ، وجعلوا فى الصندوق سلسلة أثبتوها فى السكة ، وألقوا الصندوق فى وسط النيل ، فأخصب الجانبان جميعا .

وعن الحسن أن يوسف — عليه السلام — ألقى فى الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة . ومكث إلى أن اتى يعقوب — عليه السّلام — وأهله ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين . فمات وهو ابن مائة وعشرين سنة . ويقال : توفى وهو ابن ثلاثين ومائة سنة .

ولمـا مات استعبد أهل مصر بنى إسرائيل .

قال : وفى زمان فرعون موسى حملت عظام يوسف من [مصر إ] لى الشـام .

وحكى أن رسول الله — صلى الله عليه [وسلم — أقبل و] هو قافل من الشام ومعه زيد بن حارثة/ فمرّ ببيت شعر فرد وقد أمسى ، فدنا من البيت فقال : « السّلام عليكم » . فردّ رب البيت . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلّم : « ضيف » . قال : « انزل » . فبات فى قِرّى . فلما أصبح وأراد الرحيل ، قال الشيخ : « أصيبوا من بقيّة القِرى » . فأصابوا . ثم ارتحل رسول الله — صلى الله عليه وسلّم — فلمّا ظهر أمر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وفتح الله عليه ، جاء الشيخ على راحلته حتى أناخ بباب المسجد . ثم دخـل فجعل يتصفح وجوه الرجال . فقالوا له : « ها ذاك رسول الله — صلى الله عليه وسلم » . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ما حاجتك ؟ » ؛ قال : « والله ، ما أدرى إلا أنى نزل بى رجل فأكرمت قِراه » . فقـال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « وإنك لفلان ؟ » قال : « نعم » ؛

٦٥ ظ
٣

قال : « فكيف أم فلان ؟ » قال : « بخير » . قال : « فكيف حالكم ؟ » .
قال : « بخير » . وقد كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال له حين ارتحل من عنده : « إذا سمعت بنبي قد ظهر بتهامة فائته ، فإنك تصيب منه [خيرا] » . فقال له] / رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « تمنّ ما شئت فإنك لن تمنّى(١) اليوم شيئا إلا أعطيتكه » . قال : « فإنى أسألك ضأنا ثمانين » .
قال : فضحك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ثم قال : « يا عبد الرحمن ابن عوف : « قم فأوفها إياه » . ثم أقبل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — على أصحابه فقال : « ما كان أحوج هذا الشيخ إلى أن يكون مثل عجوز موسى ! » . قال : قلنا : « يارسول الله : وما عجوز موسى — صلى الله عليه وسلم ؟ » . قال : « بنت يوسف ، عمّرت حتى صارت عجوزا كبيرة ذاهبة البصر . فلما أسرى موسى — صلى الله عليه وسلم — ببنى إسرائيل ، غشيتهم ضبابة حالت بينهم وبين الطريق أن يبصروه . وقيل لموسى : لن تعبر إلا ومعك عظام يوسف . قال : ومن يدرى أين موضعها ؟ قالوا : ابنته عجوز كبيرة ذاهبة البصر ، تركناها فى الديار . قال : فرجع موسى . [فلما سمعت] حسّه قالت : « موسى ؟ » قال : « موسى » قالت : « ما ردّك ؟ » « [قال : أمرتُ أن أحمل] عظام يوسف » . قالت : ما « كنتم لتعبروا / إلا وأنا معكم » . قال : « دلّيني(٢) على عظام يوسف » . قالت : « لا أفعل إلا أن تعطينى ما سألتك » قال : « فلك ما سألت » . قالت : « خذ بيدى » . فأخذ بيدها فانتهت به إلى عمود على شاطئ النيل فى أصله سكة من حديد موتدة فيها سلسلة . [قالت](٣) :

٦٦ و / ٣

٦٦ ظ / ٣

(١) الأصل : تمن . والفتوح : تمنى .
(٢) الأصل : دلنى . خطأ . (٣) قالت : سقطت من المؤلف .

« إنا لما دفناه من جانب اخضر وأخصب وأجدب الآخر ، فحولناه فأخصب الجانب الذى حولناه إليه وأجدب الجانب الآخر . فلما رأينا ذلك جمعنا عظامه فجعلناها فى صندوق من حديد وألقيناه فى وسط النيل . فأخصب الجانبان جميعا » . قال : فحمل الصندوق على رقبته وأخذ بيدها فألحقها بالعسكر . وقال لها : « سلى ما شئت » . قالت « فإنى أسأل أن أكون أنا وأنت فى درجة واحدة فى الجنة ، وترد علىّ بصرى وشبابى حتى أكون شابة كما كنت » . قال : « فلك ذلك » .

الإضافة قوله — تعالى — حكاية عن مخاطبة يوسف أباه . . . . . . النوم[1] ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ / رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ ﴾ . ٦٧ و / ٣ الكواكب إخوته المعروفون بالأسباط ، هو الثانى عشر لهم . والشمس والقمر أبوه وأمه . سجدوا له لما دخلوا عليه مصر وهو على سرير السلطنة . وذلك قوله — تعالى — ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ، وَقَالَ : يَا أَبَتِ ، هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَاىَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا . وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ ﴾[2] .

قال البيهقى : كان دخول إخوة يوسف وأبويه عليه بمدينة العريش ، وهى أول أرض مصر ، لأنه خرج إلى تلقيهم برا بهم حتى نزل بطرف سلطانه ، وكان له هنالك عرش — وهو سرير السلطان — فأجلس أبويه عليه . وكانت تلك المدينة تسمى فى القديم بمدينة العرش لذلك ، ثم سمتها العامة بمدينة العريش ، فغلب ذلك عليها .

(١) الآية ٤ . (٢) الآية ١٠٠ .

٦٧ظ / ٣

قال السهيلى فى كتاب التعريف والإعلام: إن المذكور فى قوله — تعالى [(١)]: (وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لامْرَأَتِه: أَكْرِمِى مَثْوَاهُ عَسَى/ أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) هو العزيز، واسمه قِطْفِير، وامرأته راعيل. والشاهد من أهلها هو ابن عم لها. وقيل: هو طفل تكلَّم فى المهد، وهو الصحيح للحديث الوارد: «لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة ....» وذكر منهم شاهد يوسف [(٢)].

وقوله — تعالى — «وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّى أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ» [(٣)] هو الريان بن الوليد بن عَمْرو بن إراشة، من العمالقة. وفى (إراشة) يجتمع معه فرعون، فإن فرعون موسى هو الوليد بن مصعب بن عمرو ابن معاوية بن إراشة.

قوله تعالى [(٤)]: (وَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) قيل: هو يهوذا بن يعقوب، وابن خالة يوسف. وأعطاه يعقوب فى البشارة كلمات كان يرويها عن أبيه، وهى: «يا لطيف فوق كل لطيف: الطف بى فى جميع أمورى كما أحب، وأرضنى فى دنياى وآخرتى». ويهوذا هو القائل [(٥)]: (لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَابَاتِ الْجُبِّ) وكبيرهم الذى قال [(٦)]: (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ/ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا) هو رُوبيل بن يعقوب.

٦٨و / ٣

---

(١) الآية ٢١.

(٢) الاثنان الباقيان المسيح وصاحب جريج. وزاد ابن عباس رابعا هو ابن ماشطة فرعون — تفسير الطبرى ١٢: ١٠٤ — ٥.

(٣) الآية ٤٣.

(٤) الآية ٩٦.

(٥) الآية ١٠. وانظر تفسير الطبرى ١٢: ٩٥، ١٣: ٤١.

(٦) الآية ٨٠. وانظر تفسير الطبرى ١٣: ٢٣.

السَّلاطين

الرَّيان بن الوليد

النسب — من كتاب التعريف والإعلام أنه الريان بن الوليد بن عمرو بن إراشة من العمالقة . وفى « إراشة » يجتمع معه فرعون موسى — وهو الوليد بن مصعب ابن عمرو بن إراشة .

ومن كتاب بن عبد الحكم : الريان بن الوليد بن دُومغ صاحب يوسف — صلى الله عليه وسلّم — وهو الذى رأى الرُّؤيا .

الترصيع — وأكثر ما يصفونه فى الكتب بصاحب مدينة عين شَمْس، وهى كانت سرير سلطانه . وأكثر ما كان السلطان فى ذلك الأوان بمدينة منف .

التاريخ — وفى كتاب ابن عبد الحكم أنّه[1] ماتَ فى حياة يوسف . ووقع فى الكتب اختلاف كثير فى أن فرعون يوسف هو فرعون مُوسَى ، وأنه عمِّر من ذاك الأوان حتى غرق فى زمان موسَى — عليه السلام — ... ...

التعريف — [2] لمصر وراثة عنْ أبيه الْوَليد بن دُومغ[3] .

(١) فتوح مصر ١٨ .   (٢) لعل العبارة الضائعة : وكان ملكه لمصر .
(٣) النجوم ١ : ٥٨ : دومع . المقريزى : دومع .

٦٨ ظ / ٣

/ ذكر ابن عبد الحكم[1] أن أهل مصر لما ملكوا عليهم زالفا بنت مأموم ابن ماليا عمرت دهرا طويلا . فطمعت في مصر العمالقة ، فغزاهم الوليد ابن دومغ ، فقاتلهم قتالا شديدًا . ثم رضوا أن يملكوه عليهم . فملكهم نحوا من مائة سنة . فطغى وتكبر وأظهر الفاحشة . فسلط الله عليه سبعا فافترسه وأكل لحمه .

قال : وهو من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح .

قال : واستظل سبعون رجلا من قوم موسى في قحف رجل من العماليق .

قال : وملكهم من بعده ابنه الريان ، الذي هذه ترجمته ، وهو صاحب يوسف — عليه السلام — ومات في حياة يوسف .

دَارِمُ بن الرَّيَّان

جملة أمره أنه ولي بعد أبيه ، المتقدم الذكر ، على ما ذكر ابن عبد الحكم وأخبر أن يوسف النبي — عليه السلام — مات في مدته ، فطغى بعده وتكبر ، [وأظهر] / عبادة الأصنام . فركب في النيل في سفينة فبعث الله — عز وجل — عليه ريحا عاصفا فأغرقته ومن كان معه فيما يقارب أرض حلوان .

٦٩ و / ٣

فملكهم من بعده كاسم[2] بن معدان ، وكان جبارا عاتيا .

وبعده ملك فرعون موسى . قال : وأقعدوه بدار الملك مدينة منف . وقد تقدمت ترجمته فيها .

(١) الفتوح ١٢ .

(٢) الفتوح : كاشم .

٢
القلعـــة

٥٠ظ / ٣

/ بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد

أما بَعد حمد الله، والصلاة على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه ، فهـــذا الكتاب الرابع من الكتب التى يَشتمل عليها كتاب « لَذَّة الأَمْس فى حُلَى كُورة عين شمس » ، وهو :

كتاب رَشْف القُبَل فى حُلَى قلعة الجَبَل

هى عروس ، لها منصَّة وتاج .

المنصَّـــة

هى على تل كبير متصل بجبل المقطم . اختار السلطان الكامل أن تكون سريرا لسلطنته لأنها أمنع ما أبصره فى تلك الجهة . وهى مُطِلة على ظاهر القاهرة وظاهر الفسطاط ، وَسَط بينهما . وتحتها آثار قصر ابن طولون ، وقد صار الآن ميدانا . وسَوَّر الكامل هذه القلعة ، وبنى فيها القصور التى تليق / بالسلطنة. ٥١ و / ٣ وسَكَنها مدة سلطانه ، وجعل فيها خزانته وحُرَمه . وفيها الدار التى حبس بها سلالة العُبيديين الذينَ كانوا خلفاء مصر ، وقطع عنهم النسل . والمشار إليـــه الآن منهم هنالك سليمان بن داود بن العاضد . وتحت هذه القلعة أرض مغبرة لا خضرة ولا نضرة ، وعليها جبل أجرد ، والنيل منها على بعد .

التَّـاج

السلطان الكامل أبو المعالى محمد بن العادل أبي بكر محمد بن أيوب[1]

ولى السلطنة عند وفاة أبيه فى جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة . وصادف أول ولايته نزول الفرنج على دِمْياط ، وهى من أعظم الحوادث الكائنة فى الإسلام .

وتلخيصها من كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير[2] أن مدّة هذه الحادثة أربع سنين غير شهر.[3] كان خُروج الفرنج / فى سنة أربع عشرة وستمائة فى حياة العادل . وتجمعت أمدادهم بعكا وساروا فى البحر إلى دمياط فى سنة خمس عشرة. فوصلوا فى صفـر،[4] فأرسوا على بر الجـزيرة[5] الذى تجـاه دمياط ، وبقى بينهم وبين دمياط النيل . وكان قد بُنى فى النيل برج كبير منيع ، وجعـل فيه سلاسل غلاظ ، ومدت فى النيل إلى سور دمياط ، لتقطع[6] المراكب من

٥١ظ
٣

(١) ولد فى ٥٧٣ أو ٧٥ أو ٧٦ ، ومات فى ٦٣٥ . (٢) ٩ : ٣١٤ — ٨ .

(٣) عنـد ابن خلكان ٢ : ٥٠ : أربعون شهرا وأربعـة عشر يوما (والنجوم ٧ : ٢٣٢) ، وعنده أيضا ٢ : ٢٥٧ : ثلاث سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما .

(٤) السلوك ١ : ١٨٨ : يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الأول الموافق لثامن حزيران .

(٥) الكامل والسلوك : جيزة دمياط . وكان فى الأصـل : الجيزة ، ثم ضرب عليه وكتب فوقه : الجزيرة . (٦) الكامل والسلوك : لتمنع .

الدخول إلى الديار المصرية فبنى الفرنج عليهم سورا ، وخندقوا على أنفسهم ، وشرعوا فى قتال من بدمياط . وعملوا مرمّات[1] القتال ، من ذلك أبراج يرفعونها فى المراكب[2] لقتال هذا البرج ليأخذوه ، وهو مشحون بالمقاتلين . وكان العادل قد نزل بالقرب من دمياط ، والعساكر متصلة إلى دمياط . فأخذوا البرج بعد قتال أربعة أشهر وقطعوا السلاسل .

فنصب المسلمون جسرا عظيما منعهم من سلوك النيل فقاتلوهم قتـــالا متتابعا / إلى أن قطعوه . فأخذ الكامل مراكب كبارا وملأها وخرّقها وغرّقها فى النيل . فمنعت المراكب من سلوكه .

٥٢ ر ٣

فاتفق أن توفى العادل فى جمادى الآخرة وهذه الحادثة كما هى . فضعفت نفوس الناس. واتفق عماد الدين بن المشطوب[3] مع الأكراد ومن انضاف إليه ، وهو أكبر أمير بمصر ، أن يخلعوا الملك الكامل ويملّكوا أخاه الفائز[4] بن العادل فبلغ الخبر الكامل ففارق المنزلة ليلا جريدة وسار إلى أشموم[5] . وأصبح العسكر وقد فقدوا ملكهم ، فركب كل إنسان منهم هواه، ولم يقدروا على أخذ شىء من خيامهم وأموالهم إلا اليسير الخفيف . فعبر الفرنج النيل إلى دمياط

(١) المرمة : نوع من السفن الكبار ، مصفحة بالحديد ، قـــد تبلغ مساحتها ٥٠٠ ذراع (السلوك ١ : ١٨٩ ، ١٩٥) .

(٢) الكامل والسلوك : يزحفون بها فى المراكب .

(٣) أبو العباس أحمد بن على بن أحمد الهكارى ، من أمراء الأيوبيين ، ولد فى ٥٧٥ ، وآلت حاله إلى أن قبض عليه بدر الدين لؤلؤ فى ٦١١ هـ وأرسله إلى الملك الأشرف ، فات فى أسره بحران فى ٦١٩ . وكان عالى الهمة غزير الجود شجاعا — الوفيات ١ : ٥٨ . والسلوك ١ : ١٩٦ .

(٤) سابق الدين إبراهيم ، أبعـــده الملك المظفر بعـــد مؤامرته عن مصر بحجة الإتيان بالإمدادت من الموصل وبلاد المشرق ، فات بسنجار فى ٦١٧ — النجوم ٧ : ٢٣١ ، ٢٤٩ .

(٥) أشمون أو أشموم طناح : شرقى المنصورة وجنوبى دكرنس الحالية .

فى العشرين (١) من ذى القعدة سنة خمس عشرة وستمائة . وغنموا ما تركه المسلمون وكان عظيما .

وكاد الكامل يفارق مصر لأنه لم يبق يثق بأحد . وكان الفرنج يملكون البلاد بلا تعب ولا مشقة / فاتفق من لطف الله أنْ وصل الملك المعظم (٢) إلى أخيه الكامل بعد هذه الحركة بيومين ، والناسُ فى أمر مَريج . فقوى به وأقام فى منزلته . وأخرجوا ابن المشطوب إلى الشام . واجتمعت العرب على اختلاف قبائلها ، ونهبوا البلاد ، وقطعوا الطرق ، وبالغوا فى الفساد فكانوا أشد من الفرنج .

٥٢ ظ / ٣

وأحاط الفرنج بدمياط وقاتلوها برا وبحرا . وعملوا عليهم خندقا يمنعهم ممن يريدهم . واشتد الأمر على من بدمياط ، وفقدت الأقوات . ومع هذا فَصبر المسلمون صبرا لم يُسمَع بمثله مع قلتهم وكثرة الفرنج وغَزارة الجراح والأمراض والموت . ودام الحصار إلى السابع والعشرين (٣) من شعبان سنة ست عشرة وستمائة . فعجزوا عن الحفاظ فسلموا دمياط إلى الفرنج فى هذا التاريخ بالأمان . فأقام فيها الفرنج وبثوا سَراياهم ينهبون ويقتلون . وشرعوا فى تَحْصين دمياط / حتى إنها بقيت لا تُرام . ولما سمع الفرنج بفتحها أقبلوا إليها من كل فَجٍّ عميق فأضحت دار هجرتهم ، وعاد المعظم فخرب القدس .

٥٣ ر / ٣

---

(١) الوفيات ٢ : ٢٥٧ : السادس عشر . السلوك ١ : ١٩٧ : سادس .

(٢) شرف الدين عيسى ، صاحب دمشق ، امتدت مملكته من حمص إلى العريش ، وكان عالى الهمة شجاعا مهيبا محبا للأدب ، ولد فى ٥٧٨ أو ٥٧٦ ومات فى ٦٢٤ .

(٣) الوفيات ٢ : ٢٥٧ : السادس والعشرين . السلوك ١ : ٢٠١ : الخامس والعشرين .

وفى تلك المدة أقبل التتر من المشرق حتى وصلوا إلى نواحى العراق .

وأشرفت مصر على أن تملك لعدم حصونها وحصول دمياط فى يد العدو .

وتابع الملك الكامل كتبه إلى أخيه المعظم بدمشق، والأشرف[1] صاحب الجزيرة وأرمينية يستحثهما. فسار المعظم إلى الأشرف بنفسه لحرّان، فرآه مشغولا بما دهمه من اختلاف الكلمة عليه، فعذَره وعاد عنه.

وبقى الأمر كذلك مع الفرنج، فزال الخُلْف عن بلاد الأشرف واستقامت أموره إلى سنة ثمان عشرة. والكامل مقابل الفرنج. فسار المعظم والأشرف إلى مصر وكان الفرنج قد ساروا عن دمياط فى الفارس والراجل وقصدوا الكامل. ونزلوا مقابله وبينهما خليج من النيل يسمى بحر / أشمون، وهم يرمون بالمنجنيق إلى عسكر المسلمين، وقد تيقن كل الناس أنهم يملكون الديار المصرية. واجتمع الكامل مع الأشرف وتقدموا إلى بحر المحلة وقاتلوا الفرنج. وتفرّقت شوانى[2] المسلمين فى النيل وقاتلت شوانى الفرنج فأخذوا منها ثلاث قطع بمن فيها من الرجال والأموال. ففرح المسلمون وتفاءلوا بهـا، وقويت نفوسهم والرسل تتردّد فى قاعدة الصلح. وبذل لهم المسلمون القدس وعَسْقلان وطبرية وصيدا وجَبَلة واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين من الفرنج بالساحل ما عدا الكرك ليسلموا دمياط. فلم يرضوا وطلبوا ثلاثمائة ألف[3] دينار عوضا من تخريب القدس ليعمروه بها. فلم يتم أمر، وقالوا: لابد من الكرك.

٥٣ ظ
٣

(١) مظفر الدين أبو الفتح موسى، ولد فى ٥٧٦، وملك الرها ٥٩٨ ثم حران ثم نصيبين ٦٠٦ وسنجار والخابور ٦٠٧ وخلاط وميافارقين ٦٠٩ ثم دمشق ٦٢٤، ومات بها فى ٦٣٥، كان محبوبا مؤيدا فى الحروب.

(٢) الكامل والسلوك ١ : ٢٠٦ : وتقدمت.

(٣) السلوك : خمسمائة ألف.

وكان الفرنج لاقتدارهم فى نفوسهم لم يَصْحبوا ما يَقُوتهم عدة أيام، ظنا منهم أن العساكر / الإسلامية لاتقوم بهم وأن القرى والسواد بأيديهم يأخذون منها ما أرادوا من الميرة. فعمد[1] طائفة من المسلمين إلى الأرض التى عليها الفرنج ففجّروا النيل. فركب الماء أكثر تلك الأرض، ولم تبق للفرنج جهة يسلكونها غير جهة واحدة فيها ضيق. فنَصَب الكامل حينئذ الجسور على النيل عند أشمون. وعبرت عليها العساكر فَملكوا الطريق الذى يسلكه الفرنج إنْ أرادوا العَوْد إلى دمياط. فلم يبق لهم خلاص.

٥٤ ر / ٣

واتفق أنْ وصلهم مركب كبير وحَوْله عدة حَرّاقات تحميه، فيه الميرة للفرنج والسلاح وما يحتاجون إليه. فظفرت به وبما معه من الحراقات شوانى المسلمين. فسُقط فى أيدى الفرنج ورأوا أنهم قد ضلوا عن الصواب فى مفارقة دمياط إلى أرض يجهلونها، وعساكر الإسلام محيطة بهم ترميهم بالنُّشاب وتحمل على / أطرافهم.

٥٤ ظ / ٣

فآل ذلك إلى أن طلبوا الأمان ليسلموا دمياط بغير عوض. ووصل المعظم أثناء ذلك فاشتد فرح المسلمين. وتم الصلح على تسليم دمياط سابع رجب سنة ثمان عشرة وستمائة. وكان فى الرّهائن ملك عكا[2] ونائب البابا[3] صاحب رومية وعدة ملوكهم عشرون ملكا. فتسلمها المسلمون تاسع عشر من رجب المذكور وكان يوما مشهودا.

---

(١) الكامل والسلوك: فعبر. وهى أوضح.

(٢) يقصد المؤلف قائد هذه الحملة فى مبدئها جان دى برين
Jean de Brienne; roi titulaire de Jérusalem.

(٣) الكاردينال پلاج. Cardinal Pélage.

ومن العجب أن المسلمين لمـا تسلموها وصلت للفرنج نجدة فى البحر فلو سبقوا المسلمين إليها لامتنعوا من تسليمها .

وبعد هذه الكائنة اعتنى الكامل بجمع الأموال ونظر لنفسه معقلا فاختار القلعة الجبلية . ثم أراد أمنع منها وأبعد عن العدو ، فأخذ من ابن أخيه قلعـة الشّـوبك (١) .

وكان ـ رحمه الله ـ أشد الملوك هيبـة ، على قلة قتله وانبساطه فى محاضراته وكان يطلب نفسه بمحاضرة جميع من يحضر / مجلسه (٢) :

٥٥ و
٣

(١) فى ٦٢٦ هـ .

(٢) سقط ما بعد هذا .

٣

آخر ورقة فى القسم المصرى

... أنه كان فاضلا . ووفد على الفاضل البيسانى بقصيدة منها[١] :

* فأتيتُ والآمالُ فى وقتٍ معا *

فكتب له إلى السلطان صلاح الدين ، فولاه خطابة عَيْذاب .

ومدح صلاح الدين بقصيدة ، أولها :

كذا فَلْيَفْعــلِ الرَّشأُ الرَّبيبُ ... بليثٍ لا تقــوم به الحروبُ[٢]

أتنكر فتك من أفنى هواه ... وفى خــديه من دمه ندوب ؟

وقال العاذلون : تَسلَّ عنــه ... فقلت : نعــم ، إذا فنى الوجيب

قضيبٌ ، كلما وافى بدَوْحٍ ... تَطَاطَا نحــو رجليه القضيب

غــدا متلفِّتا لمــا تناءَى ... كذلك يفعــل الرشــأ الربيب

(١) لم أهتد إلى صاحب هذه الترجمة .

(٢) أصلح أحمد زكى باشا ، شيخ العروبة البيت إلى : لاتقوم له الحروب . وهى أوضح .

كمل السادس من كتاب المُغْرب فى حلى المَغْرب

وبتمامه كمل كتاب « الإكليل فى حلى بلاد النيل » الذى يشتمل عليـــه فلك الزهرة .

يتلوه فى السابع الفلك الثانى من الأفلاك المغربية ، وهو فلك عُطارد ، يشتمل عليه كتاب « نفحات العَنبر فى حلى بلاد البربر » .

كتبه بخطه على بن سعيد مُكمِّله ، برسم الخزانة الصاحبية العالية الكمالية العُقيلية ، عمَّرها الله . وذلك بحضرة حلب ، فى العشر الآخر من جمـــادى الآخرة ، سنة ست وأربعين وستمائة .

حامدا لله ، ومصليا على خيرة أنبيائه وآله وصحبه .

كشاف

النجـوم الزاهـرة

فى حلى حضرة القـاهرة

كشاف الآيات القرآنية (*)

كشاف الأحاديث النبوية

(*) قدم لى عونا كبيرا فى إعداد هذه الكشافات وتنظيمها ومراجعتها جماعة من المساعدين بمركز تحقيق التراث ، أخص منهم بالذكر السادة منير المدنى رسيدة حامد ونبيلة القوصى وعلى غريب وحمدى البرى .

الكشاف اللغوى

وضعت فى هذا الكشاف الكلمات ذوات الصيغ أو المعانى الخاصة ، أو التى وضعت فى تعبير خاص .

كشاف الكتب

كشاف الشعر

كشاف الأعلام

(أ)

(ب)

(خ)

كشاف الجماعات

كشاف الفرق

كشاف العلوم والفنون

(أ)

(ت)

(خ)

(د)

(ر)

(ع)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

كشاف الصناعات والصناع

كشاف الأزياء والفرش

كشاف الطعام

كشاف الحيوان

كشاف المواضع

(هـ)

(و)

(ى)

مراجــع التحقيق

الأبشيهى : المستطرف من كل فن مستظرف — بولاق ١٢٦٨ هـ

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ — إدارة الطباعة المنيرية ١٣٥٣ هـ

الأدفوى : الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد — دار الكاتب العربى .

ابن أبى الإصبع : بديع القرآن — نهضة مصر ١٩٥٧/١٣٧٧

ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء — الوهبية بمصر ١٨٨٢ .

أسامة بن منقذ : ديوانه — الأميرية ١٩٥٣ .

أمية بن أبى الصلت الأندلسى : الرسالة المصرية — المجموعة الأولى من نوادر المخطوطات .

البخارى : صحيحه — طبع ليدن .

برنارد لويس : أصول الإسماعيلية — دار الكتاب العربى بمصر .

البكرى : معجم ما استعجم — لجنة التأليف والترجمة والنشر .

ابن تغرى بردى : المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى — دار الكتب المصرية .

« « : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة — دار الكتب المصرية .

الترمذى : جامعة — طبع دهلى بالهند .

أبو تمام : ديوانه — دار المعارف بمصر .

الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء — السعادة بمصر .

ابن حجر : رفع الإصر — الأميرية .

حسن إبراهيم حسن — تاريخ الدولة الفاطمية — النهضة المصرية ١٩٥٨ .

ابن حنبل : مسنده — الميمنية .

ابن خلكان : وفيات الأعيان — الميمنية ١٣١٠ هـ

ابن دقماق : الانتصار — بولاق .

درزى : تكملة المعاجم العربية — طبع ١٩٢٧ .

الدوادارى : الدرة المضية فى أخبار الدولة الفاطمية ، من كنز الدرر وجامع الغرر — المعهد العلمى للآثار بمصر .

الذهبي : العبر في أخبار من غبر — الكويت .

السبكي : طبقات الشافعية الكبرى — عيسى البابي الحلبي .

ابن سعيد المغربي : الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة — دار المعارف بمصر — الطبعة الثانية .

: عنوان المرقصات — جمعية المعارف بمصر ١٢٨٦ .

: المغرب في حلى المغرب — مصر .

السلفي : معجمه — مصور بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٣٢ تاريخ .

ابن سناء الملك : ديوانه — طبع الهند .

السيوطي : بغية الوعاة — عيسى البابي الحلبي .

: حسن المحاضرة — عيسى البابي الحلبي

الشابشتي : الديارات — مطبعة المعارف بالعراق ١٩٥١

ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات — بولاق .

أبو شامة المقدسي : الروضتين في أخبار الدولتين — وادي النيل بمصر ١٢٨٧

: تراجم رجال القرنين السادس والسابع — طبع ١٩٤٧/١٣٦٦

ابن شداد : النوادر السلطانية — الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر .

الشهرستاني : الملل والنحل — مطبعة الأزهر .

الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية — لجنة التأليف والترجمة والنشر .

الصفدي : نكت الهميان — الجمالية بمصر ١٩١١ .

: الوافي بالوفيات — المطبعة الهاشمية بدمشق .

ابن الصيرفي : الإشارة إلى من نال الوزارة — المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٢٤

الطبري : تفسيره — الميمنية .

طلائع بن رزيك : ديوانه — نهضة مصر ١٩٥٨ .

ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة — دار الكتب المصرية .

ابن ظافر الصقلي : بدائع البدائه — بولاق ١٢٧٨ .

ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها — جامعة ييل بأمريكا .

العماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر .

: شذرات الذهب — مكتبة القدسي .

محتويات الكتاب

عمارة اليمنى : النكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية — طبع شالون بفرنسا .
عمر بن الفارض : ديوانه — دارا صادر و بيروت .
العمرى : مسالك الأبصار — مصور بدار الكتب المصرية .
فارمر : مصادر الموسيقى العربية — دار مصر للطباعة .
أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر — الحسينية المصرية .
ابن قتيبة : المعارف — دار الكتب المصرية .
ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق — بيروت ١٩٠٨ .
القلقشندى : صبح الأعشى — دار الكتب المصرية .
ابن كثير : البداية والنهاية — السعادة بمصر .
ابن ماجه : سننه — طبع الهند ١٩٠٥ .
مالك : الموطأ — الشرقية ١٣٢٠ هـ .
المتنبى : ديوانه — مصطفى البابى الحلبى .
محمد كامل حسين : نظرية المثل والممثول .
مسلم : صحيحه — دار الطباعة العامرة .
المفضل الضبى : المفضليات — بيروت .
المقتطف .
المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا — القاهرة ١٩٦٧ .
: الخطط — بولاق ١٢٧٠ .
: السلوك — دار الكتب المصرية .
: المقفى — مصور بدار الكتب المصرية برقم ٥٣٧٢ تاريخ .
ابن ميسر : تاريخ مصر — المعهد العلمى الفرنسى بمصر — ١٩١٩ .
ابن هانئ الأندلسى : ديوانه — لجنة التأليف والترجمة والنشر .
ابن هشام : السيرة النبوية — مصطفى البابى الحلبى .
ابن واصل : مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب — دار القلم بمصر .
ابن الوردى : تاريخه — الوهبية بمصر ١٢٨٥ .
ياقوت : معجم الأدباء — طبعة رفاعى .
: معجم معجم البلدان . طبع أوربا

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

١٦١٢ / ١٩٧٠

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ٨٦/١٩٦٩/٢٠٠٠